

كتاب
الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن التنوخي

طبع على نفقة محمود افندي رياض

وتصحيح

بمعرفة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الزهري الغمراوي



مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٣

قد عثرت على نسخة هذا الكتاب بمكتبة المرحوم جدي التي عانى كثيراً في اتخاذها ومنها سبق استخراج كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ومروج الذهب للمسعودي وغيرها فأحببت اظهارها للجمهور خدمة للادب وبعد مراجعتها على نسخة أخرى موجودة في الكتبخانة الخديوية صار طبعها وعسى ان يحوز ذلك رضا اهل الفضل لاشرع في طبع غيره من الكتب النادرة وعلى الله الاتكال

محمود رياض

ترجمة المؤلف نقلاً عن تاريخ ابن خلكان

هو أبو علي المحسن بن ابي القاسم على بن محمد بن ابي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم التنوخي ولد ليلة الاحد لاربع بقين من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة وسمع بها من ابي العباس الاشرم وابي بكر الصولي والحسين بن محمود بن عثمان ونزل بغداد وأقام بها وحدث الى حين وفاته وكان سماعه صحيحاً واول سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان من العلماء الحفاظ والشعراء المجيدين وفيه يقول ابو عبد الله بن الحجاج الشاعر

اذا ذكر القضاة وهم شيوخ　　تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم اصفعه الا　　بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وله ديوان شعر اكبر من ديوان ابيه ومن مؤلفاته كتاب الفرج بعد الشدة وكتاب نشوان المحاضرة وكتاب المستجاد من فعلات الاجواد وتولى القضاء من قبل ابي السائب عتبة بن عبيد الله في بابل والقصر وما والاها في سنة تسع واربعين وثلاثمائة ثم ولاه الامام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايذج ورامهرمز وتقلد بعد ذلك اعمالاً كثيرة في اماكن مختلفة ومن شعره قوله

قل للمليحة في الخمار المذهب　　افسدت نسك اخي التقى المترهب
نور الخمار ونور خدك تحته　　عجباً لوجهك كيف لم يتلهب
وجمعت بين المذهبين فلم يكن　　للحسن عن مذهبهما من مذهب
فاذا اتت عين لتسرق نظرة　　قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

وكتب رحمه الله تعالى الى بعض الرؤساء في شهر رمضان

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ... وكفاك الاله ما تتقيه
انت في الناس مثل شهرك في الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه

ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج ليستسقي وكان في السماء سحاب فلما دعا أصحت السماء فقال أبو علي

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه ... وقد كاد هدب الغيم ان يلحق الارضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما ... فما تم الا والغمام قد انقضا

وكانت وفاته رحمه الله تعالى ببغداد ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة اربع وثمانين وثلاثمائة



بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا * ومن الضيق سعة ومخرجا * ولم يخل محنة من منحة * ولا نقمة من نعمة * ولا نكبة ورزيه * من موهبة وعطيه * وصلى الله على سيد المرسلين * وخاتم النبيين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * أما بعد فاني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر * ونفع وضر * ولم يكن لهم في أيام الرخاء * أنفع من الشكر والثناء * ولا في أيام البلاء * أنجع من الصبر والدعاء * لان من جعل الله عمره أطول من محنته * فانه سيكشفها عنه بطوله ورأفته * فيصير ماهو فيه من الاذى * كما قال بعض من مضى ويروى للاغلب العجلي أوغيره

الغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلينا . ثُمَّتَ يذهبْنَ فلا يجينا

وطوبى لمن وفق في الحالين * للقيام بالواجبين * وجدت من أقوى ما يفزع اليه * من أناخ الدهر بمكروهه عليه * قراءة الاخبار التي تنبئ عن تفضل الله عز وجل على من حصل قبله في محصله * ونزل به مثل بلائه ومعضله * بما أتاحه الله تعالى له من صنيع أسهل به الارزاق * ومعونة حل بها الخناق * ولفظ غريب نجاه * وفرج عجيب أنقذه وتلافاه * وان خفيت من ذلك الاسباب * ولم يبلغ ماحدث منه الفكر والحساب * فان في معرفة الممتحن بذلك تشحيذ بصيرته للصبر * وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر * وتصويب رأيه في الاخلاص * والتفويض الى من بيده ملك النواص * وكثيرًا اذا علم الله تعالى من وليه وعبده * انقطاع آماله الا من

عنده * لم يكله الى سعيه وجهده * ولم يرض له باحتياله وطوقه * ولم يخله من عنايته ورفقه * وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب * أخبارًا من هذا الجنس والباب * أرجو به انشراح صدور ذوي الالباب * عند ما يدهمهم من شدة ومصاب * اذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت اليها ما يحنو بي على الممتحنين * ويحدو بي على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين * وكنت وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدايني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق وذكر فيها أخبارًا تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها اقلتها نموذج صغير ولم يأت بها مؤتلفة * ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة * ولا الابواب الواسعة المؤلفة * مع اقتداره على ذلك ولا أعلم غرضه في التقصير ولعله أراد أن ينهج طريق هذا الفن من الاخبار * ويسبق الى فتح الباب فيه بذلك المقدار * وينقل جميع ماعنده فيه من الآثار * ووقع الى كتاب لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة والغالب فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأخبارٌ عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته* ولا يخرج عن قصده وبغيته * وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر والارزاق والتوكل والتعرّض للشدائد بذكر الموت وما يجري مجرى التعازي ويتسلى به عن طوارق الهموم * ونوازل الاحداث والغموم* ويستحق عليها من الثواب في الاخرى* مع التمسك بالحزم في الاولى* وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن وضمن الكتاب نبذًا قليلة من الشعر وروى فيه شيئًا يسيرًا جدًا مما ذكره المدايني الا انه جاء به بلا اسناد له الا عن المدايني وقرأت أيضًا كتابًا للقاضي ابي الحسين عمر بن القاضي أبي عمرو محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة أودعه أكثر ما رواه

المدايني وجمعه وأضاف اليه أخباراً أخر أ كثرها حسنة وفيهاماهو غير مماثل عندي لما عناه * ولامشاكل لما نحاه * وأتى في أثنائها بأبيات شعر يسيرة * من معادن لامثالها جمة كثيرة * ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ولا أعلم أتعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب ووجدت أبا بكر بن أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين لم يذكرا للمدايني كتاباً في هذا المعنى فان لم يكونا عرفا هـذا فهو ظريف وان كانا تعمدا ترك ذكره تثقيفاً لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أظرف ووجدتهماقد استحسنا استعارةلقب كتاب المداينيعلى اختلافهما فيالاستعارة * وحيدهما عن ان يأتيا بجميع العبارة* فتوهمت أن كل واحدمنهما لما زادعلىقدر ما أخرجه المدايني اعتقد انه اولى منه بلقب كتابه فان كانهذا الحكم ماضياً* والصواب به قاضيا * فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضاً فيما جمعاه * أولى منهما بما تعبا فيتصنيفه ووضعاه * فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على اكثرممـا جمعه القوم وابين للمعنى واكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصنيف * وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف * فانهم نسقوا ما أودعوه كتبهم بجملة واحدة وربما صادفت ملالاً من سامعيها * أو وافقت سآمة من الناظرين فيها * فرأيت أن انوع الاخبار واجعلها ابواباً * ليزداد من يقف على الكتب الاربعة بكتابي من بينها اعجاباً * وان أضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من ابواب هذا الكتاب الا ما اعتقد انه يجب ان لا يدخل فيه وأن تركه وتعديهاصوب واولى * والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق واحري * وأن أعزو ما اخرجه ما في الكتب الثلاثة الى مؤلفيها تأدية للامانة * واستيثاقاً في الرواية * وتبييناً لما آتي به من الزيادة * وتنبيها علىموضع الافادة * فاستخرت الله عز وجل ذكره وبدأت بذلكفي هذا الكتاب ولقبته بكتاب(الفرج بعدالشدة) يتمنالقارئه بهذا المقال * وليستسعد في ابتدائه بهذا الفال * ولم استبشع اعادة هذا اللقب * ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب * لانه قد صار جارياً مجري تسمية رجل ابنه

محمدًا او محمودًا* او سعدا او مسعودًا وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين * ان يقول لمن سمي بهما الآن انك انتحلت هذا الاسم او سرقته ووجدتني متى اعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء * وبلغت به حده في الاستيفاء * جاء في الوف اوراق لطول ما مضى من الزمان وان الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه امور عباده منذ خلقهم والى ان يقبضهم على التقلب بين شدة ورخاء ورغد وبلاء واخذ وعطاء ومنع وصنع وضيق ورحب وفرج وكرب * علمًا منه تعالى بعواقب الامور* ومصلحة الكافة والجمهور* فاخبار ذلك كثيرة المقدار * عظيمة الترداد والتكرار * وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة * ولا مستطابة الذكر والاعادة * فاقتصرت على احسن ما رويته من هذه الاخبار * واصح ما بلغني في معانيها من الآثار * واملح ما وجدت في فنونها من الاشعار * وجعلت قصدي الى الايجاز والاختصار * واسقاط الحشو وترك الاكثار وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملول * ولا يتفرغ لقراءتها المشغول * وانا راغب الى من يصل كتابي هذا اليه وينشط للوقوف عليه * ان يصفح عما يعثر به من زال* ويصلح ما يجد فيه من خطأ او خلل* والله اسأل السلامة من المعاب * والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد الى الصواب * ويفعل الله ذلك بكرمه انه جواد وهاب

الباب الاول

فيما انبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ

فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عز وجل رسوله * صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه وهو الاثم بعد انقاض الظهر وهو الثقل الذي اثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت اذا صوت الوقوع ورفع جل جلاله ذكره بعد ان لم يكن بحيث جعله الله تعالى مذكورًا معه والبشارة له في نفسه عليه الصلاة السلام وفي امته بان مع اليسر الواحد يسرين اذا رغبوا الى الله تعالى ربهم واخلصوا له طاعاتهم ونياتهم وقال الله تعالى سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَقَالَ جل ثناؤُهُ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ إلى قولهِ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فاخبر الله تعالى ان الذي مرَّ على القرية استبعد ان يكشف الله عنها وعن اهلها البلاء بقوله أني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مئة عام ثم بعثه الى آخر القصة فلا شدة اشد من الموت والخراب ولا فرج افرج من الحياة او العمارة فاعلمه الله تعالى عما فعله به انه لا يجب ان يستبعد فرجًا من الله وصنعًا كما عمل به وانه قادر على ان يحيي القرية واهلها كما احياه الله تعالى فأراه بذلك آياته ومواضع صنعه وقال جل ثناؤه أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وقال سبحانه وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقال جل من قائل هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ وقال جلّ من قائل قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ وقال جلّ ثناؤه وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ وقال جلّ ذكره وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ وقال جلّ من قائل أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ وقال تعالى وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وقال تعالى وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ وقال تعالى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وقال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ وقال عزّ من قائل الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال عجباً لمكروب غفل عن خمس وقد عرف ما جعل لمن قالهن قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ الى قوله هُمُ الْمُهْتَدُونَ وقوله تعالى وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وقوله تعالى وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ وقوله الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ الى قوله وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وقوله تعالى وَأَيُّوبَ (١) إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ الى قوله وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ

---

(١) وفي نسخة بدل قوله تعالى وأيوب اذ نادى قوله تعالى وما كان قولهم الا أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحبّ المحسنين

وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أيضاً أنه قال من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد كشفها الله تعالى عنه لانه قد وعد وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن وحكمه تعالى لا يبطل ووعده لا يخلف وقد ذكر تعالى فيما قصه من أخبار الانبياء شدائد ومحناً استمرت على جماعة منهم وضروباً جرت عليهم من البلاء فأعقبها بفرج وتخفيف * وتداركهم منها بصنع جليل لطيف * فاول ممتحن منهم آدم عليه السلام أبو البشر فان الله جل جلاله خلقه في الجنة وعلمه الاسماء كلها وأسجد الملائكة له ونهاه عن اكل الشجرة فوسوس له الشيطان فكان منه ماقاله الرحمن في محكم القرآن وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى هذا بعد أن أهبطه من الجنة الى الارض وأفقده لذيذ ذلك الخفض * فانتقضت عادته * وغلظت محنته * وقتل أحد ابنيه الآخر وكانا أول أولاده فلما طال حزنه وبكاؤه * واتصل استغفاره ودعاؤه * رحم الله تذلله وخشوعه * واستكانته ودموعه * فتاب عليه وهداه وكشف مابه ونجاه فكان آدم صلى الله عليه وسلم أول من دعا فأجيب * وامتحن فأثيب * وخرج من ضيق وكرب * الى سعة ورحب * وسكن همومه * ونسي غمومه * وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم * وازالته عنه النقم * وانه تعالى اذا استرحم رحم فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد * وعوضه بدل الابن المفقود والابن العاق الموجود نبي الله شيثاً عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين * ووالد النبيين والصالحين وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن * من الشرح لهذه الجملة والبيان * مالا يحتمل ذكره هذا المكان * وقد روي فيه من الاخبار * مالا وجه للاطالة به والاكثار * ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه وعصيان ابنه له والطوفان العام وركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال واعتصام ابنه بالجبل وتأخره عن الركوب معه فقاسى نوح بذلك الشدائد فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الاهوال بالتمكين له في الارض

و بغيض الطوفان وجعله شبه آدم عليه الصلاة والسلام لانه أنشأ منه ثانياً جميع البشر كما انشأهم اولاً من آدم فلا ولد لآدم الا من نوح عليه الصلاة والسلام * قال الله تعالى وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ* وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ثم ابراهيم صلى الله عليه وسلم وما وقع له من كسر الاصنام وما لحقه من قومه من محاولة احراقه فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً . وقال تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ثم اقتصَّ قصتهُ في قوله تعالى قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ الى قوله تعالى وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وما كلفه الله تعالى اياه من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة من أم ولده هاجر فهاجر بها و بابنه منها اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بوادٍ غير ذي زرع نازحين بعيدين منه حتى أنبع الله عز وجل لهما الماء . وتابع عليهما النعماء . وأحسن لابراهيم فيهما الصنع . والفائدة والنفع . وجعل لاسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا بعد ان كان امر سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه اسماعيل لسبيل الذبح قال الله تعالى فيما اقتصه من ذكره في سورة الصافات فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ فلا بلاء أعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه انه بلاء مبين وهو تكليف انسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليفه هو والمذبوح أن يؤمنا و يصبرا و يسلما ويحتسبا فلما أديا ما كلفا من ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الايمان * والصبر والتسليم والاذعان * فدى الابن بذبح عظيم وخلصهما من تلك الشدائد الهائلة * ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه وتضييفه الملائكة عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه فخسف الله تعالى بهم أجمعين * ونجى لوطا وأثابه ثواب الشاكرين * وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم * ويعقوب ويوسف عليهما السلام فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلواهما وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد اخوة يوسف له على المنام الذي بشره الله فيه بغاية الاكرام حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو ثم استعبد فألقى الله عز وجل في قلب من صار اليه اكرامه واتخاذه ولدا ثم مراودة امرأة العزيز اياه عن نفسه وعصمة الله له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس الى ملك مصر وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق اخوة يوسف من التسريق وحبس أحدهم نفسه حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله له وكيف أنفذ يوسف عليه السلام الى أبيه عليه السلام قميصه حتى رده الله عز وجل به بصيرا وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مسرورا * وأيوب عليه السلام وما امتحن به من الاسقام وعظم اللاواء * والدود والادواء * وقد جاء القرآن الكريم بذكره ونطقت الاخبار بشرح أمره قال الله تعالى وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ

أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ معهم رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ * ويونس عليه السلام وما اقتص الله عز وجل من قصته في غير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسبيحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ الى قوله فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ومنها قوله وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ قال بعض المفسرين معنى أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ اي نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ اي من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ وقد جاء قَدَرَ في القرآن بمعنى ضيق في مواضع كثيرة ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطو فرس أقدر لانه لايجوز أن يهرب من الله تعالى نبي من أنبيائه ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أي لا يدركه وأنه يعجز الله هرباً فقد كفر والانبياء عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذي هو كفر. وقد روي أنه من أدام قراءة وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ الى قوله نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ في الصلاة وغيرها في أوقات شدائده عجل الله له الفرج وأنا أحد من واظبها في نكبة عظيمة لحقتني يطول ذكرها عن هذا الموضع وقد كنت حبست وهددت بالقتل ففرج الله سبحانه

وتعالى عنى وأطلقت في اليوم التاسع من حين قبضت * وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصصه في غير موضع منها قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الى قوله وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فلا شدة أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه وحرم عليه المراضع حتى رده الى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر ومعنى قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً أي يصير عاقبة أمره معهم الى عداوته لهم وهذه لام العاقبة كما قال الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكم يصير الى ذهاب

وقد علم ان الولادة لايقصد بها الموت والبناء لايقصد به الخراب وانما عاقبة الامر فيهما أن يصيرا الى ذلك وعلى الوجه الاول قوله تعالى وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أي عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لانفسهم يصيرهم الى جهنم فيصيرون لها لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصد تعذيبهم بالنار في جهنم عزّ الله تعالى عن الظلم وقال عز وجل في تمام هذه القصة وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ الى قوله مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فهذه شدة اخرى لحقته بالاغتراب والحاجة الى الاضطرار في المعيشة والاكتساب

فوفق الله له شعيباً عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن استأجره ثماني حجج وانه خرج بأهله من عند شعيب فرأى النار فمضى ليقتبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبياً وأرسله الى فرعون فسأله أن يرسل معه أخاه هارون فشد الله عضده به وجعله نبياً معه فأي فرج أحسن من فرج من أتى خائفاً هارباً فقيرًا قد آجر نفسه ثماني حجج فجوزي بالنبوة والملك قال الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ فهذه شدة اخرى لحقت بني اسرائيل فكشفها الله تعالى عنهم قال الله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ فأخبر تعالى عن صنعه لهم وفلقه البحر لبني اسرائيل حتى عبروه يبساً واغراقه فرعون لما تبعهم فكل ذلك أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة لا يؤدي شكر الله عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنه تفضل الله بكشف الشدائد

واغاثته باصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته .. واخلص في خشيته . واصلح من نيته .. ليسلك من هذه السبيل .. فانها الى النجاة من المكاره اوضح طريق واهدى دليل .. وذكر سبحانه وتعالى في والسماء ذات البروج اصحاب الاخدود وروي قوم من اهل الملل المخالفة للاسلام عن كتبهم أشياء في ذلك فذكرت اليهود ان اصحاب الاخدود كانوا دعاةً الى الله تعالى وان ملك بلدهم اضرم لهم نارًا وطرحهم فيها فاطلع الله على صبرهم وخلوص نياتهم في دينهم وطاعتهم له فأمر النار ان لا تحرقهم فشوهدوا فيها قعودا وهي تضرم عليهم ولا تحرقهم .نجوا منها وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه وذكر هؤلاء القوم أن نبياً كان في بني اسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال وان قومه كذبوه فأخذه ملكهم بختنصر فقدمه الى أسدين كان يجوعهما في جب فلما علم الله تعالى حسن اتكاله عليه .. وصبره طلباً لما لديه .. أمسك عنه أفواه الاسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهي مذللة له غير ضارة فبعث الله تعالى أرميا من الشام حتى خلص دانيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال * وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها ما حدثوني عن عبدالله بن أبي الهذيل قال ان بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ماشاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرميا وهو بالشام ان أعدد طعاماً وشراباً لدانيال فقال يارب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله اليه أن اعدد ما أمرتك به فسأرسل اليك من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل فأرسل الله اليه من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا قال أنا أرميا قال ماجاء بك قال أرسلني اليك ربك قال وقد ذكرني قال نعم قال دانيال أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لاينسى مَنْ ذَكَرهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَايُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ وَثِقَ بِهِ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْزِي بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسَّيِّآتِ غُفْرَانًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْزِي بِالصَّبْرِ نَجَاةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ يَكْشِفُ ضُرَّنَا وَكَرْبَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ يَقِينُنَا وَرَجَاؤُنَا حِينَ تَنْقَطِعُ الْحِيَلُ عَنَّا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ ثِقَتُنَا حِينَ تَسُوءُ ظُنُونُنَا بِأَعْمَالِنَا

وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل الشدة التى جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاخيار فيما اقتصه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ الى قوله وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف أن تلحقه المشركون حين سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستخفيا فيه فأرسل الله تعالى عنكبوتا فنسج في الحال على باب الغار وحمامة عششت وباضت وأفرخت للوقت فلما انتهى المشركون الى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا انه غار لم يدخله أحد منذ حين وإن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ليريان أقدامهم ويسمعان كلامهم فلما انصرفوا وبعدوا وجاء الليل خرجا فصارا نحو المدينة فورداها سالمين وروى أصحاب الحديث أيضا في شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التي لحقته من المشركين من شق الفرث عليه ومحاولة أبي جهل وشيبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب والعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما كانوا يكاشفونه به من السب والتكذيب والاستهزاء والتأنيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون وقصدهم اياه غير دفعة بأنواع الاذى والفضيحة والافتراء وحصرهم اياه صلى الله عليه وسلم وجمعهم بني هاشم في الشعب وتخويفهم اياه وتدبيرهم أن يقتلوه حتى بعد وبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكانه

وعلى فراشه ما يطول ذكره واقتصاصه و يكثر شرحه ثم أعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين * واعزاز الدين واظهاره على كل دين * وقمع الجاحدين والمشركين * وقتل أولئك الكفرة المادين والمعاندين * وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكثين * وبالدين مستهزئين * وللمؤمنين ناصبين متوعدين * وللنبي صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين * وأذل من بقي منهم بعز الاسلام * بعد أن عاد باظهاره * وأضمر الكفر في اسراره * فصار من المنافقين الملعونين * والحمد لله رب العالمين * فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن .. نفع الله بها و ينفع بها غير انسان .. وهي تجري في هذا الباب وتنضاف اليه * ورُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ثم يقول يا أبا ذر لو أنَّ الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم

حدثنا علي بن أبي الطيب باسناده قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان بني فلان اغاروا عليَّ فذهبوا بابني وابلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آل محمد لكذا وكذا ما في بيتهم مدّ من طعام فاسأل الله تعالى فرجع الى امرأته فقالت له ما قال لك فأخبرها فقالت نعم ما ردّكَ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث ان رد الله عليه ابله اوفر مما كانت وابنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر الناس مسألة الله عز وجل والرجوع اليه والرغبة وقراءة وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَيَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فقال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال من شأنه يغفر ذنبًا ويكشف كربًا ويرفعُ اقوامًا ويضعُ آخرين واخبرني محمد بن الحسن باسناد طويل قال سمعت سعيد بن عنبسة يقول بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصا ويحذف به اذ رجعت حصاة منها عليه فصارت في اذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدروا على اخراجها فبقيت الحصاة في اذنه مدة وهي تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس اذ سمع قارئًا يقرأ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الآية فقال الرجل يارب انت المجيب وانا المضطر فاكشف عني ضر ما انا فيه فنزلت الحصاة من اذنه في الحال * وروي ان ابا عبيدة حصر فكتب اليه عمر رضي الله عنه مهما نزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجًا وانه لن يغلب عسرٌ يسرين وانه يقول عز وجل ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يونس عليه السلام حين بدا له ان يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال ﴿اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ فأقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا لا يارب قال ذلك عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل نرفع له عملاً صالحًا متقبلاً ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يارب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء وقال.. أبو صخر فاخبرني أبو سقيط وأبوه حدثه بهذا الحديث انه سمع ابا هريرة يقول طرح بالعراء فانبت الله عليه اليقطينة .قلنا وما اليقطينة قال شجرة الدبا قال أبو هريرة وهيأ الله له أرنبة وحشية تأكل من حشائش الارض وتجيء فتفشح عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت جلده وقال أمية بن أبي الصلت قبل الاسلام في ذلك شعرًا

فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا الله الفي ضاحيا

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به الى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا وهو في ظلمات ثلاث ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ قال الله عز وجلّ ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِٱلْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش حدثني فتى من الكتاب البغداديين يعرف بأبي الحسن بن ابي الليث وكان أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلمي أحد الامراء في عسكر معز الدولة بن احمد بن بويه قال قرأت في بعض الكتب اذا دهمك أمر تخافه فبت وأنت طاهر على فراش طاهر وثيابك كلها طاهرة واقرأ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الى آخر السورة سبعاً ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ الى آخر السورة سبعاً ثم قل ﴿ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ لِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً مِنْ أَمْرِي﴾ فانه يأتيك في الليلة الاولى أو الثانية الى السابعة آتٍ في منامك فيقول لك المخرج منه كذا وكذا قال فحبست بعد ذلك بسنين حبسة طالت حتى أيست من الفرج — وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوماً وأنا في الحبس ففعلت ذلك فلم أر في أول ليلة ولا في الثانية ولا في الثالثة شيئاً فلما كان في الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي خلاصك على يدي علي بن ابراهيم فأصبحت من غد متعجباً ولم اكن أعرف رجلاً يقال له علي بن ابراهيم فلما كان بعد يومين دخل عليّ شاب لا أعرفه فقال قد كفلت ما عليك فقم واذا معه رسول الى السجان بتسليمي اليه فقمت معه فحملني الى منزلي وسلمني فيه وانصرف فقلت لهم من هذا قالوا رجل من أهل الاهواز يقال له علي بن ابراهيم يكون في الكرخ قيل لنا انه صديق للذي حبسك فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط في أمرك وضمن ما عليك وأخرجك قال مؤلف هذا الكتاب فلما كان بعد يسير جاءني علي بن ابراهيم هذا وهو معاملي

في سنين كثيرة فذاكرته بالحديث فقال نعم كان هذا عبدوس الذي حبسه هو ابن اخت ابي علي النصراني خازن معز الدولة فلما طالبه بالمبلغ الذي كان عليه من الضمان الذي ضمنه منه وكان عبدوس صديقي فجاءني من سألني خطابه في أمره فجرى الامر على ما عرفت قال مؤلف الكتاب وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذي سماه بكتاب الآداب الحميدة والاخلاق النفيسة حدثني محمد بن عمارة الاسدي عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعاني عن أبيه عن جده انه قال لبنيه اذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم الا وهو طاهر على فراش طاهر ولا يبيتن معه امرأة وليقرأ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا الى آخر السورة سبعاً وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الى آخر السورة سبعاً ثم يقل اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً فانه يأتيه آت في أول ليلة أو في الثالثة أو في الخامسة واظنه قال أو في السابعة يقول لك المخرج مما انت فيه كذا قال أنيس وأصابني وجع شديد فلم أدر ما علاجه فبت على هذه الحالة فأتاني في أول ليلة اثنان جلس أحدهما على رأسي وجلس الآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه جسه فلمس جسدي كله فلما بلغ موضعاً من رأسي قال احجم هذا ولا تحلقه ولكن اغسله بخطمية ثم التفت الى أحدهما او كلاهما وقال لي فكيف لو ضممت اليهما وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فلما أصبحت سألت لم أمرت بالخطمية فقيل لتمسك المحجمة فبرأت وانا الى اليوم لا أحدث بهذا الحديث أحداً فيعالج به من تلك العلة الا وجد الشفاء باذن الله تعالى وأضمم اليهما قراءة وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وحدثت عن أحمد بن أبي داود قال حدثني الواثق قال حدثني المعتصم ان قوماً ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمات اذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالها انكشفت عنه فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك حتى تعلمني فقيل له ارم بالمال في البحر فرمى بالمال فسمع الهاتف يقول

اذا أصابك غم أو أشرفت على هلكة فاقرأ وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا ان هذه لفظة ما أشك في نفعها قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدث بعد ذلك قال طرحني البحر على جزيرة فصعدت امشي فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه من كل ما يكون من الجواهر التي في البحر وغيرها واذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من انت واي شيء تعملين هاهنا قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة وكان أبي عظيم التجارة وكان لا يصبر عني فسافر بي في البحر معه فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة وانه يخرج الي شيطان من البحر فيتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني الا انه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي وينظر الي ثم ينزل الى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك واخرج قبل موافاته والا أتى عليك فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد أقبلت فقالت قد جاء والله وسيهلكك فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فاذا هو قد خر كقطعة جبل الا انه رماد محترق فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الفتى الذي من الله علي بك فقمت أنا وهي وانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع فلما كان الليل رجعنا الى القصر قال وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من اين لك هذا قالت وجدته هاهنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا يبين عن بعد فلوحنا اليهم فدخلوا فحملونا وسلمنا الله عز وجل الى البصرة فوصفت لي منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من أنت قلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الواعية وقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصيبتنا فقلت اخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم الى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم ان

يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة وهؤلاء أولادي منها * وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء ان عبد الله بن المعلي بن أيوب حدثه عن أبيه قال قال المعلي بن أيوب أعنتني الفضل بن مروان ونحن في بعض الاسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مرارًا الى ان أمرني عن المعتصم ان لا ابرح الا بعد الفراغ منه فقعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي نفاطة وطرح غلماني انفسهم حولي وورد علي امر عظيم لاني قلت ما تجاسر علي ان يوكل بي الا وقد وقف على سوء رأي فيّ من المعتصم قال فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى من الليل بعضه وأنا مفكر فحملتني عيني فنمت فرأيت كأن شخصاً قد مثل بين يدي وهو يقول لي قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ قُلِ ٱللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ثم انتبهت فقرأتها فاذا أنا بشمل قد أقبل من بعيد فلما قرب مني رأيت وراءه حمادا ونفس صاحب الحرس وقد انكر نفاطتي فجاء ليعرف سببها فأخبرته خبري فمضى الى المعتصم فأخبره فاذا الرسل يطلبونني فدخلت اليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع الا أسفله فقال لي ما خبرك فشرحته له فقال لي وَيْلِي عَلَى ٱلنَّبَطِيِّ يَمتَهِنُكَ وأي يد له عليك أنت كاتبي كما هو كاتبي انصرف قال فانصرفت وبكرت الى الفضل على عادتي لم أنكر شيئاً * حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه ان رجلاً كانت بينه و بين رجل يتمكن من أذاه عداوة فخافه خوفاً شديداً وأهمه أمره ولم يدر ما يصنع فرأى في منامه كان قائلاً يقول له اقرأ في كل يوم في احدى ركعتي الفجر أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال فقرأتها فما مضت الا شهور حتى كفيت أمر ذلك الرجل واهلكه الله عز وجل وانا

أقرؤها الى الآن قال مؤلف هذا الكتاب فوقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته فاستترت منه فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الاولى منها أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الى آخر السورة لخبر كان بلغني فيها فلما كان بعد شهور كفاني الله أمر ذلك العدو وأهلكه من غير سعي لي في ذلك ولا حول ولا قوة وأما الخبر في ألم نشرح فان أبا بكر بن شجاع المقري البغدادي الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الاهواز في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان شيخاً ثقة نبيلاً وهو من أمناء القاضي الاحنف محمد بن أبي الشوارب حدثنا بأسناد ذكره ان بعض الصالحين ألح عليه الغم وضيق الصدر وتعذر الامر حتى كاد يقنط فكان يمشي يوماً وهو يقول أرى الموت لمن أمسى على الذلة له أصلح * فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه او قال رأى في النوم كأن قائلاً يقول

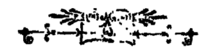
ألا يا أيها المرء * الذي الهم به برّح * اذا ضاق بك الصد * ر ففكر في ألم نشرح

قال فقرأتها في صلاتي فشرح الله صدري وأزال كربي وسهل أمري أو كما قال وحدثني غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد في الشعر حيث قال

فان العسر مقرو * ن بيسرين فلا تبرح

وقد ذكر القاضي أبو الحسين في كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط وقال في الاخير منهما

اذا أعضلك الامر * بدل اذا ضاق بك الصدر



الباب الثاني

* ماجاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء *
* وما يتوصل به الى كشف الشدة والبلاء *

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي بالاسناد الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فان الله تبارك وتعالى يحبُّ أنْ يسألَ وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفرَج .. مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتظارُ الفرجِ من الله عز وجل عبادةٌ .. علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي انْتِظَارُهَا فَرَجَ ٱللهِ .. جعفر بن محمدٍ عن ابيهِ عن جدّهِ أنَّ رسولَ ٱللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم قال لعليٍّ رضي الله عنهُ في حديث ذكره وَٱعلَمْ أَنَّ النَّصرَ معَ الصَّبرِ والفرَجَ معَ الكربِ وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا عن عمر بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال ان الله عز وجل يبتَلِي العبدَ وهوَ يحبُّهُ لِيسْمعَ تضرُّعهُ حدثنا ابن أبي الدنيا يرفعه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ألاَ أُعَلِمُكَ كلماتٍ تنتفع بهنَّ قال بلى يارسول الله قال احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ احفَظِ ٱللهَ تجدْهُ أَمامكَ تعرَّفْ الىَ اللهِ في الرَّخاء يعرِفْكَ في الشدَّةِ واذا سأَلْتَ فاسأَلِ ٱللهَ واذَا استعَنتَ فَاستَعِنْ باللهِ جفَّ القلَمُ بما كَانَ وما هوُ كائنٌ ولو جهدَ العِبادُ أَنْ ينفعوكَ بشيْءٍ لم يَكتُبْهُ اللهُ لكَ لم يقدِرُوا عليهِ ولو جهدُوا أَنْ يَضرُّوكَ

بشيءٍ لم يكتبْهُ اللهُ عليكَ لما قدرُوا فإنِ استطعْتَ أنْ تعملَ للهِ بالصدْقِ في اليقينِ فافعلْ فإنْ لم تستطعْ فإنَّ في الصبرِ على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا واعلمْ انَّ النصرَ معَ الصبرِ وانَّ الفرجَ معَ الكربِ وأنَّ معَ العسْرِ يسْرًا . . روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهُ قال قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم إنَّ المعُونَةَ من اللهِ عزَّ وجلَّ تأتي العبْدَ على قدْرِ المؤُونةِ وإنَّ الصبْرَ يأْتي على قدْرِ شدَّةِ البلاَءِ وربما قال انَّ الفرَجَ يأْتي منَ اللهِ على قدْرِ شدَّةِ البلاَءِ . . وروى ابو هُريرةَ عن رسُولِ الله صلي اللهُ عليهِ وسلَّم انهُ قال منْ ستَرَ أخاهُ المسلمَ سترَهُ اللهُ يوْمَ القيامة وَمَنْ نفَّسَ عنْ أخيهِ كُرْبةً من كُرَبِ الدُّنْيا نفَّسَ اللهُ عنهُ كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامَةِ واللهُ عزَّ وجلَّ في عونِ العبْدِ مادَامَ العبدُ في عونِ أخيهِ . . وروي ابنُ عمر رضي اللهُ عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وروي عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن ابيهِ عن جدّهِ عن النبيّ صلي الله عليهِ وسلم انه قال منْ أجرَى اللهُ على يديهِ فرجًا لمسلمٍ فرَّجَ الله عنهُ كُرَبَ الدُّنيا والآخرَةِ . . روي ابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم انه قال منْ أكْثرَ منَ الإستغْفارِ جعَلَ اللهُ لهُ من كلِّ همٍّ فرَجًا ومن كلِّ ضيقٍ مخرَجًا ورزقهُ من حيثُ لاَيحتسبُ . . وروي ابو هريرةَ رضي اللهُ عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاَ حوْلَ ولاَ قوَّةَ الاَّ باللهِ دَواءٌ من كلِّ داءٍ ايسرُهَا الهمُّ . . وعن نصر بن زياد

قال كنتُ عند جعفر بن محمد رضي الله عنهُ فأَتاهُ سفيان بن سعيد الثوري قال يا ابن رسول الله حدثني فقال ياسفُيان اذا استَبْطَأْتَ الرِّزقَ فأَكْثِرْ منَ الإِستغفارِ واذا وَرَدَ عليكَ أَمرٌ تكرَهُهُ فأَكْثِرْ منْ لاَحولَ وَلاَ قُوَّةَ الاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ واذا أَنعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بنعمةٍ فاكْثِرْ من الحمدُ لله

حدثني محمد بن جعفر بن صالح الصالحي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنهُ قال بينما ثلاثةُ نفرٍ من بَني اسرائيلَ يَسيرُونَ إِذْ أَخذَهمُ المطرُ فأَوَوْا إِلى غارٍ في جبَلٍ فانْطَبَقَتْ عليهمْ صخرَةٌ فسدَّتِ الغَارَ فقالُوا تَعالَوْا فَلْيَسْأَلِ اللهَ عزَّ وجلَّ كلُّ رَجلٍ منَّا بافضَلِ عملِهِ فقال احدُهمْ اللهمَّ إِن كُنْتَ تَعلَمْ انهُ كانَتْ لي ابنَةُ عمٍّ جميلةٌ وكُنْتُ أَهواهَا فدَفَعتُ اليها مائَةَ دِينارٍ فلمَّا جلَسْتُ منها مَجلسَ الرَّجُلِ من المرأةِ قالَتِ اتقِ اللهَ يا ابنَ العمِّ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إِلاَّ بحقٍّ فقُمْتُ عنها وتركْتُ لها المائةَ دينَارٍ اللهمَّ إِن كنتَ تَعلَمُ أَني فَعلْتُ ذَلكَ خشيةً منكَ وابتِغاءَ لما عندكَ فافْرُجْ عنَّا فانفرَجَ عنهم ثُلثُ الصخرةِ وقال الآخرُ اللهمَّ إِن كُنتَ تعلَمُ انه كانَ لي ابوَانِ شيخانِ كبيرَانِ فكنتُ أَغدُو عليهمَا بصبُوحِهمَا وأَرُوحُ عليهمَا بِغَبُوقِهمَا فغدَوتُ عليهمَا يوماً فوجدْتُهمَا نائمينِ فكرِهتُ ان اوقظَهمَا وكرِهتُ أَنْ أَنصرِفَ عنهُمَا فيفقِدانِ غداءَهمَا فوقفتُ حتى استَيقَظَا فدَفعْتُ اليهمَا غدَاءَهما اللهمَّ إِن كنتَ تَعلمُ أَنِي انما فَعلْتُ ذلك ابْتِغاءَ مَاعِندَكَ وخَشيَةً منكَ فافْرُجْ عنَا فانفرَجَ عنهُم الثلثُ الثاني وقال الثالث اللهمَّ إِنْ كنتَ تعلمُ أَنني

استأجرتُ اجيرا فلمّا دفعتُ اليه أجرتَهُ قال عملي أوفى من هذا وترك لي اجرتَهُ وقال بيني وبينك يومٌ يُؤخذُ للمظلوم فيهِ من الظالم ومضى فابتعتُ لهُ بأجرتهِ غنماً فلمْ أزلْ أرعاها ونمتْ حتى تزايدتْ وكثُرتْ فلما كانَ بعدَ مدّةٍ منَ الدّهرِ أتاني فقالَ ياهذا انَّ لي عندكَ اجرةً عملتُ لكَ كذا وكذا في وقتِ كذا وكذا فقلتُ لهُ خُذِ الغنمَ فهيَ لكَ فقال تمنعُني أُجرَتي وتهزأُ بي فقلتُ خُذْها فانها لكَ فأخذَها ودعا لي اللهمَّ إنْ كُنتَ تعلمُ اني انما فعلتُ هذا خشيةً منكَ وابتغاءً لما عندكَ فافرُجْ عنّا فانفرجَ عنهم باقي الصخرةِ وخرجُوا يمشُونَ وذكر الحديث قال مؤلف هذا الكتاب هذا حديث مشهور رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن أبي اوفي والنعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنهم وعن كل واحد منهم عدة طرق وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد وليس غرضي هنا جمع طرقه والفاظه فاستقصي ذلك هنا روي ابراهيمُ بنُ سعدٍ عن أبيهِ عن جدّهِ قال كُنّا جلوساً عندَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ فقالَ الاَ أُخبركُمْ بشيءٍ اذا نزلَ برجلٍ منكم كربٌ او بلاءٌ منَ الدنيا دعا بهِ ففرّجَ عنهُ فقيلَ لهُ بلى فقال دعاءُ ذي النونِ لا إلهَ الا انت سبحانكَ إنّي كنتُ من الظالمين ٠٠ حدثنا ابنُ بشار قال حدثنا ابنُ عدي بالاسناد عن حُميد بن عبد الرحمن الحميري قال كان بأبي الحصاةَ وكانَ يلقى من شدة مابهِ من البلاء ألماً عظيماً فانطلقتُ الى بيتِ المقدسِ فلقيتُ أبا العوام فشكوتُ له الذي بأبي وأخبرتهُ خبرَهُ فقال مُرْهُ فليدعُ بهذه الدعوات وهيَ ربنا الذي في السماء تقدّس اسمهُ أمركَ ماضٍ في السماء والارضِ كما

رحمتكَ في السماء فاجعلها في الارض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا إنك ربُّ الطيبين أنزلْ رحمةً من عندك وشفاءً من شفائك على ما بفلان بن فلانٍ من وجع قال فدعا به فأذهبهُ اللهُ عز وجل.. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كلماتُ الفرج لاَ إِلهَ الاَّ اللهُ الحكيمُ الكريمُ لاإلهَ الا اللهُ العليُّ العظيمُ لاإلهَ الا اللهُ رَبُّ السموات السبعِ والأرضينَ السبعِ وربُّ العرشِ العظيم.. حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال دعوات المكروب اللهمَّ رحمتكَ أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفةَ عينٍ وأصلحْ لي شأني كلَّهُ لاإلهَ الا انتَ وروي عبدالله بن جعفر قال علمتني امي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول عند الكربِ أللهُ ربي لا أشركُ به شيئاً.. ورَوَى عبدُاللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ قالَ علمني رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إذا نزلَ بي كربٌ اوشدَّةٌ أنْ أقولَ لاإلهَ إلاَّ اللهُ الحكيمُ الكريمُ عزَّ اللهُ وتباركَ ربُّ العرشِ العظيمِ والْحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب أن أقول لاَ إِلهَ الاَّ اللهُ العليُّ الكريمُ سبحانَ اللهِ وتباركَ اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ قالت أسماءُ بنت عميس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مَنْ أصابَهُ همٌّ أوْ غمٌّ أوْ سقمٌ أوْ شِدَّةٌ أوْ ذلٌّ أوْ لأواءُ فقالَ أللهُ ربي لاشريكَ لهُ كُشِفَ ذلكَ عنهُ :: عن أبي سلمة الجهني عن أبي القاسم عن

عبدالرحمن عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَصابَ مُسْلِماً قطّ هَمٌّ وَلاَ حُزْنٌ فقالَ اَللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ماض فِيَّ حكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نفسكَ أَوْ أَنزلتَهُ في كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اَستأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلمِ الْغيبِ عِندكَ أَنْ تجعلَ القُرْآنَ الْعظيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بصرِي وَجلاءَ حزْني وذهابَ همِّي الاَّ أَذْهبَ اَللّهُ هَمَّهُ وأَبْدلَهُ مكَانَ حزْنه فرجاً قالُوا يارَسُولَ اَللّهِ أَفلا نَتعلَّمُ هذِه اَلكلِماتِ قالَ بَلى يَنْبَغِي لِمَنْ سمِعهنَّ أَنْ يتعلَّمهنَّ وروي عنْ رَسُولِ اَللّهِ صلىَّ اَللّهُ عليْهِ وسلم انهُ كانَ إِذَا اصابهُ غمٌّ أَوْ كَرْبٌ يقُولُ حَسْبِيَ الرَّبُّ من العبادِ حسْبِيَ الخالقُ منَ اَلمخلُوقينَ حسْبِي الرَّازقِ مِنَ المرْزوقين حَسْبِيَ اللّهُ هوَ حسبي حَسْبِي الله ونِعْم الوكيلُ حسْبِيَ اَللّهُ لآ إِلهَ الاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العرْشِ العظِيم .. روى اسماعيل ابنُ فُدَيْكٍ أَنَّ رسُولَ اَللّهِ صلى اَللّهُ عليهِ وسلَّم قال ما اكْرَبني أَمرٌ الاَّ تمثَّلَ لي جبْرِيلُ وقال يا مُحَمَّدُ قلْ تَوَكَّلْتُ على الحيِّ الذي لاَ يمُوتُ والْحمْدُ للّهِ الَّذي لمْ يَتَّخذْ ولَدا ولَمْ يكُنْ لَهُ شرِيكٌ في الْمُلْكِ ولَمْ يكُنْ لَهُ ولِيٌّ منَ الذُّلِّ وَكبِّرْهُ تكْبِيرا ، ورُوِيَ عن رسُولِ اَللّهِ صلى اَللّهُ عليهِ وسلَّم انه كانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ همٌّ أَوْ غمٌّ قال ياحيُّ ياقيُّومُ برَحْمتكَ أَسْتَغيثُ ورَوَى ابنُ مسعُودٍ رضي اَللّهُ عنه عن النبي صلىَّ اَللّهُ عليهِ وسلَّم مثلَ ذَلك .. وفي الاخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين

يتوجه الى فرعون وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ودعاء كل مكروب كنت وتكون وأنت حي لاتموت أبدًا تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حيٌّ قيوم لا تأخذك سنة ولا نومٌ ياحيُّ ياقيوم ٠٠ دعاء للفرج أعطانيه أبو الحميد داود بن الناصر المعروف بطباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقال لي ان أهله يتوارثونه عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يامن يَحُلُّ عقد المكاره ويفك حلق الشدائد و يامن يلتمس به المخرج الى محل الفرج ذلت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الاسباب وجرى بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك الاشياء فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة وبارادتك دون وحيك منزجرة أنت المدعوُّ للمهمات وأنت المفزع في الملمات لايندفع منها الا مادفعت ولا ينكشف منها الا ما كشفت قد نزل بي مايكيدني ثقله وألم بي مايهيضني حمله و بقدرتك أوردته عليّ و بسلطانك وجهته اليّ لامصدر لما أوردت ولا كاشف لما وجهت ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسر لما عسرت ولا معسر لما يسرت صلّ على محمد وعلى آل محمد وافتح لي يارب أبواب الفرج بطولك واحبس عني سلطان الهم بحولك وأنلني حسن النظر فيما شكوت وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت وهب لي من لدنك فرجاً قريباً هنيئاً وصلاحاً في جميع أمري واجعل لي من عندك مخرجاً رحيباً ولا تشغلني بالاهتمام عن تعهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت ذرعاً بما قد عراني وتحيرت في أمري وفيما نزل بي ودهاني وضعفت عن حمل ماقد اثقلني هماً وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغماً وأنت القادر على كشف ما وقعت فيه ودفع ماثقلت به فافعل بي ذلك ياسيدي والهي وان لم أستحقه وأجبني اليه وان لم أستوجبه ياذا العرش العظيم ثلاث مرات وأعطاني دعاء آخر وقال لي ان أهله يتوارثونه عن أهل البيت عليهم السلام وهو لا اله الا الله حقاً حقاً لا اله الا الله تعبدًا ورقاً لا اله الا الله ايمانًا وصدقًا يامنزل الرحمة من أماكنها ومنشيء البركة من معادنها أسألك أن تصلي على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك

وصفيك وعلى آله مصابيح الدجا وأئمة الهدى وأن تفرج عني فرجاً عاجلاً وتلبسني في أموري صلاحاً شاملاً وتفعل بي في ديني ودنياي ما أنت أهله وتنيلني صلاحاً لجميع أمري شاملاً يا كاشف كل كرب ويا غافر كل ذنب ٭ حدثني أيوب بن العباس بن الحسن باسناد كثير أن أعرابياً شكا الى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه شكوى لحقته وضيقاً في الحال وكثرة من العيال فقال له عليك بالاستغفار فان الله عز وجل يقول اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا الآيات فمضى الرجل وعاد اليه فقال يا أمير المؤمنين اني قد استغفرت الله كثيرًا ولم أرَ فرجاً مما أنا فيه فقال له لعلك لاتحسن الاستغفار قال علمني فقال أخلص نيتك وأطع ربك وقل اللهم اني أستغفرك من كل ذنب قويَ عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت اليه يديّ بسابغ رزقك واتكلت فيه عند خوفي منه على أمانك ووثقت فيه بحلمك وعولت فيه على كريم عفوك اللهم اني أستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي أو بخست فيه نفسي أو قدّمتُ فيه لذتي أو آثرت فيه شهوتي أو سعيت فيه لغيري أو استغويت اليه من تبعني أو غلبت فيه بفضل حيلتي أو أحلت فيه على مولاي فلم يعاجلني على فعلي اذ كنت سبحانك كارهاً لمعصيتي غير مريدها مني لكن سبق علمك فيّ باختياري واستعمال مرادي وايثاري فحلمت عني ولم تدخلني فيه جبرًا ولم تحملني عليه قهرًا ولم تظلمني عليه شيئاً يا أرحم الراحمين ياصاحبي في شدتي يا مؤنسي في وحدتي يا حافظي في غربتي يا وليي في نعمتي يا كاشف كربتي يامستمع دعوتي يا راحم عبرتي يا مقيل عثرتي يا إلهي بالتحقيق يا ركني الوثيق يارجاي للضيق يا مولاي الشفيق يارب البيت العتيق أخرجني من حلق المضيق الى سعة الطريق بفرج من عندك قريب وثيق واكشف عني كل شدة وضيق واكفني ما أطيق ومالا أطيق اللهم فرج عني كل هم وغم وأخرجني من كل حزن وكرب يافارج الهم ويا كاشف الغم ويا منزل القطر ويامجيب دعوة المضطر

يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين وفرج عني ماضاق به صدري وعيل معه صبري وقلت فيه حيلتي وضعفت له قوتي ياكاشف كل ضر وبلية ياعالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ * وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ قال الاعرابيُّ فاستغفرت بذلك مراراً فكشف الله عني الغم والضيق ووسع عليَّ في الرزق وأزال المحنة * وعن أبي مخلد أنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أبالي على أيّ حالة أصبحت على ما أحبُّ أو على ما أكره وذلك لاني لا أدري الخير فيما أحبُّ أو فيما اكره * روي عن الاعمش عن ابراهيم قال إن لم يكن لنا خيرٌ فيما نكره لم يكن لنا خيرٌ فيما نحبُّ وروي عن سفيان بن عيينة قال قال محمد بن علي رضي الله عنه لمحمد بن المنكدر مالي أراك مغموماً فقال أبو حازم لدين فدحه قال محمد بن علي أفتح له في الدعاء قال نعم قال بورك لك في حاجة اكثرت فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت * دعاء لداود عليه السلام سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء سبحان مستخرج الشكر بالرخاء * روي عن طاوس قال اني لفي الحجر ذات ليلة اذ دخل عليّ ابن الحسين عليه السلام فقلت رجلٌ صالحٌ من أهل بيت الخير لاسمعن الى دعائه الليلة فصلي ثم سجد فأصغيت بسمعي اليه فسمعته يقول عبيدك بفنائك يرجو ثوابك ويخشى عقابك قال طاوسٌ فما دعوت بها في كرب الا فرج الله عنى * روي في الاخبار أن صدّيقاً ذبح عجلاً بين يدى أمه فخبل عقله فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طائر اذ وقع فرخ ذلك الطائر في الارض فغبر في التراب فأتاه الطائر فجعل يطير فوق رأسه فأخذ الصدّيق الفرخ فمسحه من التراب وأعاده في وكره فرد الله عليه عقله * وقال ابن عيينة ما يكرهه العبد خيرٌ له مما يحبُّ لان مايكرهه يهيجه على الدعاء وما يحبه يلهيه * وروي عن عبد الصمد العمي قال سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام

سمعته منه ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالاً * روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لجلسائه يوماً وفيهم عمرو بن العاص ما أحسن شيء يناله المرء فأتى كلٌّ رجل برأيه وعمرو ساكت فقال له عمر ماتقول ياعمرو قال الغمرات ثم ينجلين * كتب سعيد بن حميد الى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر كتاباً من الانبار قال فيه وأرجو أن يكشف الله بالامير هذه النعمة الطويل مداها البعيد منتهاها فان طولها قد أطمع في انقضائها وتراخي أيامها قد سهل طريق الامل لفنائها * قال مؤلف هذا الكتاب لحقتني محنة عظيمة من السلطان فكتب اليّ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي رقعة يتوجع اليّ فيها نسختها بسم الله الرحمن لرحيم مدد النعم أطال الله بقاء القاضي بغفلات المسار وان طالت احلام وساعات المحن وان قصرت بسوابغ الهم أعوام وأحظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر وأنهضنا باعباء المصائب من قاومها بمدد الصبر اذ كان أولها بالعظة مذكرًا وآخرها بمضمون الفرج مبشرًا وانما يتعسف ظلم الفتنة ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة ومن كان بسنة الغفلة مغمورًا و بضعف المنية والرأي مقهورًا وفي انتهاز فرص الحزم مفرطاً ولرضي ما اختاره الله تعالى متسخطاً والقاضي أنور بصيرة وأطهر سريرة واكمل حزماً وأنفذ مضاء وعزماً من أن يتسلط الشك على يقينه أو يقدح اعتراض الشبه في مروءته ودينه فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه من فرض الرضا والتسليم ومع ذلك فانما تعظم المحنة اذا تجاوزت وضعف التنبيه من الله جل ذكره الى واجب العقوبة و يصير تجني السلطان بها وجوب الحجة فشغلت الالسن عن محمود الثناء منها بمذموم اللائمة فاذا خلت من هذه الصفات الاثيمه والشوائب المذمومة كانت وان راع ظاهرها بصفات النعم أولى وبأسباب المنح أحق وأحرى وهي أعمال ذي الفهم الثاقب والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيما خوله من التغيير والانتقال وصفاءها مشوبٌ

بالكدر وأمنها مروع بالحذر لان انتهاء الشيء الى حده ناقل له عما كان عليه الى ضده فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقترابها في الفرج بفسح الرجاء وانتهاء الشدة فيها الى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم وأدخل في أسباب المواهب والقسم و بالحقيقة فكل وارد من الله عز وجل على العبد وان جهل مواقع الحكمة منه وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة مانقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل وادخار آجل وهذا الوصف ماذكر الله به القاضي اذ كان للمثوبة مفيداً وللفرج ضامناً و بالحظ مبشرًا والى المسرة مؤدياً وبأفضل ماعوده الله عائدا وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة ووسائط الصبر والمعونة ولعله يكون اليه أقرب من ورود رقعتي اليه بقدرة الله تعالى ومشيئته ولولا الخوف من الاطالة والتعرض للاضجار والملالة باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة وادخالها ذكر مانطق به نص الكتاب من ضمان اليسر بعد العسر وما وردت به في هذا المعنى الامثال السائرة والاشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لاودعتها نبذًا من ذلك لكنني آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمتها له مقتصرًا على استغناء القاضي عن ذلك براشد حفظه ووفور فضله ومأثور نباهته ونبله والله نيلغنا ويبلغه مافيه نهاية الآمال ولا يخليه في طول البقاء من مواد السعادة والاقبال ان شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل * وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أفضل مايعمله الممتحن انتظار الفرج والصبر على قدر البلاء والصبر كفيلٌ بالنجاح والتوكل لايخيب ظنه * وقال بعض الصالحين استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها فان ذلك أقرب بك الى الفرج و يقال العاقل لايذل لاول نكبة ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضرُّ وأجلي المكروه عما يسرُّ * شكا عبد الله بن طاهر الى سليمان بن يحيى بن معاذ كاتبه بلاءً خافه وتوقعه فقال له أيها الامير لا يغلبن على قلبك اذا اغتممت ما تكره دون ما تحبُّ فلعل العاقبة تكون ماتحبُّ وتوقي ماتكره فتكون كمن يتسلف الغم والخوف قال أما انك فقد فرجت عني ما أنا فيه

بلغني أن الناس قحطوا بالمدينة في أيام عمر رضي الله عنه فخرج بهم مستسقيًا فكان اكثر قوله الاستغفار فقيل له يا أمير المؤمنين لو دعوت الله تعالى فقال أما سمعتم قوله تعالى اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا الآيات فصار الاستكثار منه في خطب الاستسقاء سنة الى اليوم * حكي عن أنو شروان أنه قال جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين فضربٌ فيه حيلةٌ فالاضطراب دواؤه وضربٌ لاحيلة فيه فالاصطبار شفاؤه وكان بعض الحكماء يقول الحيلة فيما لاحيلة فيه الصبر وكان يقال من اتبع الصبر أتبعه النصر * ومن الامثال السائرة الصبر مفتاح الفرج من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء وكان يقال تضايقي تنفرجي اذا اشتد الخناق انقطع الوثاق والعرب تقول ان في الشر خيارًا قال الاصمعيُّ معناها ان بعض الشرّ أهون من بعض وقال أبو عبيدة معناها اذا أصابتك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجلّ منها فلتهن عليك مصيبتك * وقال بعض الحكماء عواقب الامور تتشابه في الغيوب. فربَّ محبوب في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمةٍ هي داؤه ومرحوم من داءٍ فيه شفاؤه وربَّ خير من شرٍّ ونفع من ضر وروي أن علي بن أبي طالب سلام الله عليه قال يا ابن آدم لاتحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى فانه ان يكن من عمرك يأتك الله فيه بمحنتك واعلم أنك لن تكسب شيئًا سوى قوتك الا كنت فيه خازنًا لغيرك بعد موتك * وقال وادعة السهمي في كلام له اصبر على الشر ان قدحك فربما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح وقال شريح اني لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده ان لم تكن أعظم مما هي وأحمده اذ رزقني الصبر عليها وأحمده اذ وفقني الاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب وأحمده اذ لم يجعلها في ديني ويشبه هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه أنو شروان عند غضبه عليه في بيت كالقبر ظلمةً وضيقًا وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف وأمر أن لايزاد على قرصين في كل يوم من

شعير وكف ملح جريشا ودورق ماء وأن تحصى ألفاظه فتنقل اليه فأقام بزرجمهر أياما لا يتكلم فقال أنوشروان أدخلوا اليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا مايجرى بينهم وعرفونيه فدخل اليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها ومع هذا فان سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم يتغيرا فما السبب في ذلك فقال اني عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه في كل يوم شيئا فهو الذي أبقاني على ماترون قالوا فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من اخواننا احد فيستعمله أو نصفه له قال الخلط الاول الثقة بالله عز وجل والخلط الثاني علمي ان كل مقدر كائن والخلط الثالث ان الصبر خير ما استعمله الممتحن والخلط الرابع ان لم أصبر فأي شيء أعمل والخلط الخامس قد يمكن أن اكون في أشر مما أنا فيه والخلط السادس من ساعة الى ساعة فرج قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه

﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو علي بن نصر بن علي بن بشر النصراني وكما ان الله عز وجل يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قد ورد المكروه منه يأتي الفرج عند انقطاع الامل واستبهام وجوه الحيل ليحض سائر خليقته بما يريهم من تمام قدرته على صرف الرجاء اليه واخلاص التوكل عليه وان لا يزووا وجوههم في وقت من الاوقات على من تتوقع الروح منه ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه فكذلك أيضا سرهم فيما ساءهم بأن كفاهم بمحنة يسيرة أعظم منها وأفداهم بملمة سهلة بماهو أنكى فيهم لو لحقهم * قال اسحاق العابد ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة وقال سمعان من احتمل المحنة ورضي بتدبير الله عز وجل في النكبة وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها وقال عبد الله بن المعتز ما أوطأ راحلة الواثق بالله تعالى وآنس مثوى المطيع لله * حكي بعض النصارى ان بعض الانبياء عليهم السلام قال المحن تأديب من الله عز وجل والادب لا يدوم وطوبى لمن يصبر على التأديب ويثبت عند المحنة فيجب له لبس اكليل

الغلبة وتاج الفلاح الذى وعد الله عز وجل محبيه وطائميه * وقال بزرجمهر انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط ﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو علي بن نصر بن بشر وكما ان الرجاء مادة الصبر والمعين عليه فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله عز وجل الذي لايجوز أن يخيب فانا قد نستقري الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم و يخيبون من يخيب أمله فيهم و يتحرجون من اخفاق رجاء من قصدهم فكيف باكرم الاكرمين الذي لايعوزه أن يمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه وأعدل الشواهد بمحبة الله جل جلاله ان يمسك عبده برجائه وانتظاره الروح من ظله وفنائه ان الانسان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة الا بعد اخفاق أمله في كل ماكان يتوجه نحوه بأمله ورغبته وعند انغلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته وتناهي ضره ومحنته ليكون ذلك باعثاً له على صرف رجائه أبداً الى الله تعالى وزاجراً له عن تجاوز حسن الظن بالله تعالى * وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال الفرج والروح في اليقين والرضا والهمّ والحزن في الشك والغضب قال أبان بن ثعلب سمعت أعرابياً يقول من أفضل آداب الرجال أنه اذا نزلت باحدهم جائحة استعمل الصبر عليها وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه نصبره يعاين الخلاص والغناء توكلاً على الله وحسن ظنٍ به فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضي الله حاجته ويزيل كربته وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومروأته وكان يقال الصبور يدرك أحمد الامور * حكي الاصمعيُّ عن أعرابي قال خفِ الشرَّ من موضع الخير وارج الخير من موضع الشر فربَّ حياةٍ سببها طلب الموت وموتٍ سببه طلب الحياة واكثر ما يأتي الامن من ناحية الخوف قال مؤلف هذا الكتاب ما أقرب هذا الكلام من قول قطري بن الفجاءة الخارجي ذكره أبو تمام الطائي في كتابه المعروف بالحماسة

لا يركنن أحد الى الاحجام * يوم الوغى متخوفاً لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة * من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي * اكناف سرجي أو عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جزع البصير قارح الاقدام

هذا لمن أحبَّ الموت طلباً لحياة الذكر وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام المري حيث يقول

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وهذا كثير متسع ليس هو مما نحن فيه بسبيل فنستوعبه ونستوفيه ولكن الحديث ذو شجون والشيء يذكر بالشيء ونعود الى ما كنا فيه قال بعض عقلاء التجار ما أصغر المصيبة بالارباح اذا عادت بسلامة الارواح وكأنه من قول بعض العرب ان تسلم الحلة فالسخل هدرٌ ومن كلامهم لا تيأس أرضٌ من عمران وان جفاها الزمان والعامة تقول نهرٌ جرى فيه الماء لابدَّ أن يعود اليه وقال بيسمطيوس لم تتفاضل أهل العقول والدين الا باستعمال الفضل في حال القدرة والنعمة وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة وقال بعض الحكماء العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين أحدهما السرور بما بقي له والآخر رجاء الفرج مما نزل به والجاهل يجزع في محنته بأمرين أحدهما استكثار ما أتي اليه والآخر تخوفه مما هو أشد منه وكان يقال المحن آداب الله تعالى لخلقه وتأديب الله يفتح القلوب والاسماع والابصار * ووصف الحسن بن سهل المحن فقال معها تمحيصٌ من الذنوب وتنبيهٌ من الغفلة وتعرضٌ للثواب بالصبر وتذكيرٌ بالنعمة واستدعاءٌ للتوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار و بلغني هذا الخبر على وجه آخر وقرىء على أبي بكر الصولي وأنا أسمع في كتابه كتاب الوزراء حدثكم أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل قال سمعت ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول يصف الفضل بن سهل و يذكر تقدمه وعلمه وكرمه وكان مما حدثني به أنه برأ من علة كان فيها فجلس للناس فهنوه بالعافية فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل ان في العلل لنعماً لاينبغي للعقلاء أن يجهلوها تمحيصٌ للذنوب وتعرُّضٌ لثواب الصبر وايقاظٌ من الغفلة واذكارٌ بالنعمة في حال الصحة واستدعاءٌ للمثوبة وحضٌّ على الصدقة وفي قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار * كتب محمد بن الحنفية

الى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة الى الطائف أما بعد فقد بلغني أن ابن الزبير سيرك الى الطائف فاحدث الله لك بذلك ذخرًا وحطّ عنك به وزرًا يا ابن عم انما يبتلى الصالحون وتعدّ الكرامة للاخيار ولو لم تؤجر الا فيما تحبّ لقلّ الاجرُ وقد قال الله تبارك وتعالى وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء والشكر على النعماء ولا أشمتَ بنا عدوًّا والسلام * كتب بعض الكتاب الى صديق له في محنة لحقته ان الله تبارك وتعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع له والاستغاثة به ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته ويأخذ بيده في شدته لان دوام النعم والعافية تبطر الانسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه وقد قال الشاعر

لا يترك الله عبدًا لا يذكره * بمن يؤدبه ومن يؤنبه
في نعمة تقتضي شكرًا يدوم له * أو نقمة حين ينسي الشكر ينكبه

وقال الحسن البصريّ رحمه الله الخير الذى لاشرّ فيه الشكر مع العافية والصبر عند المحنة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى بمحنة وهو صابر والجزع لا ينفع مالم تنصرم أيام المحنة * وكان ابن شبرمة اذا نزلت به شدة قال سحابة ثم تنقشع * وقال بعض الحكماء آخر الهم أول الفرج * وكان جعفر بن سليمان يقول جربناه فوجدناه كذلك * وذكر القاضي أبو الخير في كتابه قال حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبي هريرة رضي الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إِنِّي لأَنْ أَكُونَ فِي شِدَّةٍ أَتَوَقَّعُ بَعْدَهَا رَخَاءً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي رَخَاءٍ أَتَوَقَّعُ بَعْدَهُ شِدَّةً وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير اسناد انه قال لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي كُوَّةٍ لَجَاءَ يُسْرَانِ فَأَخْرَجَاهُ قال مؤلف هذا الكتاب كان لي في هذا الحديث خبر ظريف وذلك أني كنت

قد لجأت الى البطيحة هاربا من نكبة لحقتني فاعتصمت بأميرها معين الدولة أبي الحسن بن عمران بن شاهين السلمي فألقيت هناك جماعة من معارفي بالبصرة وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن نعية الذي كان في الوقت وزيرا ولجؤا الى البطيحة فكنا نجتمع في الجامع فنتشاكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فية من الخوف والشدة والشقاء فحدث أبو الحسن بن حيشان التاجر الصالحي قال حدثني أبو محمد الحسن بن عثمان بن قنيف بالاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوْ دَخلَ العسرُ كوّةً لجاءَ يُسرَانِ فأخرَجاهُ فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت بيتين من الشعر

انا روينا عن النبي رسول الا * ـه فيما افيد من أدبهْ

لو دخل العسر كوة لاتى يسـ * ـران فاستخرجاه من ثقبهْ

فما مضى على هذا المجلس الا أربعة أشهر حتى فرج الله عني وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى الى عوائده الجميلة عندنا فالحمد والشكر لله رب العالمين ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدثت عن ابن مسعودٍ أنه قال لو أن العسر دخل في جحرٍ لجاء اليسر حتى يدخل معه قال الله تبارك وتعالى فإنّ معَ العسرِ يسرًا إنّ معَ العسرِ يسرًا * روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق البلاء يكون الرخاء ومع العسر يكون يسر وروي عنه كرم الله وجهه أنه قال ما أبالي باليسر رُميت أو بالعسر لان حق الله عزوجل في العسر الرضا والصبر وفي اليسر البرّ والشكر قال مؤلف هذا الكتاب حدثني بعض الشيعة بغير اسناد قال قصد أعرابي أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال اني لذو محن فعلمني شيئا أنتفع به فقال يا أعرابي ان للمحن أوقاتا ولها غايات فاجتهاد العبد في محنته قبل ازالة الله تعالى اياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

أَللّٰهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ لكن استعن بالله واصبر واكثر من الاستغفار فان الله عزوجل وعد الصابرين خيرًا كثيرًا وقال اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا فانصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى * فاكثر ما يجني عليه اجتهادُهُ

* حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلبي في وزارته قال كنت في وقتٍ من الاوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم لاحيلة لي فيه فأقمت ليلتي قلقًا ولم أعرف الغمض فلجأت الى الصلاة والدعاء وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرُّع ومسئلة الله تعالى ففرج عني ما كنت فيه على أفضل ما أردت فقلت شعرًا

بعثت الى رب العطاء رسالة * تؤمل لي فيها دعاء مناصح

فجاء جوابي بالاجابة فانجلت * بها كرب ضاقت بهن جوانحي

عن علي كرّم الله وجهه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتدّي أزمةُ تنفرجي * قيل أراد جعفر بن محمد بن علي الحج فمنعه المنصور فقال الحمد لله الكافي سبحان الله الاعلى حسبي الله وكفى ليس من الله منجى ماشاء الله قضي ليس وراء الله منتهى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابةٍ الاّ هوَ آخذٌ بناصيتها انّ ربي على صراطٍ مستقيمٍ اللهم ان هذا عبدٌ من عبيدك خلقته كما خلقتني ليس له علي فضل الا مافضلته به عليّ فاكفني شره وارزقني خيرة واقدح لي المحبة في قلبه واصرف عني أذاه لا اله الا أنت سبحان الله رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله كثيرًا قال فأذن له المنصور في الحج



الباب الثالث

﴿ من بشر بالفرج فنجا من محنه بقولٍ أو دعاءٍ او ابتهالٍ ﴾

أخبرني الصولي قال حدثنا البرّ القاضي قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزّونها فرفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم أنت المأمول لاحسن الخلف وبيدك العوض عما تلف فافعل ما أنت أهله فان أرزاقنا عليك وآمالنا منصرفة اليك قال فلم أبرح حتى مرّ رجل من الاجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار * حدثني أبي في المذاكرة من لفظه وحفظه ولم اكتبه عنه في الحال وعلق بحفظي والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمدون نديم المعتضد بالله قال حدثني أبي عن المعتضد أنه قال لما سعى اسماعيل بن بلبل بيني وبين أبي الموفق فأوحشه مني حتى حبسني الحبسة المشهورة وكنت أتخوف القتل صباحاً ومساءً ولا آمن أن يرفع عني اسماعيل ما يزيد في غيظ الموفق عليّ فيأمر بقتلي فكنت كذلك حتى خرج الموفق الى الجبل فازداد خوفي وأشفقت أن يكاتبه اسماعيل عني بكذب يجعل غيبته طريقاً اليه ويأمر بقتلي فأقبلت على الدعاء والتضرع الى الله تعالى والابتهال في تخليصي وكان اسماعيل يجيئني في كل يوم مراعياً خبري ويوريني أن ذلك خدمة لي فدخل اليّ يوماً وبيدي المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحادثه فقال أيها الامير أعطني المصحف لآخذ فألك منه فلم أجبه بشيء فأخذ المصحف ففتحه وكان في أول سطرٍ منه عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فاسود وجهه واربد ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية فخرج وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ فازداد ولهاً واضطراباً وفتح المصحف ثالثة فخرج

وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فوضع المصحف وقال أنت الخليفة والله بلا شك فما حق بشارتي عليك فقلت اللهالله في دمي واسأل الله أن يبقي أميرالمؤمنين الامير الناصر الموفق وما لنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا القول بمثل هذا الاتفاق قال فأمسك وما زال يحادثني ويخرجني من حديث ويدخلني في حديث الى أن جرى حديث ما بيني و بين أبي فأقبل يحلف بالايمان الغليظة أنه لم يكن له في أمري صنع ولا سعاية علي بمكروه فصدقته ولم أزل أخاطبه بما تطيب به نفسه خوفاً من أن يزيد وحشة فيسرع الى التدبير في تلفي الى أن انصرف ثم صار أي وقت جاءني ، خذ معي في الاعتذار والتنصل وأنا أظهر التصديق له والتقبل حتى سكن ولم يشك اني معتقد لبراءة ساحته فما كان بأسرع من أن جاء الموفق وقد اشتدت علته ومات فأخرجني الغلمان من الحبس فصيروني مكانه وفرج الله عني وفاجأني بالخلافة ومكنني من عدو الله وعدوي اسماعيل فأنفذت الحكم فيه * حكي عن عبدالله بن سليمان بن وهب عن أبيه أنه قال أصبحت يوماً وأنا في حبس محمد بن عبدالملك الزيات في خلافة الواثق آيس ما كنت من الفرج وأشد محنة وغماً حتى وردت عليّ رقعة أخي الحسن بن وهب ونسختها

محن أبا أيوب أنت محلها * فاذا جزعت من الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب فرجة * ولربما ان تنجلي ولعلها
وعسى تكون قريبة من حيث لا * ترجو وتمحو عن جديدك ذلها

قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت له

صبرتني ووعظتني فأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * ثقة به اذ كان يحسن حلها

قال فلم أُصلِّ العتمة ذلك اليوم حتى اطلقت فصليتها في داري ووجدت في هذا الخبر ان هذه الرقعة وقعت في يد الواثق من الابتداء والجواب فأمر باطلاق سليمان وقال والله لا تركت الفرج يموت في حبسي لاسيما من خدمني فأطلقه وابن الزيات كاره لذلك * روي أن الحسن البصري دخل على الحجاج واسط فرأى بناءه فقال الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عِبرًا وانا لنرى فيهم عِبرًا يعمد أحدهم الى قصر فيشيده وفرس فيتخذه وقد حف به ذباب طمع وفراش نار ثم يقول ألا فانظروا ماصنعت فقد رأينا ياعدو الله ما صنعت فماذا يا أفسق الفاسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فلعنوك ثم خرج وهو يقول انما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فتغيظ الحجاج عليه غيظًا شديدًا وقال يا أهل الشام هذا عبيد أهل البصرة يدخل عليّ فيشتمني في وجهي فلا يكون لذلك مغير ولا نكير والله لاقتلنه فمضي أهل الشام الى الحسن فحملوه الى الحجاج وعرف الحسن ماقاله فكان طول طريقه يحرك شفتيه فلما دخل وجد السيف والنطع بين يدي الحجاج وهو متغيظ فلما رآه الحجاج كلمه بكلام غليظ فرفق به الحسن ووعظه فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل الحسن يمر في كلامه حتى دعا الحجاج بالطعــام فاكلا وبالوضوء فتوضأ وبالغالية فغلفه بيده وصرفه مكرمًا قال صالح بن مسمار فقيل للحسن بم كنت تحرك شفتيك قال قلت ياغياثي عند دعوتي وياعدتي في ملمتي وياربي عند كربتي وياصاحبي في شدتي وياوليي في نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسماعيل واسحــاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى ويارب النبيين كلهم أجمعين ويارب كهيعص وطه وطس ويس ويارب القرآن الحكيم صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين وارزقني مودة عبدك الحجاج وخيره ومعروفه واصرف عني أذاه وشره ومكروهه ومعرته قال صالح فمــا دعونا بها في شدة الا فرج عنا * حدثنا علي بن أبي الطيب قال حدثنا بن الجراح قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثنا الفضل بن يعقوب قال لما اخذ أبو جعفر المنصور اسماعيل بن أمية أمر به

الى السجن فمر على حائط مكتوب عليه ياوليي في نعمتي وصاحبي في وحدتي وعدتي في كربتي فلم يزل يدعو بها حتى خلى سبيله فمر على ذلك المكان فلم ير شيئاً مكتوباً * حدثني أبو القاسم محمد بن احمد الاثرم المقري باسناده ان عبدالملك بن مروان كتب الى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل ان الحسن بن الحسن قد كاتب أهل العراق فاذا جاءك كتابي هذا فابعث اليه الشرط فليأتوا به قال فأتوا به فشغله عنه شيء فقام اليه علي بن الحسين وقال له يا ابن العم قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهي لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين قال وانصرف علي بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال أرى وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه وكتب الى عبدالملك فكتب اليه فأطلقه بعد أيام * وروي في الاخبار أنه كان في بني اسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عز وجل فيها اذ مثلت له حية وقالت قد لجأني من يريد قتلي فأجرني أجارك الله واخبئني قال فرفع ذيله وقال ادخلي فتطوقت على بطنة وجاء رجل بسيف وقال يارجل حية هربت مني الساعة أردت قتلها فهل رأيتها فقال ما أرى شيئاً فانصرف الرجل فقال العابد لها اخرجي فقد أمنت قالت بل أقتلك وأخرج فقال لها الرجل ليس هذا جزائي منك قالت لابد قال فامهليني حتى آتي سفح هذا الجبل فأصلي ركعتين وأدعو الله وأحفر لنفسي قبراً فاذا نزلته فشأنك وما تريدين قالت افعل وبقيت معلقة بجسمه فصلى بسفح الجبل ودعا الله فأوحى الله اليه اني قد رحمت ثقتك بي ودعاءك اياي فاقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك ففعل ذلك فنجا وعاد الى موضعه وتشاغل بعبادته ووقعت لي هـذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك ان الرجل خبأ الحية في جوفه فقالت له الحية اختر مني احدى خصلتين أن أنكتك نكتة فأقتلك أو اكرث كبدك فتلقيها من أسفل قطعاً قال والله ما كافأتيني قالت فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه وقد

عرفت عداوة مابيني و بين أبيك قديماً وليس معي مال فأعطيك ولادابة فأحملك فبهذا اكافئك قال فامهلني حتي آتي سفح الجبل وامهد لنفسي قبراً فبينما هو يمشي اذا فتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فقال له ياشيخ مالي أراك مستسلماً للموت آيساً من الحياة قال من عدو في جوفي يريد هلاكي فاستخرج شيئاً من كمه فدفعه اليه وقال كله فلما أكله وجد مغصاً شديداً ثم ناوله أخرى فأكلها فرمي بالحية من أسفله قطعاً فقال له من أنت يرحمك الله فما أحد أعظم منة علي منك قال أنا المعروف الذي صنعت لان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كلٌّ يسأل ربه أن يغيثك قال الله عز وجل يامعروف أدرك عبدي فاياي أراد بما صنع * بلغني أن رجلاً جنى على عهد عبدالملك بن مروان جناية فأهدر دمه وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه فتحاماه الناس فكان يأوي الجبال والمفاوز مستخفياً لايذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين فاذا عرف طرد فقال الرجل كنت يوماً أسيح في بطن واد فاذا بشيخ أبيض عليه ثياب بيض قائم يصلي فقمت فصليت الى جانبه فلما سلم قال لي من أنت فقلت رجل أخافني السلطان وقد تحاماني الناس ولم يجرني أحد فأنا أسيح في هذه البرية خائفاً على نفسي قال فأين أنت من السبع قلت وأي سبع قال تقول سبحان الله الواحد الذي ليس غيره سبحان الدائم الذي لايعاد له شيء سبحان القائم القديم الذي لابدء له سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي كل يوم هو في شأن الذي خلق مايرى ومالايرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم اللهم اني أسألك بحق هذه الكلمات وحرمتهن أن تفعل بي كذا وكذا فأعادهن علي حتى حفظتهن قال الرجل وفقدت صاحبي فألقى الله عز وجل الامن في قلبي فخرجت من وقتي متوجهاً الى عبدالملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لي فلما دخلت قال أوقد تعلمت السحر قلت لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت الخبر فأمنني وأحسن الي * أخبرني بعض أصحابنا أن صديقاً له من الكتاب دفع الى محنة صعبة فكان من دعائه ياكاشف الضر بك استغاث من

اضطرّ قال ورأيته قد نقشه على فص خاتمه وكان يردد الدعاء به فكشف الله عز وجل محنته عن قرب * حدثني علي بن هاشم قال حدثني احمد بن محمد قال مؤلف هذا الكتاب قال لي أبو القاسم عيسى بن علي في كلام جرى بيننا غير هذا طويل كان احمد بن محمد أشار على المقتدر وقد استشاره فيمن يقلده الوزارة قال فأسميت له نفرًا وقال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول كان المتوكل من أغلظ الناس على ايتاخ فذكر فيه حديثًا طويلاً وصف فيه كيف قبض المتوكل على ايتاخ وابنه ببغداد لما رجعا من الحج بيد اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب قال فيه قال سليمان ابن وهب وساعة قبض على ايتاخ ببغداد قبض عليّ بسرّ من رأى وسلمت الى عبيد الله بن يحيى وكتب المتوكل الى اسحاق ابن ابراهيم بدخوله بسرّ من رأى ليتقوى به على الاتراك لانه كان معه بضعة عشر الفًا لكثرة الطاهرية بخراسان وشدة شوكتهم فلما دخل اسحاق أمر المتوكل بتسليمي اليه وقال هذا عدوي ففصل عظامه هذا كان يلقاني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه لحاجتي فيرد عليّ كما يرد المولى على عبده وكل ما دبره ايتاخ فمن رأيه فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل وألبسني جبة صوف وحبسني في كنيف وأغلق عليّ خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار فأقمت كذلك نحو عشرين يومًا لا يفتح عليّ الباب الا حلة واحدة في كل يوم وليلة ويدفع الي فيها خبز شعير وملح وماء حار فكنت آنس بالخنافس وبنات وردان وأتمنى الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي في دم نجاح بن مسلمة صنعٌ فلا تخلصني مما أنا فيه وان كنت تعلم أنه لاصنع لي فيه ولا في غيره من الدماء التي سفكت ففرج عني فما استتممت الدعاء حتى سمعت صوت الاقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل ففتحت الابواب وجيء بالشمع وحملني الفراشون لثقل حديدي فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقني عن أمري فقال ما أكل الامير اليوم شيئًا لان أمرك غليظ وذلك ان أمير المؤمنين

وبخه بسببك وقال سلمت اليك سليمان بن وهب لتضمنه أو تستخرج ماله فقال الامير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الاموال وان تقرروا أمره على شيء طالبته به فأمر الكتاب بالاجتماع عند الامير لمناظرتك والزامك مايؤخذ به خطك وتطالب به وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك قال فحملت الى مجلس اسحاق فاذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع واحمد بن اسرائيل الكاتب وأبو نوح وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرحت في آخر المجلس فشتمني اسحاق بن ابراهيم أقبح شتم وقال يافاعل ياصانع تعرضني لاستبطاء أمير المؤمنين والله لأفرق بين لحمك وعظمك ولاجعلن بطن الارض أحب اليك من ظهرها أين الاموال التي جمعتها من غير وجهها فاحتججت بنكبة ابن الزيات فبدأني الحسن بن محمد فقال أخذت من الناس أضعاف ما أديت وعادت يدك الى كتبة ايتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحزتها سرقة اليك وأنت تستغلها ألفي الف درهم وتتزيا بزي الوزراء وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تؤدها وأخذت الجماعة تواجهني بكل قبيح الا موسى بن عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بيني وبينه فأقبل من بينهم على اسحاق فقال ياسيدي تأذن لي في الخلوة لافصل الامر فقال له اسحاق افعل فاستدناني فحملت اليه فسار الي وقال عزيز علي يا أخي حالك وبالله لوكان خلاصك بنصف ما أملكه لافتديتك به ولكن صورتك قبيحة وان خالفتني فأنت والله هالك فقلت لا أخالفك فقال الرأي أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف الف درهم تؤديها في عشرة أشهر كل شهر الف الف درهم وتترفه عاجلاً مما أنت فيه فسكتُّ سكوت مبهوتٍ فقال لي مالك فقلت والله ما أرجع الى ربعها الا بعد بيع عقاري ومن يشتري مني وأنا منكوب وكيف يتوفر الثمن فقال أنا أعلم أنك صادق ولكن احرس نفسك عاجلاً بعظم ماتبذله ويطمع فيه من جهتك وأنا من وراء الحيلة لك في شيء أميل به رأي

الخليفة الى صلاحك والله المعين ومن ساعة الى ساعة فرج والا تعجل الموت ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوماً فقلت لست أتهم ودك ولا رأيك وأنا اكتب فأقبل على الجماعة وقال ياساداتي اني قد أشرت عليه أن يكتب بشيء لاطاقة له باكثر منه ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشي أمره وقد أوقفته ليكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا فدعا له بدواة وقرطاس وأخذ خطه بالمال فلما أخذ قام موسى بن عبد الملك وقال لاسحاق ياسيدي هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه وينقل عن هذه الحال ويغير زيه ويرد جاهه بانزاله في دار كبيرة واخدامه بفرش وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعامليه ليجد في تمحل الاموال وتبعة الناس ويبيع أملاكه ويرتجع ودائعه ممن هي عنده فقال اسحاق أفعل ذلك الساعة وغداً أخرجه الى دار كبيرة كما وصفت وأمكنه من جميع ما التمست له ونهضت الجماعة فأمر اسحاق بأخذي في الحال وادخالي الحمام وجاؤني بخلعة نظيفة فلبستها وبخور طيب فتبخرت واستدعاني اسحاق فلما دخلت اليه نهض الي ولم يكن في مجلسه أحد واعتذر الي مما خاطبني به وقال أنا صاحب سيف ومأمور ولقد لحقني اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن الطعام بأن ابتلى بقتلك أو يعتب الخليفة علي من أجلك وانما خاطبتك بذلك اقامة عذر عند هؤلاء الاشراف ليبلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب فشكرته وقلت ماحضرني من الكلام فلما كان من غد حولني الى دار كبيرة حسنة مفروشة ووكل علي فيها باحسان واجلال واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمري وجاؤني ففرج عني ومضت سبعة وعشرون يوماً وقد أعددت الف الف درهم وأنا أتوقع أن يرد المحل فأطلب فأؤدي المال واذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل الي فقمت اليه فقال أبشر فقلت ما الخبر فقال ورد كتاب صاحب مصر بمبلغ مالها لهذه السنة مجملاً ومبلغ الحمل في النفقات ببلغ ذلك حساباً مفصلاً فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين فوقع الي باخراج

مال مصر ليعرف آثار العامل فأخرجتها من ديوان الخراج والضياع لان ضياع مصر تجري في ديوان الضياع وتجري في ديوان الخراج وينفذ حسابها الى الدواوين كما علمت فجعلت سنتك التي توليت فيها عمالة مصر مصدرة وأفردت بعدها السنين الناقصة عن سنتك توصلا في خلاصك وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من التي صدرتها كذا وكذا فلما قرأ عبيد الله المفصل علي المتوكل قال فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها فقلت يا أمير المؤمنين سليمان ابن وهب فقال المتوكل لم لا يرد اليها فقلت يا أمير المؤمنين وأين سليمان بن وهب ذاك مقتول بالمطالبة قد استصفي وافتقر فقال تزال عنه المطالبة ويعاون بمائة الف درهم ويعجل اخراجه فقلت يا أمير المؤمنين وترد ضياعه ليرتفع جاهه قال ونفعل ذلك وقد تقدم الى عبيد الله بذلك واستأذنته في ان أجيئك وأخرجك فاذن لي فقم بنا الى الوزير قال وقد كان أرسل الي اسحاق برسالة الخليفة يأذن له في اطلاقي فخرجت من وقتي ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته الى موضعه وجئت الى عبيد الله فوقع لي بمائة الف معونة على سفري ودفع الى عهد مصر فخرجت اليها مسرورا * حدثني عبيد الله الاسناني قال أحزنني امر ضقتُ به ذرعا فأتيت يحيى بن خالد الازرق وكان مستجابَ الدعوة فرآني مكروبا قلقا فقال ما شأنك قلت دفعت الي كيت وكيت فقال استعنْ باللهِ واصبرْ فان اللهَ جل جلاله وعدَ الصابرين أجرًا فقلت ادعُ اللهَ فحرك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو فانصرفت على جملة قلقي فبت بليلة عظيمة فلما أصبحت أتاني الله بالفرج * حدثني احمدُ بنُ عبد الله بن داسة قال اعتللت علة عظيمة يئستُ فيها من نفسي فعادَني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري فقال كان سهل يدعو في علله بدعاء ما دعا به أحد الاعوفي فقلت ما هو فقال اللهمّ اشفني بشفائكَ وداوِني بدوائك وعافني من بلائك فواصلتُ الدعاء فعوفيتُ * حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف الازرق قال حدثني أبو الحسين البوابُ المقرِي قال كان يصحبنا على القرآن رجل مستورٌ صالح يكنى ابا احمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني

قال بقيت يوماً بلاشي وانا جالس في دكاني فدعوت الله عز وجل ليسهل لي سبباً فما استتمت الدعا حتى فتح باب دكاني غلامٌ امرد حسن الوجه جداً فسلم بادب حسن وجلس فقلت ما حاجتك فقال أنا عبد مملوك وقد طردني مولاي وغضب عليَّ وقال انصرف عني الى حيث شئت وما أعددت لنفسي من ان أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ولا أعرف من أقصده وقد بقيت متحيراً في امري وقد قيل لي انك تكتب كتاب العطف فاكتب فكتبت الكتـاب الذي كنت اكتبه

وهو بسم الله الرحمن الرحيم ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ الى آخر السورة والمعوذتين وآية الكرسي ولَوْ انْزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ الى آخر السورة وكتبت آيات العطف لَوْ أَنْفَقْتَ مَافِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اخواناً

الى قوله لعلكم تهتدون وقلت له خذ هذه الرقعة فشدها على عضدك الايمن ولا تعلقها عليك الا اذا كنت طاهرا قال فأخذها وقام ووضع بين يدي دينارا عينا فتداخلني رحمة له فصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل ان ينفعه بالكتاب ويرضي عليه قلب مولاه وجلست فما مضت الا ساعتان فاذا بأبي الجود خليفة عجيف غلام نازوك وكان على الشرطة قد جاءني فقال أجب الامير نازوك قال فخفت فقال لا ترع وأركبني بغلاً وجاء بي الى دار نازوك فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة ادخلت الى نازوك فاذا هو جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياماً نحو ثلثمائة غلام واكثر وكاتبه ابو القاسم جالس

بين يديه ورجل لا اعرفه فارتعت واهويت لاقبل الارض فقال مه عافاك الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين ما نريد نحن هذا اجلس يا شيخ لاتخف قال فجلست فقال جاءك اليوم غلام أمرد فكتبت له كتاباً للعطف فقلت نعم قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفاً حرفاً قال فأعدته عليه حتى لم اخرم منه حرفاً وتلوت عليه الآيات قال فلما قلت له ان الغلام قال انا عبد مملوك وما اعددت لنفسي من اقصده لهذا الحال ولا اعرف جهة ألجأ اليها وقد طردني مولاي بكيت أنا لما تداخلني من رحمتي للفتى ومحبتي للدينار الذي أعطانيه قال فدمعت عين ناذوك ثم تجلد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك ومهما عرضت لك حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني اياها فاني اقضيها ان شاء الله تعالى وا كثر الحضور عندنا وانبسط في هذه الدار فانك غير محجوب عنها فدعوت له وخرجت فلما صرت خارج باب المجلس اذا بغلام قد أعطاني قرطاساً فيه ثلثمائة درهم فأخذته وخرجت فلما صرت في الدهليز اذا بالفتى فعدل بي الى موضع وأجلسني فقلت ماخبرك قال أنا غلام الامير وكان قد غضب علي وطردني فجئتك فلما جلست عندك طلبني فرجعت فاذا برسل قد انبثوا في طلبي فلما حضرت قال أين كنت فحدثته فلم يصدقني فطلبك فلما حدثته بمثل ماحدثته أنا حرفاً بحرف وخرجت الساعة احضرني وقال يابني انك الساعة من أجل غلماني عندي وأمكنهم من قلبي وأخصهم بي اذ كنت لما عاملتك بهذا ماغيرك ذلك عن محبتي والرغبة في خدمتي وطلب الحيل في الرجوع الي وانكشف لي انك ما أعددت لنفسك بعد الله عز وجل سواي ولا عرفت وجهاً تلجأ اليه في الدنيا غيري فما ترى بعد هذا الا كل ماتحبه وسأعلي منزلتك وأبلغ بك أعلى مراتب نظرائك ولعل الله عز وجل استجاب فيك دعاء هذا الشيخ ونفعك بالآيات من القرآن العظيم فبأي شيء كافأت الرجل فقلت ما أعطيته غير ذلك الدينار فقال سبحان الله قم الى الخزانة وخذ ماتريد واعطه فأخذت هذا من الخزانة وجئتك به واعطاني خمسمائة درهم وقال الزمني فاني احسن اليك

ان شاء الله تعالى فجئته بعد مدة فاذا هو قائد جليل وصار لي عدة على الزمان * قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين قال حدثني أبو مروان الحامدي قال لما ظلم الناس بواسط احمد بن سعيد الكوفي وهو اذ ذاك يتقلدها لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة امرة الامراء ببغداد كنت احد من ظلم ظلمني وأخذ من ضيعتي بالحامدية نيفا وأربعين كرا ارزا بالنصف من حق الدهقنة بغير تأويل سوى ما أخذه من حق بيت المال وظلم فيه فتظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك يساوي ثلاثين دينارًا فقلت له قد أخذ سيدنا ايده الله مني ما أخذ والله ما عندي انا وعيالي شيء سواه ومالي ما أقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان يطلق لي من جملته عشرة أكرار وأجعل الباقي له حلالا فقال لا أفعل وبكيت بين يديه وقبلت يده ورققته وقلت فهب لي ثلاثة أكرار وتصدق بها علي وأنت من جميعه في حل فقال والله ولا ارزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال كن على ظلامتك يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهل الكوفة فانصرفت محترق القلب منقطع الرجاء فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذ الارز فجئت الى البيدر وأرزي مطروح فيه وأخذته وحملته الى منزلي وما عاد الكوفي الى واسط ولا أفلح * حدثني غير واحد من الكتاب عمن سمع أبا علي بن مقلة لما عاد من فارس وزيرا يتحدث قال من طريف ما اتفق في نكبتي هذه التي أدتني الى الوزارة أني اصبحت وأنا محبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير فارس وقد لحقني من الاياس من الفرج وضيق الصدر بها ما أقنطني وكاد يغلب على عقلي وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين في بيت واحد من الحجرة الا أنا على سبيل ترفيه واكرام فدخل علينا كاتب لياقوت كان كثيرًا ما يجيئنا برسالته فقال الامير يقرأ عليكما السلام ويعرف أخباركما ويعرض عليكما قضاء أي حاجة كانت لكما فقلت له تقرأ على الامير السلام وتقول له قد ضاق والله صدري واشتهيت ان اشرب على غناء طيب فان جاز ان يسامحنا بذلك

سراً فيتخذ به عندنا منة وبرا تفضل بذلك قال والمحبوس معي يخاصمني ويقول ياهذا والله مافي قلو بنا فضل لهذا فقلت للكاتب أعد عني ماقلت لك قال السمع والطاعة ومضى ثم جاء وقال الامير يقول لك حباً وكرامة لك وعزازة أي وقت شئت فقلت الساعة فلم يمض الا ساعة حتى جاؤا بالطعام فأ كلنا والمشام والفاكهة والنبيذ وصفف المجلس فجلست والمحبوس معي مقيداً وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاءل بأول صوت يغنى به لنا فى هذه الساعة في سرعة الفرج مما نحن فيه فلعله يصح الفأل فقال أما أنا فلا أشرب فلم أزل ارفق به حتي شرب وجاءت المغنية فكان أول صوت غنته شعر

قواعد للبين الخليط لينبوا * وقالوا لراعي الذود موعدك السبتُ

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

فقال لي ما هذا مما يتفاءل به وأي معنى فيه يدل على فرجنا فقلت ما هو الا فأل مبارك ولعل الله ان يفرق بيننا وبين هذه الحال التي نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت قال وشربنا يومنا وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك الاسبوع . فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار الا دون ساعتين فاذا بياقوت قد دخل علينا فجأة فارتعنا وقمت اليه فقال أيها الوزير الله الله فيّ واقبل مسرعاً اليّ وعانقني واجلسني واخذ يهنيني بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندي علم من شيء من الامر ولا مقدمة له فاخرج كتاباً قد ورد عليه من القاهر بالله يعلمه فيه تقليده اياي الوزارة ويأمره فيه بطاعتي وسلم اليّ كتاباً من القاهر بمثل ذلك يأمرني فيه بالنظر في أمر فارس والاولياء بها واستصحاب ما يمكنني من المال وتدبير أمر البلاد بما أراه والبدار الى حضرته فانه قد استخلف لي الى وقت حضوري الكلوباذى فحمدت الله تعالى وشكرته واذا الحداد واقف فتقدمت اليه بفك قيودي وقيود الرجل ففكت ودخلت الحمام وأصلحت من أمري وامر الرجل وخرجت فجلست ونظرت في الاعمال والاموال وجمعت مالاً جليلاً في مدة يسيرة وقررت أمور البلاد واستصحبت الرجل الى الحضرة حتي جلست هذا

المجاس وفرج الله عني وعنه في يوم السبت * وقال ابراهيم بن العباس كنت اكتب لاحمد بن ابي خالد فدخلت عليه يوماً فرأيته مطرقاً مفكرًا مغموماً فسالته عن خبره فاخرج لي رقعة فاذا فيها ان حظية من أعز جواريه يخالف اليها وتوطئ فراشه غيره ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كانا ثقتين عنده قال فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذاك فانكراه فتهددتهما بالقتل فاقاما على الانكار فضربتهما فاعترفا بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة واني لم اذق امس واليوم ذواقاً وقد هممت بقتل الجارية قال فوجدت بين يديه مصحفاً ففتحته فكان اول ما خرج فيه يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآيه قال فشككت انا في صحة الحديث وأريته ما خرج في الفأل وقلت دعني اتلطف في كشف هذا فخلوت باحد الخادمين وناجيته عن الامر فقال النار ولا العار وذكر ان امرأة احمد بن ابي خالد وجهت اليه بكيس فيه الف دينار وسألته الشهادة على الجارية وأمرته ان لا يذكر شيئاً الا بعد ان يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر وأحضر الكيس مختوماً بختم المرأة ودعوت بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت الى احمد بالبشارة فما وصلت اليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه فيها ان الرقعة الاولى كانت من فعلها غيرة عليه من الجارية وان جميع ما فيها باطل وانها هي التي حملت الخادمين على ذلك وانها تائبة الى الله عز وجل من هذا الفعل وامثاله فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه وأحسن لي الجائزة * وقال الحسن بن الحسن ان عبدالله بن جعفر زوج ابنته فلما أراد ان يهديها الى زوجها خلا بها فقال اذا نزل بك الموت او أمر من أمر الدنيا فظيع فاستقبليه بان تقولي لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قال الحسن بن الحسن فبعث الى الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال لقد بعثت اليك وانا اريد ان اضرب عنقك ودخلت الي وما من اهل بيت علي اكرم منك سل حاجتك * عن الشعبي قال كنت جالساً عند زياد فجاء رجل اليه يحمل ولم نشك في قتله فحرك الرجل

شفتيه بشيء لا ندري ما هو فخلي سبيله فقلت للرجل ما قلت قال قلت اللهمّ رب ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط ورب جبر يل وميكائيل واسرافيل ومنزل التوراة والانجيل والقرآن العظيم ادرأعني شرّ زياد فدرأ عني شره * حدثني ابو عبدالله الحزنبل قال امر الرشيد بعض خدمه قال اذا كان الليلة فصر الى الحجرة الفلانية فافتحها فخذ من رأيت فائت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك تجد قليباً محفوراً فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب قال فجاء الى باب الحجرة ففتحها فاذا فيها غلام كانه الشمس الطالعة قال فجذبه اليه جذباً عنيفاً فقال له اتق الله فيّ فاني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله ان تلقى جدي بدمي قال فلم يلتفت اليه وأخرجه الى الموضع قال فلما اشرف الفتى على التلف قال يا هذا انك على فعل ما لم تفعل أقدر منك علي رد مافعلت فدعني اصلي ركعتين وأمض ما امرت به فقال له شأنك وما تريد فافعل فقام الفتى فصلى ركعتين ثم سمعناه يقول ياخفي اللطف اغثني في وقتي هذا والطف بي بلطفك الخفي فلا والله ما استتم دعاءه حتى هبت ريح باردة وغبرة فلم ير بعضنا بعضاً ووقعنا لوجوهنا واشتغلنا بانفسنا عن الفتى ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا الكواكب وطلبنا الفتى فلم نجده ورأينا قيوده مرمية بحضرتنا قال فقال الحاجب للخادم هلكنا سيقع لامير المؤمنين انا اطلقناه فماذا نقول لئن نحن كذبناه لم نأمن ان يبلغه خبر الفتى ولئن صدقناه ليعجلن المكروه علينا فقال احدهما للآخر لئن كان الكذب ينجي فالصدق أنجى فلما دخلوا عليه قال لهم ما فعلتما فقال الحاجب يا امير المؤمنين الصدق اولى ما اتبع ومثلي لا يجترىء ان يكذب على امير المؤمنين وانه كان من الخبر كذا وكذا فقصه عليه فقال الرشيد والله لقد تداركه اللطف الخفي والله لاجعلنها من مقدمات دعائي امض لشانك واكتم ما جرى * عن ابي سلمة عبيد الله بن منصور قال جرت على رجل شدة هاضته فالح في الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف ياهذا قل ياسامع كل صوت ويا باريء النفوس بعد الموت ويا من لا تغشاه الظلمات ويا من لا يشغله شيء عن شيء قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل

ربه حاجة تلك الليلة الا اعطاه * عن اسحاق العرواني قال زحف الينا ابن ادهمو مرد عند مدينة الكرج في ثمانين فيلا فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب لذلك محمد بن القاسم فنادي عمران بن النعمان امير اهل حمص وأمر الاجناد فنهضوا فما استطاعوا فلما اعيته الامور نادى مرارًا لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فكف الله الفيلة بذلك وساط عليها الحر فانضجها فنزعت الى الماء فما استطاع سواقها ولا اصحابها حبسها وحملت الخيل عند ذلك فكان الفتح * قال كان حبيب بن سلمة يستحب اذا لقي العدو أوناهض حصنًا قول لا حول ولا قوة الا بالله وانه ناهض يومًا حصنًا فانهزم الروم فقالها المسلمون فانصدع الحصن * حدثني الحسين بن عبد الرحمن ان بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وجدها عليه فاغتم لذلك غمًا شديدًا فبينما هو ذات ليلة في مستتر له اذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما

احسن الظن برب عودك * حسنًا أمس وسوَّى اودك
ان ربًا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

قال فسري عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم * عن محمد بن رجاء قال اصابني غم شديد لامر كنت فيه فرفعت مقعدًا لي كنت جالسًا عليه فاذا رقعة فنظرت فيها فاذا مكتوب بيت شعر

يا صاحب الهم ان الهم منقطع * لا تيأسن كان قد فرج الله

قال فذهب عني ما كنت أجده من الغم * ولم ألبث ان فرج الله عني * حدثنا ابو بكر الثقفي قال قال رجل اصابني غم ضقت به ذرعًا فنمت فرأيت في المنام كان قائلا يقول هذه الابيات

كن للمكارم بالغرام مقطمًا * فلعل يوما ان ترى ما تكره
ولربما ابتسم الوقور من الاذى * وضميره من حره يتأوه

قال مؤلف هذا الكتاب حدثني على بن الحسن الشاهد من حفظه قال حدثني ابو الحسن بن ابي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش

قال قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله علي ابي وعليّ معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة واجلسنا على التراب وشدد علينا وكان يخرجنا كل يوم فيطالب أبي بمال المصادرة واضرب أنا بحضرته ولا يضرب هو فلاقينا من ذلك شدة صعبة فلما كان بعد ايام قال لي ابي ان هولاء الموكلين بنا قد صارت لنا بهم حرمة فتوصل الى مكاتبة ابي بكر الصيرفي وكان صديقه حتى ينفذ الينا ثلاثة آلاف درهم نفرقها عليهم ففعلت ذلك فانفذ الدراهم من يومه فقلت للموكلين في عشية ذلك اليوم قد وجبت لكم علينا حقوق فخذوا الدراهم فانتفعوا بها فامتنعوا من ذك فقلت ما سبب امتناعكم فوروا عني فقلت اما قبلتم واما عرفتموني السبب فقالوا نشفق عليك من ذكره ونستحي فقلت لابي قل لهم اذكروه على كل حال فقالوا قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ولا نستحسن اخذ شيء منكما مع هذا الحال فقمت وتغير حالي فقال ابي اردد الدراهم على ابي بكر فدفعتها الى من جاء بها فردها عليه وكان ابي يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم يفطر وصلى المغرب وصليت معه ثم اقبل على الصلاة والدعاء الى ان صلي العشا الآخرة ثم دعاني فقال اجلس يا بنيّ جاثياً على ركبتيك ففعلت وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه الى السماء فقال يا رب محمد بن القاسم قد ظلمني وحبسني على ما ترى وانا بين يديك قد استعذت اليك وانت احكم الحاكمين فاحكم بيننا لا يزيد عليها ثم صاح بها الى ان ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء واستغاثة الى ان ظننت انه قد مضى ربع الليل فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق فذهب عني أمري ولم اشك انه القتل وفتحت الابواب فدخل قوم بشموع فتأملت فاذا فيهم سابور خادم القاهر فقال أين ابو طاهر فقام ابي فقال ها أنا ذاك فقال أين ولدك فقال هوذا فقال انصرفا الى منزلكما فاذاهو قد قبض على محمد بن القاسم واحدره الى دار القاهر فانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة ايام ومات * لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة علي بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كمه

دراهم يفرقها على الفقراء ثم اسبل كمه ناسياً فانتقضت الدراهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه * لا خير في امساكه في الكم

فسلى همه وما به وامر له بثلاثين الف درهم * انصرف يحيى بن خالد البرمكي من عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحلف انه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون فقال له الهادي كذبت هذا من فعلك والله لاقتلن بك ولاصنعن وتوعده بكل عظيمة وصرفه فجاء الى داره فكلم غلامه في شيء فاجابه بما أغاظه فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص فاشتد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشياري الشاعر عقيب ذلك فاخبره بالقصة فقال في الحال

اخلاك من كل الهموم سقوطه * واتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق فقلت حلقه ضيق * فاصبر فما ريب الزمان بدائم

فما أمسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الامر الى هارون واعطى يحيى الشياري مائة الف درهم * قال ابو علي التنائي حدثني جدي قال بكرت يوماً الى موسى بن عبد الملك وحضر داود بن الحاج فوقف الى جانبي فقال كان بي امس خبر ظريف انصرفت من عند موسى بن عبد الملك فوجدت في منزلي امرأة شريفة من شرائف النساء فشكته الي وقالت قد حاول ان يأخذ ضيعتي الفلانية وانت تعلم انها عمدتي في معيشتي وان في عنقي صبية ايتاماً فأي شيء تدبر في امري وتشير علي فقلت لها من معك وراء الستر قالت ما معي احد فقلت لها اما التدبير في امرك فمالي فيه حيلة واما المشورة فقد قال النبطي لاتبع ارضك من اقدام الرجل الردي فان الردي يموت والارض تبقى فدعت لي وانصرفت فنحن كذلك اذ خرج موسى فقال لداود بن الحاج يا ابا سليمان لاتبع ارضك من اقدام الشرير فانه يموت والارض تبقي فقال لى داود سمعت هذا والله هو الموت أين

اهرب أين امضي ما آمنه والله على نفسي ولا نعمتي فاشر علي ما أصنع قبل نفاد طريقنا الى الديوان فقلت ما ادري فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم اكفني شره وضره وامره فانك عالم بقصتي وما اردت بما قلت الا الخير واشتد قلقه وكثر بكاؤه وقربنا من الديوان فقال موسى وهو على حالته متى حدث هذا هذا الجبل الاسود في طريقنا ومال على سرجه حتى سقط وامسكت اسنانه وحمل الى منزله وكان آخر العهد به * ذكر المداينى في كتابه قال قال ابو سعيد وانا احسبه الاصمعي نزلت يوماً بحي من كليب مجد بين وقد توالت عليهم سنون موتت الماشية ومنعت الارض خروج نباتها وامسكت السماء قطرها فجعلت انظر الى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحي ويرفعون اصواتهم بالتكبير ثم يعدلها الله عنهم مراراً فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفاً ثم نادت باعلي صوتها ياذا العرش اصنع كيفما شئت فان ارزاقنا عليك فما نزلت من موضعها حتى تغمت السماء فمطرت مطرا كاد ان يغرقهم وأنا حاضر * حدثنا علي بن ابي الطيب بالاسناد عن وضاح ابن خيثمة قال امرني عمر بن عبد العزيز باخراج من في السجن فأخرجتهم الا يزيد بن ابي مسلم فهدر دمي فقال والله اني لبافر بقية اذ قيل قدم يزيد بن ابي مسلم فهربت منه فارسل في طلبي فاخذت فاتي بي فقال وضاح فقلت نعم فقال اما والله لطالما سألت الله تعالى ان يمكنني منك فقلت وأنا والله لطالما استعذت الله من شرك فقال والله ما اعاذك الله ووالله لاقتلنك والله لو سابقني ملك الموت على قبض روحك لسبقته علي بالسيف والنطع قال فجيء بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسي بالسيف مشهراً واقيمت الصلاة فخرج اليها فلما خر ساجداً أخذته السيوف من اهل الهند فقتل فجاءني رجل وقطع كتافي بسيفه وقال انطلق * حدثني ابو الطيب عبد العزيز حماد باسناد كثير عن القاضي التنوخي الانباري قال حدثني ابو عبدالله بن أبي عوف البزوري قال دخلت على ابي العباس بن ثوابة وكان محبوسا فقال لى احفظ عني فقلت نعم فقال شعراً

عواقب مكروه الامور خيار * وأيام شر لا تدوم قصار
وليس بباق بؤسها ونعيمها * اذا كرّ ليل ثم كرّ نهار

فلم يمض الا ايام يسيرة حتى اطلق من محبسه * حدثني احمد بن عبدالله الوراق عن ابي بكر المعروف بالمستميني بالاسناد عن بعض تجار المدينة قال كنت اختلف الى جعفر بن محمد وكنت له خليطاً وكان يعرفني بحسن حال فتغيرت حالتي فرق لى فاتيته فجعلت اشكو اليه سوء حالتي فقال شعر

فلا تجزع وان اعسرت يوماً فقد ايسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وأنا اغنى الناس وفي رواية اخرى زيادة وهي

فان العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوي العقول

وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات قال كنت أتولى ماء سيدان وكان صاحب البريد بها علي بن زيد وكان قديماً يكتب للعباس بن المأمون فحدثني ان العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان يملك حتى بقي بسر من رأى لايملك شيئاً الا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته وطيلسانا وقميصاً وشاشية وانه كان يركب في اول النهار فيلقي من يحتاج الى لقائه ثم ينصرف فيبعث برذونه الى الكراء فيكسب عليه مايعلفه وما ينفق هو وغلامه عليه فاتفق في بعض الايام ان الدابة لم يكسب عليها شيئاً فبات هو وغلامه طاويين قال ونالنا من الغد مثل ذلك فقال لي الغلام نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة انا نخاف ان تعطب فقلت يا بني فنعمل ماذا ليس الا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها شيئاً بطلت الحركة وبطل التصرف قال فانظر في أمرك قال فنظرت فاذا فراشي حصير خلق ومخدتي لبنة أغشيها بخرقة وما أتمسح فيه للصلاة مطهرة خزف فلم أجد شيئاً غير منديل دبيقي خلق قد بقي منه الاسم فقلت

للغلام بع هذا المنديل واشتر لنا لحماً بدرهم واشوه فقد قرمت اليه فمضى الغلام وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهمرج قدجاع فلم أشعر الا بعصفور قد سقط في المطهرة التي فيها المـاء لطهري عطشا فشرب ونهض اليه الشاهمرج فناهضه فلضعفه قصر عنه وطار العصفور فوقف الشاهمرج فأخذه بحمية فابتلعه فلما صار في حوصلته دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسي الى السماء فقلت اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ففرج عني وارزقني فما رددت طرفي حتى دق الباب داق فقلت من فقال ابراهيم بن نوح وكان للعباس وكيل هذا اسمه فقلت ادخل فنظر الى صورتي فقال مالي أراك على هذه الحالة فكتمته خبري فقال الامير يقرأ عليك السلام وقد أصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضعه بين يدي فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتي وأطلعته داري وبوتي وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهمرج والدعوة فتوجع لي وانصرف فلم يلبث ان عاد وقال قد صرت الى الامير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه الى ان يصنع الله عزوجل وعاد غلامي وقد باع المنديل ببضع عشرة درهماً فاشترى ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدني قال المدايني في كتابه وحدث القاضي ابو الحسن في كتابه عن المدايني بغير اسناد واللفظان متقاربان ان اعرابية كانت تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيراً تتمثل بهذا البيت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا الا انه من ظلمة الكفر انجاني

فقيل لها انك لتكثرين التمثل بهذا البيت وانا لنظنه لامر فما هو فقالت اجل كنت عسيفة على قوم من البادية والعسيف الاجير فجاءت جارية منهن فاختطف وشاحها عقاب ونحن لا ندري فقلن ان الوشاح انت صاحبته فحلفت واعتذرت فابين قبول قولي واستعدين الرجال فجاؤا وفتشوني فلم يجدوا شيئاً فقال بعضهم احتملته في فرجها فارادوا ان يفتشوا فرجي فما ظنكم بامرأة تخاف

ذلك فلما خفت الشر رفعت رأسي الي السماء وقلت يا رباه اغثني فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون الي فما وقعت في كربة الا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج * حكى القاضي أبو الحسين في كتابه قال حدثني ابو الحسين بن نمير الخزاعي قال سار الفضل بن الربيع الى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له فلم يرفع له رأساً ولا قضى له حاجة فقام مغضباً فلم يدع به ولا اكترث بغضبه وفي المجلس يحيي بن خالد فقال لبعض خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول فان الرجل ينبيء عما في نفسه في ثلاثة أماكن اذا اضطجع على فراشه واذا خلا بفرشه واذا استوى على سرجه قال الرجل فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعراً

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بعثرة دهر والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب ويحدث من بعد الامور امور

قال فلم يكن بين ذلك و بين ان سخط الرشيد على البرامكة الا ايام يسيرة وفي رواية اخري ان يحيي بن خالد رده وقضى حوائجه * اخبرني على بن عبدالله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبدالله بن جعفر انه اصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم فبينا هو ذات ليلة ساهر اذ سمع وجبة في حجرته فاذا هو يسمع كلاماً فوعاه فبرىء مكانه والكلام اللهم انا عبدك ولك املي فاجعل الشفاء في جسدي واليقين في قلبي والنور في بصري وذكرك في الليل والنهار ما بقيت في لساني وارزقني منك رزقاً غير ممنوع ولا محظور



الباب الرابع

* من استطف غضب السلطان يصادق لفظ *
* واستوقف مكروهاً بموقظ بيان او وعظ *

قرىء علي ابي بكر الصولي بالبصرة وأنا اسمع في كتابه كتاب الوزراء وجدت بخط ابراهيم بن جاهين حدثني على بن محمد النوفلي ان المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في أشياء وكان ذلك بحضرة احمد بن ابي خالد فاخبر به عمرا أحمد فدخل عمرو الى المأمون فرمى بنفسه وقال انا عائذ بالله من سخطك يا أمير المومنين أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين الى احد ويسر على ضغنا يظهر منه لمكانه ما ظهر فقال له المأمون وما ذاك فاخبره بما بلغه فقال لم يكن كذلك وانما جرى معنى اوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل ان اخبرك به وكان ذلك عزمي وما لك عندي الا ما تحب فليفرج روعك وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه فلما دخل احمد بن ابي خالد قال له اشكو اليك من بحضرتي من اهلي وخدمي فما للمجلس حرمة حتى تؤدي ما يجري فيه الى عمرو بن مسعدة فقد ابلغ لي شيئاً قلته فيه فاتهمت به بعض بني هاشم ممن كان حاضراً وذلك أن عمرًا دخل عليَّ فاعاد ما كان واعتذر فجعلت اعتذر اليه بعذر لم يبن الحق نسجه ولم يتسق القول فيه وان لسان الباطل ينبىء عن الظاهر بالباطن فقال له احمد لا يتهم امير المؤمنين احداً أنا اخبرت عمرا قال ما دعاك الى ذلك قال الشكر لله والله لاصطناعك والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على اوليائك وخدمك وقد علمت ان اميرالمؤمنين يحب اصلاح الاعداء والبعداء فكيف بالاولياء والقرباء لا سيما مثل عمرو في موضعه من الدولة وموقفه من الخدمة ومكانه من امير المؤمنين فاخبرته بما أنكره عليه ليقوم أَوَدَ يقينه ويتلافى ما فرط منه وانما العيب لو أزعت سرًا فيه قدح على السلطان

او نقض تدبير له فقال له المأمون أحسنت والله يا احمد اذ اخبرتني بخاصة الظن وصدقتني عن نفسك ٭ اخبرني ابو الفرج الاصفهاني عن الحسين بن علي السلوسي عن احمد بن سعيد بالاسناد انه لما قتل ابراهيم بن عبدالله بباخمري حشرنا من المدينة فلم يترك فيها منا محتلم حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهراً نتوقع القتل ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال ياهذه الامة العلوية أدخلوا على امير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى قال فدخلت اليه انا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لي انت الذي تعلم الغيب قلت لا يعلم الغيب الا الله جل ثناؤه قال انت الذي يجبى اليك هذا الخراج قلت اليك يجبى يا امير المؤمنين الخراج قال اتدرون لم دعوتكم قلت لا قال أردت ان اهدم رباعكم واغور قليبكم واعقر نخلكم وانزلكم بالسراة لا يجيئكم احد من اهل الحجاز واهل العراق فانهم لكم مفسدة فقلت يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان ايوب أبتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك القبيل قال فتبسم وقال أعد فاعدت قال مثلك فليكن زعيم القوم قدعفوت عنكم ووهبت لكم خراج اهل البصرة ٭ قلت حدثني ابي عن آبائه عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الأَرحَامُ معلَّقَةٌ بالعرش تقُولُ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي واقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي قال زدمن هذا قلت حدثني أبي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنَّ اللهَ يقُولُ أنا الرَّحمنُ خلَقتُ الرَّحِمَ وَشَقَقتُ لهُ إسماً من اسمِي فَمنْ وَصلَها وَصلتُهُ وَمَنْ قطعَها قطعتُهُ ٭ حدثنا على بن الحسن بالاسناد قال حج ابو جعفر المنصور في سنة سبع واربعين ومائة فقدم المدينة فقال ابعث الى جعفر ابن محمد من يأتيني به تعباً قتلني الله ان لم أقتله فامسكت عنه رجاء ان ينساه فاغلظ في الثانية فقلت جعفر بن محمد بالباب فقال ائذن له فدخل فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في

سلطاني وتبغي الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم اقتلك قال جعفر يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك السنخ فسكت طويلا ثم رفع رأسه وقال أنت عندي يا ابا عبدالله البريّ الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما يجزى به ذوو الارحام عن ارحامهم ثم تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال يا غلام عليّ بالمنفخ والمنفخ مدهن كبير فيه غالية فاتي به فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال في حفظ الله وكلاءته يا ربيع الحق أعط أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف فلحقته فقلت اني قد رأيت مالم تر ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت وقد رأيتك تحرك شفتيك فما الذي قلت فقال نعم انك رجل منا أهل البيت ولك محبة وود قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي لا أهلك وأنت رجائي يارب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري فلم تحرمني فيامن قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويامن راني على المعاصي فلم يفضحني ياذا المعروف الذي لا ينقضي ابدًا و ياذا النعم التي لا تحصى عددًا أسألك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد بك ادرأ في نحره وأعوذ بك من شره اللهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفرلي مالا يضرك وأعطني مالا ينفعك انك أنت الوهاب أسألك فرجًا قريبًا وصبرًا جميلاً ورزقًا واسعًا والعافية من جميع البلايا وشكر العافية * وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء أن موسى الهادي سخط على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده و يتوعده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان اعتذاري فيما تقرعني به رد عليك واقراري بما بلغك يوجب ذنبًا علي لم أجنه لكنني أقول شعرًا

اذا كنت ترجو في العقاب تشفيًا * فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فصفح عنه وأمر بترك التعرض له وأحسن اليه * حدثني علي بن هشام بن

عبيد الله الكاتب عن أبي عبدالله بن يحيي الكاتب قال لما نكب أبو الحسن ابن الفرات أباعلي بن مقلة فى وزارته الثالثة لم أدخل اليه في حبسه ولا كاتبته متوجعاً له ولا راسلته خوفاً من أن يلقى ذلك الى ابن الفرات وكانت بيني وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب الي رقعة طويلة فيها

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم * أبن لي ام القرطاس اصبح غاليا

فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا * وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا

صديقك من راعاك عند شديدة * وكل تراه في الرخاء مراعيا

فهبك عدوى لا صديقي فربما * تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول انه قد أنفذ الي في طى رقعته رقعة الى الوزير يسألني اعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته الى الوزير فاذا هي — بسم الله الرحمن الرحيم أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلي وصنعي على الاستعطاف والشكوى حتى تناهت بي المحنة والبلوى في النفس والمال والجسم والحال الى مافيه شفاء المنتقم وتنويم للمجترم حتى أفضت الى الحيرة والتبلد وعيالي الى الهتكة والتلدد وما أقول ان حالاً أتاها الوزير أيده الله في أمري الا بحق واجب وظن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة والاعتراف يزيل الاقتراف والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين والاحسان الى المسيء من أفعال المتقين وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وتأميل وخدمة فان كانت الاساءة تضيعها فرعاية الوزير ايده الله تحفظها فان رأى الوزير اطال الله بقاءه أن يلحظ عبده بعين رأفته وينعم عليه باحياء مهجته ويخلصها من العذاب الشديد والجهد الجهيد ويجعل له من معروفه نصيباً ومن البلوى فرجاً قريباً فعل ان شاء الله قال ابن يحيي فأقامت الرقعة في كمي اياماً لا اتمكن من عرضها الى ان رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة الى جعفر بن أبي القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم وان احررها بين يديه وأعرضها عليه وخلاني لهذا السبب فعملت النسخة وأوقفته عليها فامرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من

كل أحد وقلت قد عرف الوزير أيده الله ما بيني و بين ابن مقلة من الالفة والعشرة التي جمعتنا عليها خدمتك والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقاً بمعونة ولا غيرها مذ سخط الوزير عليه وهذه رقعته الي تدل على ذلك و يسأل أعراض رقعة له على الوزير ايده الله وهي معي فان اذن عرضتها فقال ادفع رقعته الي فقلت اسأل الوزير ايده الله ان يكتم ذلك عن سيدي ابي أحمد يعنى المحسن ابنه فاني اخافه قال أفعل ثم قرأ رقعة ابن مقلة فقال والله يا ابا عبد الله لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي واهلي ولقد صح عندي انه قال لما اسلم الى حامد والله لو قد علمت ان ابن الفرات يبقى بعد صرفه يوماً واحداً ما سعيت به ووالله لقد كنت ادعو في حبسي بان لا يمكنني الله عز وجل منه ولا من الباقطائي أما هو فلا حساني العظيم عليه وأما الباقطائي فلقبح اساءته الي وانه شيخ من شيوخ الكتاب وخفت العار بما كنت اعامله به لو حصل في يدي فاجيبت دعوتي في الباقطائي ولم تجب فيه والآن فوحق محمد وآله عليهم السلام لاجري على ابن مقلة مكروه ابداً بعد هذا وانا أتقدم باخذه من يد المحسن فانفذه مع سليمان بن الحسن الى فارس واخبره في الامر بحراسة نفسه و باقي حاله واز يدك يا ابا عبدالله ما أحسبك فهمته قلت فما هو فاني لم ازل استفيد الفوائد ايدك الله تعلماً وانماماً قال فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولا شديداً ولا فرّغ قلبه لنظم شعر ولا بلاغة في نثر . فلما كان من الغد انفذ من انتزعه من يد المحسن فاخرجه مع سليمان الى فارس مسلماً * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني قال اخبرني جبيب بن نصر المهلبي بالاسناد ان طريح بن اسماعيل الثقفي دخل على ابي جعفر « فقال له لا حياك الله ولا بياك اما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد

لو قلت للسيل دع طريقك وال * موج عليه كالهضب يعتلج
لساح وارتدّ او لكان له * الى طريق سواك منعرج

فقال له طريح قد علم الله اني قلت ذلك ويدي ممدودة اليه عز وجل واياه

عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه فقال ابو جعفر يا ربيع أما ترى هذا التخلص * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني عن محمد بن ابي الازهر قال كنت بين يدي المأمون واقفاً فادخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها ابيات شعر وقال ان رأي امير المؤمنين ان يأذن لي في انشادها فظنها له فقال هات فانشده

اجرني فاني قد ظمأت الى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
اعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع انفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد
الا انما المأمون للناس بهجة * مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون احسنت يا عبد الله فقال يا امير المؤمنين بل احسن قائلها قال ومن هو قال عبدك الحسين بن الضحاك فغضب ثم قال لاخير ولا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم به عيناً أليس هو القائل شعر

اعيني جودا وابكيا لي محمداً * ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك فيه مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

هذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له ابن البواب فاين فضل امير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو فأمر باحضاره فلما حضر سلم عليه فرد عليه ردا خافتاً ثم اقبل عليه فقال أخبرني عنك هل عرفت يوم قتل اخي محمد رحمه الله هاشمية قتلت او هتكت قال لا قال فما معنى قولك

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي * محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع * لها المرط عادت بالخضوع ودنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني اذا ما ذكرته * على كبد حرّا وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت

فقال يا امير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فجأتني ونعم فقدتها بعد ان اغرقتني واحسان شكرته فانطقني فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت بارداد ارزاقك عليك واعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك * اخبرني محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد قال حدثني الحسين ابن الضحاك قال غضب علي المعتصم في شيء جرى علي فقال والله لا أدنيته وحجبني اياما فكتبت اليه

غضب الامام أشد من ادبه * وقد استجرت وعذت من غضبه
اصبحت معتصما بمعتصم * اثنى الاله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سببا * ارجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير رحمته * ولكل من اشفى على عطبه

قال فلما قرئت عليه التفت الى الواثق وقال مثل هذا الكلام يستعطف الكرام ماهو الا أن سمعت ابيات حسين هذه حتى ازالت ما بنفسي عليه فقال له الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه فرضي عني وأمر باحضاري وانما كتب هذا الشعر الى المعتصم لانه بلغه انه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العباس بن المأمون فقال شعر

خل اللعين وما اكتسب * لا زال منقطع النسب
يا عرة الثقلين لا * دينا رعيت ولا حسب
حسد الامام مكانه * جهلا هداك على العطب
وابوك قدمه لنا * لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنفـ * ـس والتجرع للكرب
لا زلت عند ابيـ * ـك منتقص المروة والادب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجرد أنه قال غضب كسري ابرويز على بعض اصحابه من جرم عظيم فحبسه زمانا ثم ذكره فقال للسجان هل يتعاهده احد فقال لا الا القلهند المغني فانه يوجه اليه في كل يوم بسلة فيها طعام فقال كسرى

للقاهند غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فانك تعاهده بالبر في كل يوم فقال ايها الملك ان البقية التي بقيت له عندك فبقت روحه في بدنه ابقت له عندي بقدر ما ارسله اليه من الطعام قال احسنت قد وهبت لك ذنبه واطلقه *وجدت في بعض كتبي ان رجلين اتى بهم الى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزندقة وآخر شرب الخمر فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا وأومأ الى الزنديق واجلد هذا الحد وأومأ الى الشارب وتسلمهما وذهب ليخرج فقال له الشارب ايها الامير سلمني الى غيره ليجلدني فاني لا آمن ان يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي والغلط في هذا لا يتلافى فضحك الامير وأمر بتخليته وضرب عنق الزنديق* وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي عن ابي محمد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاه قال لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لي محمد بن يزيد الاموي الحصيني بالفضل وينشدوني قصيدته التي اجاب بها عبدالله بن طاهر لما فخر بابيه ويذكرون قصته معه لما دخل عبدالله الشام واشرف الحصني على الهلاك خوفاً منه وكيف كفي امره بلا سبب فكنت افتقد امره في ضيعته وأحسن اليه في معاملتي وكانت كتبه ترد علي بالشكر باحسن عبارة الى ان عملت على طوف كور عملي وتصفح امر الرعية والمال فخرجت لذلك حتي وردت الكورة التي حصن محمد بن يزيد في ناحية منها فخرج مستقبلاً لي وراغباً اليّ في النزول عليه فلما التقينا قال لم اخف مع فضلك ان تتجاوزني و لم آمن ان يعارضك ظن يصوّر لك ان عدولك عني ابقاء علي واشفاقاً من نسب السلطان لك يدعو الى اثار لذتك في عدم لقائي فتطويني فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحب ان يشيع لك من ابتدائي بالقصد قبل غيبتي فيه اليك فالحمد لله الذي جعل لك السبق الى الكرم ومررنا على حصنه فاقبل يقفني على المواضع المذكورة في الخبر والشعر الى ان دخلنا حصنه فلم يأخذ اهبة النزول به ادبا ومروءة وسبق بما حضر من القرى ولم يمض من يخدمنا عن أحضار ما أعد في سفرتنا ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة يدل

على نشاطها اعتيادها على الطراق الى ان رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت السوداء في غير الزي الاول فجلست تغني فانكرتها حتى سألته عنها فوصف لي قديم حرمتها وقال هي كانت طلعتي حين قصدني عبدالله بن ظاهر فاستفتحني مسألته عن الخبر فسألته فقال لما بلغني خبر اجماع عبدالله على الخروج لطلب نصر بن شبيب بنفسه أيقنت بالهلاك وخفت ان يقرب فتنالني بادرته ولم اشك في ذهاب النعمة ان سلمت النفس لما كان بلغه من اجابتي اياه عن قصيدته التي فخر بها وانشدنيها

مدمن الاغضاء موصول ومديم العتب مملول
واخو الوجهين حيث رمى بهواه فهو مدخول
وقليل من يبرره في يد التهذيب تحصيل
فاتئد تلق النجاح به فاعتساف الامر تضليل
واعم عن عيب اخيك يدو م لك حبل فيه موصول
من يرد حوض الرداصردا لا يسعه الري تعليل
من بنات الروم لي سكن وجهه للشمس اكاليل
عتبت والعتب من سكن فيه تكثير وتقليل
اقصري عما لهجت به ففراغي عنك مشغول
انا من قد تعرفي نسبه سلفي الغر البهاليل
مصعب جدى نقيب بنى هاشم والامر مجهول
وحسين رأس دعوتهم ودعاء الحق مقبول
سل بهم تنبيك نجدتهم مشرفيات مصاقيل
كل غضب مسرف عللا وحوار الحر مفلول
وابي من لا كفاء له من يساوي مجده قولوا
سل به والخيل ساهمةً حوله جرداء نأبيل
وربات الخدور وقد جعلت تبدوا الخلاخيل

من ثنى عنه الخيول باكنا | فيها الخطية الشول
انظر المخلوع كلكله | وحواليه المقاويل
ثوي والتراب مضجعه | غال عنه ملكه غول
قاد جيشاً نحو نائلة | ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مصمصبهم | كليوث ضمها غيل
وهبوا الله انفسهم | لا معازيل ولا ميل
ملك تجتاح سطوته | ونداه الدهر مبذول
قطعت عنه تمائمه | وهو مرهوب ومأمول

قال وكنت لما بلغني هذه القصيدة امتعضت للعرب وأنفت ان يفخر عليها رجل من العجم لانه قتل ملكاً من ملوكهم بسيف أخيه لا بسيفه فيفخر عليها هذا الفخر و يضع منها هذا الوضع فرددت عليه قصيدته ولم اعلم ان الايام تجمعنا ولا ان الزمان يضطرني الى الخوف منه فقلت شعراً

لا يرعك القال والقيل | كلما بلغت تضليل
ما هوى لي حيث اعرفه | بهوى غيرك موصول
اين لي عنك الى بدل | ابديل عنك مقبول
او وعدت العذل فيك اذا | انا فيك الدهر معذول
حمليني كل لائمة | كلما حملت محمول
فاحكمي ما شئت واحتكمي | لحرامي لك تحليل
والذي ارجو النجاة به | ما لقلبي عنك تحويل
ما لداري منك مقفرة | وضميري منك مأهول
ايخون العهد ذو ثقة | لا يخون العهد مسؤل
واخو حبيك في تعب | مطلق مرّا ومغلول
ما فراغي عنك مشتغل | بل فراغي بك مشغول
وبدت يوم الوداع لنا | غادة بيضاء عطبول

حاسرا وذات مقنعة   ذات تاج فيه اكليل
آي عطفيها به انصرفت   ارج بالمسك معلول
تتعاطى شد معجزها   ونطاق الخصر منحول
باكاليل لها قبل   حبذا تلك الاكاليل
فبنفسي ذمج مشطتها   ومثانيها المراسيل
سبقت بالدمع مقلتها   فلها بالدمع تفضيل
ورمت بالسحر من كثب   فدفين الداء مقتول
لاحظت بالسحر عابثة   فشجاع الصبر مغلول
شملنا اذ ذاك مجتمع   وجناح البين مشكول
لا يخاف الدهر طائره   فاذاه عنه معقول
ايها الباري بنطقته   لاغاليط وتحصيل
قد تأولنا على جهة   ولتأويلك تأويل
قاتل المخلوع مقتول   ودم القاتل مطلول
سارأ وحل فمتبع   بالتي يكبو لها القيل
لا تنجيه مذاهبه   نهر سيحون ولا النيل
ومدين القتل مرتهن   بدماء القوم مقتول
بيد المخلوع طلت يدا   لم يكن في باعها طول
وبنعماه التي سلفت   فعلت تلك الافاعيل
وبراع غيز ذي شفق   حالت الخيل الاناييل
يا ابن بنت النار موقدها   ما لحاديها سراويل
اي مجد لك تعرفه   أو نسيب لك بهلول
من حسين وأبوك ومن   مصعب غالتهم غول
وزريق اذ تخلفه   نسب لعمرك مجهول
تلك دعوى لا تنافسها   وابواب مراذيل

اسوة غير مباركة غيرها الشم البهاليل
ماجرى في عود سلافكم ماء مجد فهو مدخول
قدحت فيه اسافله فاعاليه مهازيل
ان خير القول اصدقه حين تصطك الاقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرنك الاباطيل
ان للاصعاد منحدرًا فيه للهادى اهاويل
ولريب الدهرعن عرض بالرّدى علّ وتنهيل
يعسف الصعبة رائضها ولها بالعسف تذليل
ويخون الرمح عامله وسنان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبه بعد ما يسلو المثاكيل
مضمرًا حقدًا ومنصلة مغمد في الجفن مسلول

قال فلما قرب عبدالله بن ظاهر استوحشت من المقام خوفًا على نفسي ورأيت بعدي وتسليم حرمي عارا باقيًا ولم يكن لي الى هربي بحرمي سبيل فأقمت على اتم خوف مستسلمًا للاتفاق حتى اذا كان اليوم الذي قيل انه ينزل بهذه النواحي أغلقت حصني واقمت هذه السوداء ربيئة لي على شرف الحصن واقمتها وأمرتها ان تعرفني الموضع الذي ينزل فيه العسكر قبل ان يفجأني ولبست ثياب الموت اكفانًا وتطيبت وتحنطت فلما رأت الجارية ان العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتني فلم يرعني الا دق باب الحصن فخرجت فاذا عبدالله بن طاهر واقف وحده منفردًا عن اصحابه فسلمت عليه سلام خائف فرد علي غير رد مستوحش وأومأت الى تقبيل رجله في الركاب فمنع الطف منع وأحسن رد وجلس على دكان على باب الحصن ثم قال ليسكن روعك فقد اسأت الظن بنا ولو علمنا اننا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك ثم اطال الانتظار في المسألة حتى رأى الثقة مني قد ظهرت فسألني عن سبب مقامي في البر وايثاري اياه على الحاضرة ورفاهة العيش وعن حال ضيعتي ومعاملتي فأجبته بما حضرني حتى لم يبق من

التأنيس شيئاً أفضى الامر الى مسائلتي عن حديث نصر بن شبيب وكيف الطريق الى الظفر به فاخبرته بما عندي في ذلك ثم اقبل علي وقد انبسطت في محادثته انبساطاً شديداً فقال احب ان تنشدني القصيدة التي فيها

يا ابن بنت النار موقدها * ما لحاديها سراويل

فقلت أصلح الله الامير قد اربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها بما ينغصها فقال انما أريد الزيادة في طمانينتك و تأنسك بان لا تراني متحفظاً ما خفت وعزم علي انشاد القصيدة عزم مجدٍ فقلت يريد ان تطرأ على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع بي ولم أجد من انشاده بداً فانشدته القصيدة فلما فرغت منها عاتبني عتاباً شديداً وكان منه ان قال يا هذا ما حملك على تكلف اجابتي فقلت الامير اصلحه الله حملني على ذلك فقال بماذا فقلت بقوله

وابى من لا كفاء له * من يسامي مجده قولوا

فقلنا كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك وكان لما بلغت الى قولي

يا ابن بنت النار موقدها * ما لحاديها سراويل

قال لي والله يا ابن مسلمة لقد أحصينا في خزائن ذي اليمينين بعد موته الفاً وثلثمائة من السراويل ما اصلح في احداهن تكة سوى ما استعمل في اللبس على ان الناس لا يفكرون في ادخال السراويل في كسام فاعتذرت اليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول وبسط العذر واظهر الصفح وقال قد دللتنا على ما احتجنا اليه من أمر نصر بن شبيب فنستحسن القعود معنا في حربه والا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل ارشادك لوجوه مطالبه فاعتذرت اليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزي عن السفر للقصور عن النفقة فقال نكفيك ذلك وتقبله منا باذنك ودعا بصاحب دوابه فأمر باحضار خمس مراكب من الخيل المهاليج بلجمها وسروجها المحلاة وبثلاث دواب من دواب الشاكرية وبخمسة ابغل من بغال الثقل واستقرأ ذلك وامر صاحب كسوته

باحضار ثلاث تخوت من اصناف الثياب الفاخرة وأمر خازنه باحضار خمس بدر دراهم فاحضر الجميع فوضع على الدكان الذي كان جالساً عليه بباب الحصن ثم قال كم مدة تأخرك عنا الى ان تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت الى يده لاقبلها فمنعني وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد وخرجت السوداء فنقلت تلك الثياب والبدر وأخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبدالله بعدها قال عيسى بن فرحا نشاه اقمت عند محمد بن يزيد يومي وليلتي فاضافني احسن ضيافة وكانت مذاكرته لي بذلك احب الي من كل شيء فاسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة وانصرفت* حدثني عبدالله بن احمد بن دامة المصري قال سمعت أن بعض الجند اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ليمنعوه فضربهم هو وغلمانه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال اغلقوا الباب فاغلقوا الباب وراودها عن نفسها فأمتنعت فا كرهها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا اصبر حتى يغلق باب قد بقي عليك قال أي باب قالت الباب الذي بينك وبين الله فقام وقال قد فرج الله عنك انصرفي لا اتعرض لك ابداً* وجدت في بعض الكتب ان الجاحظ انفذ الى أحمد ابن ابي دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً في قميص رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له بن ابي دؤاد والله ياعمرو ماعلمتك الا سبابا للنعمة جاحداً للصنيعة معدداً للمثالب مخفيا للمناقب وان الايام لا تصلح مثلك لفساد طويتك وسوء اختيارك فقال الجاحظ خفض عليك فوالله لان تكون المنة لك علي خير من ان تكون لي عليك ولان أسيء وتحسن أحسن في الاحدوثة عنك ولان تعفو في حال قدرتك اجمل بك من ان تنتقم فقال لي ابن أبي دؤاد ما علمتك الا كثير رونق اللسان قد جعلت ثيابك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق اعزب قبحك الله فانهض في قيوده ثم قال يا غلام الحلقة وخذ قيوده وصر به الى الحمام واحمل اليه خلعة يلبسها واحمله الى منزل يأوي به بفرش وفراش وآلة وقماش ويزاح فيه علله وادفع اليه عشرة آلاف درهم لنفقته الى

ان يصح من علته ففعل ذلك فلما كان من الغد روئي الجاحظ متصدرًا في مجلس ابن ابي دؤاد وعليه خلعة من ثيابه وطويلة من قلانسه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا ابا عثمان * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني باسناده عن اسحاق الموصلي قال لم ارقط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان ياخذ باجزل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يومًا فقيل لي انه نائم فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى قال لي ما الخبر فقلت أمير المؤمنين نائم فقال لي قف مكانك ومضى الى دار أمير المؤمنين فاعلم انه نائم فرجع فقال سر بنا الى المنزل حتى نخلو بقية يومنا واغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا فقلت نعم فصرنا الى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعمنا وأمر باخراج الجواري وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق ودعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني واغنيه وكان قد تقدم الى الحاجب ان لا يأذن لاحد من الناس كلهم وان جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه انه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم الى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبدالله فأذنوا له يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا فوالله انى لعلى حالة سارة اذ رفع الستر واذا عبد الملك بن صالح الهاشمي وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتقشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان أمير المؤمنين قد اجتهد ان يشرب قدحًا فلم يفعل ترفعًا لنفسه فلما رأيناه مقبلاً اقبل كل واحد منا ينظر الى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظًا وفهم الرجل حالنا وأقبل نحونا حتى اذا صار الى الرّواق الذي نحن فيه نزع جبته فرمى بها مع طيلسانه جانبًا ثم قال اطعمونا شيئًا فدعى له جعفر بالطعام وهو منتفخ غيظًا ثم دعى برطل فشربه ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه ثم أخذ بعضادتي الباب وقال اشركونا فيما انتم فيه فقال له جعفر ادخل فدخل

بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة اقداح ثم اندفع يغنينا فكان والله احسن غناء فلما طابت نفس جعفر بن يحيي وسرى عنه ما كان فيه التفت اليه وقال له ارفع حوائجك فقال له ليس هذا موضع حوائج قال لتفعلن ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين عليّ واجد كما علمت فأحب ان يرضى عني قال امير المؤمنين قد رضي عنك فهات حوائجك قال هذه حاجتي قال ارفع حوائجك كما اقول لك قال عليّ دين فادح قال كم مبلغه قال اربعة آلاف الف درهم قال هذه اربعة آلاف الف درهم فان احببت ان تقبضها مني فاقبضها في منزلي الساعة فانه لم يمنعني من اعطائك اياها الا ان قدرك يجلك عندي من ان يصلك مثلي ولكني ضامن لها حتى تحمل اليك من مال امير المؤمنين غدًا فسل ايضاً فقال ابني تكلم امير المؤمنين حتى ينوّه باسمه قال قد ولاه امير المؤمنين مصرًا وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه الفي الف درهم من ماله قال اسحاق فقلت في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرا فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فاذا جعفر بن يحيي البرمكي ووجدت في دار الرشيد جلبة فاذا ابو يوسف القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعي بهم ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك ان امير المؤمنين قد كان واجدًا عليك وقد رضي عنك وأمر لك باربعة آلاف الف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيي الساعة ثم دعا بابنه فقال اشهدوا اني قد زوجته الغالية بنت امير المؤمنين ومهرتها عنه من مالي الفي الف درهم ووليته مصرًا فلما خرج جعفر سألته عن الخبر فقال بكرت الى امير المؤمنين فحكيت له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفًا بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سرّ به ثم قال لي وقد ضمنت له على امير المؤمنين ضمانًا فأوف بضمانك فأمر باحضاره فكان ما رأيت * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني قال جرى بين محمد الامين وبين ابراهيم بن المهدي كلام وهما على مسرة فنفر الامين لذلك ووجد على ابراهيم وبانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف الى منزله فأمر الامين بحجابه عنه وبلغ ذلك ابراهيم فبعث

الى الامين بالطاف ورقعة يسأل فيها صرف غضبه فرد الامين الهدية ولم يجب على الرقعة فوجه ابراهيم اليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلمها وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي مكللاً بالجوهر وألبسها حلة منسوجة بالقصب وقال أبياتاً وغنى فيها والقاها عليها حتى اخذت الصوت واحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدي امير المؤمنين وقالت له عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت تغني شعراً

هتكت الضمير برد اللطف ... وكشفت هجرك لي فانكشف
فان كنت تحقد شيئاً جرى ... فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لي بصفحك عن زلتي ... فبالفضل يأخذ اهل الشرف

فقال لها الامين أحسنت يا صبية فما اسمك قالت هدية قال أفأنت كاسمك امانت عارية قالت انا كاسمي وبه سماني لما اهداني الى امير المؤمنين فسرَّ بها الامين وبعث الى ابراهيم بن المهدي فاحضره ورضي عنه وأمر له بخمسين الف دينار * وقف احمد بن عروة بين يدي امير المؤمنين المأمون لما عزله عن الاهواز فقال له خرّبت البلاد وقتلت العباد والله لافعلن بك ولافعلن فقال يا امير المؤمنين ما تحب ان يفعل الله بك اذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك قال العفو والصفح قال فافعل بعبدك ما تحب ان يفعل بك مولاك قال قد فعلت ارجع الى عملك فوال مستعطف خير من وال مستأنف . وروي انه جنى غلام للحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين جناية توجب العقاب فأمر به ان يضرب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال خلوا عنه قال يامولاي والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال يا مولاي والله يحب المحسنين قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت اعطيك . قال الاصمعي اتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده فقال الرجل

يدي يا امير المؤمنين اعيذها ... بعفوك من عار عليَّ يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... اذا شمال فارقتها يمينها

قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من اقامته عليك فقامت امه وكانت عجوزًا كبيرة السن فقالت يا امير المؤمنين كادّي وكاسبي وابني وواحدي فهبه لي فقال لها بئس الكادّ والابن والواحد هو لا بد من اقامة حد الله فقالت يا امير المؤمنين فاجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله تعالى منها قال خلوه واطلقه .
اخبرني الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن ابي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من انت فقال له شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة فقال له المهدي ألست القائل

اقمنا بالمدينة بعد معن ... مقامًا لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا لا شيء لك عندنا جروا برجله قال فجروا رجله حتى اخرج فلما كان في العام المقبل تلطف حتى أدخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او خامس شعرًا

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها
نادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب الى الضنا فأمالها

قال فانصت له حتى بلغ الى قوله

هل تطمسون من السماء نجومها ... باكفكم او تسترون هلالها
او تجحدون مقالة عن ربه ... جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية ... بتراثهم فاردتم ابطالها

قال فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة الف درهم فكانت أول مائة الف أعطيها شاعر في أيام بني العباس * أخبرني أبو الفرج الاصفهاني عن الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن سعيد قال غضب الرشيد

على العباس وحجبه فدخل سرًّا مع المتظلمين بغير اذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين قد أدبتني الناس لك ولنفسي فيك وردني ابتلاؤهم الى شكرك وما مع ذكرك قناعة بأحد غيرك ولنعم الصائن لنفسي كنت لو أعانني عليك الصبر ولذلك أقول شعرًا

أخضني المقام الغمر ان كان غرّني | نسا حاب اوزلت القدمان
أتتركني جدب المعيشة مقفرًا | وكفاك من ماء الندا يكفان
وتجعلني سهم المطامع بعد ما | بلت يدي من ماء الندا ولساني

قال فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة فما رأيت العباس قط أنشط منه يومئذ قال ابو الفرج في البيتين الاولين غناء لمخارق ثاني ثقيل بالوسطى * حدثني عون بن محمد قال حدثنا سعيد بن هريم قال قال المأمون للفضل بن الربيع يا فضل ما كان من حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ان تثلبني وتشتمني وتحرض على دمي أتحب ان افعل بك مع القدرة عليك ما أردته بي فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان عذري لا يقوم عندك وان كان واضحًا جميلاً فكيف اذا عفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك

صفوح عن الاجرام حتى كأنه | من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى | اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما

قال الصولي والشعر للحسن بن رجاء * وقرئ على أبي بكر الصولي في كتابه كتاب الوزراء بالاسناد عن الحسن بن عيسى الانباري الكاتب قال أمر المأمون محمد بن بزوان والوزير احمد بن أبي خالد ان يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الاهواز فناظراه فتحصل عليه ستة عشر الف الف درهم فأعلم محمد المأمون بذلك فقال له المأمون اقبل كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق قال قد فعلت قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو بأشياء لا أصل لها فسقطت من المال عشرة آلاف الف وبقي ستة آلاف الف درهم لا حجة له فيها أخذ خطه بها فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرًا بعد خروج

محمد فقال هذه رقعتك فقال نعم فقال وهذا المال واجب عليك قال نعم قال فخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال اذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فانه واجب لو أجزت به على احمد بن عروة عامل الاهواز وهو مقر به وأشهدك اني قد وهبته له فاغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطأه فيما عمله فالجأ الى احمد بن أبي خالد فأخبره بالخبر وكان يخصه فقال لا عليك فدخل الى المأمون فلما رآه قال ألا تعجب يا احمد من عمرو وهبنا له ستة آلاف الف درهم بعد ان تجافينا له عن اضعافها فوهبها بين يدي من احمد بن عروة كانه أراد ان يباريني و يصغر معروفي قال او فعل هذا يا أمير المؤمنين قال نعم قال لو لم يفعل هذا لوجب ان يسقط حاله قال وكيف قال لانه لو استأثر به على احمد بن عروة وآخذ احمد بالمال وأداه اليه كان قد أخرجه من معروفك صفرًا ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على احمد وهما خادمان وكان الاجمل ان يتضاعف معروفك عندهما فقصد عمرو ذلك فصار المال تفضلاً منك على عمرو وعلى احمد بن عروة ومع ذلك فأنت سيد عمرو لا يعرف سيدًا غيرك وعمرو سيد احمد فاقتدى في أمر احمد بما فعلته في أمره وأراد أيضاً ان يسبر في ملوك الامم ان خادمًا من خدمك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك اليه فيزيد في جلالة المملكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الاعداء الذين يكاثرونك فسرّى عن المأمون وزال مابقلبه على عمرو * وغضب الرشيد على محمد بن الاشعث غضبًا شديدًا من كلام جرى بينهما فخاف جعفر أن يستفزه الغضب فقال يا أمير المؤمنين انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه فانعطف له الرشيد * احضر هشام بن عبد الملك ابراهيم بن أبي عبلة الذي تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له انا قد عرفناك صغيرًا وخبرناك كبيرًا وأريد ان اخلطك بحاشيتي وقد وليتك الخراج بمصر فاخرج اليها فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لي بصرٌ به فغضب هشام عليه غضبًا شديدًا حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين تأذن لي في الكلام قال قل قال يقول الله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال

الآية فوالله ما كرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الانسان لما قبلها فقال هشام ابيت الا رفقاً فأعفاه ورضي عنه * استسلف موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا الى أجل قريب وضمن للمتوكل رده فحل الاجل والمال متأخر فاغتاظ المتوكل من مدافعته به وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان وقع اليه عني برد المال اليوم وضيق عليه في المطالبة وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومره بأن يطالبه فان أخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه الا بحضور المال فأدى بعض الخدم الى موسى بالخبر فجلس ينظر في وجوه يرد منها المال ويجد وصار اليه عتاب بالتوقيع مختوماً وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى في خيش له في حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها فدخل عتاب وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه وقد أكب موسى عليه يتشاغل به عن خطاب عتاب وأصاب عتاباً برد الخيش والمروحة فنام جالساً وقد ثقل وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذي معه حين جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلمانه فأخذ الكتاب بيمينه وما زال عتاب ينام وينتبه وموسى يعمل الى ان انقضت الهاجرة وقد توجه بعض المال وانفذ بعض اصحابه لقبضه فقال له عتاب انظر فيما جئنا به قال أصلحك الله فيم جئت به قال فيما تضمن الكتاب قال اي كتاب قال الكتاب الذي اوصلته اليك من امير المؤمنين قال متى قال الساعة وضعته على دواتك قال أحسبك رأيت في النوم شيئاً فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال سرق الكتاب والله يا أصحاب الاخبار اكتبوا فقال موسى يا أصحاب الاخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل الى كتابا وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل اليَّ شيئاً لعلك يا ابا محمد ضيعت الكتاب في طريقك فانصرف عتاب الى عبد الله فاخبره فدخل عبد الله الى المتوكل فحدثه فضحك وقال احضروا موسى الساعة فحضر فقال له المتوكل يا موسى سرقت الكتاب من عتاب قال اي والله يا سيدي خمنت انه كتاب بمكروه ونام عتاب قبل ان يوصل الكتاب فامرت من سرق منه الكتاب وقد أعددت نصف المال

والساعة احمله الى بيت المال الخاصة واحمل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل يتضرع فأنفذ المتوكل معه من يقبض المال وانصرف وقد رضي عنه . ذكر المدايني في كتابه قال أرسل زياد الى رجل من بني تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه فجاءه خائفاً فقال له زياد ما يمنعك من اتياني قال قدمت علينا وقلت لا أعدكم خيرًا ولا شرًّا الا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لساني ويدي وجلست في بيتي فأمر له بصلة وخرج والناس لا يشكون انه قتيل فقالوا له ما قال لك الامير فقال ما كلكم استطيع ان أخبره بما كان عندنا ولكني وصلت الى رجل لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعاً فرزق الله تعالى فيه خيرًا . اخبرني ابو الفرج الاصفهاني باسناده ان المأمون أقام بعد قدومه الى بغداد عشرين شهرًا لم يسمع حرفاً من الاغاني ثم كان اول من تغنى بحضرته اخوه ابو عيسى ابن الرشيد ثم واظبه على السماع مستترًا متشبهاً بالرشيد في اول أمره فاقام المأمون كذلك اربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين وكان حين احب السماع سأل عني فخرجت بحضرته فقال الطاعن عليّ ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ما أبقي هذا من التيه شيئاً الا استعمله فامسك عن ذكري وجفاني من كان يصلني اسوء رأيه الذي ظن فيّ فاضر ذلك بي حتى جاءني علوية يوماً فقال اتأذن لي في ذكرك فانا قد دعينا اليوم فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه علي ان يسألك لمن هو ذا فاذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب اسهل عليك من الابتداء قال هات فالقيت عليه لحني في شعري

يا سرحة الماء قد سدت موارده ... أما اليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام له ... محلاءة عن طريق الماء مطرود

قال ابو الفرج والغناء فيه لاسحاق الموصلي رمل بالوسطى . رجع الحديث . فغنى علوية لما استقر المجلس غناء بالشعر الذي أمره به فقال ويلك ياعلوية لمن هذا الشعر فقلت سيدي اعبد من عبيدك جفوته وطردته من غير جرم فقال اسحاق يغني قلت نعم قال يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت اليه فلما دخلت عليه قال ادن مني

فدنوت اليه فرفع يديه فانكبيت فاحتضنني بيديه واظهر من بري واكرامي مالو أظهره صديق لصديقه لسره

الباب الخامس

من خرج من حبس اواسر أو اعتقال الى سراح وسلامة وصلاح حال

* حدثنا ابو العباس احمد المعروف بالاشرم المقري الخياط البغدادي بالبصرة بالاسناد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم حنين انه لما اصاب من هوازن ما أصاب من اموالهم وسباياهم ادركته هوازن بالجعرانة قد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل عشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان مافي الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي تكفلنك ولو انا صابحنا ابن ابي شمر الغساني او النعمان بن المنذر ثم اصابنا منهم الذي اصابنا منك رجونا عائدهما او عطفهما وانت خير المكفولين ثم انشده شعرًا

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدرٌ ... مفرق شملها في دارها غير
ابقت لنا الحرب اقواماً علي حذر ... على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تبشرهم ... يا ارجح الناس حلماً حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك تملاه من محضها درر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
ياخير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمل عفوًا منك نلبسه ... هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
عفوًا عفا الله عما انت واهبه ... يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم * أخبرني ابو بكر الصولي قال كان القاسم بن عبدالله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله الى صاحب الشرطة يونس الخازن ان يوجه الى عبد الله ابن المعتز وقصى بن المؤيد وعبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين الى ان قدم المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم وأمر باطلاقهم ووصل كل واحد منهم بألف دينار حدثنا عبدالله بن المعتز قال سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفي الى بغداد فلم أنم خوفاً على نفسي وقلقاً بورودة فمرت بي في السحر طير فصاحت فتمنيت ان اكون مثلها لما يجرى عليَّ من النكبات ثم فكرت في نعم الله عز وجل وما خاره لي من الاسلام والقربة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أؤمله من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال

يانفس صبراً لعل الخير عقباك   خانتك من بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها   طوباك ياليتني اياك طوباك
لكن هو الدهر فألقيه على حذر   فرب مثلك ينزو تحت اشراك

فلما أصبحت افرج عني ووصلني بأشياء لم تكن في حساني * حدثني علي بن هشام الكاتب عن أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما بعد أبي الى مصر لازمت أبا عبادة البحتري وأبا معشر المنجم وكنت أسر بهما في وحدتي وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويماشراني فحدثاني يوماً انهما ضاقا اضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما ان يلقيا المعتز بالله وهومحبوس فيترددا اليه ويؤصلا عنده أصلاً فتوصلا حتى لقياه في حبسه قال البحتري فأنشدته أبياتي التي قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وخاطبت بها المعتز كاني عملتها اليه في الحال

(شعر)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك   من الحادثات المشكو والنازل المشكى

وما هـذه الايام الا منازل ... فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما ... صفى الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في رسول الله يوسف اسوة ... لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة ... نال به الصبر الجميل الى الملك
على انه قد ضيم في حبسك العلى ... وأصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات فرفعها الي خادم كان واقفاً على رأسه وقال احفظها وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فذكرني بها لاقضي حق هذا الرجل الحر وقال لي أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقد له العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجري وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلمت ذلك الى المعتز وانصرفنا وضرب الدهر ضربه وصح الحكم بأمره قال لي أبو معشر فدخلت أنا والبحتري الى المعتز بالله وهو خليفة بعد خلع المستعين وتغريقه فقال لي المعتز لم أنسك وقد صح حكمك وقد أجريت لك في كل شهر مائة دينار رزقا وثلاثين دينارا نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وأمرت لك عاجلاً باطلاق الف دينار صلة فقبضت ذلك كله من يومي وقال لي البحتري فتقدمت وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها وهنأته بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها

يجانبنا في الحب من لانجانبه ... ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي

وكيف رأيت الحق قر قراره ... وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله اذ سرى ... ليعجز والمغتر بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر ... وعرى من برد النبي مناكبه
وقد سرني ان قيل وجد عاريا ... من الشرق تحدو سقبه وركائبه
الى واسط حيث الدجاج ولم يكن ... لينشب الا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد مني هذه الابيات مرارا فأعدتها ودعا بالخادم الذي كان معه

في الحبس وطلب الرقعة التي كنت انشدته الشعر الذي فيها في حبسه فأحضره اياها بعينها فقال قد أمرت لك بكل بيت منها بالف دينار وكانت ستة أبيات فأعطيت ستة آلاف دينار ثم قال لي كاني بك قد بادرت فاشتريت منها غلاماً وفرساً وجارية والتفت وقال لا تفعل فان لك فيما تستأنف معنا في أيامنا ومع وزرائنا واسبابنا اذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك ولكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل اليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها فقلت السمع والطاعة وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جليلة * أخبرني أبو بكر الصولي اجازة ونقلته من خطه قال حدثني ابراهيم القنوي قال طولب ابو سعيد الثغري بعد غزواته المشهورة وسلم الى أبي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذه بثار النصرانية فقال البحتري

أيا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الاسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى بين المداد وألسن الاقلام
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه يجزى على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه أمية لو دعت بنيام

فقرئ هذا الشعر على المتوكل فأمر باطلاق أبي سعيد وأمر باحضار البحتري واتصل به وكان أول شعر أنشده * جعلت فداك الدهر ليس بمنفك *

* وجدت في كتاب صاحب أبي الفرج المخزومي الخطى عن أبي طالب الجعفرى انه سمع رجلاً يحدث عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال كنت أتولى ضياع عجيف بكسكر فرفع علي اني خنته وأخربت الضياع فانفذ الى من يقيدني فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة فاذا هو يطوف على ضياع فيها فلما نظرني شتمني فقال اخربت الضياع ونهبت الاموال والله لاقتلنك هاتوا السياط فأحضرت وسحبت للضرب فلما رأيت ذلك ذهب عليّ أمري وبات على ساقي ونظر كاتبه الي فقال لعجيف أعز الله الامير أنت مشغول القلب بهذا البناء

وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت فمر بحبسه وانظر في أمره فان كانت الوقيعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته وان كانت باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم فأمر بي الى الحبس فمكثت به أياماً وغزا أمير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه الخبر فأمر باطلاقي وأطلقني وخرجت وما اهتدى الى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالي وعرض عليّ ماله فقلت بل تتفضل بتصريفي في شيء أستتر بجائزته فقلدني عملاً بنواحي ديار ربيعة واقترضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتي ماتجملت به الى العمل وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراثا فرأيتها في بعض طريقي ونزلت داراً منها فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف وخرجت من الدار فاذا بتلٍّ فجلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال أتدري على أي شيء بلت قلت على تل تراب فضحك وقال هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان كان سخط عليه وحمل مقيداً فلما صار الى ههنا قتل وطرح في هذا المكان تحت حائط فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لنواريه من الكلاب قال فتعجبت من بولي خوفاً منه وبولي على قبره * وروي ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي معمر عن رجل من أهل الكوفة قال كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبياً كثيراً وأقام ببعض المنازل فعرض السبي على السيف فقتل خلقاً حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله فقال ماحاجتك الى قتل شيخ مثلي ان تركتني جئتك بأسيرين من المسلمين شابين قال ومن لي بذلك قال اني اذا وعدت وفيت قال لست أثق اليك قال فدعني أطوف في عسكرك لعلي أعرف من يكفلني الى ان امضي وأجيء بالاسيرين فوكل به من أمره بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به فمازال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بني كلاب قائماً يحسن فرسه فقال يافتى اضمني من الامير وقص عليه قصته قال أفعل وجاء الفتى معه الى مسلمة فضمنه فأطلقه مسلمة فلما مضى قال اتعرفه قال لا والله قال ولم ضمنته قال رأيته يتصفح الوجوه فاختارني

من بينهم وكرهت ان اخلفه ظنه فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان فدفعهما الى مسلمة وقال يأذن الامير في هذا الفتى ان يصير معي الى حصني لا كافئــه على فعله معي قال مسلمة للكلبي ان شئت فامض معه فلما مضى وصار معه الى حصنه قال له يافتى تعلم والله انك ابني قال وكيف أكون ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني قال أخبرني عن أمك ماهي قال رومية قال فاني أصفها لك فبالله ان صدقتُ الا صدقتني قال افعل فأقبل الرومي يصف أم الصبي ماخرج منها شيئاً فقال هي كذلك فكيف عرفت اني ابنها قال بالشبه وتعارف الارواح وصدق الفراسة ثم أخرج اليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك في انها امه لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كانها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى فقال له الشيخ هذه جدتك وهذه خالتك ثم طلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه و يترشفونه فقال هؤلاء اخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ثم اخرج اليه حليا كثيراً وثيابا فاخرة فقال هذا لوالدتك عندنا منذ سبيت فخذه معك فادفعه اليها فانها ستعرفه ثم اعطاه لنفسه مالاً كثيراً وثيابا جليلة وحمله على عدة دواب و بغال والحقه بعسكر مسلمة وانصرف فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ انه لامه فتراه فتبكي فيقول لها قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يابني اسألك بالله من أي بلد صارت اليك هذه الثياب وهل قتلتم اهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه فقال لها الفتى صفة الحصن كذا وكذا وصفة البلد كذا وكذا ورأيت فيه قوماً من حالهم كذا فوصف لها امها واختها وأولادها وهي تبكي وتقلق فقال لها مايبكيك فقالت الشيخ والله أبي والعجوز أمي وتلك اختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها اليها فدفعه لها ٭ وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطي عن أبي امية الهشامي باسناده عن منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلاً بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير المال والاملاك مطاعاً في البلد له جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون

الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لايؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد علي هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته الى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبايع أمير المؤمنين الامين والمأمون والمؤمن اولاده فدعاني وهو خال فقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل وتكون ثم قص عليّ خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجهازات وأرحت عنك في الزاد والنفقة والآلات فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى امير دمشق ليركب في جيشه فاقبضوا عليه وجئني به وقد اجلتك لذهابك ستة ولعودك ستة ويوماً لمقعودك وهذا محمل تجعله في شقة اذا قيدته وتجلس أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع مافيها وولده وأهله وحاشيته وغلمانه وما يقولون وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ مايقوله الرجل حرفاً حرفاً من جميع الفاظه منذ وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به واياك ان يشذ عليك شيء من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت فركبت الابل وسرت اطوي المنازل واسير الليل والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت الى دمشق في اول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهرها الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى اتيت باب الرجل وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني فقالوا هذا منارة صاحب امير المؤمنين ارسله أمير المؤمنين الى صاحبكم فأمسكوا فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً فظننت ان الرجل فيهم فقاموا الي ورحبوا بي واكرموني فقلت أفيكم فلان قالوا لانحن أولاده وهو في الحمام قلت فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا افتقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجاً شديداً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان أطال فاسترببت واشتد قلقي

وخوفي من ان يتوارى الى أن رأيت شيخاً قد اقبل بزي الحمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان هم اولاده وغلمان كثيرة فعلمت انه الرجل فجاء وسلم علي سلاماً خفيفاً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة امر حضرته فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤه باطباق الفاكهة فقال لي تقدم يامنارة كل معنا فقلت مابي الى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل ياكل هو والحاضرون معه ثم غسل يده ودعا بالطعام فجاؤه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال لي تقدم يامنارة فساعدني على الاكل لايزيدني على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من أصحابه وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضاً وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لايرفع من بين يديه شيء قد جعل على المائدة الا ويوهب وقد كان غلمانه لما نزلت الدار اخذوا جمالي وجميع غلماني فعدلوا بهم الى دار له فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة او ستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع علي من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حفظه الى ان يلحقني امير البلد وجزعت جزعاً شديداً ورابني منه استخفافه بي وتهاونه بأمري ويدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الاكل ولا يسألني عما جئت له ويأكل مطمئناً وأنا افكر في ذلك اذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعى بالبخور فتبخر وأقام الصلاة فصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حسنة فلما انفتل من صلاته أقبل علي فقال ما أقدمك يامنارة فقلت امر لك من امير المؤمنين واخرجت الكتاب ودفعته اليه ففضه وقرأه ولما استتم قراءته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم اشك انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف والحبس ان اجتمع منهم اثنان في موضع وان ينصرفوا ويدخلوا غلمانه وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم احد الى ان ينكشف له امر يعمل عليه وقال هذا كتاب اميرالمؤمنين

تأمرني بالمسير الى بابه ولست اقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرًا وما بي حاجة ان يصحبني غلام هات اقيادك يامنارة فدعوت بها وكانت في سفط واحضر حدادًا ومد ساقيه فقيدته وامرت غلماني بحمله حتى حصل في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق امير البلد ولاغيره وسرت بالرجل ليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي ولي فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى بستان آخر فقال لي فيه مثل ذلك ثم انتهينا الى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لى ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشتد غيظي منه فقلت له علمت اني شديد التعجب منك قال فلم قلت ألست تعلم ان امير المؤمنين قد اهمه أمرك حتى انفذ اليك من انتزعك من بين اهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيدًا فريدًا مقيدًا لاتدري ماتصير اليه ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك وضياعك هذه وانت ساكن القلب قليل الفكر فقال لي مجيبًا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت فراستي فيك قدّرتك رجلاً كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد ان عرفوك بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان اما قولك في امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ملكوت السموات والارض شاهد كل نجوى وكاشف كل بلوى حاضر كل سريرة وبيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك معه لنفسه نفعًا ولاضرًّا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف امري وعلم سلامتي وصلاح حالي وان الحسدة والاعداء رموني عنده بما لست في طريقه وتقولوا عليّ الاقاويل الكاذبة لم يستحل دمي ويخرج من ذمتي وازعاجي وردي مكرمًا أو اقامتي ببابه معظمًا وان كان قد سبق في علم الله تعالى انه يبدو منه الى بادرة سوء وقد حضر أجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة

والانبياء وأهل السماء والارض على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم أتعجل الغم وأتساف الفكر فيما قد فرغ منه وأين حسن الظن بالله عزوجل الذي خلق ورزق وأحيا وامات وفطر وجبل واحسن واجمل وأين الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب أنك تعرف هذا فاذا قد عرفت مبلغ فهمك لا اكلمك أبدًا بكلمة واحدة حتى تعرف حضرة امير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى ثم أعرض عني فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح الا بطالب ماء او حاجة تجري مجراه حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر فاذا النجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا متقدمين لي بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك واياك ان تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث الى آخره حتى انتهيت الى الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجهه و يتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة واقباله الي ومسألته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأنسابه وأهله واصحابه وحلفه لهم ان لا يتبعه احد منهم وصرفه اياهم ومد رجله حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ماخاطبني به عند توبيخي اياه لما ركب المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري قد أزعجناه وروعناه وأرعنا اهله فبادر بنزع قيوده عنه واتني به فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياة يجول في وجهه فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردًا جميلاً وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسائله عن حاله ثم قال له انه بلغنا عنك فضل هيئة وأمور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجاتك فأجاب الاموي جوابًا جميلاً وشكر ودعاء وقال أما حاجاتي فما لي الا حاجة واحدة قال مقضية فما هي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي

وولدي قال نحن نفعل ذلك ولكن سل ماتحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لايخلو ان يحتاج الى شيء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعد له عن مسألته من ماله واموري منتظمة واحوالي مستقيمة وكذلك امور أهل البلد بالعدل الشامل في ظل دولة امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظاً الى بلدك وا كتب لنا بأمر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجاً قال الرشيد يامنارة احمله من وقتك وسر راجعاً كما سيرته حتى اذا اوصلته الى المجلس الذي أخذته منه فدعه وانصرف ففعلت ذلك * حدثني علي بن هشام قال سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يتحدث قال سمعت عبيد الله بن سليمان ابن وهب يقول حدثني أبي قال كنت أنا والعباس بن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك في آخر وزارته للواثق نطالب ببقيامصادرات ونحن في اياس من الفرج اذ اشتدت علة الواثق وحجب ستة أيام عن الناس فدخل اليه أبو عبدالله احمد بن أبي دؤاد القاضي فقال له الواثق يا أبا عبد الله وكان يكنيه ذهبت مني الدنيا والآخرة قال كلا يا أمير المؤمنين قال بلى والله قد ذهبت مني الدنيا بما ترى من حضور الموت وذهبت الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء قال نعم يا أمير المؤمنين قد عزل محمد بن عبد الملك كثيرًا من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم الف يد ترفع الى الله عز وجل بالدعاء عليك فتأمر باطلاقهم لترتفع تلك الايادي بالدعاء لك فلعل الله يهبك العافية وعلى كل حال أنت محتاج الى ان تقل خصومك فقال نعم ما أشرت به وقع اليه عني باطلاقهم فقلت ان رأى خطي عاند ولج ولكن يغتنم أمير المؤمنين الثواب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقع بخطه فوقع الواثق بخط مضطرب الي ابن الزيات باطلاقهم واطلاق كل من في الحبس من غير استئمار ولا مراجعة وتقدم الى أيناخ ان يمضي بالتوقيع ولا يدعه يعمل شيئاً أو يطلقهم وان يحول بينه وبين الوصول اليه او كتب رقعة او اشتغال بشيء ألبتة الا بعد

اطلاقهم وانه ان لقيه في الطريق ان ينزله عن دابته ويجالسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك فتوجه ايناخ فلقى ابن الزيات راكبا يريد الخليفة فقال له تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل اليه التوقيع فامتنع وقال اذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الاموال واقيم الاتراك فقال لابد من ذلك فقال اركب واستأذنه فقال لاسبيل الى ذلك قال فدعي اكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع باطلاق الناس فصار ايناخ الينا ونحن في الحبس اياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة الواثق وأرجف لابنه بالخلافة وكان صبياً فخفنا ان يتم ذلك فيجعل ابن الزيات الصبي شيخًا ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الاكل فلما دخل ايناخ الحبس لم نشك انه قد حضر لبلية فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا الله عز وجل لابن أبي دؤاد وللخليفة وانصرفنا الى منازلنا لحظة ثم خرجنا فوقفنا لابي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق ننتظر عوده من دار الخلافة الى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه فأكبر ذلك عليه ومنعنا من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وساير نا الى منازلنا وأخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر مافعل ويقول هذا أقل حقوقكم وكان الذي لقيه أنا واحمد بن الخصيب وقال ستعلمان ما أعمله مستأنفا ورجع ابن أبي دؤاد الى دار الخلافة عشياً فقال له الواثق قد تبركت برأيك يا أبا عبد الله ووجدت خفًا من العلة ونشطت للاكل فأكلت وزن خمسة دراهم من الخبز بصدر دراج فقال له أبو عبد الله يا أميرالمؤمنين تلك الايدي التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعولك عشية ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك الا انهم قد صاروا الى دور خراب واحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعاً وهزالاً قال فما ترى قال يا أمير المؤمنين في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت ان ينظر في ذلك فكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية قال فوقع بذلك عنى فوقع عنه ابن

أبي دؤاد فما شعرنا من الغد الا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة أيام وفرج الله عز وجل عنا بابن أبي دؤاد وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا

* حدثني أبو الحسن علي بن هشام قال سمعت أبا الحسن علي بن عيسى وأبا الحسن الايادي الكاتب يقولان كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه اذ دخل عليه احمد بن خالد الصرفيني الكاتب فقام اليه أبي قائماً من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا لان رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لاحد ممن خلق الله تعالى ممن يدخل اليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي يابني اذا خلونا فاسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل قال وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيا فلما جلسنا نأكل لم أذكره الى ان رأيت الطعام كاد ينقضي فقال لي هو يابني شغلك الطعام عما قلت لك ان تذكرني به فقلت لا ولكن أردت ان يكون ذلك على خلوة فقال يابني هذه خلوة ألست انكرت أنت والحاضرون قيامي لاحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به قلت نعم فقال كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها وقد كانت مدته فيها طالت فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثارا منه ولا اعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا وهو من أبغض الناس الى وأشدهم اضطراب اخلاق فلم أتعلق عليه بحجة ووجدته قد أخر رفع الحساب لسنة متقدمة لسنته التي هو فيها ولم ينفذه الى الديوان فسألته ان يحط من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة الف دينار لاخذها لنفسي فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته ونزلت معه الى مائة الف واحدة في السنتين وحلفت بايمان موكدة اني لا أقنع منه بأقل من هذا فأقام على امتناعه وقال أنا لا أخون لنفسي فكيف أخون لغيري وأزيل ماقام به جاهي من العفاف فحبسته

وقيدته فلم يجب واقام مقيدًا في الحبس شهورًا وكتب عرق الموت يضرب عليّ
عند المتوكل ويحلف ان أموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤنتي ويصف احمد بن خالد
ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فأنا ذات يوم علي المائدة آكل اذ وردت الى رقعة
احمد بن خالد يسألني استدعاءه لمهم يلقيه الي فلم أشك انه قد ضاق بالحبس
والقيد وقدعزم على الاستجابة لمرادي فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فأخليته فقال
اما آن لك ياسيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك ولا جرم ولا قديم
دخل ولا عداوة فقلت انت اخترت لنفسك هذا وقد سمعت يميني وليس منها
مخرج فاستجب لما أمرت به واخرج فأخذ يستعطفني ويخدعني ويخدعني فقال لي
ياسيدي فليس الآن عندك غير هذا فقلت لا فقال اذا كان ليس غير هذا فاقرأ
ياسيدي وأخرج الي كتابا لطيفا مختوما في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو بخط
المتوكل الذي اعرفه وهو الي يأمرني فيه بالانصراف وتسليم ما اتولاه الى احمد
ابن خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب فورد على أقبح مورد لقرب
عهد الرجل بشتمي له واساءتي اليه فأمسكت مبهوتا ولم ألبث ان دخل أمير البلد
في أصحابه وغلمانه فوكل بداري وبجميع ما أملكه وبأصحابي وغلماني وجها بذي
وكتابي وجعلت ازحف من صدر المحل حتى صرت بين يدي احمد بن خالد ودعا
أمير البلد بحداد فحل قيده فوثب قائما وقال لي يا أبا ايوب أنت قريب عهد
بعمالة هذا البلد ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست
تسعك الا هذه الدار وكانت دار العمالة وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لي
كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار
وأخذ كاتبي وأسبابي اليه فلما انصرف قلت لغلماني هذا الذي نراه في النوم انظروا
من وكل بنا فقالوا ماوكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجبا عظيما وما صليت العصر
حتى عاد الى من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة مطلقين وقالوا
أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة واطلقنا قال فازداد عجبي فلما
كان من غد باكرني مسلما ورحت اليه في عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين

يوماً ان سبقني الى المجيء والا رحت اليه وان راح الي والا باكرته وفي كل يوم تجيئني هداياه والطافه من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد الثلاثين يوماً جاءني وقال قد عشقت مصر ياأبا ايوب والله ماهي طيبة الهواء ولا عذبة الماء وانما تطيب بالولاية والاكساب ولو قد دخلت الى سر من رأى لما اقمت بها الا شهراً واحداً حتى تتقلد أحد الاعمال فقلت والله ما انا الا متوقع لامرك في الخروج فقال أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب واخرج في حفظ الله فأحضرت كاتبي وأخذت خطه كما اراد وسلمته اليه وقال لي أخرج اي يوم شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشيعوني الى ظاهر البلد وقالوا لي تقيم في اول منزل على خمسة فراسخ الى ان ازيح علة قائد ويصحبك برجاله الي الزملة فان الطريق فاسد فأستوحشت لذلك وقلت هذا انما غرني حتى اخرج كل ما املكه فيتمكن منه في ظاهر البلد فيغتصبه ثم يردني الى الحبس والتوكيل والمطالبة ويحتج علي بكتاب ثان يذكر انه ورد من المتوكل فخرجت فأقمت بالمرحلة التي امر بها مستسلماً متوقعاً للشر الى ان رأيت اوائل عسكر مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبني اياه او لعله الذي يريد ان يقبض علي به فأمرت غلماني بمعرفة الخبر فقالوا العامل احمد بن خالد قد جاء فلم أشك في انه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربي فلقيته وسلمت عليه فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم اشك انه للقبض عليّ وطار عقلي فقام من كان عندي فلما لم يبق احد قال أنا اعلم ان ايامك لم تطل بمصر ولا حظيت بكثير فائدة وذلك الباب الذي سألتنيه في ولايتك فلم اجب اليه انما اخرت الاذن لك في الانصراف منذ اول الامر الى الآن لاني تشاغلت بالفراغ لك منه وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر الف دينار تكون في السنتين ثلاثين الف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون أيسر مما اردته مني في ذلك الوقت وقد تشاغلت به حتى جمعته لك وهذا المال على البغال فقدم اليّ من يستلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت قد والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة فأنكر ذلك

مني وتقبض منه وقبل يدي ورجلي وقال هاهنا شيء آخر اريد ان تقبله مني فقلت ما هو قال خمسة آلاف دينار قد استخفيتها من رزقتي فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية فخاف اني اقبلها منه فقبلتها فقال وهذه الطاف من هدايا مصرأحببت ان اصحبك اياها فانك ستصير الى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة و يقولون لك وليت مصر فاين نصيبنا من هداياها ولم تطل أ ياملك فتعد ذلك لهم وقدجمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت واخرج درجاً فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب دبيقي وقصب وخدم و بغال ودواب وحمير وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسلمه وزدت في شكره فقال لي ياسيدي أنا مغري بحب الفرش وقد عمل لي بيت أرمني بأرمينية وهو عشر مصليات بمخادّها ومساندها ومطارحها و بساطها وهو مذهب بطرز مذهبة قد قام علي بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان اهديته الى الوزير عبدك وان اهديته الي الخليفة ملكته به وان أبقيته لنفسك وتجملت به كان احب اليّ وحمله الي فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي باهدائه الى احد ولا استعماله فما ابتذلت منه شيئاً الا يوم اعذارك فهل تلومني يا بني بعد ذلك على ان أقوم لهذا الرجل قال فقلت لا والله يا ابي ولا على ما هو أكثر من القيام لو كان مستطاعاً قال فكان ابي بعد ذلك اذا صرف رجلا عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول علمنا احمد بن خالد حسن التصرف * حدثنا ابو علي الحسين بن محمد بن موسى الانباري الكاتب الذي كان زوج ابنة المهلبي بن محمد رحمهم الله باسناده ان القاسم بن عبيدالله لما تفرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف ان يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه و ينسبه الى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الاعمال وكان لايشرب الا في حالين على اخفاء وأستر ما يكون وانه خلا يوماً مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم الى نصف الليلة الاخرى ونام بقية الليلة وبكر الى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئاً وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين

المعتضد عليه قال له يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا الى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات قال فقبل الارض ووري عن الصدق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غماً لوقوف المعتضد على هذا القدر من امره وكيف لا تخفى عليه مواقفه فجاء الى داره كئيباً وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع اليه أمورها فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له ان بحثت لي عمن اخرج هذا الخبر اليه زدت في رزقك واجزتك كذا وان لم تعرفه نفيتك الى عمان وحلف له على الامرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيراً كئيباً لا يدري ما يعمل يومه ويفكر ويحتال ويجتهد فما وقع له رأي يعمل عليه قال صاحب الخبر فلما كان من الغد بكرت الى دار القاسم زيادة تبكير على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليلة وتحبني للبحث فجئت ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فاذا برجل يزحف في ثياب المسكدين ومعه مخلاة كما يكون مع المكدين فلما جاء الى الباب جلس حتى فتح فسابقني الى الدخول فأولع به البوابون وقالوا اي شيء خبرك يا فلان وصفعوه فمزحهم وطايبهم وشتمهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال الوزير يركب اليوم قالوا نعم الساعة يركب قال وأي وقت نام البارحة قالوا وقت كذا وكذا فلما رأيته يسأل عن هذا خمنت انه صاحب خبر فاصغيت اليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بوابا ممن وصل الى الوزير وممن لم يصل الا سأله عنه وحدثه به ويبدؤه باحاديث أخر على سبيل الفضول ثم زحف فدخل الى جنب اصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله ثم زحف فدخل الى دار العامة فقلت لاصحاب الستور من هذا فقالوا رجل زمن فقير أبله طيب النفس يدخل الدار ويتطايب ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون فتبعته الى ان دخل المطبخ فسأل عما اكل الوزير ومن كان معه على المائدة وفي أي شيء أفاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشيء ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن كل شيء ويحدث ثم خرج الى خزانة الكسوة فكانت حالته

وصورته هذه ثم جاء الى مجلس الكتاب في الديوان فقصد واقبل يسمع ما يجري و يسأل الصبي بعد الصبي والحدث بعد الحدث عن الشيء بعد الشيء و يستخبر الخبر في كل موضع من تلك المواضيع ويتتبعه و يخلط الجد بالمزاح والتطايب بكلامه والاخبار تنجرّ اليه وتتساقط عليه والقطع تجيئه وهو يملأ تلك المخلات فلما فرغ من هذا أقبل راجعاً يريد الباب فلما بلغه قبضت عليه فأدخلته بيتاً وأغلقت عليه وجلست على بابه فلما خلا الوزير أعلمته فقال أحضر لي الرجل وفي رواية اخرى انه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء الى موضع من الخلد فدخل اليه ووقفت انتظره فاذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب حسان ماشياً بغير قلبة فتبعته حتي جاء الى دارقرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها فسألت عنها فقالوا هذه دار فلان الهاشمي رجل متجمل فرصدته الى وقت المغرب فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورمي اليه برقعة لطيفة فأخذها الخادم وانصرف فجئت فطلبت من الوزير غلاما فسلم الي ماطلبت فبكرت من سحر الى الدار التي في الخلد فاذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذي دخل به داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع فاذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المكدين التي رأيتها عليه اولاً فحملته وغطيت وجهه وكتمت أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلت اليه وقصصت عليه الخبر قال ففوض القاسم شغله وخلا واستدعاه فقال لتصدقني عن أمرك اولا ترى ضوء الدنيا ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبدًا قال تؤمنني قال أنت آمن فنهض لاقلبة به فتحير القاسم وقال الرجل أنا اخبرك أنا فلان بن فلان الهاشمي رجل متجمل وانا المخبر عليك للمعتضد منذ كذا وكذا فانزل بدرب يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجري على المعتضد خمسين دينارًا في الشهر وأخرج كل يوم بالزي الذي لاينكره جيراني فأدخل دارًا في الخلد بيدي منها بيت بأجرة فيظن أهلها اني منهم ولا ينكروني للزي فاخرج من هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس لحية فوق لحيتي مخافة للونى حتى ان لقيني في الطريق بالاتفاق بعض من يعرفني انكرني وامشي زحفًا من الخلد الى دارك فاعمل

جميع ما عرفت وأقتني أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضي ويخرجون الي بالاسترسال مالو بذل لهم فيه من الاموال لم يظهروه ثم اخرج فأجيء الى موضع من الخلد فأغير ثيابي وأعطى ذلك الذي قد اجتمع معي في المخلات للمكدين وألبس ثيابي التي يعرفوني بها جيراني وأعود الى منزلي وآكل وأشرب وألعب بقية يومي فاذا جاء المغرب جاءني خادم من خدم دار ابن طاهر مندوب لهذا فأرمي اليه من روزنة لي برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا افتح له بابا فاذا كان بعد تسعة وعشرين يوماً جاءني الخادم فأنزل اليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم ويعطيني جائزة ذلك الشهر ولولا اني لم أر صاحب خبرك ولا فطنت له لما تم عليّ هذا ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفي على انه صاحب خبر ولكنت رجعت من الموضع الذي أراه فيه فلا يعرف خبري وبعد ذلك فانما تم عليّ هذا لان اجلي قد حضر فالله الله في دمي قال فاصدقني عما رفعته عني الى المعتضد قال فحدثه باشياء رفعها منها خبر الثياب المصبغات قال فحبسه القاسم أياماً وأخفى أمره وأنفذني الى منزله وقال راع أمرهم وانظر ما يجري فمضيت الى داره التي وصفها بدرب يعقوب فجلست الى المغرب فجاء الخادم فصاح به فقالت له الجارية ما رجع اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط وقد قامت قيامتنا والله فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية ما جاء اليوم أبداً وقد والله اشتد همنا وأشفقنا ان يكون قد حدثت عليه حادثة لا نعرفها فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له يا هذا قد والله يئسنا منه ولا شك في انه هلك والمآتم قد اقيمت عليه في منزل امه وعمومته فانصرف الخادم وجئت الى القاسم بالخبر فلما كان من الغد ركب القاسم الى المعتضد فحين رآه استدعاه وساره وقال ابراهيم الهاشمي المتزامن بحياتي أطلقه وأحسن اليه وأنت آمن بعدها من ان أنصب عليك صاحب خبر ووالله لئن احدثت به حادثة لا عرفت في دمه أحداً غيرك فقبل الارض وانصرف فعاد الى داره وحمد الله تعالى اذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بمال له

قدر وصرفه وانقطعت اخباره عن المعتضد * حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول التنوخي بالاسناد عن ابى القاسم عبيد الله بن سليمان وهو وزير في يوم من ايام جلوسه للمظالم اذ وقعت في يده رقعة فقرأها وتوقف ساعة كالمفكر ثم قال أين عمر بن محمد بن عبد الملك فأدخل عليه فقال أنت عمر قال نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال فتوقف ايضاً ساعة ثم قام الى خلوة له ولم يطل وعاد الى موضعه فوقع لعمر بن محمد بجائزة ولم يزل كالمفكر الى ان تفرق الناس وخلا المجلس ممن يحتشم فقال لنا وقفتم على خبر هذا الرجل قلنا قد وقفنا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره ولم نقف على السبب فقال احدثكم بحديثه فأنه ظريف حدثني أبي ابو ايوب رحمه الله تعالى قال كنت في يدي محمد بن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب وكان يحضرني كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وانا في قيودي وعلي جبة صوف وكان أخي الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيأ له في امري شيء الا انه كان اذا رآني مقبلاً استقبلني فاذا رجعت الى موضعي شيعني اذ أقبل في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس الي الصبي يقبلونه ويدعون له سواي فكنت مشغولاً بنفسي فلم أتحرك فأخذه محمد وضمه اليه وقال يا سليمان لم لا تفعل بهذا الصبي كما فعله اهل المجلس قلت اشغلني عن ذلك ما أنا فيه قال لا ولكنك لم تطق ذلك عداوة لابيه وله وكأني بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئاً تؤمله وأشرف بعد ذلك في الاستماع فعلمت انه قد بغي ووثقت من الله عز وجل بجميل عادته وانه سيبلغني ما آمله فيه عنادا لبغيه قال ولم يمض الا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك وقلدني مناظرته واحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ومعه الصبي يبكي فقلت ماخبر هذا الصبي فقال قد منع من كل ماله وأدخل في الاحصاء فقلت لا بأس عليه فدخلت فسلمت اليه كل ما كان له ثم قال لي فينبغي يا بني ان تهيأت لك حال ورأيت الصبي وهو عمر بن محمد ان تحسن اليه وتقابل نعمة الله تعالى فيه بما يجب لها فلما رأيته في هذا الوقت تذكرت

ما قاله ابو ايوب رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما اشار به وأنا اتقدم بعد الذي فعلته به الى ابي الحسين بتصريفه وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله عند ابي الحسين الى ان استخلفه في دار ابي النجم مدبرا بين يديه وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء انه وجد بخط ميمون بن هارون عن ابي محمد داود بن الجراح وقد وقع الي من وجه آخر على خلاف ذلك باسناده عن جماعة قالوا كلهم حضرنا مجلس عبيدالله بن سليمان في اول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة وكان جالساً للمظالم فقرأها قراءة متثاقل لها متفكر متعجب ثم قال نعم وكرامة ثلاث مرات افعل ماقال أبي لا ماقال ابوك وكرر هذا القول ايضاً ثلاث مرات ثم قال له عد الى وقت العصر لانظر في أمرك ثم قال لنا اذا خلوت فذكروني بحديث هذا لاخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكلنا أكثر الاكل قال لنا ما أراكم ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة فقلنا أنسينا فقال حدثني ابي قال كنت في زمن محمد بن عبد الملك في ايام الواثق لما صادرني عن كتابة ايناخ على اربعمائة الف دينار وقد أديت منها مائتي الف ونيفاً وأربعين الف دينار فاستحضرني يوماً وطالبني بالباقي وحدني فيه وارهبني ولم يرض مني الا إن اجبت أن أؤدي خمسين الف دينار قاطعة للمصادرة على ان يطلق ضياعي قال ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعد اذ خرج اليه خادم من دار حرمه برقعة فقرأهـا ونهض فكان بحضرته أخي ابو علي الحسين بن وهب وهو غالب عليه الا انه يخافه ان يتكلم في امري وهو يرى مايجرى ولا يقدر ان يكلمني ولا يكلمه فلما قام الوزير رمى الى اخي برقعة لطيفة فوقعت في حجري فاذا فيها جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابناً خلقاً سوياً وهو جسم بغير اسم فما تحب ان يسمى ويكنى فقلت له عبيد الله ابو القاسم فكتب بذلك في الحال الى منزلي قال وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس وحدثت نفسي بانك تعيش وتبلغ وانتفع بك قال وعاد محمد الى مجلسه فأعاد خطابي فلم استجب له وأخذت ادافع فقال لي يا أبا ايوب ما ورد عليك بعدي أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلفتك منذ ساعة

فقلت ما ورد علي شيء فقال والله لئن لم تصدقني لافعلن وأصنعن فقلت ما عندي ما اصدق عنه فأقبل علي اخي فقال لتخبرني بشأنه فخافه أخي فصدقه عن الصورة فسكن وقال له أتعرف لاي شيء قمت أنا فقال لا قال كوتبت بان ولداً ذكراً سوياً قد ولد لي فدخلت فرأيته وأسميته باسم ابي وكنيته بأبي مروان قال سليمان فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت ايها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابناً فارحمني وارع سالف خدمتي لك واجعل ابني موسوماً بخدمة ابنك يسلم معه في المكتب ويتعلمان وينشوان في دولتك فيكون كاتباً له فحملته اللدادة والقسوة التي فيه الى ان قال يا أبا أيوب أعلى تجوز بي وتستفز وتخاتل قد حدثتك نفسك بأن أبنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة ورجوت في نوائب الزمان وقلت ارجو ان يحتاج ابنه الى ابني حتى يطلب منه الاحسان والفضل فاذا استحلفك بالله وأحرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا وصيته ان جاءه ابني لشيء من هذا أن لا يحسن اليه قال فأعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال ان هذا غاية البغي فان الله عز وجل سيخرج ابنه الى ابني فيحقق فيها ما قاله وظننته وما مضت الا مدة مديدة حتى فرج الله عني ثم قال لي أبي يابني بالله ان رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك الا احسنت اليه قال وضرب الدهر مضربه فما عرفت لابي مروان خبراً حتى رأيته اليوم فكان ماشاهدتم ثم أمر بطلب أبي مروان فأحضر فوهب له مالاً وخلع عليه وحمله وقلده ديوان البريد والخرائط قال ابو الحسين فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت الى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فانه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة او أكثر وكان كتب الى عبيد الله اول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد فأراد عبيد الله ان يتكرم عليه فقال له أنت على كل حال ابن وزير وما أحب ان تتعبد لي فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال لا تسمح نفسي بهذا ولكني اكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال اكتب فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها الى جميع الوزراء الى ان

مات في وزارة ابن الفرات الثالثة فصاركالمترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيدالله وغلب عليه ان عرف بأبي مروان الخرايطي ونسي نسبه الى ابن الزيات الا من كان يعرفه من الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ * ووجدت في بعض الكتب بغير اسناد ان عبيد الله بن زياد لما بني داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضي الله عنه صوّر في بابها رؤساً مقطعة وصوّر في دهايزها اسدًا وكلباً وكبشاً وقال اسد كالح وكبش ناطح وكلب نائم فمر بالباب اعرابي فقال أما ان صاحبها لا يسكنها الا ليلة لا يتم فرفع الخبر الى ابن زياد فأمر بالاعرابي فضرب وحبس فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير الي قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس الى طاعته فأجابوه وراسل بعضهم بعضا بالوثوب عليه من ليلتهم وأنذره قوم منهم كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب المشهورة بينهم و بين تميم بسببه حتى اخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج الاعرابي ولم يعد ابن زياد الى داره وقتل في وقعة الجازر * حدثني القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال سمعت ابن عمرو الغنوي يقول لما أسرني ابو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه معي المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده أسيرًا آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة اذ جاءني رسوله فأخذ قيودي وغير ثيابي وأدخلني اليه فسلمت وجلست فقال لي أتدري لم استدعيتك قلت لا قال أنت رجل عربي ومن المحال ان استودعتك امانة ان تخفرها ولا سيما مع مني عليك بنفسك فقلت هو كذلك قال اني فكرت فاذا لا طائل في قتلك واذا في نفسي رسالة الى المعتضد لا يجوز ان يؤديها غيرك فرأيت اطلاقك وتحميلك اياها فان حلفت لي ان تؤديها سيرتك اليه فحلفت فقال تقول للمعتضد ياهذا لم تخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبها في طلبي وانفاذ الجيش اليّ وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد وانما أنا قد رضيت لنفسي بخشونة العيش والامن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح وما اغتصبتك بلدًا

كان في يدك ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت الي جيشا من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا فانما غرضهم ان يبدوا عذرًا في مواقفتنا ساعة ثم يهربون فان ثبتوا مع مالحقهم من وعثاء السفر وشدة الجهد التي هي اكثر اعواني عليهم فما هو الا ان أخفق عليهم حتى انهزموا وا كثر ماتقدر عليه ان يجيئوا فيستريحوا ويقيموا ويكونوا عدة لاقبل لي بهم فيهزموني اذا قاتلوني لايقدر جيشك على اكثر من ذلك فما هو الا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخًا أو ثلاثين وحوات من الصحراء شهرًا او اثنين ثم اكبسهم على غرة فقتلت جميعهم ولولم يستولي هذا وكانوا متحرزين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغي طلبي في الصحاري ثم لايحملهم البلد في المقام ولا الزاد ان كانوا كثيرين فان انصرف الجمهور وبقي الاقل فهم قتلي سيوفي اول يوم ينصرف الجيش و يبقى من يتخلف هذا ان سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائه وهوائه للذين نشؤا في ضده وربوا في غيره ولا عادة لاجسامهم بالصبر عليه ففكر في هذا وانظر هل يفي تعبك وتغريرك بجيشك وعسكرك وانفاقك الاموال وتجهيزك الرجال وتكلفك هذه الاخطار وتحملك هذه المشاق لطلبي وأنا مع ذلك خالي الدرع منها سليم النفس والاصحاب من جميعها وهيبتك تنقص في الاطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شيء من هذا ثم لاتظفر من بلدي بطائل ولاتصل منه الى مال أوحال فان اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت وان امسكت فذاك اليك قال فأنفذني ثم جهزني وأنفذ معي عشرة من أصحابه الى الكوفة فسرت منها الى الحضرة فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت سبب أذكره سرًا لامير المومنين فتشوف اليه وخلا بي وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمعط في خلده غيظًا حتى ظننت انه سيسير بنفسه اليه وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف * حدثني ابو محمد يحيي بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي رحمه الله تعالى قال حدثني جماعة من ثقاة

اهل الموصل ان فاطمة بنت احمد بن علي الكردي زوجة ناصر الدولة ام ابي تغلب اتهمت عاملاً كان لهـا يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالهـا فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ثم رأت ان تقتله فكتبت الى المتوكل بالقلعة بقتله فورد عليه الكتاب وكان لايحسن ان يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب الا ابن أبي قبيصة فدفع الموكل بالقلعة الكتاب اليه وقال له اقرأ فلمـا رأى فيه الامر بقتله قرأ الكتاب بأسره الا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن ابي قبيصة ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن ان يرد كتاب آخر في هذا المعنى و يتفق حضور من يقرأه غيري فينفذ الامر فى وسبيلي ان أحتال عليه بحيلة فان تمت سلمت وان لم تتم فليس يلحقني اكثر من القتل الذي أنا حاصل فيه فتأملت القلعة فاذا فيها موضع يمكن ان أطرح نفسي منه الى أسفل الا أن بينه و بين الارض اكثر من ثلاثة آلاف ذراع وفيه صخر لايجوز ان يسلم معه من يقع عليه قال فلم أجسر ثم ولد لي الفكر اني تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعاً فغطى تلك الصخور فصار فوقها امر عظيم يجوز ان سقطت عليه وفي اجلي تأخير ان ينكسر بعض بدني وأسلم قال وكنت مقيداً فقمت لما نام الناس فطرحت نفسي من الموضع قائماً على رجلي فحينما حصلت في الهواء ندمت وأقبلت استغفر الله وأتشهد وغمضت عيني حتى لا أرى كيف اموت وجمعت رجلي بعض الجمع لاني كنت سمعت قديماً ان من اتفق عليه ان يسقط قائماً من مكان عال اذا جمع رجليه ثم ارسلها اذا بقي بينه و بين الارض قدر ذراع او اكثر قليلا ان يسلم وينكسر حد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين قال ففعلت ذلك فلما سقطت الى الارض ذهب عني أمري وزال عقلي ثم آب الي فلم اجد ما كان ينبغي ان يلحقني من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس اعضائى شيئاً فشيئاً فأجدها سالمة وقمت وقعدت وحركت يدي و رجلي فوجدت ذلك كله سالماً فحمدت الله تعالى على تلك الحال وأخذت صخرة وكان الحديد الذى قد صار في رجلي كالزجاج لشدة البرد قال فضربته ضرباً شديداً فانكسر فطن حتى ظننت

انه سيسمعه من في القلعة لعظمه فينتبهون الي فسلم الله عز وجل من هذا أيضاً وقطعت تكتي وشددت ببعضها القيد على ساقي وقمت أمشي في الثلج فمشيت طويلاً ثم خفت أن يروا آثاري من غد في الثلج على المحجة فيتبعوني فلا أفوتهم فعدلت عن المحجة الى نهر يقال له الخابور فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت في الماء الى ركبتي وأقبلت أمشي كذلك فرسخاً حتى انقطع أثري ثم خرجت لما كادت اطرافي تسقط من البرد فمضيت على شاطئه ثم عدلت أمشي فيه وربما حصلت في موضع لا أقدر على المشي فيه لأنه يكون جرفاً فأسبح واستمريت على ذلك اربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بي فاذاهم أكراد فقصصت عليهم قصتي واستجرت بهم فرحموني وأوقدوا بين يدي وأطعموني وستروني وانتهى الطلب من غد اليهم فما اعطوا بخبري أحداً فلما انقطع الطلب سيروني حتى دخلت الموصل مستتراً وكان ناصر الدولة ببغداد اذ ذاك فانحدرت اليه وأخبرته بخبري كله فعصمني من زوجته وأحسن اليَّ وصرفني * حدثني ابو علي بن عبيدالله الحسين بن عبدالله الجصاص الجوهرى قال سمعت أبي يحدث قال لما نكبني المقتدر وأخذ مني تلك الاموال العظيمة اصبحت يوماً في الحبس آيسا من الفرج فجاءني خادم فقال البشرى فقلت ما الخبر قال قم قد أطلقت فقمت معه فاجتاز بي في بعض طرق دور الخليفة يريد اخراجي الى دار السيدة لتكون هي التي تطلقني لانها هي التي شفعت فيَّ فوقعت عيني في اجتيازي على اعدال خيش لي أعرفها كان مبلغها مائة عدل فقلت للخادم أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري فقال بلى فتأملته فاذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالاً قد حملت الي من مصر كل عدل منها فيه الف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في أعدال الخيش لانها مما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وان وقعوا به لا يفطنون لما فيه فوصلت سالمة ولاستغنائي عنها وعن المال لم أخرجه من الاعدال وتركته بحاله في بيت في داري وأقفلت عليه وتوخيت بذلك أيضاً سر حديثه فتركته شهوراً على حاله لأنقله كما أريد في أي وقت أرى ولما حبست

أخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ولخسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحد ما فيه فطرح في تلك الدار فلما رأيته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في ارتجاعه فسكت فلما كان بعد أيام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي اليها وسألتها ان تدفع الي ذلك الخيش لانه لاقدر له عندهم وأنا انتفع بثمنه قال فاستحمقتني وقالت وأي قدر لهذا الخيش ردوه عليه فسلم الي بأسره ففتحته وأخذت منه المائة الف دينار وما ضاع منها دينار واحد وأخذت من الخيش ما احتجت اليه وبعت باقيه بجملة وافرة وقلت في نفسي انه قد بقيت لي بقية اقبال جيدة * حدثني علي بن هشام قال سمعت حامد بن العباس يقول ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلاً حرًّا فأحسنت اليه وبررته فكنت اعتمد على عناية أبي العباس بن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لاسماعيل يدخل الى مجالسه الخاصة ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصحبة فصار الي في بعض الليالي وقال قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك وقال له مايكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويتهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأى فقال تكتب رقعة الى رجل من معامليك تعرف شحه وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها وتسأله ان يجيبك على رقعتك فان الشحة توجبه ان يردك بعذر وتحتفظ على الرقعة فاذا طالبك الوزير تخرجها على غير مواطأة وتقول قد افضت حالي الى هذا فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خمنا وشددت الرقعة معي فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة اليه وأقرأته اياها ورققته وكلمته فلان واستحى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبته الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين ديناراً في كل سنة وهو باق الى الآن * أخبرني ابو الفرج علي بن الحسين

المعروف بالاصفهاني بالاسناد عن محمد بن ابي العتاهية قال حدثني ابي قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه الى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرًا هائلاً ورميت بطرفي أطلب موضعاً آوي فيه أو رجلا آنس بمجالسته فاذا أنا بكهل حسن السمت نظيف الثياب يبين عليه سيا الخير فقصدته وجلست اليه من غير ان أسلم عليه وأساله عن شيء من امره لما أنا فيه من الجزع والحيرة فمكث كذلك مليا وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل

تعودت مس الضر حتى لقيته ... وأسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس واثقاً ... بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال فأستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب الي عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له تفضل أعزك الله باعادة هذين البيتين فقال لي ويحك يا اسماعيل ولم لم تكنني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروتك دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم ولا توجعت لي توجع المبتلي للمبتلي ولا سألتني سوال الوارد على المقيم حتى اذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عز وجل فيك خيرًا ولا أدبًا ولا جعل لك معاشاً غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ولا اعتذرت مما قدمت وأفرطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئًا كأن بيننا انسا قديمًا أو صحبة تبسط المنقبض فقلت له فاعذرني متفضلا فان دون ماأنا فيه يدهش قال وفي أي شيء أنت انما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسببك اليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق وأنا يدعى بي الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأن دللت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه وكان رسول الله صلى الله علية وسلم خصمي فيه والا قتلت فأنا اولى بالحيرة منك وأنت ترى احتسابي وصبري فقلت يكفيك الله عز وجل وأطرقت وجهي خجلا منه فقال لي لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما فأعادهما عليّ مرارًا حتى حفظتهما ثم دعي به وبي فلما وقف بين يدي المهدي قال له أين عيسى بن زيد قال مايدريني

أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد فأخذتني وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس قال له فأين كان متوار يا ومتى آخر عهدك به وعند من لقيته فقال مالقيته منذ تواري ولا أعرف له خبرًا قال والله لتدلني عليه أو لاضربن عنقك الساعة قال اصنع مابدالك أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فألقى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه فقال اضربوا عنقه ثم دعاني فقال أتقول الشعر أو ألحقك به قلت بل أقوله قال فاطلقوه قال محمد بن القاسم ابن مهرويه والبيتان اللذان سمعها لايحضرني الآن من هما من شعره قال القاضي ابو علي وأنشدني بعض أصحابنا معها بيتًا آخر زيادة

اذا أنا لم اقتنع من الدهر بالذي تكرهت منه طال عتبي على الدهر

* وجدت في كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير ابو محمد المهلبي على ديوان السواد وذكر لي انه نسخه من كتاب أعطاه اياه ابو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني وكان فيه اصلاحات بخط ابي الحسين بن مايبداد قال ابو الحسن علي بن الحسين بن عبدالاعلى الاسكافي كان داود كاتب ام جعفر قد حبس وكيلالها وجب عليه في حسابه مائة الف درهم فكتب الوكيل الى عيسى بن فلان وسهل بن الصباح وكانا صديقين له يخبره فسارا ليتكلما له فلقيهما الفيض بن صالح فسألهما عن خبرها فاخبراه فقال أتحبان ان اكون معكما قالا نعم فصاروا الى داود فكلموه في اطلاق الرجل فقال أكتب الى ام جعفر فكتب اليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألتهم في الوكيل فوقعت في الرقعة ان يعرفهم ما وجب لها عليه من المال ويعلمهم ان لاسبيل الى اطلاقه دون أداء المال فاقرأهم داود التوقيع واعتذر اليهم فقال عيسى وسهل بن الصباح قد قضينا حق الرجل فقد أبت ام جعفر ان تطلقه الا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح كانا انما جئنا لنؤكد حبس الرجل قالا له فماذا تصنع قال نؤدي عنه المال قال ثم اخذ الدواة

فكتب الى وكيله في حمل ما على الرجل كتاباً دفعه الى داود كاتب أم جعفر وقال قد أجزنا في المال فادفع الينا صاحبنا قال لا سبيل الى ذلك حتى اعرفها الخبر قال فكتب اليها بالخبر فوقعت في رقعته أنا أولى بالمكرمة من الفيض بن صالح فاردد عليه كتابه بالمال وادفع اليه الرجل وقل له لا يعاود مثل ماكان منه قال ولم يكن الفيض يعرف الرجل وانما ساعد عيسى وسهلاً على الكلام في امره * اخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالاصفهاني بالاسناد انه لما كان أعشي همدان ابو المصبح ممن اغزاه الحجاج بلاد الديلم ونواحي دستى فأسر فلم يزل أسيرًا في أيدي الديلم ثم ان بنت العلج الذي كان أسره هويته وصارت اليه ليلاً ومكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثماني مرات فقالت له الديلمية يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم فقال لها هكذا نفعل كلنا فقالت له بهذا العمل نصرتم أرأيت ان خلصتك تصطفيني لنفسك قال لها نعم وعاهدها فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من اسراء المسلمين

فمن كان يفديه من الاسر ماله فهمدان يفديها الغداة ايورها

وقال الاعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم

لمن الظعائن سيرهن ترجفُ عزم السفين اذا تقاعس يجدف

وذكر ابو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد الشدة وهي قوله

اصبحت رهناً للعداة مكبلاً امسي واصبح في الادام ارسف
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلان آبي ان اضام وآنف
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي وأنا امرؤ بادي الاشاجع اعجف
واضامني قومٌ وكنت اضيمهم فالآن اصبر للزمان واعرف
واذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر لها فلعلها تتكشف

* ذكر ابو عبدالله بن عبدوس في كتاب الوزراء ان نجاح بن سلمة حبس

ابراهيم بن المدبر مكايدة لاخيه وذلك في أيام المتوكل فلما طال حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل ابياتاً انفذها الى المشدود الطنبوري وسأله ان يعمل فيها لحنا ويغني بها المتوكل فاذا سأل عن قائلها عرفه انها له ففعل المشدود ذلك وساله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فأمر باطلاقه والابيات هي

بأبي من بات عندي ... طارقاً من غير وعدي
بات يشكو شدة الشو ... ق واشكو فرط وجدي
وتجنى فبكى فانهـل ... درٌّ فـوق وردي
فيدٌ تحت يـد طو ... را وخد فوق خدي

وذكر أيضاً ان اسحاق بن سعيد قال حدثني ابو عبدالله محمد بن عيسى المروروذي صاحب يحيى بن خاقان عنه قال كان المأمون ألزمني خمسة آلاف الف درهم فاعلمته أني لا أملك الا سبمائة الف درهم وحلفت على ذلك أيماناً مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل مني وحبسني عند احمد بن هشام وكان بيني و بينه شر قد شهر وعرف وكان يتقلد الحرس فقال احمد للموكلين بي احفظوا واحذروا أن يسم نفسه ففطن المأمون لمراده فقال له يا احمد لا يأكل يحيى بن خاقان الا ما يؤتى به من منزله قال فاقمت على ذلك ووجه الى فرج الرجحي بالف ألف درهم ووجه الى الحسن بن سهل بالف الف درهم فاضفت ذلك الى ما كان عندي حتى جمعت خمسة آلاف الف درهم فلما اجتمعت كتبت الى المأمون بحضور المال الذي ألزمنيه فأمر باحضاري فدخلت عليه و بين يديه أحمد بن خالد وعمرو ابن مسعدة وعلى بن هشام فلما رآني قال لي أولم تخبرني وتحلف لي انك لا تملك الا سبمائة الف درهم فمن اين لك هذا المال فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته فاطرق طويلاً ثم قال قد وهبته لك فقال الحضور أتهب له خمسة آلاف الف درهم وليس في بيت المال درهم وأنت محتاج الى ما دون ذلك بكثير فلو أخذته منه قرضاً واذا جاءك مال رددته اليه فقال لهم أنا على المال أقدر من يحيي وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه الي وتخلصت

وقال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء ان محمدبن يزداد سعى الى المأمون بعمرو بن بهنوني فقال المأمون يا فضل خذ عمرا اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار اليه من مالي فقد احتاز مالاً جليلاً وطالبه به فقلت نعم وأمرت باحضار عمرو فاحضر فاخليت له حجرة في داري واقمت له ما يصلحه وتشاغلت عنه بأمور السلطان في يومي وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل الى عمرو يسألني الدخول اليه فدخلت واخرج الى رقعة قد اثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والاموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين الف الف درهم وسألني أن اوصل رقعته الى المأمون واعلمه ان عمرا قد جعله من دون ذلك في حل وسعة فقلت له مهلاً فان أمير المؤمنين أكبر قدرًا من ان يسلبك نعمتك عن آخرها فقال عمرو انه كما وصفت في كرمه ولكن الساعي لا ينام عني ولا عنك وقد بلغني ما أمرت به في أمري من الغلظة وقد عاملتني بضد ذلك وقد طبت نفساً بان اشتري عدل أمير المؤمنين لك في أمري ورضاه عني بجميع مالي فلم أزل انزله حتى وافقته على عشرة آلاف الف درهم فقلت هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين واخذت خطه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ما جرى على يديه وصرت الى المأمون فوجدت محمد بن يزداد قد سبقني اليه واذا هو يكلمه فلما رآني قطع الكلام وخرج فقال المأمون يا فضل قلت لبيك يا امير المؤمنين قال ما هذه الجرأة منك وعلينا فقلت يا أمير المؤمنين انا عبد طاعتك وغرسك فقال أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن بهنوني فقابلت امري بالضد ووسعت عليه وأقمت له الانزال فقلت يا أمير المؤمنين ان عمرا يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن ان أجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالاً يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في داري وأشرفت على طعامه وشرابه لاحرس نفسه فان كثيرًا من الناس اخذانوا السلطان وتمتعوا بالاموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليبطلوا ويفوز بالاموال غيرهم قال الفضل وانما أردت بذلك تسكين غضب المأمون علي ولم اعرض الرقعة عليه ولا اعلمته بما جرى

بيني وبين عمرو لاني لا آمن سورته من ذلك الوقت لاشتداد غضبه فقال لي سلم عمرا الى محمد بن يزداد ففعلت فلم يزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له شيئاً فلم يفعل فلما رأى اصحابه وعماله ما قد ناله جمعوا له من بينهم ثلاثة آلاف الف درهم وسألوا عمرا ان يبذلها لمحمد بن يزداد فبذلها فصار محمد الى المأمون متجهاً بها واوصل الخط بها الى المأمون وانا واقف فقال المأمون يا فضل ألم نعلمك ان غيرك اقوم بأمورنا منك واطوع لما نأمر فقلت يا أمير المؤمنين ارجو أن اكون في حال استبطاء امير المؤمنين ابلغ في طاعته من غيري فقال المأمون هذه رقعة عمرو بن يهنوني بثلاث آلاف ألف درهم فقلت وما اجترأت عليه قط اجترائي عليه ذلك اليوم فاني اخرجت ضبارة كانت مع غلامي فاخذت الرقعة منها مسرعاً وقلت والله لاعلمن امير المؤمنين اني مع رفقي ابلغ في حياطة امواله من غيري مع غلظته وأريته رقعة عمرو التي كتبها لي وحدثته بحديثي عن آخره فلما تبين المأمون الخطين وعلم انها من خط عمرو قال ما أدري ايكما أعجب عمرو حيث تنكر برك وطاب نفساً بالخروج من ملكه بهذا السبب أم أنت ومحافظتك على أهل النعم وسترتك عليه ذلك في ذلك الوقت والله لاكنتما يا نبطيان باكرم مني ودفع الرقعة التي أخذها محمد بن يزداد من عمرو اليّ وأمرني بتمزيقها وتمزيق الاولى وأمر من يسلم عمرا من مجلسه اليّ وأمرني باطلاقه فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك

* حدثني ابو الحسين عبيد الله بن احمد بن الحسن بن عياش الجزري البغدادي وكان خليفة أبي رحمه الله على الفتيا بسوق الاهواز باسناده عن القاضي أبي عمرو رحمه الله قال لما جرى من امر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتي طاقة بيضاء وحبس معي ابو المثنى القاضي ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة وكان بيتي في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت اذا جن الليل حدثت ابا المثنى تارة ومحمد بن داود تارة وحدثاني من وراء الابواب ويوصي كل واحد منا الى صاحبه ونتوقع القتل ساعة بساعة فلما كان ذات ليلة قد اغلقت الابواب ونام الموكلون ونحن نتحدث من بيوتنا

اذ حسسنا بصوت الاقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا الى صدر بيته فما شعرت الا وقد فتح البواب على محمد بن داود فأخرج وأضجع على المذبح فقال ياقوم ذبحا كما تذبح الشاة أين المصادرات أين انتم عن أموالي افتدى بها نفسي على كذا وكذا قال فما التفتوا الى كلامه وذبحوه وأنا اراه من شق الباب وقد أضاء السجن من كثرة الشموع وصار كأنه نهار واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا جثته وطرحت في بئر الدار وغلقت الابواب قال فأيقنت بالقتل وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت الا ساعة واحدة حتى أحسست بالاقفال تفتح فعاودني الجزع فاذا هم جاؤا الى بيت أبي المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له يقول لك أمير المؤمنين ياعدو الله يا فاسق بما استحللت نكث بيعتي وخلع طاعتي فقال لاني علمت انه لا يصلح للامامة فقالوا له ان أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك الى محبسك والا قتلناك فقال أعوذ بالله من الكفر ما أتيت مايوجب الكفر قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه فلا يرجع عنه فلما آيسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت انه يستتيب في الاستئذان قال فاضجعوه ثم ذبحوه وانا اراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر قال فذهب على أمري واقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع الى الله جل وعز فلما كان في وجه السحر وقد سمعت صوت الديادب فاذا بصوت الاقفال فقلت لم يبق غيري وانا مقتول فاستسلمت وفتحوا الباب عني فأقاموني الى الصحن وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يافاعل ياصانع ما حملك على خلع بيعتي فقلت الخطأ وشقوة الجد وأنا تائب الى الله عز وجل من هذا الذنب قال فاقبلت اتكلم بهذا وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال أجب ثم أسر الي وقال لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وأنت مسلم اليه قال فسكت وجاؤا الي بخفي وطيلساني وعمامتي فلبست ذلك وأخرجت فجيء بي الى الدار التي كانت برسم ابن الفرات في دار الخليفة فلما رآني أقبل يخاطبني بعظم جنايتي وخطئي وأنا اقر بذلك وأستقيل وأتنصل ثم قال قد وهب لي أمير المؤمنين دمك وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار الزمتكا ياها فقلت أيها الوزير

والله مارأيت بعضها قط مجتمعاً فغمزني بأن اسكت وجذبني قوم من وجوه الكتاب كانوا بحضرته ورائي فسكتوني فعلمت ان ابن الفرات قد أراد تخليص دمي فقلت كلما يأمر الوزير أعزه الله فقال احملوه الى داري قال فأخذت وحملت الى داره فقرر أمري على مائة الف دينار يؤدي منها النصف عاجلاً ويصير النصف في حكم الباطل على رسم المصادرات فلما صرت في دار ابن الفرات وسع علي في الطعام والمشرب والمجلس وادخلت الحمام ورفهت واكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهي في المرآة فاذا طاقات شعري قد ابيضت في مقدم لحيتي فاذا أنا قد شبت في تلك الليلة الواحدة قال وأديت من المال نيفاً وثلاثين ألف دينار ثم نظر الى ابن الفرات بالباقي وصرفني الى منزلي وتخلص من دمي فمكثت في بيتي سنتين وبابي مسدود علي لا أرى احدًا ولا يراني الا في الشاذ وتوفرت على دروس الفقه والنظر في العلم الى أن اذن الله جل وعز بالفرج وكشف عني واخرجت من بيتي الى ولاية الاعمال * وشبه هذا الحديث ويقارب به وان لم يكن بالحقيقة من باب من خرج من حبس الا انه من اخبار الفرج بعد الشدة من جملة ماحدثني به أبو الحسين بن محمد بن علي بن موسى الانباري الكاتب قال سمعت كلوي كاتب الحرم يتحدث قال كان في دار المقتدر عريف على الفراشين يخدمني وكان يضيفنا اذا أقمنا في دار الخليفة ففقدته مرة في الدار فظننت انه عليل فلما كان بعد شهور رأيته في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب فقلت فلان قال نعم عبدك ياسيدي فقلت ماهذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة وما هذا الذي اراه واين كنت فتلجلج فقلت لغلماني احملوه الى داري وقلت حدثني حديثك قال على ان لي الامان والكتمان فقلت نعم فقال كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوماً من الايام هو ومن في عرافته الى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التى فيها فبلغت النوبة الى يوماً كنت فيه مخمورًا فدخلت ومعي رجالي الى دار فلانة وذكر حظية جليلة من حظايا المقتدر فلعظم ما كنت فيه من الخمر ما رشيت قربتي ولم أخرج بخروج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهاتوا قربكم لاتمام الرش فاذا رششتم فنبهوني فاني نائم

هنا ودخلت خلف الخيش الى باب باذاهنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب علي النوم الى ان جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت اني مقتول ان احس بي فتحيرت فلم أدر ما أعمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقاً فجعلت رجلي على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متعلقاً أترقب ان يفطن بي فاذا بنسوة فراشات يكنسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشنه وهيء فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع من ان جاء المقتدر وعدة جوار فجلس وأخذت الجواري في الغناء وأنا اسمع ذلك كلـه وروحي تكاد تخرج فاذا اعييت نزلت فجلست في ارض الباذاهنج فاذا استرحت وخفت ان يفطن بي القوم عدت وتعلقت الى ان مضت قطعة من الليل ثم غنّ للمقتدر جذب حظيته اليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقي الجواري وخلى الموضع فواقع المقتدر الجارية وانا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما في مكانهما وانا لا سبيل لي للنوم لحظة واحدة لما نابني من الخوف ففكرت في أن اخرج واصعد الى بعض السطوح ثم علمت اني ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم تزل تلك حالي الى ان انتبه المقتدر في السحر وخرج من الموضع فلما كان في غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم فقالوا أي شيء تعمل هنا فأومأت اليهم بالسكوت وقلت الله الله في دمي فان حديثي يطول فتذمموا على ان لا يفضحوني وقال بعضهم ما بال لحيتك قد ابيضت فقلت لا اعلم واخذت من قربة بعضهم فطريت قربتي وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت مغشياً علي وركبتني حمى عظيمة وذهب عقلي فربي الفراشون وحملوني الى منزلي وأنا لا أعقل فأقمت مبرسماً مدة طويلة وقد كنت عاهدت الله وأنا في الباذاهنج ان هو خلصني منه لا اخدم أحداً ابداً ولا اشرب النبيذ واقلع عن اشياء تبت منها فلما تفضل الله عز وجل علي بالعافية وفيت بالنـذر وبعت أشياء كانت لي وضممتها الى دراهم كانت عندي ولزمت دكاناً لعمتي اتعلم فيه التجـارة وأتجر وتركت الدار فما عدت اليها الى الآن ولا اعود ابداً الى خدمة الناس ولا انقض ما تبت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب * حدثنا

علي بن هشام قال كان ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سلمان ابن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخلافة من قبل علي بن عيسى والديوان اذ ذاك كله الى علي بن عيسى فقلد أبا الحسن بن الفرات سلمان الديوان بأسره وأقام يتقلده نحو سنتين فاقام ليلة في دار ابن الفرات يصلي المغـرب فسقط من كمه رقعة رآها بعض من حضر فاخذها ولم يفطن لهـا سلمان فقرأها فوجدها سعاية في حق ابن الفرات واشيابه الى المقتدر وسعيا لابن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة فتقرب بها الى ابن الفرات فقبض على سلمان للوقت وانفذه في زورق مطبق الى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب دهرا وآيس من الخلاص فبلغ ابن الفرات ان أم سلمان بن الحسن ماتت ببغداد وانها كانت تتمنى رؤيته قبل موتها فاغتم لذلك وتذكر المودة بينه و بين أبيه الحسن بن مخـلد فكتب اليه بخطه كتابا أقرأنيه سلمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو بسم الله الرحمن الرحيم ميزت اكرمك الله بين حقـك وجرمك فوجدت الحق يوفي عن الجرم وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل التي فيها ربيت وبين أهلها غذيت فاثناني عليك وعطفني اليك وأعادني لك الى أفضل ما عهدت واجمل ما ألفت فثق أكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه واعلم انني أرى فيك حقوق أبيك التي تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب وتسهل ما عظم من جناياتك وتقلل ما كثر من اساءاتك ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله وقد قلدتك أعمال دستميسان سنة ثمان وتسعين ومائتين و بقايا ماقبلها وكتبت الى احمد بن محمد بن جيش بحمل عشرة آلاف درهم اليك فتقلد هذه الاعمال وأثر فيها أثرا جميلاً يبين عن كفاءتك ويؤدي الى ما أحبه من زيادتك ان شاء الله قال أبو الحسين وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط * حدثني البهلول بن محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي رحمه الله قال حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد و يعرف بالناقد قال كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر

بالله فرأيت في المطبق رجلاً مغلولاً على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلاً فسألته عن قصته فقال أنا والله مظلوم فقلت وكيف كان أمرك فقال كنت ليلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلساً وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبته ولم أدر ما اعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت وقمت في الدكان ليجوز الطائف واخرج وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجالة بمشعل فرأيت في ضوئه رجلاً في الدكان مذبوحاً وعلى صدره سكين فجزعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قائماً فلم يفتكروا في الا اني أنا قاتله وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضرباً شديداً وعوقبت اصناف العقوبات وأنا انكر وعندهم اني اتجلد وهم يزيدوني فاجتمعت اهلي وكان لهم شغب بأسباب السلطان فتكلموا في واستشهدوا خلقاً كثيراً على سيري فبعد شدائد الوان اعفيت من القتل ونقلت الى المطبق وفي هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة قال فاستعظمت محنته وبهت من حديثه فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عز وجل فان من ساعة الى ساعة فرجا قال فوالله ماخلص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة الى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فانصرفت وأنا اريد بيتي فاذا نازوك قد أقبل والفتنة قد ثارت وفرج الله جل وعز عن الرجل * بلغني رجل من اهل كوثى قال كان يتقلد بلدنا عامل من قبل أبي الحسين بن الفرات في بعض وزاراته فافتتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في اطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الارض مالا يتجاسر الا كرة على زراعته وكان العمال يسامحونهم ببعض مايجب عليهم من الخراج فطالبهم هذا العامل بالخراج على التمام اسوة الاكرة وأحضر أحدهم فحقق عليه المطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وانصرف فشكي الى بني عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلاً وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما

كان اليوم الذي يليه تلك الليلة ورد الى الناحية عامل آخر صارفا للاول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيده وأمر ان يحمل الى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشياً ومرة على حمار فكاد مما لحقه ان يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس الا وغلامه الذي رباه قد دخل عليه فكانت محنته اليه أشد عليه من جميع مالحقه اشفاقاً على الغلام وعلى نفسه مما يعرفه الغلام ان يكون قد دل عليه فقال الغلام هات رجلك حتى أكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد فقال له وأين الرجالة الموكلون بي فقال يامولاي قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة فقال ماسبب هذا قال ان الاعراب الذين كنت صفعت منهم واحداً وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم انك أنت العامل وقد عملوا على قتلك ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على انه أنت وقد هرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشي الى بغداد لئلا يبلغهم كونك هنا فيقصدونك ويقتلونك وكسر القيد وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة الى ان بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها ماركباه الى بغداد ولقي المصروف الوزير ودب على المقتول وانه افسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية وضم اليه جيشاً فعاد الى كوثى وتحصن بالجيش وأرهب العرب وارضهم الى ان صالحهم وأثبتهم وسكن اليهم وسكنوا اليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله * أخبرني أبو الفرج الاموي المعروف بالاصفهاني باسناده عن ابراهيم بن المهدي قال غضب علي محمد الامين في بعض هناته فسلمني الى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه علي فمكثت فيه ليلتي فلما أصبحت فاذا أنا بشيخ قد خرج علي من زاوية السرداب ودفع الى وسطا وقال كل فأكلت ثم اخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال غن لي فقلت

لي مــدة لابد أبلغها معلومة فاذا انقضت مت

لو ساورتني الاسد ضارية　　اغلبتها ان لم يجي الوقت

فغنيته فسمعني كوثر فصار الى محمد وقال له قد جن عمك هو جالس يغني بكيت وكيت فأمر باحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضي عني وأمر لي بسبعمائة الف درهم * حبس عبد الله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسي فكتب اليه بعض اخوانه يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم كتبت لي تعزيني وانما كان يجب ان تهنيني أريت العجائب وعرضت لي المصائب اني رأيت الله عزوجل يتحبب الى من يؤذيه فكيف الى من يؤذي فيه اني نزلت بيتاً سقطت عني فيه فروض وحقوق منها الجمعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيادة المريض وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتاً خيراً في ديني منه فأخبر بذلك عبد الله بن طاهر فقال نحن في حاجة الى ابن أسلم اطلقوه * وكان المأمون قد غضب على فرج الرخجي فكلمه عبد الله بن طاهر ومسرور الخادم في اطلاقه قال فرج فبت ليلتي وأنا مفكر اذ أتاني آت فقال لي

لما أتى فرج من ربه فرجا　　جئنا الى فرج نبغي به الفرجا

فلما أصبحت لم أشعر الا واللواء قد عقدلي على ولاية فارس والأهواز وأطلق لي معونة خمسمائة الف درهم واذا أبو البغا الشاعر قائم على باب داري وقد كتب هذا البيت في رقعة فقلت له متى قلت هذا فقال في الوقت الذي رضي عنك فيه فأمرت له بعشرين الف درهم * وقال عمار بن عقبة بن عمارة من آل سلمى ابن المطهر حدثني ملازم بن عدام الحنفي عن عمه ملازم بن حريث الحنفي قال كنت في حبس الحجاج بسبب الحرورية فحبس معنا رجل فأقام حيناً لا نسمعه يتكلم بكلمة حتى كان في اليوم الذي مات الحجاج في الليلة التي تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على حائط السجن فنعق فقال الرجل ومن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب ثم نعق الثانية فقال مثلك من بشر بخير يا غراب ثم نعق الثالثة فقال من فيك الى السماء يا غراب فقلت له ما سمعناك تكلمت مذ حبست الى الساعة فما دعاك الى ما قلت قال انه نعق فقال اني وقعت على ستر الحجاج فقلت

ومن يقدر على ما تقدر عليه ثم دق الثانية فقال ان الحجاج اصابه وجع فقلت مثلك من بشر بخير ثم قال في الثالثة الليلة يموت فقلت من فيك الى السماء ثم قال الرجل ان انسلخ الصبح قبل ان أخرج فليس عليّ بأس وان دعيت قبل الصبح فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثا لا يدخل عليكم أحد ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهنف على رؤسكم بالكفالة فمن وجد له كفيلا خلى سبيله ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج ثم اخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه ثم لم يدخل علينا احد ثلاثا ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الامر الي فمكثت طويلا حتى خفت ان ارد الى الحبس ثم تقدم رجل فضمنني فقلت له يا عبدالله من أنت حتى اشكرك فقال لي اذهب واست بسؤل عنك ابداً فانطلقت * قال ابو الحسن على بن عبد الاعلى الاسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير فصرفني ونكبني وأخذ ضياعي ومالى وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني منه كل مكروه واني لفي حبسه اذ سمعت حركة فسألت عنها فقيل لى قد وافى اسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة فقلت انما هذا حضر لعقوبتي فطارت نفسي جزعاً فلم ألبث ان دعيت فحملت في قيودي وعلى ثياب في نهاية الوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بي ولعظم الخوف فلما وقعت عين اسحاق علي تبسم فسكنت نفسي فقال لى بغاء ان اخي أبا العباس يعني عبدالله بن طالب بن طاهر كتب اليّ يشفع في امرك وقد شفعته وأزلت عنك المطالبة ورضيت عنك ورددت عليك ضياعك فانصرف الى منزلك فبكيت بكاء شديداً لعظم ما قد ورد على قلبي من السرور وفكت قيودي وغيرت حالى وانصرفت فبت في بيتي وبكرت في المسير الى اسحاق لاشكره واسأله عما أوجب ما جرى لانه شيء ما طمعت فيه ولا كانت لي وسيلة الى ابي العباس ولا اسحاق فلقيته وشكرته ودعوت له ولابي العباس وسألته فقال ورد علي كتاب الامير ابي العباس يقول فيه قد كانت كتب ابي موسي بغاء ترد علي بمخاطبات توجب الانس والخلطة وتلزم الشكر والمنة ثم تغيرت فبحثت عن السبب فعلمت ان ذلك الكاتب

صرف وانه منكوب وحق لمن أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين اخواننا حتي بان لنا موقعه وعرفنا موضعه لما صرف ان نرعى حقه فسر أبقاك الله الى أخي أبي موسى واسأله في أمر كاتبه المصروف عني واستصفح مافي نفسه منه واستطلقه واسأله رده الى كتابته وان كان مايطالبه به مما لا ينزل عنه فأده من مالنا كائنا ما كان فلقيته ففعل مارأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد أمر لك الامير بكذا من المال فخذه قال فأخذته وشكرت ودعوت للاميرين وانصرفت فأمضيت الايام حتى ردني اسحاق الى كتابة بغاء بشفاعة أبي العباس وتأثلت حالي معه ونعمتي * حدثني علي بن أبي الطيب باسناده الى سليمان بن أبي زياد قال كان عمرو بن هبيرة واليا على العراق من ولاة يزيد بن عبد الملك فلما مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولي هشام العراق أحد الرجلين سعيدًا الحرشي او خالد بن عبد الله القسري فان ولي ابن النصرانية خالدًا فهو البلاء فولى هشام خالدًا فدخل واسطًا وقد أوذن عمرو بن هبيرة بالصلاة فهو يتهيأ والمرآة في يده يسوى عمته اذ قيل له هذا خالد قد دخل فقال عمرو بن هبيرة هكذا تقوم الساعة تأتي بغتة فقدم خالد فأخذ عمرو بن هبيرة فقيده وألبسه مدرعة صوف فقال ياخالد بئس ماسننت على أهل العراق ماتخاف ان يوجد فيك بمثل هذا فلما طال حبسه جاءه موال له فاكتروا دارًا الى جانب الحبس ثم نقبوا سردابًا الى الحبس وا كتروا دارًا أخرى الى جانب حائط سور مدينة واسط فلما كانت الليلة التي أرادوا ان يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب الى الحبس فخرج منه في السرداب ثم خرج من الدار يمشي حتى بلغ الدار التي بجانب سور المدينة وقد نقب فيها فخرج في السرداب منها وقد هيئت له خيل خلف حائط المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكي يتمسكوا عن تفقده في كل وقت فأتبعه خالد سعيدا الحرشي فلحقه و بينه و بين الفرات شيء يسير فتعصب له وتركه وقال الفرزدق شعرًا

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها   ولم تر الا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة سوى زائد التقريب من آل أعوجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

قال سليمان بن أبي شيخ فحدثني أن ابي خبره عن أبي الجنحات قال حدثني حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى مسلمة بن عبد الملك خلف الصبح فاستأذن مسلمة على هشام بن عبد الملك فدخل عليه فلما رآه قال يا أبا سعيد أظن ابن هبيرة قد طرقك في هذه الليلة قال أجل يا أمير المؤمنين فقد أجرته فهبه لي قال قد وهبته لك * أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالاصفهاني قال قد ذكر ابن الكلبي عن أبيه قال خرج قيس بن قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكاً يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وما كان معه والقوه في الغل فمكث فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن ان الجن استطارته فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج اذ قال لها أتأذنين لي ان آتي الاكمة فأتشرق عليها فقد أضرني القر فقالت له نعم وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الاكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكي ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم فاطر السماء فرج لي مما أصبحت فيه فبينما هو كذلك اذ عرض له راكب يسير فأشار اليه ان أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ماحاجتك يا هذا قال أين تريد قال أريد اليمن قال ومن أنت قال أبو الطمحان القيني فاستعبر ابن قيسبة فقال له أبو الطمحان من أنت فاني أرى عليك سيا الخير ولباس الملوك ولست بدار فيها ملك فقال أنا ابن قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحي وصنعوا بي ماترى وكشف عن اغلاله وقيوده فاستعبر له أبو الطمحان فقال له قيسبة هل لك من مائة ناقة حمراء قال ما أحوجني الى ذلك قال انخ فأناخ ثم قال له أمعك

سكين قال نعم قال ارفع عن رجلك فرفع له عن رجله حتى بدت خشبة مؤخره فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به غير أهل اليمن

بلغن كندة الملوك جميعاً حيث سارت بالاكرمين الجمال
ان ردوا الخيل بالخميس عجالا واصدروا عنه والزوايا ثقال
هربت جارتي وقالت عجيبا ان رأتني في جيدي الاغلال
ان يرى عارى العظام أسيرا قد براني تضعضع واختبال
فلقد أقدم الكتيبة بالسيف على السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر الى أخيه ان يدفع الى أبي الطمحان مائة ناقة حمراء ثم قال أقرئ هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به راحلته حتى أتى حضر موت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر ابن قسيبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن مالك فقال له ياهذا اني أدلك على أخيك وقد جعل لي مائة ناقة حمراء فقال له فهي لك فكشف عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمر له بمائة ناقة ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي أبا الاشعث بن قيس فقال له ياهذا ان أخي في بني عقيل أسير فسر معي بقومك نخلصه قال أتسير معي تحت لوائي حتى أطلب ثارك وأنجدك والا فامض راشداً فقال له الجون مس السماء أهون من ذلك وأيسر علي مما جئت به فصحب السكون ثم فاؤا فرجعوا فقال ماعليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثارك فانعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع ببني عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ ابن قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي

لاتشتمونا اذ جلبنا لكم الفي كميت كلها سلهبة
نحن أتلنا الخير في أرضكم حتى ثأرنا منكم ابن قيسبة
واعترضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مسغبة

* حدثني أبو الحسن احمد بن يوسف الازرق الكاتب بن يعقوب بن اسحق البهاول التنوخي قال كنت وأنا حدث أتعلم في ديوان الزمام بالسواد بين يدي كاتب فيه يقال له ابو الحسن علي بن الفتح و يعرف بالمطوق عاش الى بعد سنة عشرين وثلاثمائة واخرج الينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله ابن يحيي بن خاقان الى آخر أيام القاهر بالله و بعدها وسماه كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة قال مؤلف هذا الكتاب فأعطاني أبو الحسن احمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه ان القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس احمد بن محمد بن بسطام في داره أياماً لاشياء كانت في نفسه عليه وأراد ان يوقع به فلم يزل ابن بسطام يداريه و يتلطف الى ان أطلقه وقلده آمد وما يتعلق بها وأخرجه اليها وفي نفسه مافيها ثم ندم على ذلك فوجه اليه في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن جيش أخو قوصرة ووكله به فكان يأمر وينهي في عمله وهو موكل به في داره خائف على نفسه لما قد ظهر من اقدام القاسم على القتل قال ابن بسطام فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي خبر حتى ورد على كتاب عنوانه لابي العباس أطال الله بقاه من العباس بن الحسين فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء علمت ان القاسم بن عبيدالله قد مات وان العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحاً وسروراً بالسلامة في نفسي وزال الخوف عني وقرأت الكتاب فاذا هو بصحة الخبر وأمرني بالخروج الى مصر وقلدني الامانة على الحسين بن احمد المادرائي قال فخرج ابن بسطام الى مصر ولم يزل يتقلد الامانة على الحسين بن احمد الى ان تقلد علي بن محمد بن الفرات الوزارة فقلده مصر واعمالها فلم يزل فيها الى ان توفي

* حدثنا أبو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي ابن العباس بن محمد بن احمد الابرم المعروف بالمقري البغدادي بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بكتاب المنتصر لابي العباس احمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي الخارج بالجوزجان على المعتصم وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان عبد الله بن طاهر حار به وأسره و بعث به الى المعتصم وهو ببغداد قال حدثت ان المعتصم أمر ان يبني حبس في بستان موسى كان القيم به مسرورًا مولى الرشيد قال وكنت أرى هذا البناء من دجلة اذا ركبتها فخبرني من دخله انه كان كالبئر العظيمة قد حفرت الى الماء أو قريب منه ثم فيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات وفي كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد كانه على مقداره يكون فيه مكبوبا على وجهه ليس يمكنه ان يجلس ولا يمد رجله فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقته وظلمته ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممن وكل بالموضع فقال ان كان أمير المؤمنين يريد قتلي فالساعة أموت وان لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه فأخبر المعتصم بذلك فقال ما أريد قتله وأمر باخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمى عليه فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف وأمر بحبسه في بيت كان بني في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء الى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضاً خلاء آخر الى سطحها فلم يزل محبوساً فيه الى ان تهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين قال فحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين وهو ابن عم أبيه قال أصبحت يوم الفطر أتهيأ للركوب فأنا أشد منطقتي في وسطي وقد لبست ثيابي أبادر الركوب الى المصلى ماراعني الا محمد بن القاسم قد دخل الى منزلي فملئت رعباً وذعرًا وقلت له كيف تخلصت قال أنا أدبر أمري في التخلص منذ حبست ثم وصف لي الخلاء الذي كان في البيت الذي حبس فيه الى الغرفة التي فوقه والخلاء الذي كان في الغرفة الى سطحها وانه أدخل معي يوم حبست لبد فكان وطائي وفراشي قال وكنت أري بغرش وهي قرية من قرى خراسان حبالا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسيور فتجيء احكم شيء فسولت لي نفسي ان اعمل من اللبد التي تحتي حبلا وكان على باب

البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لا يدخل عليَّ منهم أحد انما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوته فقلت لهم ان اظفاري قد طالت جدًا وقد احتجت الي مقراض فجاءني رجل منهم كان يميل الى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسحل وقلت لهم ان في هذا البيت فيرانًا يؤذونني ويقذرونني اذا قربوا مني فاقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي أطردهم بها فقطعوا لي من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها الي وكنت لا أزال اضرب بها في البيت وأسمعهم صوتها أيامًا ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ماعلمت انها تعرض في ذلك الخلاء اذا رميت بها فضممت كل ما قطعته منها بعضه الى بعض وقطعت اللبد وضفرت منه حبلا على ما كنت أري يعمل بغرش ثم شددت ماقطعته من الجريدة في رأس الحبل ثم رميت به في الكوة وعالجته مرارًا حتى اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها قال ففعلت ذلك مرارًا في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقراض احدى حلقتي القيد ولم يمكنني ان اسحل الاخرى فكنت اذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقي فأتحرك وقد صرت مطلقًا فلما كان في هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحدًا الا شيخًا واحدًا كنت أسمع حركته واطلع فأراه فصعدت بين المغرب والعشاء الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها وأشرفت فاذا المعتصم يفطر والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى اذا كان في جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت الى البستان فاذا فيه قائد معه جماعة فصاح بي بعضهم فقال من هذا فقلت مديني من أصحاب الحمام فقال أين تخرج اطرح نفسك حتى تصبح وتفتح الابواب فطرحت نفسي بينهم حتى فُتح باب البستان في الغلس وتحرك الناس فصرت الى دجلة لاعبره فاذا الشيخ الذي كان أحد من يحفظني قد جاء ليعبر فطلب مني الملاح أجرته كما أخذ من الناس فقلت ما معي شيء أنا رجل غريب ضعيف الحال فقال لي الشيخ اعبر أنا اعطيه عنك فاعطاه عني وعبرت حتى جئتك قال علي بن الحسين

فقلت والله ما منزلي بموضع لك فاخرج عنه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركبت الى المصلي فصار الى منزل رجل من الشيعة فأخفاه * قال وروي عن الفضل بن حماد الكوفي من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاة عيسي بن زيد بن علي رضي الله عنهم بالكوفة وكيف ستر ذلك عن المهدي فذكر حديثاً طويلاً قال فيه فتواردت الاخبار عند الرشيد بحسن طريقة احمد بن عيسى بن زيد وميل الناس اليه فأمر بحمله فحمل الى بغداد ومعه القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفي الخارج بخراسان في أيام المعتصم فحبسا عند الفضل بن الربيع وكانا في حبسه في داره في الشارعة على دجلة قريب رأس الجر بشرعة الصحن وكان حسن الصنيع اليهما يؤتيان بمائدة كمائدته التي توضع بين يديه ويواصلان من الحلو والفاكهة والثلج في الصيف بمثل ما يكون على مائدته الى ان أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدي الغلمان فأكلوا واكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج احمد بن عيسي بن زيد الى حب في ناحية الدهليز فرأى القوم نياماً فغرف من الحب بالكوز الذي معه فلما رجع قال للقاسم ياهذا اعلم اني قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحكموه كما كانوا يفعلون وقد اغفلوه فاخرج بنا فقال له القاسم أنشدك الله فانك تعلم انك في عافية مما فيه كثير من أهل الحبوس وهذا الرجل يعني الفضل بنا بر ولنا متعهد فقال له أحمد دعني منك واعلم ان العلامة بيني وبينك ما أصف لك فان تحرك القوم رجعت اليك وكانت علتي بسبب الكوز وان لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك واعلم انك لاتسلم بعدي ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومني فما تحرك منهم أحد ثم اثني عليه فقال له قد رأيت ما قد استظهرت به لك ولنفسي وأنا والله خارج ثم مضي واتبعه القاسم ففتحا الباب وخرجا فقالا لانجتمع في طريق ولكن موعدنا كذا وكذا قال فما جاز احمد عتبة الباب الا خمسين ذراعاً حتى لقيه غلام للفضل بن الربيع مدني أعرف به من نفسه فبهت

الغلام لما رآه وأومأ اليه احمد بكمه كالآمر له بغضب ان تنح فما ملك الغلام نفسه ان فعل ثم كان عزمه ان يستقيم في تلك الطريق فلما بلي من الغلام بما بلي عدل عن تلك الطريق في طريق آخر الاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث * ومن ظرائف ما شاهدناه من هذا الباب ان أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة ابي محمد استوحش من اخيه محمد بعد موت ابيهما فقبض عليه واستصفى ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وانفذه الى القلعة المعروفة بأردمشت وهي مشهورة من اعمال الموصل حصينة فحبسه في مطمورة ووكل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها باز بانا وأمرها ان لا توصل اليه أحدًا ولا تعرفه خبره وان تخفي موضعه عن جميع سجنة القلعة وحفظتها ففعلت ذلك فاقام على حاله تلك ثماني سنين ثم اتفق ان انحدر ابو تغلب معاونا بختيار بن معز الدولة ابي الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد لمحاربة عضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع وخرج للقائهما فكانت بينهما الوقعة المشهورة بقرب قصر الحصن فقتل فيها بختيار وانهزم ابو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخلص محمد فكتب الى غلام له كانت القلعة مسلمة اليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيسًا من رؤساء الاكراد يقال له صالح بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن ناصر الدولة ليمضي فيه ما أمره به وكتب الى صالح يأمره بقتل محمد فمكن طاشتم صالحًا فلما اراد الدخول على محمد لقتله منعته بازبانا من ذلك وقالت له لا أمكن من هذا الا بكتاب يرد عليّ ودخل عضد الدولة الى الموصل واجفل عنها ابو تغلب وكدته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازبانـا فالى أن يجيب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة اردمشت ونازلوها فانقطع ما بين ابي تغلب وبينها ولم يصل اليهـا كتاب ثم فتحها عضد الدولة بعد شهور بأن واطأه صالح على القبض على طاشتم وكتب اليه يعرفه بما عمله ويستأذنه فيما يعمله وكان لمحمد خادم أسود يسمى ناصحًا وكان بعد القبض على محمد قد رفع الى عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص فلما

ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في اطلاق مولاه فكتب اليه ان يطلبه في القلعة فان وجد حيا يطلق وينفذ اليه مكرماً فحين دخل صالح ومعه بعض من قد صعد الى القلعة من حاشية عضد الدولة الى محمد في محبسه جزع جزعاً شديداً ولم يشك في انهم دخلوا بأمر أبي تغلب لقتله فأخذ يتضرع ويقول مايدعو أخي الى قتلي فقال له صالح لاخوف عليك وانما أمر الملك ان نطلقك وتمضي اليه مكرماً فانه قد ملك هذه البلاد فقال أغلب ملك الروم على هذه النواحي وفتحت له القلعة قال لا ولكن الملك عضد الدولة قال الذي كان بشيراز قال نعم وقد جاء الى بغداد فقال محمد وأين بختيار فقالوا قتل قال وأين أبو تغلب قالوا انهزم ودخل الى بلاد الروم قال وأين الملك عضد الدولة قالوا بالموصل وهو ذا تحمل اليه مطلقاً مكرماً فسجد حينئذ وبكى بكاء شديداً وحمد الله عزوجل وجاؤا ليفكوا حديده واغلاله فقال لا أمكن من ذلك الا بعد ان يشاهد حالي الملك فحمل الى الموصل فرأيته وقد أصعد به مقيداً من المعبر الذي عبر فيه في دجلة الى دار أبي تغلب التي نزلها عضد الدولة بالموصل وأنا اذ ذاك أتقلدها له وجميع مافتحه مما كان في يد أبي تغلب مضافاً الى حلوان وقطعة من طريق خراسان فرأيت محمداً يمشي في قيوده حتى دخل اليه فقبل الارض بين يديه ودعا له وشكره وأخرج الي حجرة من الدار فأخذ حديده وحمل على فرس فاره بمركب من ذهب وقيد بين يديه خمس ذواب بمراكب فضة مذهبة وخمس بجلالها وثلاثون بغلاً بأفكها محملة مالاً صامتاً ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السري والطيب والآلات المرتفعة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وانبذة وغير ذلك ثم اقطعه بعد ايام اقطاعاً بثلثمائة الف درهم وولاه امارة بلده واعماله وهو الذي كان يتولاه لابي تغلب * وذكر الحسين القاضي في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة * قال بلغني ان عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال خرجت في خيل من بني زبيد أريد غطفان فبينا أنا أسير وقد انفردت من أصحابي اذ سمعت صوت رجل ينشد شعراً فتفهمته فحفظته وهو هذا

أما من فتى يخاف العطب ... يبلغ عمرو بن معد يكرب
بانا ننوط في زمان ... بارجلنا اليوم نوط القرب
فان هو لم يأتنا عاجلا ... فيكشف عنا ظلام الكرب
والا استغثنا بعبد المدان ... وعبد المدان لها ان طلب

قال فعلمت انه قول أسير في بني مازان بن صعصعة فقلت لخيلي قفوا حتى آتيكم واقتحمت على القوم وحدي واذا هم يصطلون فقلت أنا ابو ثور أين اسري بني مذحج فبادرت الاسري من الرجال و بادر القوم الي يقاتلونني فلم ازل أقاتلهم وأقتل منهم حتى استعفوني وقالوا انا والله لنعلم انك لم تأتنا وحدك فاكفف عنا ولك الاسرى وا كفف عنا خيلك فنزلت واطلقت بعضهم .وقلت ليحل مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم ما وجد قال واقبلت خيلي وجاءت الاسرى فقلت لهم هل علمتم موضعي حتى انشد منشدكم قالوا لا والله ما سمعنا وما اصبحنا منذ سرنا اشد يأساً ولا أتم ايقاناً بالهلاك منا اليوم فلذلك حين اقول

الم ترني اذ ضمني البلد القفر ... سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو
اغثنا فانا عصبة مذحجية ... نناط علي وفر وليس لنا وفر
تكلفنا يا عمرو ماليس عندنا ... هوازن فانظر ما الذي فعل الدهر
فقلت لخيلي انظروني فانني ... سريع اليكم حين ينصدع الفجر
وأقحمت مهري حين صادفت غرة ... علي الطف حتى قيل قد عقر المهر
فأنجيت أسري مذحج من هوازن ... ولم ينجهم الا السكينة والصبر
ونادوا جميعاً حل عنا وثاقنا ... أخا البطش ان الامر يحدثه الامر
وأبت بأسري لم يكن بين قتلهم ... و بين طعاني اليوم ما دونه فتر
يزيد وعمرو والحصين ومالك ... ووهب وسفيان وسابعهم وبر

* روي نجيد كاتب ابراهيم بن المهدي ان ابراهيم حدثه ان مخلدا الطبري الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره انه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما

يتعلم الاحداث في الدواوين اذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشامية على عبد الملك يخبره فيه ان خيلاً من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا اليها ثم رجعوا ومعهم رجل قد كان أسر في أيام معاوية بن أبي سفيان فذكروا ان الروم لما توافقوا أعلموهم أنهم لم يأتوا الحرب وانما جاؤا بهذا المسلم ليسلموه الى المسلمين لان عظيم الروم أمرهم بذلك وذكر صاحب البريد ان النافرين ذكروا انهم سألوا المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم وذكر ان الروم قد أحسنوا اليه فانصرفوا عنهم وأخذوه واني سألته عن سبب مخرجه فذكر انه لايخبر بذلك أحداً دون أمير المؤمنين فأمر عبد الملك باحضاره له ولما حضر قال له من أنت قال انا قبات بن رزين اللخمي أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالحمراء أسرت في خلافة معاوية وطاغية الروم اذ ذاك ورقاء بن مورقة فقال عبد الملك بن مروان فكيف كان فعله بكم قال لا أحد أشد عداوة للاسلام وأهله منه الا انه كان حليماً وكان المسلمون في أيامه أحسن حالاً منهم في أيام غيره الى ان أفضي الامر الى ابنه فقال في اول ماملك ان الاسراء اذا طال مكثهم ببلد آنسوا به ولو كان على غاية الرداءة وليس شيء أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد الى بلد وأمر باثنى عشر قدحاً وكتب في رأس كل واحد منها اسم واحد من بطارقته الاثنى عشر يضرب بالقداح في كل سنة أربع مرات فمن خرج اليه القدح الاول حول اليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهراً ومن صار اليه القدح الثاني صاروا اليه بعد البطريق الذي كانوا عنده في الشهر الاول ومن خرج اليه القدح الثالث حولهم اليه بعد الشهر الثاني ثم أعيدت القداح بعد ذلك قال قبات فكنا لانصير الى واحد من البطارقة الا قال احمد الله عز وجل حيث لم يبتلكم ببطريق الرخان قال فكنا نرتاع لذكره ونحمد ربنا عزوجل على ان لم يكن يبتلينا برؤيته قال فمكثنا عدة سنين ثم ضرب بالقداح فخرج القدح الاول والثاني لبطريقين من البطارقة وخرج الثالث لبطريق الرخان فمربنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فرأينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعاين ورأينا من

رتاجنه والغلظة خلاف ما كنا نرى ثم وصلنا اليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالملكة ثم دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره قال فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد الى قال فنظرت في وجه البطريق فوجدته قد نظر الي بخلاف العين التي كان ينظر بها الى غيري ثم كلمني بلسان عربي فسألني عن اسمي وعن نسبي ومسكني مثل ماسألني عنه أمير المؤمنين فصدقته عما سألني عنه ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم قال فأعلمته اني حافظ له فقال اقرأ آل عمران فقرأت عليه منها نحو خمسين آية فقال انك لقارئ فصيح ثم سألني عن روايتي الشعر فأعلمته اني راوية فاستنشدني لجماعة من الشعراء فأنشدته فقال انك لحسن الرواية ثم قال لخليفته قد ومقت بهذا الرجل فلا تحدده ثم قال وليس من الانصاف أن أسوءه في أصحابه ففك عن جماعته وأحسن مثواهم ولا تقصر في قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاماً مادام هذا العربي عندي الا معه فاحذر ان يدخل المطبخ مالا يحل للمسلمين أكله واحذر أن تجعل الخمر في شيء من طبيخك ثم دعا بمائدته واستدناني حتى قعدت الى جانبه فقلت له فدتك نفسي وبأبي أنت أحب أن تخبرني من أي العرب أنت فضحك ثم قال لست أعرف لمسألتك جواباً لاني لست عربياً فأجيبك عن سؤالك فقلت له مع هذه الفصاحة بالعربية فقال ان كان باللسان تنقل الانساب من جنس الى جنس فأنت اذا رومي فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتي بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون رومياً وأكون عربياً قال فصدقت قوله وأقمت عنده خمسة عشر يوماً لم أكن منذ خلقت في نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر فكرت في أنه قد مضى نصف الشهر وان الايام تقربني من الانتقال الى غيره فبت مغموماً وصار الى رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلي مقصراً عما كان يعهده فضحك ثم قال أحسبك ياعربي لما مضى النصف من شهرك فكرت في أن الايام تقربك من الانتقال عني الى غيري فلا يعاملك مثل

معاملتي ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معي فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك فأعلمته أنه قد صدق فقال ما أنا ان لم أحسن الاختيار لصديقي بحر كل فقد آمنك الله مما حذرت ولم أبت في اليوم الذي رمقتك فيه حتى سألت الملك ان يصيرك عندي مادمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدي ولاتخرج منها الا الى بلدك فاني أرجو ان يسبب الله عز وجل ذلك على يدي قال فطابت نفسي ولم أزل مقيماً عنده الى ان انقضى الشهر وضرب بالقداح وخرج لبطارقة غير البطريق الذي نحن عنده وتحول اليه أصحابي وبقيت وحدي وتغديت في ذلك اليوم مع البطريق وكان من عادتي ان أنصرف من عنده بعد غدائي الى اخواني المسلمين فنتحدث ونأنس ونقرأ القرآن ونجمع الصلوات ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضاً ماحفظ من العلم وغيره قال فانصرفت ذلك اليوم الى الموضع الذي كنت أجتمع فيه مع المسلمين فلم أر أحداً منهم فضاق صدري ضيقاً تمنيت ان أكون مع أصحابي وبت بليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفاني فأصبحت أكثف خلق الله عز وجل بالاً وأسوأهم حالاً وصار الى رسول البطريق في وقت الغداء فلما صرت اليه تبين الغم في وجهي ومددت يدي الى الطعام فرأى مديدي اليه خلاف عادتي فضحك ثم قال احسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق وسألته هل عنده حيلة في ردهم الى يده فقال ان الملك لم يرد بتنقل أصحابك من يد الى يد غيري الا ليغمهم بما يفعل ومن المحال ان يدع تدبيرهم في الاضرار بهم لميلي اليك ومحبتي لك وما عندي في هذا الباب حيلة فسألته ان يسأل الملك اخراجي عن يده وضمي الى أصحابي لاكون معهم حيث كانوا فقال ولا في هذه أيضاً حيلة لاني لا أستجيز أن انقلك من سعة الى ضيق ومن كرامة الى هوان ومن نعمة الى شقاء قال فلما قال لي ذلك تبين في الانكسار وغلبة الغم فقال لي ما بلغ بك من الغم فأعلمته أنه بلغ بي ما نغص الى الحياة وحبب لي الموت لعلمي انه لا راحة لي بغيره فقال لي ان كنت صادقاً فقد دنا فرجك فسألته عما دله على قوله فقال لي اني

وقعت في نكبات أشد هولا مما أنت فيه وكان عاقبتها الفرج فاسمع بحكايتي واتعظ اعلم ان بطرقة ذلك لم تزل منذ مئين سنين يتوارثونها وان عددهم كان كثيرًا افتفانوا ولم يبق منهم غير ابيه وعمه وكانت البطرقة الى عمه دون ابيه تأبطأ على أبيه وعمه الولد فبذلا للمتطببين الكثير من الاموال لعلاجها بما يعالج به المتطببون الرجال والنساء الى ان بطل العم ويئس من الانتشار فصرف عنايته الى معالجة أبي البطريق فعلقت أمي بي فلما علم العم انها قد علقت وجه فجمع عدة من الحبالى من ألسنة مختلفة فيها اللسان العربي والرومي والافرنجي والكردي والصقلبي والخزري فوضعن في داره فلما ولدتني امي أمر بتصيير اولئك النساء كلهن معي يرضعنني ثم أمر بتصيير ملاعبيه ومؤدبيه من اجناس النساء اللواتي ربينه قال البطريق فكانوا يعلمونني الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم عنها ثم أمر عمه إن يضم اليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره ان ينزل في المضارب وأن يمنع من اكل اللحم الا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده أو صيد كلب يسعى بين يديه أو صيد بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله عز وجل في عصب عمه فمات وولى البطرقة بعد عمه أبوه فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى شمائله وفهم أدبه فاشتد عجبه به فتسمح له بما لم تكن ملوك الروم تتسمح به لولاة أمورها وأعتد له مضارب وفساطيط الديباج وضم اليه من الفرسان جماعة كثيفة ووسع على الجميع في كل ما تحتاج اليه ورده الى سكنى المضارب وأمره بالاستبعاد من منازل أبيه قال البطريق فلما استتمت لي خمس عشرة سنة ركبت يومًا لارتياد مكان اكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله الف ذراع وعرضه ما بين ثلثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربي على ذلك الغدير وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم اطمع في مثله كثرة ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فطبخوا لي ما اشتهيت من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي واني لانتظر الطبيخ يغرف اذ سمعت ضجة

ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤوس أصحابي تتساقط عن ابدانهم فتنحيت عن مكاني وخلعت ثيابي ولبست ثياب بعض عبيدي ثم نظرت يمنة وشمالا فلم أر حولي الا مقتولا وأرى فاعل ذلك كله باصحابي منسر من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤسر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من مضرب وغيره وصاروا بي الى ملك الرخان فلما رآني لم يكن له ولد ذكر أمر بالتوسعة علي وأن أكون واقفاً على رأسه وسماني ابنه قال وكان له ابنة كان مغرماً بها وقد علمها الفروسية ومساواة الاقران ومقاتلتهم ومراكدتهم قال فقال لجماعة من بطارقته من منكم يتوجه الى ملك الروم فيجيئني بكاتب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة فأعلمته ان رسوله لا يأتيه بأكتب مني فأمرني ان اكتب بين يديه فكتبت فأستحسن خطي وقرنه بكتب كانت ترد عليه من والدي فرأى خطي اجود فدفع ابنته الي وأمرني ان اعلمها الكتابة فهو بيتها وهو بيتي فمكثت معي حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت الي يوماً وهي باكية فقلت لها ما يبكيك يا سيدتي فقالت اني كنت جالسة بين يدي امي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناي فنمت فسمعت أبي يقول لامي أرى ثدي ابنتك قد ثقل وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ وليس ينبغي ان يجتمعا بعد هذا الوقت فاذا جلست غدا معه فابعثي اليها من يفرق بينها وبينه حتى لا يراها ولا تراه قال البطريق ومن سنة الرخان ان يكون الرجل يخطب لابنته حتى يزوجها ولا يخطب الرجل لابنته زوجاً دون ان تختاره البنت قال البطريق فقلت لابنة الملك اذا سألك ابوك عمن تحبين ان يخطب لك من الرجال فقولي لست اريد الا هذا الرومي فغضبت وقالت كيف يجوز لي ان اسأل ان تخطب لي وانت عبد قال فقلت لها ماجعلني الله عز وجل عبدا واني ابن الملوك وابي ملك الروم قال البطريق واهل الرخان يسمون البطريق الرومي الذي يتولى جند رخان ملك الروم فسألتني هل ما اعلمتها حق فقلت لها انه حق فما مضى على كلامنا حين حتى جاء رسول الملك ففرق بيني وبينها ولم يمض لي بعد ذلك الا ثلاثة ايام حتى دعاني الملك فدخلت عليه فرأيت امارات البشر مستحكمة في وجهه ثم قال لي ياشقي ما حملك على

الكذب في نسبك فأنا أحكم على من انتسب الى غير ابيه بالقتل فقلت ما انتسبت الى غير ابي فقال لى ابنتى تقول انك ابن ملك الروم فاعلمته اني اقول ذلك ودعوته ليكشف الامر وينظر فيه فقال اني لست احتاج الى ان اكشف أمرك برسول ارسله ليعرف خبرك ولى اشياء امتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك فدعوته الى كشفها بما شاء فدعا بدابة ولبد وسرج ولجام وأمرني بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته وأمرني بالقائه على الدابة ففعلت ثم امرنى يشد الحزام والثفر واللبب واخذ اللجام والجام الدابة ففعلت ذلك كله ثم امرني بركوب الدابة فركبته وأمرني بالسير فسرت ثم امرنى بالاقبال فأقبلت ثم أمرنى بالنزول فنزلت فقال عند آخر ذلك كله اشهد انه ابن ملك الروم لانه اخذ الدابة اخذ ملك وعمل سائر الاشياء مثل ما تعمله الملوك فاشهدوا أني قد زوجته ابنتي فلما قالوا انا قد شهدنا قال لا تشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لاتشهدوا نزلت عليّ الكلمة نزول الصاعقة وخفت أن تأتي على نفسي ثم قال لي لم أنههم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لايمكن أن نخالفه ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو مالم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد ظلمناك او ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقنا ملتنا ان سنتنا يارومي ان لا نفرق بين الزوجين اذا مات احدهما فان مات الرجل قبل المرأة جعلناها في سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعاً في البئر فان رضيت بهذا الشرط فبارك الله لك في زواجها وان لم ترض بها فليست راضية بك ولا يستقيم لك ان نتزوجها على خلاف سنتنا فأحوجتني الصبابة بها الى ان قلت قد رضيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزي وجمع مابيننا فأقمت معها أربعين يوماً لا يرى كل واحد منها ومني الا انه قد فاز بملك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها غشية لم نشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نحبها قال فجهزت بفاخر ثيابها وجهزت مثل ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيعونا حتى وافوا بنا شفير البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش طعاماً وشراباً لثلاثة

أيام ثم دلونا حتى صرنا الى قرار البئر ثم أرخيت علينا الحبال فسقط حبل منها على وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشي فانتبهت فلما أفاقت رأيت ان الدنيا قد جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة فرأيت في الموضع الذي أنا فيه من الخبز اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتذي وأغذيها في تلك البئر وكنا لا نعدم في كل يوم أن يدلى سرير فيه زوجان أحدهما حي والآخر ميت فكان النازل اذا كان رجلاً حياً توليت قتله لئلا يكون مني ومع امرأتي رجل وان كانت امرأة تولت بنت الملك قتلها غيرة عليّ من أن يكون معي امرأة سواها قال فمكثنا في البئر وهذه حالنا اكثر من سنة اذ دلي الى البئر دلو فعلمت ان مدليه غير راخاني ولا بد أن يكون فاعل ذلك رومي ووقع لي ان أقدم الجارية فتتخلص ثم تعرفه حالي فيرد الدلو فأخرج قال فحملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت اليهم الجارية واذا القوم مماليك لابي ولم ينتبهوا على السؤال عني وهابتهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه أبي وأمي من غلبة الحزن عليهما من فقدي فدبروا بالمصير بالجارية الى أبوى ليتخذوا عندهم يداً وليتخذاها الجارية ولدا يسكنان اليها ويتعزيان بها فصاروا بها اليهما فسرا بها وسكنا اليها واستمرت الفتها بالجارية فحصلت شر محصل وقد كان صديق لابي له أدب وحكمة وعلم بالتصاوير صوّر له صورتي في خشبة وزوقها وجعلها لابوي في بيت وقال لهما متى ماذ كرتما ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا الى هذه الصورة فانكما ستبكيان بكاء شديداً يعقبكما سلوة قال البطريق ولما صارت الجارية الى والدي ورأتهما يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهما مرة وهما داخلان فبصرت بالصورة فلما رأتها لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن السبب فيما أحلت بنفسها فقالت هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه واسم أبيه وأمه فأسمتهم جميعاً فقالا لها وأين زوجك هذا قالت في البئر التي أخرجت منها فركب أبي وأمي في اكثر أهل البلد ومعهم الغلمان الذين أخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد

سلت سيفي الذي أنزل معي من غمده وجعلت ذؤابته بين ثديي لاتكي عليه فأخرجه من ظهري فاستريح من الدنيا لغلبة الغم علي فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبني من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبي وأمي وامرأتي على شفيرها وقد أحضروا لي الدواب لانصرف الى بيت أبي وأمي وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعمها وأعلمتها ان الاصوب البعثة الى أبي الجارية وأمها حتى يرى ابنتهما مثل ما رآني أبواي ففعلا ذلك ووجها الى أبي الجارية وهو صاحب الرخان فخرج في أهل مملكته حتى عايناها وأقاما لها عرساً وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها أيمان انه لايغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار القوم الى بلادهم وصرنا الى منازلنا ومات أبي فورثت البطارقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد وأنت ياعربي ان كان الغم قد بلغ منك ماذ كرت فقد جاءك الفرج قال فما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له يقول لك الملك صر اليّ فخرج اليه ثم عاد فقال ياعربي قد جاءك الفرج ثم قال لي اني كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لاعقول لهم ولا أدب وان قهرهم الروم هو بالغلبة لابحسن التدبير فأعلمت الملك ان الامر على خلاف ما ذكروا وان للعرب آداباً وأذهاناً فقال لي الملك أنت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في اعطاء العرب ماليس لها فقلت ان رأى الملك ان يأذن لي في احضار العربي لنجمع بينه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بحملك اليه فقال قبات فقلت له بئسما صنعت بي لاني أخاف ان غلبتني أصحابه ان يستخف بي وان غلبتهم ان يضطهدني فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها واني أخبرك انك ان غلبتهم جللت في عين الملك وكنت عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة وان غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذماماً وان أقل ماترى ان يقضي لك به حاجة وان غلبت او غلبت فاسأله اخراجك عن بلده وردك الى بلدك فانه سيفعل ذلك قال قبات فلما دخلت على الملك استدناني وقربني واكرمني وقال لى ناظر هؤلاء البطارقة

فاعلمته اني لا أرضى لنفسي بمناظرتهم واني لا أناظر الا البطريق الكبير فأمر باحضاره فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحباً بهذا الشيخ الكبير القدر ثم قلت له ياشيخ كيف أنت قال في عافية فقلت له فكيف حالك كلها فقال كما تحب فقلت وكيف ابنك قال فتضاحك البطارقة كلهم وقالوا زعم البطريق يعنون الذي هو صديقي ان هذا أديب وان له عقلاً وهو لا يعلم بجهله ان الله عز وجل قد صان هذا البطاريق أن يكون له ابن فقلت كأنكم ترفعونه عن ان يكون له ابن فقالوا اي والله انا لنرفعه أن كان الله عز وجل قد رفعه عنه فقلت واعجباً ان لا يحل لعبد من عبيد الله أن يكون له ابن ويحل لله تعالى ذكره وهو خالق الخلائق كلها ان يكون له ابن قال فنخر البطريق نخرة أفزعتني ثم قال أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله فدعا الملك بالفرسان وضمني اليهم وأحضر لي دواب البريد وأمر بحملي عليها وبيدرقتي وتسليمي الى من يلقانا في أرض الاسلام من المسلمين فسلموني الى من تسلمني من أهل الثغور ثم ذكر حديثاً لعبد الملك مع الرجل لايتعلق بهذا الباب

الباب السادس

﴿ من فارق شدة الى رخاء بعد بشرى منام ﴾

﴿ ولم يشب صدق تأويله كذب الاحلام ﴾

قال أبو علي اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن يحيى ابن ابي عباد الجيشي قال رأى المعتضد وهو في حبس أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقمت اليه فسلمت عليه فقال لي يا احمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي

وصنهم ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين * وحدثني أبي رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أتم من هذا باسناد ذكره عن ابن حمدون النديم قال قال لي المعتضد وهو خليفة لما قدم ابي وهو عليل العلة التي مات فيها وأنا في حبسه ازداد خوفي على نفسي ولم اشكك في ان اسماعيل بن بلبل سيحمله على قتلي او يحتال بحيلة يسفك دمي بها اذا وجد أبي قد ثقل في علته وآيس منه فقمت ليلة من تلك الليالي وأنا من الخوف على أمر عظيم وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عز وجل فرأيت في منامي كاني على شاطيء دجلة فرأيت رجلاً جالساً على الشط وهو يدخل يده في الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجري ففعل ذلك دائماً فهالني ما رأيت فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له من أنت يا عبدالله الصالح قال أنا علي بن أبي طالب قلت يا أمير المؤمنين ادع لي قال ان هذا الامر صائر اليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى واحفظني في ولدي قال فانتبهت وكاني أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأني أتقلد الخلافة وقويت نفسي وزال خوفي فقلت لغلام كان معي في الحبس لم يكن معي غيره من غلماني اذا أصبحت فامض وابتع لي فصاً واكتب عليه احمد المعتضد بالله واصنعه خاتماً واتني به ففعل ولبسته وقلت اذا وليت الخلافة جعلت لقبي المعتضد بالله قال ثم أخذت أقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح احوال الدنيا واعمال فكري في تدبير عمارة الخراب منها ووجه فتح المنغلق منها وتعيين العمال للنواحي والامراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب وعبيدالله بن سليمان الوزير وفلان أمير البلد الفلاني وفلان عامل البلد الفلاني وفلان للديوان الفلاني الى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك ودفعتها الى الغلام وقلت احتفظ بها فان دمي ودمك مرتهنان بما فيها فحفظها وما مضي على الامر الا ايام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان في أنه قد مات فجاؤا الي فأخرجوني فصرت الى

بيت فيه الموفق فلما رأيته علمت انه غير ميت فجلست عنده وأخذت يده اقبلها وأترشفها فأفاق فلما رآني أفمل ذلك أظهر التقبل وأومأ الى الغلمان أن أحسنتم فينا ففعلتم ثم مات الموفق في ليلته تلك ووليت مكانه فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها قال لي أبي قال ابن حمدون فما تمرض المتضد في أيامه للعلويين ولا آذاهم ولا قتل منهم أحدًا لهذا المعنى * قال علي بن هشام بن عبدالله الكاتب باسناده ان أبا الحسين بن ميمون الافطس كاتب المتقي في أيام ابيه ووزيره لما استخلف قال كان بيني وبين أبي أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسهلت محنته بعد قتل ابناخ صرت اليه وهو محبوس مقيد الا انه مرفه في الكسوة وكبر الدار والفرش وحسن الخدمة وقد صلحت حاله بالاضافة الى ما كان عليه في أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني انه رأى في ليلته تلك في منامه كأن قائلا يقول هذا البيت

اصبر ورب البيت لا يقتادها   أحد سواك وحظك الموفور

قال فصرت الى أخيه أبي علي بن الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسر به وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاة السلطان فعمل شعرًا ضمه الى البيت وسألني ايصاله الى أبي أيوب فأخذته فأوصلته وهو

الدمع من عين أخيك غزير   في ليله ونهاره محدور
بأبي وأمي حظوك المقصور   ومقيد ومصفد وأسير

وزاد فيه غيره في هذه الرواية

فكر يجول بها الضمير كأنما   يذكو بها دون الشغاف سعير
وجوي دخيل ليس يعرف كنهه   ممن يلاهيه أخ وعشير
فيظنه خدانه متسليا   والبث في أحشائه مستور

رجع الى الرواية الاولى

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتي   تحت الخطوب تدور كيف تدور
قلقًا فأنك بالعزاء جدير   وعلى النوائب منذ كنت صبور
عثرات مثلك في الزمان كثيرة   ولهن بعد مثابة وحبور

ان تمش في حلق الحديد فحشوها منك السماحة والندى والخير
والفصل للشبهات رأيك ثاقب فيها يضيء سداده وينير
وتحمل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه المخبور
فاصبر ورب البيت لا يقتادها احد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب أخيك مذ فارقته ليكاد من شوق اليك يطير
فكانما هو قرحة مقرونة منهـا البلابل والهموم تثور
والله مرجو لكربتنا معاً وعلى الذي نرجوه منك قدير

قال فامضت الا ايام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد ذلك الى الوزارة * حدثني علي بن هشام قال حدثني ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثني أبو القاسم عبيدالله بن سليمان قال كان أبو محمد الحسن بن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكنت أخلفه عليه الى ان ولي شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أوتامش في أيام المستعين واشتد جزع أبي محمد منه فسألته عن ذلك فقال هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من اشد الناس حيلة وشدة وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدأ بأبي جعفر بن اسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه ونفاه الى انطاكيا ولست آمن ان يجملني في أثره قال فما مضى الا أسبوع حتى ظهر ان أبا موسى عيسى ابن فرخان شاه القناني الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم اذ ذاك قد سعي مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صار فالحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبي محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب وأنا عنده في بعض العشيات اذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فانتظرته الى ان عاد وهو مهموم مكروب فقلت ما خبرك قال قد فرغ شجاع من التدبير علي وذاك انه قد صح عندي بعد افتراقنا ان أوتامش قال البارحة لبعض خواصه قد ثقلنا على شجاع وحملناه ما لا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعني الحسن بن مخلد متعطلاً لا بد من ان يفرج له شجاع اما عن كتابتي واما عن

الوزارة لاقلده احداهما فلما بلغ ذلك شجاعاً انفذ الى في الوقت فلما رأيته الساعة قال لي يا أبا محمد أنت شيخي ورئيسي وانت اصطنعتني وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الانعام انك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها الى هذه المنزلة والامير يحذرك الحذر كله وقد أقام على انه لابد من نكبتك وافقارك فلاجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا وسألته في امرك فجرت خطوب تقررت على ان لاتجاوره وتشخص الى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرني باخراجك من ساعتك فما زلت حتى استنظرته ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على هذا فانك تمضي الى بلد الآمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحداً وتقرب من ضيعتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج وأنا خائف منه أن يدعني حتى أخرج آلاتي والحرم وتجملي ثم يقبض على ذلك كله وينكبني فقلت الوجه ان تفرق جميع مالك من الحرم والامتعة والدواب وتودعه ثقاتك واخوانك من وجوه قواد الاتراك وكتابهم وتطرح الثقل الذي لاقيمة له من خيش وستائر واسرة وآلات مطبخ في الزواريق وتجلس في الحراقة العجائز اللواتي لاتفتكر فيهن ليظن انهن الحرم وتخرجهن وتجتهد ان يكون خروجك خروجاً ظاهراً ولا تكاشف بالاستتار بل على سبيل توق ومراوغة فاذا حصلت ببغداد أمنت فقال هذا رأي صحيح وأخذ يصلح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أنم أكثر الليل فكرا فيه ثم نمت لما غلبتني عيني فرأيت في السحر كان قائلاً يقول لاتغتم فقد ركب الاتراك من أصحاب وصيف وبغا الى أوتامش وكاتبه شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحتم قال فانتبهت مترعاً ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت وركبت الى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لانه قد كان اغلق أبوابه المعروفه فسألته عن خبره فقال هذا آخر الاجل وقد خفت ان يعاجلني شجاع بالقبض علي فأغلقت أبوابي واستظهرت بغلماني يراعون رسله فاذا جاؤا ورأوا أمارة الشر فيهم انذروني فأخرج من هذا الباب الغامض وان يسألوا خبر

شجاع فان كان في داره قالوا لن يجيئني فيطالبني من جهته اني في دار أو تامش وان كان في دار أوتامش قالوا للرسل اني في دار شجاع مدافعة عني حتى أهرب قال فقصصت عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح لنا خبرك في المنام لهذا انما نمت وأنت متمني خلاصي فرأيت ذلك في منامك قال فخرجت من عنده أريد داري فلقيني في الطريق جماعة كثيرة فعرفوني ان الاتراك قد ركبوا بالسلاح فصرت الى منزلي وأغلقت بابي ووصيت عيالي بحفظ الدار وعدت فدخلت الى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الامر فما زلنا نتعرف الاخبار ساعة بساعة الى ان جاء الناس فعرفونا قتل الاتراك لشجاع ثم دخل رجل فقال انا رأيت الساعة رأس اوتامش قال وصح الخبر بقتلها ونهبت سر من رأي كلها فما افلت من النهب أحد أحسن من افلات الحسن بن مخلد لان ماله كله كان قد جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شيء وكان متعطلا فلم تقصد النهابة داره وما أمسينا الا على سرور بالفرج الذي لم يكن لنا في الحساب * حدثني أبو الفرج المخزومي المعروف بالببغا الشاعر قال كان بحلب رجل بزاز يعرف بأبي العباس بن الموصول فاعتقله سيف الدولة بخراج كان عليه مدة وكان الرجل محذقا في تفسير الرؤيا فلما كان في بعض الايام كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة اليه يسأله فيها حضور مجلسه فأمر باحضاره وقال له لاي شيء سألت الحضور قال لعلمي انه لا بد من ان يطلقني الامير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم فقال له ومن أين لك ذلك قال لاني رأيت البارحة في آخر الليل رجلا قد سلم اليّ مشطاً وقال سرح لحيتك ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحاً من شدة واعتقال ولكون المنام في آخر الليل حكمت ان تأويله يصح سريعاً ووثقت بذلك فجعلت الطريق الى الامير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له احسنت التأويل والامر على ما ذكرت وقد أطلقتك وسوغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر * اخبرني القاضي ابو طالب محمد بن احمد بن اسحق بن البهلول التنوخي فيما اجاز لي رواية

عنه بعد ما سمعته منه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثني أبو سهل الداري القاضي قال حدثنا أبو حسان الزيادي القاضي قال جاءني رجل من اهل خراسان فاود عني بدرة دراهم فأخذتها مضمونة وأسرعت فيها وكان قد عزم على الخروج الى مكة ثم بداله فعاود فطلبها فاغتممت وقلت له تعود غدا ثم فزعت الى الله عز وجل ودعوته ثم ركبت بغلتي في الغلس وأنا لا أدري أين أتوجه وعبرت الجسر وأخذت نحو المخرم وما في نفسي أحد أقصده فاستقبلني رجل راكب فقال اليك بعثت فقلت ومن بعثك قال دينار بن عبدالله فأتيته وهو جالس فقال لي ما حالك فقلت وما ذاك فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لي اغث ابا حسان فحدثته بحديثي فدعا بعشرين الف درهم فدفعها الي فرجعت فصليت في مسجدي الغداة فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقي * ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر باسانيد قالوا حدثنا ابو حسان الزيادي قال اضقت اضاقة بلغت منها الغاية حتى ألح علي القصاب والبقال والخباز وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة واني ليوم من الايام على تلك الحال وأنا مفكر فيما اعمل اذ دخل على غلامي فقال حاجي بالباب يستأذن فقلت له ائذن له فدخل رجل خراساني فسلم وقال ألست ابا حسان فقلت نعم فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعي جملة مالي وقد احضرته في بدرة معي وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج ان يكون قبلك حتى اقضى حجي وارجع فآخذه اذ كنت غريبا بهذه البلد لا أعرف به أحدا فقلت هات البدرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم احضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندي دين واتسعت وأنفقت وقلت اضمن هذا المال للخراساني فالى أن يجيء يأتي الله بفرج من عنده فكنت يومي ذلك في سعة ولست أشك في خروج الخراساني الى الحج فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الى الغلام فقال الخراساني الذي كان عندك أمس بالباب فقلت ائذن له فدخل الي فقال اني كنت عازما على ما أعلمتك به ثم ورد علي الخبر بوفاة والدي وقد عزمت على الرجوع الى بلدي فتأمر لي بالمال الذي اعطيتك أمس

فورد على أمر لم يرد عليّ مثله قط وتحيرت فلم أدر بماذا اجيبه وتفكرت ما ذا اقول للرجل ان جحدته قدمني واستحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتك وان دافعته صاح وهتكني فقلت نعم عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز ولما أخذت مالك وجهت به الى من هو قبله فتعود في غد فتأخذه فانصرف وبقيت متحيراً لا أدري ما اصنع وغلظ عليّ الامر جداً فأدركني الليل وفكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني نوم ولم أقدر على الغمض فقمت الى الغلام وقلت له اسرج لي البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعد وما مضي من الليل شيء فالى اين تمضي فرجعت الى الفراش فاذا النوم ممتنع علي فلم ازل اقوم الى الغلام وهو يردني حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وانا لا يأخذني القرار حتي طلع الفجر واسرج الغلام البغلة وأقبلت افكر وهي تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بي اليه فتركتها فعبرت ثم قلت الى اين اعبر ولكن ان رجعت وجدت الخراساني على بابي فأدعها تمضي حيث شاءت فلما عبرت الجسر أخذت بي يمنة دار المأمون فتركتها ومرت فلم أزل كذلك الى ان قربت من دار المأمون والدنيا بعد مظلمة واذا بفارس قد تلقاني ونظر في وجهي ثم سار وتركني ثم رجع الي وقال ألست ابا حسان الزيادي قلت نعم قال بعث اليك فقلت وما تريد يرحمك الله ومن بعثك الي فقال الامير الحسن بن سهل فقلت في نفسي ما يريد مني ثم قلت فها انا ذا أمضى اليه فمضي حتى استأذن لي عليه فدخلت عليه فقال ابا حسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطعت عنا قلت لاسباب وذهبت اعتذر من التخلف فقال دع ذا عنك انت في لوثة وأمر ما هو فاني رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها الى آخرها الى ان لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال لا أغمك الله يا ابا حسان قد فرج الله عنك هذه بدرة للخراساني مكان بدرته وبدرة أخرى تتسع بها فاذا نفدت أعلمنا فرجعت من ساعتي فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله عز وجل عني *

وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن جعفر قال حدثنا أبو القاسم علي

ابن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثا ببغداد ثقة مشهورا قال حدثني أبي عن ابيه قال كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفت وتعطلت وضقت اضاقة شديدة وركبني دين فادح لخباز وبقال وقصاب وعطار وبزاز وغيرهم حتي قطعوا معاملتي لكثرة مالهم علي وتآبتهم من ان أقضيهم فتضاعفت اضاقتي واشتدت حيلتى فاني يوما في مسجدي قد صليت بأهله الغداة ثم أقبلت ادرس اصحابي الفقه اذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث علي نحو ما ذكره طلحة الا انه قال فلما بلغت بغلتي مربعة الجسر استقبلني موكب فيه من الشموع والنفاطات ما اضاء منه الطريق فصار كالنهار فطلبت زقاقا استخفي فيه حتى يجوز الموكب فلم أجد فاذا رجل من أهل الموكب يقول أبو حسان فتأملته فاذا هو دينار بن عبدالله فسلمت عليه فقال اليك جئت ارسل أمير المؤمنين الي الساعة وأمرني ان أركب اليك بنفسي وأحضره اياك قال وأدخلني على المأمون فقال قصتك فاني رأيتك في منامي البارحة وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم باغاثتك قال فحدثته بحديثي فقال المأمون اعطوا أبا حسان ثلاث بدر وولاني الري وأمرني بالخروج اليها قال فعدت وما طلع الفجر فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت فاذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار وأخرجت البدر فلما رآها قال ماهذا فقصصت عليه الحديث وأعطيته بدرة فأخذها وانصرف * وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار بن عبدالله أن رسوله لقى أبا حسان في طريقه فقال له قسمت شيئا على عيالى فذكرت عيالك فأنفذت اليك عشرة آلاف درهم فأخذها ورجع من الطريق وباكره الخراساني فأعطاه اياها كلها لانه كان أنفق جميع مال الخراساني ثم عاد من غد الى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث فقال فكانما قضينا دين الخراسانى ثم أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأمون * وحدثني ابي هذا الحديث في المذاكرة قال حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه الا انه قال فيه ان الخراساني

قال في حديثه لأبي حسان ان رجع الحجاج ولم ترني قد رجعت اليك فاعلم انى قد هلكت والبدرة هبة مني اليك وان رجعت فهي لي ثم يتقارب لفظ الحديثين الى ان لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رآهم تنحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان بادروا اليه وقالوا له أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادي فقال أنا هو فقالوا له أجب أمير المؤمنين وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت قال رجل من اصحاب أبي يوسف القاضي من الفقهاء قال بأي شيء تكنى قال بابي حسان قال بمن تعرف قال فقلت بالزيادي ولست منهم انما سكنت بينهم فنسبت اليهم فقال قصتك فشرحت له خبري قال فبكى بكاء شديداً ثم قال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسببك اذ أتاني في أول الليل فقال أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت ولم أعرفك وأثبت اسمك ونسبك ونمت فاتانى فقال كمقالته فانتبهت منزعجاً ثم نمت فاتاني وقال ويحك أغث أبا حسان فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك ثم اعطانى عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراسانى ثم اعطانى عشرة آلاف درهم اخرى فقال اتسع بها وأصلح أمرك وأعمر دارك واشتر مركبا سريا وثيابا حسنة وعبداً يمشي بين يدي دابتك ثم اعطانى ثلاثين الف درهم فقال جهز بناتك بهذه وزوجهن فاذا كان يوم الموكب فصر الي لاقلدك عملاً وأحسن اليك قال فخرجت والمال محمول معي فجئت الى مسجدي فصليت الغداة والتفت فاذا الخراسانى فادخلته الي البيت واخرجت بدرة فقلت خذ هذه فلما رآها قال ليس هي عين مالي فقلت نعم فقال ما سبب هذا الامر فقصصت عليه القصة فبكي وقال والله لو صدقتني في اول الامر عن خبرك ما طلبتك بها وأما الآن فوالله لا ادخل مالي شيء من مال هؤلاء وأنت في حل وقام فانصرف فاصلحت أمري وبكرت يوم الموكب الى باب المامون فادخلت عليه وهو جالس جلوساً عاماً فلما مثلت بين يديه استدناني ثم اخرج عهداً من تحت مصلاه فقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد أجريت عليك في كل شهر

كذا وكذا فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسألوني عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان قاضي المدينة الشرقية الى ان مات في آخر أيام المامون * أخبرني محمد بن الحسن ابن المظفر عن بعض الهاشميين قال حبس المهدي يعقوب بن داود وزيره فطال حبسه قال فاتاني آت في منامي فقال قل يا رفيق يا شفيق أنت ربي الحقيق ادفع عني الضيق انك على كل شيء قدير . فما شعرت الا والابواب تفتح فادخلت على الرشيد فقال اتاني الذي اتاك فاحمد الله عز وجل وخلي سبيلي * وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة قالوا حدثنا عبدالله بن يعقوب بن داود قال قال لي أبي حبسني المهدي في بئر وبنيت عليها قبة فكنت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلى الي في كل يوم رغيف وكوز ماء وأوذن باوقات الصلاة فلما كان رأس سنة ثلاث عشرة حجة اتاني آت في منامي فقال

حنا على يوسف رب فأخرجه ... من قعر جب وبئر حوله غمم

قال فحمدت الله تعالى وقلت أتى الفرج قال فمكثت حولا آخر لا أرى شيئاً فلما كان في رأس الحول الرابع عشر أتاني ذلك الآتي فقال لي

عسى فرج يأتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته أمر

ثم اقمت حولا آخر لا أرى شيئاً ثم اتاني الآتي بعد الحول فقال لي

عسى الكرب الذي امسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله الرجل الغريب

قال فلما اصبحت نوديت فظننت اني أوذن بالصلاة فدلي الي حبل وقيل لي شد به وسطك ففعلت واخرجوني فلما تأملت الضوء غشي على بصري فانطلقوا بي الى الرشيد فقيل لي سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي قال لست به قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد فقال الرشيد يا يعقوب بن

داود ما شفع فيك احد غير اني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقك فوثبت لك من المحل الذي كنت فيـه وأخرجتك قال واكرمني وقرب مجلسي ثم ان يحيى بن خالد تنكر لي كانه خاف على ان أغلب على أمير المؤمنين دونه فخفته فاستأذنت في الحج فأذن لي ثم لم يزل مقيماً بمكة حتى مات بها * وجدت في بعض الكتب ان المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً وقد انتبه من منامه فزعا مرعوباً فقال ضع يدك على رأسي واحلف بما استحلفك به فقال هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن علي وعلي وحلف بايمان البيعة انني امتثل ماتأمرني به فقال سر الى المطمرة واطلب فلاناً العلوى الحسيني فاذا وجدته فاخرجه وخيره بين الاقامة عندنا مطلقا مكرماً محبوراً أو الخروج الى أهله فان أراد الخروج قدت اليه كذا وكذا وان أراد المقام أعطيته كذا وكذا وهذه توقيعات بذلك قال فأخذتها وصرت الى من ازاح علتي في الجميع وصرت الى المطبق فطلبت الفتى فأخرج الي وهو كالشن البالي فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين فاختار الرجوع الى أهله بالمدينة فسلمت اليه الصلات والحملان فلما جاء ليمضي قلت له بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين الى اطلاقك قال اي والله كنت الليلة نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كانه أيقظني وقال أي بني ظلموك قلت نعم يارسول الله قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما ياسابق الفوت و ياسامع الصوت و ياناشر العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي فرجاً ومخرجاً انك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا اقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين قال فوالله لقد قمت وفعلت ذلك ومازلت اكررها حتى دعوتني قال فحمدت الله عز وجل على توفيقي في مسألته وعدت الى المهدي وحدثته بالحديث فقال ويحك صدقك والله كنت نائماً في فراشي فرأيت في منامي زنجياً بعمود حديد قائماً على رأسي يقول لي اطلق فلاناً العلوي الحسيني والا قتلتك فانتبهت فزعاً فوالله ماجسرت على العود الى النوم حتى جئتني باطلاقه * أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي عن أحمد بن يزيد

المهلبي قال كنا ليلة بين يدي المعتمد فحمل عليه النبيذ فجعل يخفق برأسه نعاساً فقال لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه وكانه ماشرب شيئاً فقال احضروا لي من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال فاحضر فقال له منذ كم انت محبوس فقال منذ ثلاث سنين قال فاصدقني عن خبرك قال أنا رجل من أهل الموصل كان لي جمل اعمل عليه وأعود بكرائه على أهلي فضاق الكسب علي بالموصل فقلت أخرج الى سر من رأى فان العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها اذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالاً على ان يطلقوه فاطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملي فسألتهم بالله عز وجل وعرفتهم خبري فأبوا ثم حبسوني فمات بعض القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي فقال المعتمد احضروني خمسمائة دينار فجاؤا بها فقال ادفعوها اليه واجري عليه ثلاثين ديناراً في كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا اليه ثم أقبل علينا فقال رأيت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا احمد وجه الساعة الى الحبس واخرج منصورا الجمال فانه مظلوم وأحسن اليه ففعلت ما رأيتم قال ثم نام من وقته وانصرفنا ووقع الى هذا الخبر بطريق آخر بأتم من هذه الرواية باسناد غير هذا قال كان المعتمد مع سماحة اخلاقه وكثرة جوده شديد العربدة على ندمائه اذا سكر لا يكاد يسلم له من العربدة مجلس الاقل قال فاشتهي يوماً ان يطبخ الاترج فجمع له شيء كثير مفرط العدة وعبي وحزم بعضه فاطبخ عليه فما ترك شيئاً من الخلع والحملانات والصلات الا عمله ذلك اليوم مع جلسائه وخصني منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت علامته اذا أراد ينهض جلساؤه التفت الى سرير لطيف كان اذا جلس استند اليه ويشيل برجله كانه يريد ان يصعد فيقوموا فان كان يريد النوم صعده وان لم يرد النوم رد رجله اذا قمنا ويتم شربه اما مع الحرم أو الخدم فلما كان ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهارنا أجمع وقطعة من الليل ثم شال رجله فقمنا وانصرفت الى حجرة موسومة كانت لي فلما انتصف الليل اذا بخدم يدقون باب

حجرتي فانتبهت مرعوباً فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت وقلت انا لله وانا اليه راجعون قد مضى يومنا و بعض ليلتنا أحسن مضي وقدرت اني افلت من عربدته وقد عن له أن يعربد عليّ فاستدعاني لهذا ولم أزل افكر كيف اشاغله عن العربدة الى ان صرت بحضرته فلما رآني قائماً لم يستجلسني وقال يا غلام صاحب الشرطة فزدت جزعاً وقلت لم تجر عادته في العربدة باستدعاء صاحب الشرطة وما هو الا بلية احتيل بها علي عنده فاقبلت أنظر اليه واجتهد أن يفاتحني بكلمة فأداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الارض الى ان جاء صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال احضرنيه الساعة فمضى ليحضره فسهل عليّ الامر قليلاً ووقفت وهو لا يخاطبني الى ان حضر الرجل فقال له المعتمد من انت قال انا فلان بن فلان الجمال قال وما قصتك قال انا محبوس ظلماً منذ كذا وكذا سنة وذاك اني رجل من اهل الجبل وكان لي جمال اعيش من فضل اجرتها وكان يتقلدنا فلان الامير فاستدعى الى الحضرة فاخذ جمالي غصباً يستعين بها في حمل سواده فتظلمت اليه وضججت فلم ينصفني وقال اذا صرت بالحضرة رددت جمالك فخرجت لئلا تذهب جمالي اصلاً فكنت مع جمالي اخدمها في الطريق فلما قربت من حلوان سل الاكراد منها جملاً محملاً فبلغه الخبر فاحضرني وقال انت سرقت الجمل بما عليه فقلت غلمانك يعلمون ان الاكراد سلوه فقال الاكراد انما جاؤه بمواطأة منك ثم أمر فضربت ضرباً عظيماً وقيدت وطرحت على بعض جمالي فلما وردت الحضرة انفذت الى الحبس وتملك الجمال ولم يكن لي متظلم ولا مذكر فطالت بي المحنة الى الآن فقال لبعض الخدام امض الساعة الى فلان يعني الامير واقعد على دماغه ولا تبرح او يرد على هذا جماله أو قيمتها على ما يدعي الجمال فاذا اقبض ذلك فاحمله الى الخزانة واكسه كسوة حسنة وادفع اليه كذا وكذا ديناراً واصرفه الى شأنه ثم في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد قال نعم قال هاته الساعة فاحضره فاحضر فقال ما قصتك فقال انا رجل حبست بظلم منذ كذا وكذا قال ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة فقال لصاحب

الشرطة خل عنه وقال لخادم آخر خذه فغير حاله وا كسه وادفع اليه كذا وكذا دينارًا وقال لصاحب الشرطة انصرف ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل ففرج عني فقلت وكيف تكلف امير المؤمنين النظر في هذا بنفسه في مثل هذا الوقت فقال ويحك اني رأيت الساعة رجلاً في منامي يقول في حبسك رجلان مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الجمال والآخر فلان ابن فلان الحداد فاطلقهما الساعة وانصفهما من خصومهما واحسن اليهما فانتبهت مذعورًا ثم نمت فما استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه فقال ويلك آمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك قد طال مكثهما وتحسن اليهما فلا تفعل وترجع الى نومك لصممت ان اوجعك وكان يمد يده الي فقلت يا هذا من أنت قال محمد رسول الله فكأني قد قبلت يده وقلت يارسول الله ماعرفتك ولو عرفتك ماتجاسرت على النوم ولا على تأخير أمرك فقال قم فافعل في أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتبهت واستدعيتك لتشاهد ما يجري فقلت هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام لامير المؤمنين بما أصح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة فقال امض فقد أزعجتك فمدت الى حجرتي فلما كان من غد عشيا دخلت اليه وهو جالس على الرسم للشرب فأحببت أن اعرف الجلساء ماجرى ليس هو بذلك وكنت أعرف من طبعه انه يحب الاطراء والمدح ونشر ماهذا سبيله اذا عمل جميلاً اكثر من ذكره ويتبجح به وان كان صغيرًا فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدمه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤيان النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به الى أمير المؤمنين من انصافهما والاحسان اليهما فقال والله ما أذكر من هذا شيئًا وما كنت الا سكرانًا نائمًا طول ليلتي ما انتبهت فقلت ياسيدي فتنكر وقال يا ابن حمدون اتغالطني وتخادعني بالكذب فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصة فقال من كان حاضرًا قلت فلان الخادم فلان صاحب الشرطة

واقتصصت القصة وشرحتها فاستدعى الخدم فحدثوه بمثل ذلك فأظهر عجبا شديدا وحلف بالله عز وجل وبالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نفي من العباس بن عبد المطلب انه لم يذكر من هذا كله شيئا ولا يعلم الا انه كان نائما ولا رأى مناما ولا انتبه ولا جلس ولا استدعى أحدًا ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المنام والحال ولا أظرف من نسيانه ذلك * ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الالفاظ الا انه ليس فيه حديث الاترج وذكر فيه أن الجمال كان يسمى نصرًا وان قصته انه كان من أهل نها وندوله جمال يكريها فاكترى عامل المعونة منها عشرين جملاً وحمل عليهم عشرين رجلاً من الاكراد أسرى ليحملهم الى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة ان نصرا الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فاذا دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم الى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله * وان قصة الحداد انه كان رجلاً من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فاتصلت محنته الى ان وافي الحضرة طالبًا للتصرف فتعذر عليه حتى تلف جوعا فسأل عن عمل يعمله ليلاً بيديه ليتوفر نهارًا عن طلب التصرف وينفق من أجرة مايكسبه ليلاً فأرشد الى حداد يعمل بالليل فقصده فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلام آخر يضربان بالمطرقة فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلا كان يطرقها فاغتاظ عليه فرماه بالنعل الجديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنا في الموضع متحيرًا لا أدري أين امضي وأحس الحارس بما أنكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتا ووجدني قائما فلم يشك اني القاتل فقبض علي فحبست ثم تتقارب الروايتان * وحدثني أبو محمد الصلحي قال حدثني أبو بكر محمد ابن علي الماذراني بمصر وكان شيخا جليلا عظيم الحال والنعمة والجاه قديم الرياسة والولايات الكبار للاعمال وقد وزر لخمارويه بن احمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفا وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال لما كتبت لخمارويه كنت حدثا فركبتني الاشغال وقطعني ترادف الاعمال عن تصفح احوال

المتعطلين وكان ببابي شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت عن تصريفه فرأيت ليلة في منامي أبي وكانه يقول ويحك يابني أما تستحي من الله عز وجل ان تتشاغل بأعمالك والناس ببابك يتلفون ضرًا وهزالاً هذا فلان من شيوخ الكتاب وقد أفضى أمره الى ان تقطع سراويله وما يمكنه ان يشتري بدلها انظر ان لا تغفل أمره أ كثر من هذا فانتبهت متعجباً واعتقدت الاحسان الى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت الى دار خمـارويه واذا بالرجل على دوبية له ضعيفة ثم أومي الى الترجل فانكشف فاذا هو لابس خفًا بلا سراويل فحين وقعت عيني عليه ذكرت المنام وقامت قيامتي فوقفت في موضعي واستدعيته وقلت ياهذا ماحالك وما صنعت بنفسك في ترك اذ كاري أمرك ما كان في الدنيا من يوصل الي رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانية وعينت لك رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتي الف دينار معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت قال وضممت اليه من ينجز له ذلك * حدثني أبو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال خرج أخي أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه ابا يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت لابي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثني انه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال فلما حصلت في اعماق السماوة اخفرتنا خفراؤنا وجاء قوم من الاعراب ظاهروهم علينا وأظهروا انهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا زاد فأيسنا من الحياة فقلت للناس ان الموت لا بد منه على كل حال أقمنا في مكاننا أو سرنا ولأن نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من ان نموت هاهنا وان متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وانا أحمل الصبية بنت اخي لان امها عجزت عن حملها ولما طال الطريق ولم نر محجة ولا انسانا

احسسنا بالهلاك ومات منا قوم قال وأنا في خلال ذلك قد بدأت بختمة وأنا متشاغل بها وبالدعاء الى أن وقعنا في اليوم الثالث على حلة اعراب فانكرونا فلم اعمل أنا عملاً حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت ان هذا اذا عمله الانسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا في بيوتهم واختلاف أحوال الناس فأما أنا فان صاحب البيت الذي انزلت عليه لما رأى هيبتي ودرسي للقرآن وأني لم ازل احادثه وأرفق به قال لي ما تشاء قلت تركبني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معي الى دمشق حتى أعطيك ثمن راحلتك واهبها لك واقضي حقك بعد هذا فتذمم واستحيا وقدرت اني اذا دخلت الى دمشق وجدت بها من اصدقاء أخي من آخذ منه ما اريده فكساني الاعرابي وكسا المرأة والصبية ووطأ لي راحلة ولها راحلة وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفينا وركب معنا راحلة وكان اكثر من وصل معنا الى ذلك الموضع قد تأتى له مثل ما تاتي لي قال فسرنا ونحن رفقة صالحة المدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس واذا اهلها قد طلعوا يستقبلون الناس وكل من له صديق او معرفة يسأل عنه وقد بلغهم خبر القطع فما شعرت الا وانسان يسأل عن كنيتي ونسبتي فقلت ها أناذا فعدل الي فقال انت أبو محمد بن الازرق الانباري قلت نعم فقام الي فاخذ بخطام راحلتي وتبعني الاعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل الى دمشق فجاء بنا الى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأنزلنا فلم أشك في أنه صديق لاخي فنزلت والاعرابي وأخذت جمالنا وادخلنا الحمام والبست خلعة نظيفة وفعل بالمرأة والصبية كذلك وأقمت يومي وغده في خفض عيش لا اسأله عن شيء ولا يسألني فلما كان في اليوم الثالث قال لي ماصورة هذا الاعرابي فأخبرته بما اخذنا منه فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا ديناراً فاعطانيها فدفعتها الى الاعرابي وسلمت اليه الجمال وسألت الرجل ان يزوده زاداً لا يكون مثله في البادية فأخرج له شيئاً كثيراً وخرج الاعرابي شاكراً فقال الرجل أين تريد الآن من البلاد وكم يكفيك من النفقة فلما قال لي ذلك ارتبت به وقلت لو كان

هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي فقلت له كم كاتبك أخي ان تعطيني قال ومن أخوك فقلت أبو يعقوب بن الازرق الكاتب الانباري المقيم بمصر قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه فورد علي أعجب مورد فقلت يا هذا اني ظننتك صديقاً له وان ما عاملتني به من الجميل بسببه فانبسطت اليك بالطلب ولو لم اعتقد هذا لانقبضت فما السبب فيما عاملتني به قال أمر هو أوكد من امر أخيك يجب ان يكون انبساطك به أتم فقلت ما هو قال ان خبر الوقعة بالقافلة التي كنت فيها بلغنا في يوم كذا وكذا فما بقي بدمشق أحد الا وردت عليه مصيبة عظيمة اما بذهاب مال او بغم على صديق غيري فانه لم يكن لي بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج الى تلقي المنقطعين واصلاح أحوالهم ولم اعزم أنا فلما كان في الليل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وكانه يقول لي أدرك أبا محمد الازرق الانباري فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده فلما أصبحت خرجت مع الناس اسأل عنك فكان ما رأيت فهات فاذكر الآن ما تريده قال فبكيت بكاء شديداً لم اقدر معه على خطابه مدة ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه وأخذته وأصلحت أمري وسألت الرجل عما يعرف به فقال انا فلان بن فلان الصابوني ذكره ابو محمد وأنسيه أبو الحسن فلما بلغت الى مصر حدثت أخي بالحديث فتعجب منه وبكى وقال ابو الحسن وضرب الدهر من ضربه وورد أخي ابو محمد الى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا الحديث فقال لي لما عرفني اخي أبو محمد ما عامله به ابن الصابوني الدمشقي جعلته صديقاً وكنت اكاتبه فلما وردت الى دمشق وجدت حال الرجل قد اختلفت بمحن لحقته فوهبت له ضيعتي بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة وسلمتها اليه مكافاة على ما فعل وعامل به اخي أبا محمد * قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء حدثني الحسين بن علي الباطقائي قال حدثني أبي قال قال احمد بن المدبر لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسي ادخلت محبساً فيه احمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وهما يطالبان قال فجعلت في بيت ثالث وكنا نتحدث ونا كل جميعاً وربما أدخل الينا

النبيذ فنشرب وكان احمد بن اسرائيل شديد الجبن وكان ينكر علينا ويمنعنا ان نحدث بشيء أو نرجو لانفسنا فجاءني يوماً سليمان بن وهب فقال رأيت البارحة في نومي كأن قائلا يقول لى يموت الواثق الى ثلاثين ليلة فقم بنا الى ابي جعفر حتى نحدثه فقلت والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن اذنه فقال لى قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فاخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا أنت أحسن الناس واشدهم تحننا على نفسك وعلينا وانما تريد ان يشيع هنا فنقتل فقال له فتكتب هذه الرؤيا عندك لنمتحن صدقها فنفر وقال أما لا اكتب مثل هذا فكتبت انا في رقعة صغيرة اليوم فلما جاز يوم الثلاثين دخل الى احمد بن اسرائيل فقال لى يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين فاخرجت الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم قال ومضي يومنا الى آخره فلما كان في الليل لم نشعر بالباب الا وقد دق دقاً شديداً وصاح بنا صائح البشرى قدمات الواثق واخرجوا فقال احمد قوسوا بنا فقدحقق الله الرؤيا وأتى بالفرج فقال سليمان بن وهب كيف نمشي مع بعد منازلنا ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب فاغتاظ احمد بن اسرائيل وقال نعم نقعد حتى يجلس خليفة آخر ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتوثق بنا الى أن ينظر في أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج فخرج وخرجنا على أثره فقبل ان نخرج من باب الهادوني رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه سئل أمير المؤمنين جعفر عمن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب فقال يكونون فيه الى ان ينظر في أمورهم فجدينا في السير وقصدنا غير منازلنا فاستترنا وبحثنا عن الاخبار فبلغنا اقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت اليه رقعة عن جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نفعل فلما وصلت اليه وقع على ظهرها ولم استخفيتم وليس منكم الا من عنايتي تخصه ورأيي فيه جميل اما أبو أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور ايناخ واستوهبه فوهبته له وأمرت باحضاره ليخلع عليه فليحضر وأما أبو جعفر فانه طولب بما ليس يلزمه وقد صحت حجته في بطلانه فليصر الى وأما ابو الحسن فانه قذف بباطل فاظهروا جميعاً واثقين بما عندي من

حياطتكم ورعاية حرماتكم فصرنا اليه جميعاً وزال عنا ما كنا فيه وخلع على سليمان ابن وهب خاصة قال وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب الى أخيه الحسن ابن وهب فيما حكاه محمد بن داود

هل رسول وكيف لي برسول ... ان ليلي ان نمت حـد طويل
هل رسول الى أخي وشقيقي ... ليت اني مكان ذاك الرسول
ياأخي لو ترى مكاني في الحبـ ... ـس وحالي وزفرتي وعويلي
وعثاري اذا أردت قياماً ... وقعوداً في مثقلات الكبول
لرأيت الذي يغمك في الاعـ ... ـداء اذ يسلكوا جميعاً سبيلي
هذه جملة أراني غنياً ... معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الاله يأتي بصنع ... وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر أبياتاً أخر تماماً لهذه الابيات لم أذكرها لانها ليست من هذا المعنى ثم قال وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى كتاب الوزراء من أمر خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق غير هذا وتركت ذكره واعادته * حدثني علي ابن محمد الانصاري الخطمي قال حدثني أبو عبدالله الحسن بن محمد السمري كاتب الديوان بالبصرة قال كان أبو محمد المهلبي في وزارته قد قبض علي بالبصرة وطالبني فأطال حبسي حتى آيست من الفرج فرأيت ليلة في المنام كأن قائلاً يقول اطلب من ابن الزاهبوني دفتراً قديماً خلقا عنده على ظهره دعاء فادع الله به فانه عز وجل يفرج عنك قال فكان ابن الزاهبوني صديقاً لي من أهل ثناة واسط وهو بالبصرة فلما كان من غد قلت له عندك دفتر على ظهره دعاء فقال نعم فقلت فجئني به فجاءني به فرأيت على ظهره مكتوباً اللهم انت انت انقطع الرجاء الا منك وخابت الآمال الا فيك صل على محمد وعلى آل محمد ولا تقطع اللهم رجائي ولا رجاء من يرجوك في شرق الارض وغربها ياقريباً غير بعيد ياشاهداً لا يغيب ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً وارزقني رزقاً واسعاً من حيث لا احتسب انك على كل شيء قدير قال

فواصلت الدعاء بذلك فما مضت الا مدة يسيرة حتى وجه المهلبي فأخرجني من الحبس وقلدني الاشراف على احمد بن محمد الطويل في اعماله باسافل الاهواز

* حدثني أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت في دار القاضي ابي عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال كان في جوار القاضي قديماً رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت اسمع ان أبا عمرو حماه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعني طويلاً ثم حدثني فقال ورثت من ابي مالا جليلا فاسرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع ابواب داري وسقوفها ولم يبق لي في الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لي الا من بيع امي لما تغزله وتطعمني ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلاً يقول لي غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى ابي عمرو القاضي وتوسلت اليه بالجوار والخدمة التي كانت من ابي لابيه وسألته ان يزودني كتاباً الى مصر لاتصرف بها ففعل وخرجت فلما حصلت مصرًا وصلت الكتاب وسألت التصرف فسد الله علي التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متحيرًا وفكرت في أن أسأل الناس وأمد يدي الى الطريق فلم تسمح نفسي بذلك فقلت أخرج ليلاً وأسأل الناس بين العشاءين فما زلت أمشي في الطريق وتأبى نفسي المسألة ويحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل نصفه فلقيني الطائف فقبض علي فوجدني غريباً فأنكر حالي فسألني فقلت رجل غريب ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها وحديث المنام فقال لي أنت رجل ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن قائلاً يقول لي ببغداد بالشارع الفلاني بالمحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي فسكت وأصغيت وأتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت أحمق

فارقت وطنك وأهلك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي بذلك وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت في غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها قمقماً فيه ثلاثون الف دينار فأخذتها ودبرت أمري فأنا اعيش من تلك الدنانير وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار الى الآن

* وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحد المخزومي الحبطي عن علي بن العباس النوبختي قال حدثني احمد بن عبد الله الثعلبي قال كان من بقايا شيوخ خراسان ممن يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكنى أبا عصمة وكان يحدثنا كثيراً بأخبار الدولة وأهلها فحدثنا ان خزيمة بن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثاً فلا يحجب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره انما يدخلون ارسالاً بغير اذن فمن كان من أشراف الناس ووجوههم سلم وانصرف ومن كان من طلاب الحوائج او خطاب التصرف دفع رقعة الى الحاجب وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال له الحسن بن سلمة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز ان يوقع فيه عنه وقع وسلمه الى اربابه وما كان لا بد من قوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه وما كان من زائر ومسترفد عرضت عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه ولا يكاد ان ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط الا وهو مسرور بقضاء حاجته قال أبو عصمة وكان ممن يتصرف في الاعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمرو الحراني وكان فيه الحاح شديد وملازمة تامة اذا تعطل فيؤذي بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلازم بابه في كل يوم واذا ركب خاطبه على الطريق وربما تعرض له في دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا قال أبو عصمة فحدثني الحسن بن سلمة كاتب خزيمة قال نظر خزيمة يوماً الى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره ووافق من خزيمة ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر باخراجه من داره اخراجاً عنيفاً ثم دعاني فقال والله لئن دخل هذا الرجل داري لاضربن عنقه فأخبره بذلك وحذره

وتقدم الى البوابين والحجاب بذلك وكان خزيمة اذا وعد أو توعد فليس الا الوفاء فخرجت الى الحجاب والبوابين وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم ماقال وانه حلف ان يضرب أعناقهم وأكدت القصة والوصية بجهدي مستظهراً لنفسي ومضيت خارج الدار فاذا الرجل واقفاً فاعلمته ان دمه مرتهن بنظرة ينظرها اليه خزيمة في دار السلطان أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرته تحذيراً شديداً وخوفته بالله عز وجل في دمه ان لا يجعل على نفسه سبيلاً فشكرني على تحذيره وانصرف كئيباً فلما أصبحنا من غد غدوت الى دار خزيمة على رسمي في الملازمة فلما دنوت من الباب اذا بالرجل واقفاً كما كان يقف منتظراً لركوبه فعظم ذلك علي فقلت ياهذا أما تخاف الله عز وجل أتحب ان تقتل نفسك اما تعرف الرجل فقال والله ما أتيت هذا الرجل جهلاً مني ولا اغتراراً بل أتيته على أصل قوي وسبب وثيق وستري من لطف الله عز وجل مايسرك وتعجب منه قال الحسن بن سلمة فزاد عجبي منه ودخلت الدار فصادفت خزيمة في صحن الدار يريد الركوب فحين نظر الي قال لي مافعل حامد بن عمرو قلت رأيته الساعة بالباب وقد تهددته فلما رأيته اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت اليه من الوعيد وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدري ماهو فأنا بريء من فعله فقال بأي شيء أجابك فأخبرته فسكت خزيمة وخرج فركب فحين رآه ترجل له حامد فصاح خزيمة لا تفعل والحقني الى دار أمير المؤمنين قال وسرنا ودخل خزيمة الى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه الى حيث جرت عادتنا ان نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد دار الخليفة وجاء حامد فجلس الي فقلت أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ماجرى بيني وبين خزيمة ثانياً فقال طب نفساً فما أبدي لك شيئاً الا بعد بلوغ الامر فبينما نحن كذلك اذ دعي بحامد بن عمرو وأدخل الى حيث كان موسو مابان يدخل اليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن بأسرع من ان خرج وعليه خلع الخليفة وبين يديه لواء عقده له وقد ولي طريق الفرات بأسره

فقمت اليه وهنأته وقلت له ولا الساعة تخبرني الخبر فقال ما فات شيء ووعني ومضى وأقمت بمكاني الى ان خرج خزيمة فسرت معه الى داره فلما استقر فيها دعاني فسألني عن أمور من خدمته ثم قال أظنك قد أنكرت ماجرى في أمر حامد بن عمرو قلت اي والله أيها الامير قال فاسمع الخبر اعلم اني كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يري النائم كانه قائم يصلي ورفع يديه الى الله عز وجل يدعو علي فكانه قد وقع في نفسي أنه يريد ان يدعو علي قال فصحت به لا تفعل وادن مني فانفتل من صلاته فجاء فوقف بين يدي فقلت له مايحملك على ان تدعو علي فقال لانك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من دارك ذليلاً آيساً وأشمت بي اعدائي ووعدتني بالقتل ظلماً وقطعت أملي في طلب رزقي وقوتي فأنا اشكوك الى الله عز وجل واستمينه عليك فكاني اقول له طب نفساً ولا تدع علي فاني أحسن اليك غداً وأوليك عملاً واستعطفته فعجبت من المنام وعلمت اني ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف اسأت اليه بغير جرم وأرعبته وماذا علي اذا لح في طلب الرزق وعلمت ان المنام موعظة في أمره وحث علي حفظ النعم ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم واعتقدت ان أوليه كما وعدته في المنام فكان مارأيت قال الحسن بن سلمة فصوبت رأيه في هذا ودعوت له وانصرفت فجاءني من العشي حامد بن عمرو مسلماً ومودعاً ليخرج الي عمله فقلت هات الآن خبرك قال نعم انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلقاً مرتاعاً فأخبرت عيالي بما جرى فكانه في داري مأتم عظيم ولم أطعم أنا ولا عيالي يومي وليلتي طعاماً وأمسيت علي ذلك فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ما شاء الله وتضرعت اليه عز وجل ودعوته باخلاص طوية وصدق نية وأطلت فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كاني على حالي في الصلاة والدعاء وكأن خزيمة بن حازم قد وقف علي وأنا ادعو فصاح بي لا تفعل وعد الي فاني أحسن اليك وأوليك فانتبهت مذعوراً وقد قويت نفسي فقلت أبكر اليه فلعل الله عز وجل ان يطرح في قلبه

الرقة لي فغدوت اليه فكان مارأيت فقال الحسن فكثر تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد أخبرني الامير بمثل هذا لم يخرم منه حرفًا وبكرت الى خزيمة وحدثته الحديث وأحضر حامدًا حتى سمع ذلك منه فعجب منه وأمر له بصلة وكسوة وحملان ولم يزل بعد ذلك متعهدًا اكرامه ولا يتعطل ٭ ويقارب هذا الحديث حديثان أحدهما حدثني به غير واحد من أهل بغداد ان عطارًا من أهل الكرخ بها كان مشهورًا بالستر والامانة فارتكبه دين وقام عن دكانه ولزم بيته مستترًا وأقبل على الدعاء والصلاة الى ان صلي ليلة جمعة صلاة كثيرة ودعا ونام قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول اقصد علي بن عيسى وكان اذ ذاك وزيرًا فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك قال وكان علي ستمائة دينار فلما كان من غد قلت قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في منامه فقد رآني حقًا فان الشيطان لا يتمثل بي فلم لا أقصد الوزير قال فقصدته فلما صرت ببابه منعت من الوصول اليه فجلست الى ان ضاق صدري وهممت بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فأخبرته الخبر فقال ياهذا الوزير والله في طلبك منذ السحر الى الآن وقد سألني عنك فأنسيتك وما عرفك أحد والرسل مبثوثة في طلبك فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من ان دعا بي فدخلت على علي بن عيسى فقال مااسمك فقلت فلان بن فلان قال من أهل الكرخ قلت نعم فقال ياهذا أحسن الله جزاءك في قصدك اياي فوالله ماتهنأت بالعيش منذ البارحة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني البارحة في منامي فقال لي أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه فكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني البارحة في منامي فقال لي كيت وكيت قال فبكى علي بن عيسى وقال أرجو ان تكون هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بي ثم قال هاتوا ألف دينار فجاء بها عينًا فقال خذ أربعمائة دينار امتثالاً لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وستمائة دينار هبة مني لك فقلت ما أحب ان ازداد على عطاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاني ارجو البركة فيه لافيا عداه فبكي علي بن عيسى وقال هذه الف دينار فخذ ما بدالك فأخذت ار بعماية دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي وأريته الدنانير وسألته ان يقصد غرمائي و يخبرهم و يتوسط بيني و بينهم ففعل ذلك فقالوا نؤخر بالمال ثلاث سنين فليفتح دكانه فقلت لا ولكن تأخذون مني الثلث في كل سنة فأعطيتهم مائتي دينار وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية فما حال الحول الا ومعي الف دينار فقضيت ديني كله وما زال مالي يزيد وحالي يصلح الى الآن * والآخر حدثني به أبو الحسن علي بن يوسف الازرق التنوخي قال حدثني ابو القاسم بن ماجور المنجم قال حججت فرأيت عند طاهر بن يحيى العلوي بالمدينة رجلاً خراسانياً كان يحج في كل سنة فاذا دخل المدينة جاء الى طاهر بن يحيى فاعطاه مائتي دينار من ماله كانت كالجراية له منه فلما كان سنة قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه المال فاعترضه رجل من اهل المدينة فسب عنده طاهرًا وقال تضيع دنانيرك التي تدفعها اليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه فيما يكرهه الله عز وجل فيفعل و يصنع وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني فلما سمعت ذلك عرضت نفسي عن دفع شيء اليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من المدينة فلم ألقه فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة فتصدقت بما كنت أريد ان اتصدق به وطويت طاهرًا فلم امض اليه فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى قول اعدائه وقطعت عنه ما كنت تبره به لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت قال فانتبهت فزعاً ونويت ذلك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة دينار وحملتها معي فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست ومجلسه حافل فلما رآني قال يا ابا فلان لو لم يبعث بك الينا ما جئت فتغافلت عنه وقلت ما معنى هذا الكلام اصلحك الله قال قبلت في قول عدو الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدوي وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك وأمرك ان تعطيني الستمائة دينار هاتها ومد يده الي فتداخلني من الدهش

ما ذهلت معه فقلت اصلحك الله هكذا والله كانت القضية فما علمك بذلك قال انه بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الاولى فلما خرج الحاج ولم تجئني اثر ذلك في حالي وسألت عن القضية فعرفت ان بعض اعدائنا افيك فسبني عندك فآتني ذلك فلما كان في الحول الثاني بلغني دخولك وأنك قد عملت على قوله في فازداد بذلك غمي فلما كان منذ شهور ازدادت اضاقتي وامتنع النوم علي غما بما دفعت اليه ففزعت الى الصلاة فصليت ما قضي لي ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج مما أنا فيه ونمت في المحراب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول لا تغتم فقد لقيت فلاناً الخراساني وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك وأمرته ان يحمل اليك ما فاتك لسنتين ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع فحمدت الله عز وجل وشكرته فلما رأيتك الآن علمت ان المنام جاءبك فأخرجت الصرة التي فيهاستمائة دينار فدفعتها اليه وقبلت رأسه و بين عينيه وسألته ان يجعلني في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه* حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي قال كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية أقامت مزمنة نحو خمس عشرة سنة وكان أبي ايام نزولنا من هذا الشارع في دار شفيع المقتدري التي كان اشتراها يتفقدها ويبرهاوكانت مسجاة لا تنقلب من جنب الى جنب حتى تقلب ولا تقعد حتى تقعد وكان لها من يخدمها في ذلك وكانت فقيرة لا قوت لها هي وخادمتها الا مما تبرها الناس فلمامات ابي اختل امرها و بلغ تجني جارية الوزير المهلبي خبرها فكانت تقوم بامرها واجرت عليها جراية في كل شهر وكسوة في كل سنة قال فباتت ليلة من الليالي على حالها تلك ثم أصبحت من غد وقد برئت ومشت وقامت وقعدت وكنت مجاوراً لها فكنت ارى الناس يتناوبون باب دارها فانفذت امرأة من داري ثقة تعرفها حتى شاهدتها وسمعتها تقول اني ضجرت من نفسي ضجراً شديداً فدعوت الله عز وجل طويلاً بالفرج مما أنا فيه او بالموت وبكيت بكاء متصلا وبت وأنا قلقة متألمة ضجرة وكان سبب ذلك ان الخادمة تضجرت وخاطبتني بما

ضاق منه صدري فلما استثقلت في نومي دخل علي رجل فارتعدت منه وقلت يا هذا كيف تستحل ان تراني فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه فقال انا أبوك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكيت وقلت يا رسول الله ادع لي بالعافية قال فحرك شفتيه بشيء لم أفهمه ثم قال هاتي يديك فأعطيته يدي فأخذها وجذبني بهما فقمت فقال لي امشي على اسم الله تعالى فقلت كيف امشي فقال يديك فأخذهما وما زال يمشي وهما في يديه ساعة ثم اجلسني حتى فعل بي ذلك ثلاث مرات ثم قال قدوهب الله عز وجل لك العافية فاحمديه واتقيه وتركني ومضى فانتبهت وأنا لا أشك انه واقف لسرعة المنام فصحت فظننت الجارية أني أريد البول فتثاقلت فقلت ويحك اسرجي السراج فاني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فانتبهت المرأة فوجدتني مسجاة فشرحت لها المنام فقالت أرجو ان يكون الله عز وجل قد وهب لك العافية هاتي يديك فأعطيتها يدي فأجلستني ثم قالت لى قومي فقمت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات الاخيرة منهن مشيت وحدي فصاحت الخادمة سرورًا بالحال واعظاما لها فقدر الجيران أني قدمت فجاؤني فقمت ومشيت معهم قال ابو محمد وما زالت قوتها تزيد الى ان رأيتها قد جاءت الى والدتي في خف وازار بعد أيام ولا قلبة بها فبررتها وهي باقية وهي من أصلح النساء وأورعهن من أهل زماننا وقد زوجت من رجل علوي موسر وصلحت حالها ولا تعرف الآن الا بالعلوية المزمنة ومضى على هذا الحديث شهور كثيرة فجرى بيني وبين ابي بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريعة مذاكرة بالمنامات فحدثني بحديث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثني به ابو محمد بن فهد قال قال لي ابو بكر أنا كنت احمل اليهـا جرايتها من عند تجني جارية الوزير ابي محمد المهلبي وكسوتها على طول السنين وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشي بعد ذلك صحيحة بلا قلبة وتجي الي لتجني وتجني زوجتها من العلوي وأعطتني مالًا قمت منه بتجهيزها وأمرها حتى اعرس بها زوجها وهي الآن من خيار النساء قال مؤلف

هذا الكتاب وحدثني بهذا الحديث جماعة اسكن اليهم من أهل شارع دار الرقيق بخبر هذه العلوية على مثل هذا وهي باقية الى الآن وآخر معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلثاية ولا تعرف الآن الا بالعلوية الزمنة * حدثني أبو محمد يحيى بن فهد الازدي الموصلي قال سمعت ابا القاسم السعدي يحدث ابي رحمه الله قال كنت وأنا حدث السن مشغوفاً بغلام لي شغفاً شديداً وكنت منهمكا على الفساد وكان ربما هجرني فأترضاه بكل ما اقدر عليه حتى يرضى قال وانه غضب علي مرة غضباً شديداً وهرب واسترعني حتى لحقني من الحيرة والوله ماقطعني عن النظر في امري واجتهدت في صرف ذلك عني فلم ينصرف وحضر وقت خروج الناس الى الحائر على ساكنه افضل الصلاة والسلام فكتبت رقعة اسأل الله الفرج مما أنا فيه ودفعتها الى بعض من خرج وسألته ان يدفعها فى ناحية من القبر وأتت ليلة النصف من شعبان ففزعت الى الله عز وجل في كشف مابي وصليت ودعوت ثم غلبني النوم فرأيت في منامي كانني في مقابر قريش والناس مجتمعون فيها اذ قيل جاء الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فتشوقت لرؤيتهما فاذا بالحسين رضي الله عنه في صورة كهل وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليها السلام متنقبة بنقاب بياض فاعترضت الحسين رضي الله عنه وقلت له يا ابن رسول الله كتبت اليك رقعة في حاجة لي اسألك فان رأيت ان تعمل فيها فلم يجبني ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوماً قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما فلم أزل اتوصل الى ان دخلت فأعدت الخطاب عليه فلم يجبني فقلت ياسيدة اني رأيت على ان تعملي في أمري فقالت على ان تتوب قلت نعم فقالت قل الله فقلت الله فكررت علي ثلاثاً ثم اومأت الى جماعة ممن كانوا قياماً ودفعت اليهم خاتماً كان في يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكري بخيط شداً قويا ثم وضعوا على الشد طيناً وختموه بالخاتم فورد على من الالم ما انبهني فانتبهت وأثر الخيط في الموضع وصار اثر الختم كالجدري مستديراً حول الموضع ثم قال ان شيت كشفت لك فأريتك

فقد رأيت الجماعة فقلت اني لا استحل النظر الى ذلك قال السعدي فاصبحت من غد ولم يبق في قلبي شيء من الغلام فاشتريت الجواري وكنت لا انكر من جماعي شيئاً ثم طالبتني نفسي بالغلمان وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم اقدر عليه وبطل العضو فلما فارقته أنعظت فعاودته فاسترخى فجربت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك ومانقضتها الى الآن * حدثنا ابو علي الحسين بن محمد الانباري الكاتب قال كان ابن الفرات يتتبع ابا جعفر ابن بسطام بالاذية ويقصده بالمكاره فلقي منه في ذلك شدائد كثيرة وكانت ام ابي جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلاً ان تجعل في كل ليلة تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً فاذا كان من غد تصدقت به عنه فلما مضت مدة من اذية ابن الفرات له دخل الى ابن الفرات في شيء احتاج اليه فيه فقال ابن الفرات يا ابا جعفر لك مع امك خبر في رغيف فقال لا قال لابد ان تصدقني فذكر ابو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير باحوال النساء فقال ابن الفرات لا تفعل فاني بت البارحة وأنا ادبر عليك أمرًا لو تم لاستاصلتك ونمت فرأيت في منامي كان بيدي سيفاً مسلولاً وقد قصدتك فاعترضتني امك بيدها رغيف تتترسك به مني فما وصلت اليك وانتبهت فعاتبه ابو جعفر على ما كان بينهما وجعل ذلك طريقاً على استصلاحه وبذل له من نفسه ما يريده ولم يبرح حتى ارضاه وصارا صديقين وقال له ابن الفرات لا رأيت بعدها مني سوأً ما عشت ابدًا * وروي عن محمد ابن علي بن يونس عن ابيه انه كتب لرجاء بن ابي الضحاك وهو بدمشق وان علي بن اسحاق بن يحيي بن معاذ كان يتقلد خلافة خمار تكين على المعونة على دمشق فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من اسبابه وأمر بحبسي فحبست في يدي سجان كان جارا لي وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة فدخل الي وقال اخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة ثم جاءني وقال قد قتل مطببه ثم جاءني فقال قد قتل ابن عمه ثم جاءني فقال قد قتل كاتبه الآخر فلان ثم قال الساعة يدعي بك لتقتل فلما سمعت ذلك نالني جزع شديد وخرج السجان وقفل

الباب ودعي بي فدافع عني وقال مفتاح القفل مع شريكي والساعة يحضر فنالني في تلك الساعة نعاس فرأيت في منامي كاني ارتمطت في طين كثير وكاني قد خرجت وما بلت قدمي واستيقظت وتأولت الفرج وسمعت حركة شديدة فلم اشك انها لطلبي فعاودني الجزع فدخل السجان وقال ابشر فقد أخذ الجند على بن اسحاق فحبسوه فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاؤا بي الى مجلس علي بن اسحاق الذي كان فيه جالساً وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه الى المعتصم في تلك الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنوباً ولنفسه معاذير ويسمي رجاء المجوسي الكافر فحرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب الى المعتصم من نفسي وما أجري اليه علي بن اسحاق وأنفذت الكتاب ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم مني وحمل الى المعتصم فحبس حبساً طويلاً وأظهر الوسواس وتكلم فيه احمد بن أبي دواد فأطلق * وجدت في بعض الكتب ان المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالي وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له صر الساعة الى الباب الذي يلي باب الشام فانك ستصادف هناك رجلاً مجوسياً مستنداً الى الباب الحديد فجئني به فمضي الربيع مبادراً وعاد والمجوسي معه فلما رآه المنصور قال نعم هو هذا ماظلامتك فقال ان عاملك بالانبار جاورني في ضيعتي فساومني ان أبيعه اياها فامتنعت لان معيشتي منها وقوت عيالي فغصبني عليها فقال له المنصور فأي شيء دعوت به قبل ان يصل اليك رسولي قال قلت اللهم انك حليم ذو أناة ولا صبر لي على اناتك فقال المنصور للربيع أشخص هذا العامل واحسن أدبه وانتزع الضيعة من يده وسلمها الى هذا المجوسي وابتع من العامل ضيعته وسلمها اليه أيضاً ففعل الربيع ذلك كله في بعض نهار وانصرف المجوسي وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن اليه * وجدت في كتاب حدث القاسم بن كرسوع صاحب أبي جعفر بخبره وقال ان ابن أبي عون صاحب الشرطة قد وعد مخبره ان يجيئه للاقامة عنده والشرب مصطبحاً على ستارته في يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب مخبره بتأخره فبعث غلاماً له في طلبه وتعرف خبره فعاد الى مخبره وقال وجدته في مجلس

الشرطة يضرب رجلاً بالسياط وقد ذكر انه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبي عون فقال له أبو جعفر قد وعدتني ببكورك وشغلتني بتأخرك فما سبب ذلك فقال اني رأيت البارحة في منامي كاني بكرت بليل لاجيئك وليس معي سوى غلام واحد فسرت في خراب اسحاق بن ابراهيم بن مصعب لاجيء الى رحبة الجسر فاني لاسير في القمر اذ رأيت شيخاً بهياً نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفي يده عكاز فسلم علي وقال اني أرشدك على مافيه مثوبة لك في حبسك شيخ مظلوم وافى البارحة من المداين في وقت ضيق فاتهم انه قتل رجلاً وهو بريء من دمه وقدضرب وحبس وقاتل الرجل غيره وهو في غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق التك بالكرخ واسمه فلان بن فلان ابعث من يأخذه فانك ستجده عريان سكران وفي يده سكين مخضبة بدم فاصنع ماترى به وأطلق الشيخ البائس فقمت فانتبهت فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجسر فقلت ماحدث في هذه الليلة فقالوا وجدنا هذا القتيل وهذا الشيخ معه فضربناه فلم يقر فرأيت به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره فقال أنا معروف بالمداين بسلامة الطريقة ومعاشي التنبيح أنفذني فلان بن فلان الى فلان بن فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل بغداد فوجدت في الطريق رجلاً مقتولاً فخرجت ولم أدر أين آخذ فأنا على حالي اذ أدركني الاعوان فظنوني قتلته والله ما أعرفه ولا رأيته قط ولا أدري من هو ولا من قتله ولا قتلت أحدًا قط وقد ضربوني وحبسوني فالله الله في دمي فقلت قد فرج الله عنك انطلق حيث شئت ثم أخذت الرجالة ومضيت الى طاق التك فوجدت الغرف مصطفة كما وصف الشيخ فهجمت على الوسطى فاذا رجل سكران عليه سراويل فقط وفي يده سكين مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم يا سيدي أنا جرحته انا القحبة وان مات فأنا قتلته فأنزلته مكتوفاً وبعثت به الى الحبس وانحدرت الى الموفق فحدثته الحديث فتعجب منه وتقدم الي أن اضرب القاتل بالسياط الى ان يتلف واصلبه في موضع جنايته فتشاغلت بذلك الى أن فرغت ثم جئتك * حدثني

محمد بن علي بن اسحاق قال خرجت مع أبي وهو يكتب لمحمد بن القاسم الكرخي المكني بأبي جعفر لما تقلد الموصل والديارات وكان قد ضم الى أبي جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصيبين كان أبي قد مضي وأنا معه الى أبي العباس احمد بن كشمرد مسلماً عليه فتحدثا فسمعته يحدثه قال لما أسرني أبو طاهر القرمطي فيمن أسره بالهبير فحبسني وأبا الهيجاء والغمر في ثلاث حجر متقاربة ومكننا من ان نتزاور ونجتمع على الحديث فمكن أبا الهيجا خاصة واختص به وعمل على اطلاقه وشفعه في أشياء فسألت أبا الهيجاء ان يسأله اطلاقي فوعدني واستدعاه القرمطي فمضى اليه وعاد الى حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدافعني فقلت لعلك أنسيت فقال لا والله ولوددت اني ما ذكرتك له اني وجدته منغيظاً عليك فقال والله لاضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد ورحل أبو الهيجاء فورد علي أمر عظيم وعدت الي حجرتي وقد يئست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي كان قائلاً يقول لي اكتب في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل الى المولى الجليل مسني الضر والخوف وأنت ارحم الراحمين فبحق محمد وآل محمد اكشف همي وحزني وفرج عني واطرح الرقعة في هذا النهر وأومأ الي ساقية كانت تجري هناك في المطبخ فانتبهت من نومي وكتبت الرقعة وطرحتها في الساقية فلما كان السحر استدعاني القرمطي فلم اشك انه القتل فلما دخلت اليه أدناني واجلسني وقال قد كان رأيي فيك غير هذا الا اني قد رأيت تخليتك فخرجت فاذا على الباب راحلة ورجل يصحبني فركبت ودخلت البصرة سالماً ولحقت ابا الهيجاء بها فدخلنا معاً الى بغداد * وقال ابو الحسن علي بن زكي قال كنت مع صاحبي عيسى البوسري وكان مضافاً لمحمد بن سليمان الكاتب على حزب الطولونية الى ان افتتحت مصر فتقلد قال قال عيسى خرج يوماً محمد بن سليمان الى ظاهر الفسطاط فانتهى به السير الى قبة كانت لاحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مطلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه الحسين بن حمدان وجماعة من القواد ثم قال الحمد لله الذي بيده الامر كله يفعل ما يشاء فقال له

الحسين بن حمدان لا شك ان تجديدك الحمد لامر قال نعم وهو عجيب ظريف ذكرته الساعة وهو اني نزعت الى مصر وانا في حال رثة في زي صغار الاتباع فضاق علي المعاش بها فاتصلت بلؤلؤ الطولوني فاجرى علي دينارين في كل شهر وصيرني مشرفاً في اصطبله علي كراعه فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ولا اقدم علي الوقوف بين يديه فلما كان بعض الايام احضرني فقال ويحك من أين يعرفك الامير يعني احمد بن طولون فقلت والله ما رآني قط ولا وقعت عينه علي الا في الطريق ولا محلي محل من يتصدى لقائه فقال دعاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال معك رجل اشقر اشهل يقال له محمد بن سليمان فقلت ما اعرفه فقال بل هو في جنبتك فابعده عنك فاني رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكنس داري بها فتوق ويحك ولا تتعرف الى احد من حاشيته واقرني على أمري فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعاني ثانية فقال ويحك ماذا بليت به منك و بليت انت به من هذا الامير دعاني بعدة من اصحاب الرسائل فوافيته وانا في غاية الوجل فقال أليس امرتك بصرف محمد بن سليمان الازرق الاشقر فقلت قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه صفته ولا وقعت لي عليه عين فقال لي كذبت وهو معك في اصطبلك فاخرجه عن البلد الساعة فاني رأيته في النوم أيضاً وفي يده مكنسة وهو يكنس بها سائر دوري وحجري ونسأل الله الكفاية فقلت للؤلؤ اي ذنب لي ياسيدي في الاحلام فقال لي صدقت فاستتر الي ان يتناسى الامير ذكرك وكان يجري علي رزقي في كل شهر وانا لا أعمل شيئاً فلما تهيأ من انفاذ لؤلؤ الى الشام ما تهيأ نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا علموا من تغيير حاله عند صاحبه فادناني وقربني واجري علي عشرة دنانير في كل شهر وحملني على دابة فلزمت خدمته ولقيته واستحمدت اليه فرادني من رأيه ولم ينتبه احمد بن طولون من استيحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع الى مصر فشاورني فاشرت اليه بالانحدار الى نواحي ديار مصر واخذ كل ما استخف نيله من المال ولم اترك غاية الا اتيتها في تضريته وتأليبه حتى اوردته

مدينة السلام ثم تقلبت بي الاحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول وتوفي احمد بن طولون وحبس ابنه وقتل ابو الجيش وتولى بعدهم هارون بن خمارويه ابن احمد وضم الي القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان اصغرهم حالاً فلم اقصر في صلاح حاله والاحسان اليه ومعرفة حقه فلم أدن من الشام حتى تلقاني بدر الحمامي مطيعاً وتلاه طغج بن حف مسرعاً وصرت الى مصر فلما شارفتها وثب شيبان بن احمد بن طولون ومن معه من جند مصر فقتلوا هارون وتولى شيبان الامر اياماً وانثال الى القواد في الامان ولحق بهم شيبان وتخلف الرجالة وقطعة من الفرسان واظهروا الخلاف فاوقعت بهم وافنيتهم قتلاً واسراً ودخلت الفسطاط عنوة وحويت النعم والمهج واشخصت الطولونية من البلد الى الحضرة حتى لم يبق فيها منهم احد وصح بذلك منام احمد بن طولون فسبحان الذي ما شاء فعل واياه نسأل خير ما تجري به اقداره وان يختم لنا بخير رحمته

* حدثني ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالببغا قال اعتللت بحلب علة خف منها بدني كله فكنت كالخشبة لا اقدر ان اتحرك ونحل جسمي وتقلبت في اغلال متصلة متضادة وانا من هذا أنفى خلف فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الاطباء من برئي وقطعوا مداواتي وكان لي صديق يعرف بأبي الفرج ابن دارم من اهل بلدي يعني نصيبين مقيم بحلب يلازم عيادتي وكان افرط اغتمامه بي وان الاطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً يؤلم قلبي و يويسني من نفسي ويجاوز ذلك الى التصريح لي باليأس وتوطيني ثم تمدى هذا الى ان صار لا يملك دمعته اذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك وتضاعفت به علتي وحارت معه قوتي فاعتقدت ان اقول لغلامي ان يترصده فاذا جاء ليدخل عليّ قال له عني اني لا استحسن حجابه وان علتي قد تضاعفت بما اشاهده واسمع من خطابه و يسأله ان ينقطع عني او يقطع مخاطبتي بما فيه اياسي وقررت عزمي على ذلك في ليلة من الليالي ولم أخاطب به غلامي فلما كان في صبيحة تلك الليلة باكرني ابن أبي دارم فحين وقعت عيني عليه تثاقلت به خوفاً من ان يسلك معي مذهبه وهممت ان افتتح مخاطبته بما كنت عزمت على

مراسلته به فسبقني بان قال لي قد جئتك مبشرًا فقلت بماذا قال رأيت البارحة كاني بالرقة والناس يهرعون الى زيارة قبور الشهداء فقال ابو الفرج وهم ممن قتلوا مع امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه وحملوا الى ظاهر الرقة فدفنوا بها والحال في ذلك مشهور والقبور الى الآن مغشية معمورة فقال ابن ابي دارم ورأيت كأن اكثر الناس مطيفون بقبة فسألت عنها فقيل لي قبر عمار بن ياسر فقصدتها واطلعت فيها فاذا القبر مكشوف وفيه رجل شيخ جالس بثياب بيض وفي رأسه ضربات بينة دامية وعلى لحيته دم والناس يقولون هذا عمار بن ياسر وكاني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيبهم فلحقتني حيرة ولم أدر عما اساله فقلت ياسيدي لعلك عارف بأبي الفرج عبد الواحد ابن نصر المخزومي المعروف بالببغا قال انا عارف به قلت أتعرف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة فقال نعم قلت أفيعيش و يبرأ أم لا فقال يعيش و يبرأ ولكن انت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريبا واستيقظت قال وأخذ يهنيني بالعافية و يقول قد سرني لك ما جرى ولكن قد أوحشني في أمر ابني فاسأل الله الكفاية قال أبو الفرج وكان للرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو في الحال معافي فلما مضت خمسة ايام من الرؤيا حم الفتى فقويت نفسي في صحة المنام وما مضت الا ايام يسيرة حتى مات الفتى وادبر مرضي ولم تزل العافية تتزايد الى ان قويت وعاودت الي عادتي بعد مدة قريبة * وجدت في بعض الكتب انه لما اشتدت الحرب بين الاسكندر و بين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر الى معسكره قائمًا مغمومًا متحيرًا مهمومًا عامة ليلته ثم نام فرأى في منامه كانه صارع دارا فصرعه دارا فانتبه وقد زاد همه وغمه فقص رؤياه على بعض فلاسفته فقال ابشر أيها الملك بالغلبة والنصر وانك تملك على دارا الارض لانك كنت قلبها لما صرعك فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه الى الاسكندر وملك ممالكه * قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير

والاخبار ان عبد الله بن الزبير رأى في منامه كانه صارع عبد الملك بن مروان فصرع عبد الملك وسمره في الارض بأربعة أوتاد فأرسل راكبا الى البصرة وأمره ان يلقي ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمي عبد الملك فسار الراكب حتى أناخ بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا فقال أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير او عبد الملك بن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب فقال ما أفسرها او تصدقني فلم يصدقه فامتنع من التفسير وانصرف الراكب الى ابن الزبير فأخبره بما جرى فقال له ارجع اليه فاصدقه اني رأيتها في عبد الملك فرجع الراكب الى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له قل له أيها الامير عبد الملك يغلبك على الارض ويلي هذا الامر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الاوتاد التي سمرته بها في الارض * قال وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدي الكاتب المقيم بالبصرة الى ان مات بها قال لما سعى أبو احمد طلحة بن الحسين بن المثنى مع جيش أبي القاسم بن ابي عبد الله اليزيدي في ان يقبضوا عليه ويحبسوه عند ابي احمد وان يرد المطيع لله او جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلموا منه ابا القاسم اليزيدي وكانت القصة مشهورة في ذلك فبلغتني فخلوت بابي احمد وكنت اكتب له حينئذ وكان لا يحتشمني في اموره ونبهته على هذا الرأي وعرفته وجوه الغلط عليه والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل لمشورتي الى أن اكثرت عليه فقال لي اعلم اني رأيت رؤيا وانا بها واثق في تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل فعجبت من نفسي في رجل يخالف الحزم الظاهر والرأي الواضح من اجل منام ثم قلت له ما الرؤيا قال رأيت كان حية عظيمة قد خرجت علي من حائط هذا العرض قال وكان جالسا في عرض ذكره قال وكاني قدرميتها فاثبتها في الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذي ذكرته قال فسبق الى قلبي تأويل منام ابي احمد انه قد أثبت عدوه في حائطه وانه سيغلبه على البلد فأمسكت وقطعت

الكلام فما مضت مدة يسيرة حتى شاع التدبير وصح الخبر عند القاسم اليزيدي فبادر بالقبض على فائق الاعسر وكان هو الذي ندبه ابو احمد للقبض على اليزيدى وان يكون أمير البلد الى ان يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض ابو القاسم على ابي احمد بعد قبضه على فائق بيومين او ثلاثة ايام فاستصفاه واهله وولده ثم قتله بعد ذلك بايام * بلغني عن ابراهيم بن المهدى انه قال كنت في جفوة شديدة من اخي الرشيد أثرت في جاهي ونقصت حالى وافضيت معها الى الاضاقة بتأخر رزقي وظهور اطراحه اياي واختلت لذلك ضيعتي وركبني دين فادح فبلغ مني القلق بذلك والفكر فيه ليلة من الليالي مبلغاً شديداً ونمت فرأيت في منامي كاني واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا اشكو اليه ما نكبني به الرشيد وانهيت حالى اليه واقول ادع عليه يا أمير المؤمنين فكانه يقول اللهم أصلح ابني هارون يكررها فكاني اقول له يا أمير المؤمنين اشكو اليك ظلم هارون لى واسألك ان تدعو عليه فتدعو له فقال لى وما عليك اذا اصلحه الله لك وللكافة ان يبقي على حاله هوذا أمضي اليه الساعة وآمره ان يرجع لك ويقضي دينك ويوليك جند دمشق فكاني أومي اليه بسبابتي واقول له دمشق دمشق استقلالا لها فكانه يقول حركت مسبحتك استقلالاً لدمشق انها ريا وكيف قل حظك منها كان في العاقبة اجود لك فانتبهت واحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسبحة فقال كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فما سبب سؤالك أيها الامير عنها فقصصت عليه الرؤيا وامتنع النوم عني فأخذ يحدثني وأنا جالس في فراشي اذ جاءني رسول الرشيد فارتعت له ارتياعاً شديداً ولم أعبأ بالمنام وخفت ان يكون يريدني بسوء يوقعه بي فخفت وقلت أدافعه الى ان تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهاراً فان كان أراد بي غيلة لم نتم فتقاطرت رسله حتى اعجلوني عن الرأي واضطروني الى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رآني قال سألتك بالله يا أخي هل رأيت الليلة في منامك شيئاً قلت نعم الساعة رأيت المهدي

فلما قلت له ازداد بكاؤه ثم قال ويحك بالله شكوتني اليه وسألته ان يدعو علي قلت كان ذلك ولكنه قال كذا وكذا وشرحت عليه ما قال فقال والله الساعة جاءني في منامي فقص علي جميع ماذكرت وقد وفى بعهده والله لامتثلن أمره ولاصلن رحمي منك كم دينك قلت كذا وكذا فأمر بقضائه وقال لاتبرح حتى اصلي واعقد لك علي دمشق فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمتي وعقد لى لواء على دمشق وأمر الناس فصاروا معي الى منزلي فعاد جاهي وصلحت حالي * وقال حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد قال حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصبي قال حدثني أبو الفضل ميمون بن مهران قال حدثني موسى بن عبد الملك قال رأيت في منامي وانا في الحبس قائلاً يقول هذه الابيات

لازلت تعلو بك الجدود　　نعم وحفت بك السعود
ابشر فقد نلت ماتريد　　بيد اعدائك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقالوا　　والله يأتي بما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميد　　واشكر ففي شكرك المزيد

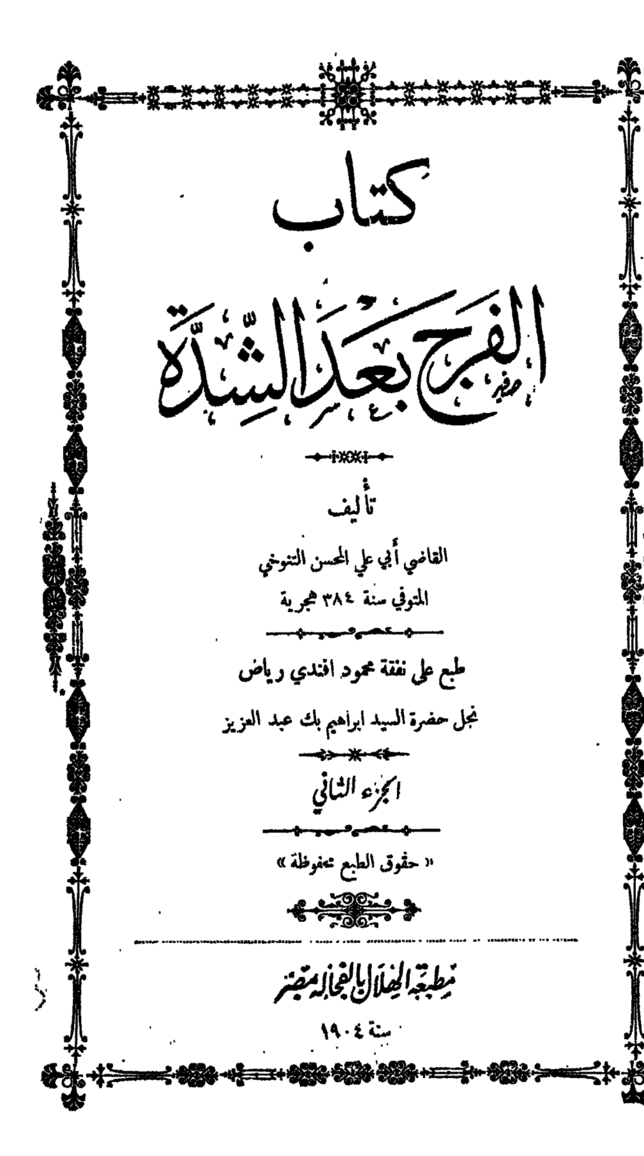
فانتبهت وقد طفي السراج فطلبت شيئاً حتى كتبت الابيات على الحائط واصبحت وقد قويت نفسي واطلقت بعد مدة يسيرة * وقال وذكر المدايني في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة قال توبة العنبري اكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فقال ياتوبة أطالوا حبسك فقلت أجل فقال سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثلاثاً ثاستيقظت فكتبتها ثم توضأت وصليت ماشاء الله ثم جعلت ادعو حتى وجبت الصلاة للصبح فصليتها فجاء حرسي فقال اين توبة العنبري ثم حملني في قيودي وأنا اتكلم بهن فلما رآني يوسف بن عمر أمر باطلاقي قال توبة العنبري وكنت علمتها وأنا في السجن رجلاً فقال لي لم ادع الى عذاب قط فقلتهن الاخلي عني فجيء بي يوماً الى العذاب فجعلت أتذكرها

ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط ثم ذكرتهن بعد ذلك فدعوت بهن فخلى سبيلي * وروي المدايني أيضاً في كتابه عن أبي المثني علي بن القاسم قال حدثني رجل قال رأيت في أيام الطاعون في المنام انهم أخرجوا من داري اثنتى عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً فمات عيالي وبقيت وحدي فاغتممت فضاقت علي الارض فخرجت من الدار ثم رجعت من الغد فاذا لص قددخل ليسرق فطعن في الدار فخرجت جنازته منها فسرى عني ما كنت فيه ووهب الله عز وجل السلامة * وذكر القاضي ابو الحسن في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة ان وهب بن منبه قال أملقت حتى قنطت او كدت فاتاني آت في منامي ومعه شبيه بالفستقة فدفعها الى وقال افضض ففضضتها فاذافيها حرير فقال انشرها فنشرتها فاذا هي ثلاثة اسطر ببياض الاول لا ينبغي لمن عرف من الله عدله الثاني او عقل عن الله أمره الثالث ان يستبطيء الله في رزقه قال فاعطاني الله عز وجل بعدها فاكثر * وذكر عن الواقدي انه قال ضقت ضيقة شديدة وهجم شهر رمضان وانا بغير نفقة فضاق ذرعي لذلك فكتبت الى صديق لى علوي اسأله ان يقرضني الف درهم فبعث الي بها في كيس مختوم فتركتها عندي فلما كان عشي ذلك اليوم وردت على رقعة صديق لي يسألني اسعافه لنفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت بالكيس اليه بخاتمه فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي الذي اقترضت منه فسألني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في المهم فاخرج الكيس بختمه وضحك وقال اعلم انه قرب هذا الشهر وما عندي الا هذه الدريهمات فلما كتبت الي وجهت بها اليك وكتبت الى صديقنا هذا أقترض منه الف درهم فوجه الي الكيس فسألته عن القصة فشرحها لي وقد جئناك لنقسمها والي ان تنفقها يأتي الله عز وجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما لست ادري اينا اكرم واقتسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت اكثر ما حصل لي منها وضاق صدري فجعلت افكر في امري فبينما انا كذلك اذ بعث الي يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي يا واقدي رأيتك البارحة

فيما يري النائم وأنت على حال دلتني انك في غم شديد وأذى فاشرح لي أمرك فشرحت له الي ان بلغت الى حديث العلوى وصديقي والالف درهم فقال والله لا ادري ايكم اكرم وأمر لي بثلاثين الف درهم ولهما بمثلها وقلدني القضاء

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب الفرج بعد الشدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني اوله الباب السابع ﴾



كتاب
الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هجرية

طبع على نفقة محمود افندي رياض

نجل حضرة السيد ابراهيم بك عبد العزيز

الجزء الثاني

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع

من استنقذ من كرب وضيق خناق * باحدى حالتي عمد او اتفاق

قال ابو علي حدثنا علي بن الحسين المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه قال حدثني ابو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني الكاتب قال كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان اذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ففرق في قبائل قريش قسطاً على دعوتهم وفي الانصار وفي الفقهاء واهل القرآن وسائر طبقات الناس حتى يفرغ جميع ما بقي بجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل فلما فرغ من بني هاشم دعي بسائر بني عبد مناف فقام رجل فقال له من اي عبد مناف انت قال من بني امية قال من ايهم انت فسكت قال لعلك من ولد معاوية قال نعم قال فمن اي ولده فامسك قال لعلك من ولد يزيد قال نعم قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلداً ولايته الى ابي طالب وعندك ثارهم في سيدهم واخوته وبني عمه وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك فان كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شيء وان كنت جئت متهوراً فقد خاطرت بنفسك قال فنظر اليه العلويون نظراً شديداً فصاح بهم محمد وقال كفوا كأنكم تظنون ان في قتل هذا دركاً او ثاراً بالحسين بن علي رضي الله عنهما او باحد من اقاربه واي جرم لهذا ان الله تعالى قد حرم ان نطالب نفس بغير ما كسبت والله لا تعرض له احد الا افديته منه واسمعوا حديثاً احدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأنفون حدثني ابي عن ابيه رضوان الله عليهما قال حج المنصور فعرض عليه جوهر فاخر كان لهشام بن عبد الملك فقال هذا بعينه قد بلغني خبره ان عند ابنه محمد وما بقي منهم احد غيره ثم قال للربيع اذا كان غداً وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فاغلق الابواب كلها ووكل بها ثقاتك من الشيعة وافتح للناس باباً واحداً وقف عليه فلا

يخرج احد الا من عرفته فلما كان من الغد فعل الربيع ما امره وتبين محمد بن هشام القصة فعلم انه هو المطلوب وانه مأخوذ فاقبل عليه محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فرآه متحيرًا وهو لا يعرفه فقال ياهذا اراك متحيرًا فمن انت ولك امان الله وانت في ذمتي حتى اخلصك قال انا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال انا محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال فعند الله احتسب دمي اذن قال لا بأس عليك فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك ادراك ثار وانا الآن بخلاصك اولى مني بتسليمك وتعذرني في مكروه اتناولك به او قبيح اخاطبك به يكون فيه خلاصك قال انت وذاك قال فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولببه به واقبل يجره فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات وجاء به الى الربيع وقال يا ابا الفضل ان هذا الخبيث جمال من الكوفه اكراني جماله ذاهبًا وراجعًا ثم هرب مني واكرى بعض القواد الخراسانية ولي عليه بذلك بينة قال فضم اليه حرسيين وقال لهما امضيا معه فمضيا معه فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدي اليّ حقي قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انصرفا فانصرفا واطلقه فقبل محمد بن هشام يده وقال بأبي انت وامي الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اخرج جوهرًا له قدر فدفعه اليه وقال تشرفني بقبول هذا فقال يا ابن عم انا اهل بيت لانقبل على المعروف مكافاة وقد تركت لك اعظم من هذا تركت لك دم زيد بن علي فانصرف راشدًا وواز شخصك حتى يخرج هذا الرجل فانه مجد في طلبك فمضى وتوارى قال ثم امر محمد بن زيد الداعي بطبرستان للاموي بمثل ما امر به لسائر بني عبدمناف وضم اليه جماعة من مواليه وامرهم ان يخرجوه الى الري ويأتوه بكتاب بسلامته فقام الاموي ومضى ومعه القوم حتى وصل الى ما منه قال ابو مسلم الاصبهاني وكان ابو مسلم محمد بن بحر وزير محمد بن زيد الداعي بطبرستان وخبرني ان هذا الخبر سمعه وشاهده من لفظ الداعي * وحدثني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني املاء من حفظه وانا اسمع قال قرأت في بعض الاخبار للاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى بلد الصين ونزل على ملكها اتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فادخله فوقف بين يدي الاسكندر وسلم وقال ان رأى الملك ان يستخليني فامر الاسكندر من بحضرته ان ينصرفوا فانصرفوا وبقي خاصته فقال ان الذي جئت له لا يمكن ان يسمعه غيرك فقال فتشوه ففتش فلم يوجد معه سلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفًا مسلولاً وقال له قف بمكانك وقل ماشئت

واخرج كل من كان عنده فقال الرسول انا ملك الصين لا رسوله وجئت اسألك عما تريده فان كان مما يمكن عمله ولو على اصعب الوجوه عملته واعفيتك عن الحرب فقال له الاسكندر وما امنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل وانك تعلم انك ان قتلتني لم يكن ذلك سبباً بأن يسلم اليك اهل الصين ملكهم ولا يمنعهم قتلي من ان ينصبوا لانفسهم ملكاً غيري وتنسب الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكراً وعلم انه رجل عاقل فقال الذي اريده منك ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعها في كل سنة قال هل غير ذلك قال لا قال قد اجبتك قال فكيف تكون حالك حينئذ قال اكون قتيلاً محاربا قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين فكيف يكون حالك قال يكون اصلح مما كانت وافسح في المدة قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال ذلك يكون مضراً بي ومذهباً لجميع لذاتي قال فان قنعت منك بارتفاع الثلث كيف يكون حالك قال يكون الثلث موفرا والباقي للجيش ولاسباب الملك قال فقد اقتصرت منك على ذلك فشكره وانصرف فلما طلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خاف الهلاك وتواثبت اصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فبينما كذلك اذ طلع ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر غدرت قال لا قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا عجز وانت ترى هذا الجيش وما غاب عنك اكثر ولكني رأيت العالم الاكبر مقبلاً عليك ممكناً لك فعلمت ان من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك والتذلل له بالتذلل لك فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شيء فاني لم اجد بيني وبينك من يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك وانا راحل عنك قال ملك الصين اما اذا فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف باضعاف ما كان فرده عليه الاسكندر * قال اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى الصولي فيما اجازه لي قال حدثني الحسين بن يحيى قال كان لاسحق الموصلي غلام يقال له فتح يستقي الماء لاهل داره على بغلين له دائماً فقال اسحاق قلت يوماً له اي شيء خبرك يافتح قال خبري انه ليس في هذا الدار اشقى مني ومنك انت تطعم أهل الدار الخبز وانا أسقيهم الماء قال فاستظرفت قوله وضحكت منه وقلت له فاي شيء تحب قال تعتقني وتهب لي البغلين لاستقي عليهما لنفسي ففعلت * واخبرني ابو

الفرج الاصبهاني قال اخبرني حرمي بن ابي العلا قال حدثني الزبير بن بكار عبد الاعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي قال حملت دينًا وانا بعسكر المهدي فركب المهدي يومًا بين ابي عبيد الله وبين عمر بن بريغ وانا وراءه في موكبه على برذون قطوف فقال المهدي ما انسب بيت قالته العرب فقال ابو عبيد الله قول امرىء القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل

فقال هذا اعرابي قح فقال عمر بن بريغ قول كثير عزة يا امير المؤمنين قال ماهو قال

اريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل ليلى بكل سبيل

فقال له ما هذا بشيء وماله يريد ان ينسى ذكرها حتى تمثل له فقلت انا عندي حاجتك يا امير المؤمنين فقال الحق بي فقلت ليس بي لحاق لان ليس ذلك في دابتي فقال احملوه على دابة قلت هذا اول الفتح فحملت على دابة فلحقته قال ما عندك قلت قول الاحوص

اذا قلت اني مشتف بلقائها فحم التلاقي بيننا زادني سقم

فقال احسنت حاجتك قلت علي دين قال اقضوا دينه نقضوا ديني * قال وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزارا حدث احمد بن محمد بن زياد قال الديان بن الصلت كنت في خدمة الفضل بن سهل على ما كنت عليه من ثقته بي واستنابته فدعاني في وقت من الاوقات الي ان يضم الى اربعة آلاف من الجند والساكرية ويقودني عليهم ويجريني مجرى قواده فامتنعت عليه من ذلك واعلمته اني لا اقوم بذلك ولا اصلح له ولا آمن ان انقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالي عنده ومنزلتي لديه فانكر ذلك علي اشد الانكار وعاودني فيه مرارًا فلم اجبه اليه فلما رأى اقامتي على الامتناع جفاني واعرض عني وامتدت الايام على هذا السبيل حتى ادي بي ذلك الى الاختلال الشديد الذي اضرني فدخل علي غلامي يومًا فاخبرني انه لانفقة عنده ولا مقدرة له في احتيالها لامتناع التجار من اعطائه لتاخر مالهم عنهم ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فاومأت الى عمامة كانت عندي فامرته ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر درهمًا وورد علي في هذا اليوم كتاب وكيلي على اهلي بمدينة السلام يعلمني ضيق الامر فيما يحتاج اليه من اقامته للعيال وانه التمس من التجار الفي درهم فلم يجيبوا اليها فعظم علي ما ورد من ذلك وضاقت بي المذاهب فيه فبينا انا قاعد عشية يومي ذلك اذ اتاني رسول

الفضل يامرني بحضور الدار والمقام فيها الى وقت خروجه من عند المأمون فحضرتها بعد صلاة العتمة واقمت الى ان خرج الفضل في وقت السحر فلقيته و بين يديه خرائط محمولة فقال لي صليت صلاة الليل فقلت نعم فقال لكني ماصليت فكن هنا حتى اصلي فصلى ثم انفتل من صلاته فدعاني وقال اتدري ما هذه الخرائط قلت لا قال هذه ثمان وستون خريطة وردت فقراتها واجبت عنها جميعها بخطي فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق ثم قال لي يا ديان ان ابا محمد الحسن ابن سهل قد دفع الي واسط وراي امير المؤمنين ان يمده بدينار بن عبدالله ونعيم بن حازم في عشرة آلاف رجل وان تقلد الانفاق على عسكريهما وان يجري لك في كل شهر عشرة آلاف درهم ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك الف درهم وان يوخلف لك على كل عسكر عشرة احمال تحملك او خمسمائة درهم عوضاً عنها ثم امد في ذلك الوقت ان يحمل لي ارزاق ثلاثة اشهر فما صليت صلاة الصبح حتى حمل لي اثنان واربعون الف درهم واخذ في جهاز العسكرين قال وبعث الي الفضل بن سهل بفرس من دوابه وامرني ان ابعث به الى نعيم بن حازم واظهر انه خصه به وانه من خيله الذي يركبها فوجهت به الى نعيم ابن حازم واظهر السرور والابتهاج بذلك والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم و بعث الي بخمسين الف درهم فكتبت بذلك الى الفضل فوقع على رقعتي اردد على نعيم ما امر لك به ووهبه لغلامك واقبض لنفسك عوضاً منه مائة وعشرون الف درهم ثم امر بعد ايام لدينار بسبعمائة الف درهم صلة ومعونة ولنعيم بخمسمائة الف درهم فبعثت بها اليهما فبعث الى كل واحد منهما بخمسين الف درهم فكتبت الى الفضل رقعة اخبره فيها بما فعلاه فوقع على ظهرها اقبل من دينار ما بعث به واردوا الى النعيم ما بعث به واقبض لنفسك عوضاً عن ذلك مائة الف درهم قال ونقلنا عن مرو فلما صرنا في الطريق ورد علي كتاب الفضل يامرني فيه ان احمل الي دينار الف الف درهم وخمسمائة الف درهم والى نعيم الف الف درهم فبعث الى دينار الف درهم وخمسين الف درهم و بعث الى نعيم مائة الف درهم فقبلت من دينار ما بعث به الي ورددت على نعيم حسب ما كان حد لي في رقعته الاولى والثانية ولم اكتب بالخبر في ذلك الي الفضل لئلا أتوهم بذلك استدعاء العوض فكتب بذلك صاحب سركان علينا فوقع على ظهر كتابه قد علمت انك انما امسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعيم لئلا يتوهم عليك الاستدعاء للصلاة وقد رأيت ان تقبض لنفسك عوضاً من ذلك مائتي الف درهم قال الريان فلم تمض سبعة وعشرون يوماً حتى حصلت عندي سبعمائة

الف درهم * وذكر محمد بن عبدوس في كتابة عن جبريل بن بختيشوع الطبيب في خبر طويل انه سمع المامون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً واولاني الله فيه باسانه الجميل وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى بن ما كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي وقع في نفوس عسكري جميعاً ان طاهراً ذاهب ولحق اصحابي اضاقة شديدة وظهرت فيهم خلة ونفذ ما كان معي ولم يبق منه قليل ولا كثير وافضيت الي حال كان اصلح ما فيها الهرب فلم ادر الي اين هرب ولا كيف احد فبقيت حائراً متفكراً وانا والله كذلك نازلاً في دار ابوابها حديد ولي متشرفات اجلس فيها اذا شئت وعدة غلماني ستة عشر غلاماً لا املك غيرهم اذا بالقواد والجيش جميعاً قد شغبوا علي وطلبوا ارزاقهم وولغوا جميعاً يشتمون وتكلموا بكل قبيح وكان الفضل بن سهل بين يدي فامر باغلاق الابواب وقال لي قم فاصعد الى المجلس الذي يتشرف فيه اشفاقاً علي من دخولهم وسرعة اخذهم اياي وتعليلاً لي بالصعود فقلت له ويحك ما يغني الصعود والقوم يدخلون الساعة لياخذوني فلئن اكون بموضعي اصلح فقال اصعد فوالله ما تنزل الا خليفة فجعلت اهزء به واعجب منه واحسب انه ما قال الا ليستجسني واردت الهرب من ابواب الدار فلم يكن الى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالدار والابواب كلها فالح علي الى ان صعدت وانا وجل فجلست في المشرفات وانا اري العسكر فلما علموا بصعودي اشتد طلبهم وشتمهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والشتم فاغلظت علي الفضل بن سهل وقلت له انك انت جاهل وقد غررتني فلم تدعني اعمل برأيي وليس العجب الا ممن قبل منك وهو في هذا يحلف اني لا انزل الا خليفة وغيظي عليه يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الايمان معا يشاهده من الحال وكان ما اقاسيه منه اشد مما اقاسيه من الجند ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه وادنوه من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب وتلوا فيه جزاء فذهبت نفسي جزعاً وعلمت باني بين ان احترق وبين ان يصلوا اليّ فيقتلوني فهممت بان القي نفسي اليهم وقدرت انهم اذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل يدي ورجلي ويناشدني ان لا افعل وحلف اني لا انزل الا خليفة وفي يده الاصطرلاب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت فلما علا الامر واستحكم الياس قال لي ياسيدي والله اتاك الفرج اري شيئاً في الصحراء قد اقبل ومعه فرجنا فازددت من قوله غيظاً وامرت غلماني بتامل الصحراء فلم يروا شيئاً وجد القوم في الهدم والحريق حتى هممت لما دخلني ان ارمي الفضل اليهم فقال الغلمان يا سيدي انا نرى شيئاً في الصحراء قد اقبل يلوح فنظرت فاذا شيخ وجعل يزيد

تبيانًا الى ان تبينوا رجلًا على بغل بلوح ثم قرب من العسكر فقويت له قلوبنا ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فاذا هو يقول البشرى هذا رأس علي بن عيسى معي في المخلاة فلما رأوا ذلك امسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لي والسرور بالظفر والفتح فقال لي الفضل يا سيدي ائذن لي في ادخال بعضهم فاذنت فشرط عليهم ان لا يدخل الا من يريد فاجابوا الى ذلك وسمى قومًا من القواد بعدهم واحدًا واحدًا ففعلوا ذلك واطفأ الله عز وجل تلك الثائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخلافة وظفرت من اموال علي بن عيسى وما في عسكره بما اصلحنا به جنودنا * وذكر ايضًا في كتابه قال حدثنا محمد بن مخلد عن ابيه مخلد بن ازدي المدايني الكاتب قال كان مخلد يلقب لبد لطول عمره فحدثني ان المأمون لما قدم العراق خطر له ان يقلد الاعمال الى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت احوال اكثرهم فخرج يومًا بعض مشايخ الشيعة وكان مغفلًا فتأمل مخلدًا فلم يرَ اسن منه فجلس اليه فقال له ان امير المؤمنين قد امرني ان اتخير ناحية من نواحي الخراج صالحة المرفق ليوقع بتقليدي اياها فاختر لي ناحية من نواحي الخراج فقال لا اعرف لك عملًا اولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش فقال له اكتبه لي فكتبه له فعرض الشيعي الرقعة على المأمون وسأله تقليده العمل فقال له من كتب هذه الرقعة فقال شيخ من الكتاب يحضر الدار في كل يوم فقال هلمه فلما حضر قال له ماهذا يا جاهل تفرغت لاصحابي فقال يا امير المؤمنين اصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في ايديهم من الخزائن والاموال واما شروط الخراج وحكمه وما يجب تعجيل استخراجه وما يجب تأخيره وما يجب اطلاقه وما يجب منعه وما يجب انفاقه وما يجب احتباسه فلا يعرفونه وتقليدهم اياه يعود بذهاب الارتفاع فان كنت يا امير المؤمنين لا تثق بنا فمر الى ان يضم الى كل رجل منهم رجل منا فيكون الشيعي يحفظ المال ونحن نجمعه فاستصاب المأمون كلامه وامر بتقليد عمال السواد وكتابه وان يضم الى كل واحد منهم رجلًا من الشيعة وضم مخلد الى ذلك الشيخ فقلده ناحية جليلة * ووجدت في كتاب ابي الفرج الخطي المخزومي الكاتب ان محمد بن عبد الحميد الحسمي قال حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وانا في بعض المنازل راجعًا اذ غشيتنا فقراء المدينة يستميحون فوقفت على جارية تتصدق بوجه كانه القمر حين استدار ولون الشمس حين انار فرددت طرفي عنها واستعذت بالله من الفتنة بها فلم تزل بين رحال الحاج وتعود الى

رحلي حتى وقفت فقلت لها ما تستحين ان تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمت وجهها وقالت

لم ابده احتى نقضت حيلتي ... أبديته وهو الاعز الاكرم
ويعز ذاك عليّ الا انه ... دهر يجور كما تراه و يظلم
قد صنته وحجبته حتى اذا ... لم يبق لي طمع ومات الهيثم
أبرزته من حجبه مقهورة ... والله يشهد لي بذاك و يعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة ... قلّ الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في ارض الحجاز غريبة ... وابو ربيعة اسرتي وتحكم

قال فأعجبني مارأيت من جمالها وفصاحتها وادبها وشعرها فبررتها وكتبت الابيات منها وقلت لها ما اسمك قالت المهناة بنت الهيثم الشيباني وكان ابي جار النبي صلى الله عليه وسلم فزاره واعتل ونفد ماله وتوفي وتركني فقيرة فاحتجت الى التكفف قال ورحلنا فلما صرنا الى الدجلة دخلت الى مالك بن طوق مسلماً فسألني عن طريقي وسفري وما رأيته فيه من الاعاجيب فحدثته بحديث الجارية فاعجبه واستظرفه وكتب الابيات مني فدخلت الى منزلي بالشام فلما كان بعد مدة اتاني رسوله يستزيرني فصرت اليه فلما كان بعد ايام من اجتماعنا كنت جالساً بحضرته فاذا خادمان قد جاءا ومعهما اكياس مختومة وتخوت ثياب مشدودة فوضعاها الي جانبي فقلت لمالك ما هذا قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى اظفرني الله تعالى بها وهي ارسلت هذا اليك من مالها ولك من مالي ضعفه قلت فما الخبر قال انك لما انصرفت انفذت رسلا الى البادية ممن اثق بعقولهم وامانتهم فما زالوا يسئلون عنها حتى ظفروا بها وحملوها الي ووليها معها فلما جاءتني رأيت منها زيادة عما كان ذرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها وجعلته احد فوادي وافضت عليها من دنياي حسب تمكنها من قلبي فسألت عن سبب طلبي لها فاخبرتها خبرك وكتبت استزيرك لاعرفك هذا واقضي حقك فلما عرفت حضورك انفذت هذا اليك وقد امرت لك بعشرين الف درهم وعشر تخوت ثياباً قال ابن عبد الحميد فكانت ام عدة من اولاده * حدثني ابو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الاصبهاني قال كان ابو الحسن بن ابي الفضل يتقلد بلدنا فقدم عليه من بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف واورد عليه كتباً من اخوانه بالحضرة يذكرون طول عطلته وموقعه من الصناعة و يسألونه تصريفه فسلم الرجل وجلس واخرج اضبادة الكتب

فترككها بين يديه وكان في الامير حدة وضجر فاستكثر الكتب وفض واحداً وقرأه واقبل على شغله من غير ان يقرأ باقي الكتب وضجر وتغيظ وقال اليس كلها في معنى واحد قد والله بلينا بكم معاشر المتعطلين كل يوم يصير الينا منكم واحد يريد تصرفاً او براً ولو كانت خزائن الارض لي لكانت قد نفدت يا هذا مالك عندي شيء ولاتصرف ولا لي عمل ساغر فأوده اليك ولا في مالي فضل لبرك فدبّر امرك بمعرفتك كل هذا والرجل ساكت الي ان امسك ابن ابي الفضل فلما سكن قال الرجل احسن الله جزاك وتولي مكافأتك الحسنى وفعل بك وصنع قال واسرف الرجل في شكره والدعاء له ثم ولى منصرفاً فقال ابن ابي الفضل ردوه فرد فقال يا هذا اتسخر بي على اي شيء تشكرني على اياسك من التصرف او قطع رجائك في الصلة وضجري لك او تريد خداعي بهذا الفعل فقال ما اريد خداعك وما كان من قبيح الرد غير منكر لانك حاكم ويلحقك ضجر ولعل الامر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك وقد تعبت بهم ولم اشكرك الا في موضع الشكر لانك صدقتني عما لي عندك في اول مجلس فاعتقت عنقي من ذل الطمع وارحتني من التعب بالغدوّ والرواح اليك وكشفت لي ما أدبر امري به وكسوتي لم تخلق وبقية نفقتي معي ولعلها يحملاني الى بلد اخر ووجه سواك قال فاطرق الامير ومضى الرجل فرفع راسه وقال ردوه فلحقوه فردوه فاعتذر اليه وامر له بصلة وقال تاخذها الى ان اقلدك عملاً يصلح لك فاني ارى فيك مصطنعاً فلما كان بعد ايام قلده عملاً جليلاً وصلحت حال الرجل معه قال ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثني جحظة وهو ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى ابن يحيي ابن خالد بن برمك قال احلت بي اضاقة انفقت فيها جميع ما املك حتى بقيت وليس في بيتي غير البواري فاصبحت يوماً وانا افلس من طنبور بلا وتر كما قال المثل ففكرت كيف اعمل فوقع لي ان اكتب الى محبرة بن أبي عباد الكاتب وكنت اجاوره وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس فازمنه حتى صار لايتمكن من التصرف الا محمولاً على الايدي او المحفة وكان مع ذلك على غاية الظرف وكبر النفس وعظم النعمة ومواصلة الشرب وان اتطايب عليه ليدعوني فاخذ منه ما انفقه مدة فكتبت اليه

ماذا ترى في جدي وسيفي عضبا وبوارد
ومشمع ليس يخطي من نسل يحيى بن خالد
وقهوة ذات لون تحكي خدود الخرائد

قال فما شعرت الا بمحفة محبرة تحملها غلمانه الى داري وانا جالس على بابي فقلت له لم جئت ومن دعاك قال انت قلت له انما قلت ماترى وعنيت بيتك وما قلت لك انه في بيتي و بيتي والله افرغ من فؤاد ام موسى فقال الآن قدجئت ولا ارجع ولكن ادخل اليك واستدعي من داري من اريد قلت ذاك اليك فدخل بيتي فلم يرالا بارية فقال يا ابا الحسن هذا والله ضر مدقع ثم انفذ الى داره فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً وجاء فراشوه ففرشوا ذلك وجاؤا بآلات الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج اليه وجاء طباخه بما كان في مطبخه وهو شيء كثير الآلات وجاء شرابيه بالصوانى والمخروطي والفاكهة وآلة التبخير والبخور والوان الانبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندي فشرب على غناء مغنية احضرتها له كنت الفتها فلما كان من غد سلم اليَّ غلامه كيساً فيه الف درهم ورزمة ثياب صحاح مفصلة من فاخر الثياب واستدعى محفته فجلس فيها فشيعته فلما بلغ آخر الصحن قال مكانك يا ابا الحسن احفظ بابك فكل ما في دارك لك فلا تدع احداً يحمل منه شيئاً وقال لغلمانه اخرجوا فخرجوا بين يديه واغلقت الباب على قماش بالوف كثيرة * وحدثني عبدالله بن محمد بن عبدالله العبقسي قال حدثني بعض تجار اهل الكرخ ببغداد عن صديق له قال كنت اعامل رجلاً من الخراسانية ابيع له في كل سنة متاعاً يقدم به فأنتفع من سمسرته بالوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج فاثر ذلك في حالي ثم توالت عليَّ محن فاغلقت دكاني وجلست في بيتي مستتراً من دين ركبني ثلاثاً او اربع سنين فلما كان في وقت ورود الحجاج تتبعت نفسي لاعرف خبر الخراساني طمعاً لاصلاح حالي بوروده فمضيت الى سوق يحيى فلم اعط له خبراً ورجعت فنزلت الى الجزيرة وانا تعب مغموم وكان يوماً حاراً ونزلت الى دجلة فسبحت وصعدت وانا رطب فابتل موضع قدمي وخطوت فعلقت برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابي وغسلت رجلي وجلست مفكراً اولع بالسير فانجر فلم ازل اجره حتى بان لي هميان من جلد فاخرجته فاذا هو مملوء فاخفيته تحت ثيابي وجئت الى منزلي ففتحته فاذا فيه الف دينار عيناً فقويت نفسي به قوة شديدة وقلت اللهم لك عليَّ اني متى صلحت حالي بهذه الدنانير وعادت ان اتحرى خبر هذا الهميان فمن علمت انه له رددته عليه بقيمة ما فيه من الدنانير واحتفظت بالهميان واصلحت امري مع غرمائي وفتحت دكاني وعدت الى رسمي في التجارة والسمسرة فما مضت عليَّ الا ثلاث سنين حتى صار في ملكي عين وورق بالوف دنانير وجاء الحجاج فتبعتهم لاعرف خبر

الهميان فلم يعطيني احد خبره فصرت الى دكاني فأنا جالس واذا برجل قائم حيال دكاني اشعث اغبر وافي السبال في خلقه سؤال الخراسانية وزيهم فظننته سائلاً فأومأت الى دريهمات لاعطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقمت فلحقته فتأملته فاذا هو صاحبي الذي كنت انتفع من سمسرته في كل سنة فقلت له ما الذي اصابك وبكيت رحمة له فبكا وقال حديثي طويل فقلت البيت البيت فحملته فادخلته الحمام والبسته ثيابًا نظافًا واطعمته ثم سألته عن خبره فقال انت تعرف حالي ونعمتي واني اردت الخروج الى الحج بعد آخر سنة جئت الى بغداد فقال لي امير بلدي عندي قطعة ياقوت احمر كالكف لا قيمة لها عظمًا وجلالة ولا تصلح الا للخليفة تخذها معك فبعها لي ببغداد واشتري لي بها متاعًا طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي مالاً فاخذت القطعة وهي كما قال فجعلتها في همیان من صفته كيت وكيت قال ووصف الهميان الذي عندي وجعلت في الهميان الف دينار عينًا من مالي وجعلته على وسطي فلما جئت الى بغداد نزلت اسبح في الجزيرة بسوق يحيى وتركت الهميان وثيابي بحيث الاحظها فلما صعدت من دجلة لبست ثيابي وقد غربت الشمس وانسيت الهميان فلم اذكره الا من غد فغدوت لطلبه وكأن الارض قد ابتلعته فهونت على نفسي المصيبة وقلت لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار اغرمها فخرجت الى الحج وقضيت حجي ورجعت الى بلدي فانفذت اليه ما حملته به واخبرته بخبري وقلت له خذ مني تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال قيمة الحجر خمسون الف دينار وقبض على جميع ما املكه من مال ومتاع وانزل صنوف المكاره بي وحبسني سبع سنين كنت اتردد فيها في العذاب فلما كان في هذه السنة سأله الناس في امري فاطلقني فلم يمكنني المقام في بلدي وتحمل شماتة الاعداء فخرجت على وجهي اتالج الفقر بحيث لا اعرف وجئت مع الخراسانية امشي اكثر الطريق ولا ادري ما اعمل فجئت لاشاورك في معاش اتعلق به فقلت يا هذا قد رد الله عز وجل عليك ضالتك هذا الهميان الذي وصفته عندي وقد كان فيه الف دينار اخذتها وعاهدت الله عز ذكره اني ضامنها لمن يعطيني صفة الهميان وقد اعطيتني صفته وعلمت انه لك وقمت فجئت بكيس فيه الف دينار فقلت خذها وتعيش بها ببغداد فانك لا تعدم خيرًا ان شاء الله تعالى فقال لي ياسيدي الهميان بعينه عندك لم يخرج عن يدك قلت نعم فشهق شهقة ظننت انه قد تلف منها وخر ساجدًا فما افاق الا بعد ساعة ثم قال ائتني بالهميان فجئته به فقال سكين فاعطيته فخرق اسفله واستخرج منه حجر

ياقوت احمر كالكف فاشرق البيت منه وكاد ان يأخذ بصري شعاعه واقبل يشكرني ويدعو لي فقلت خذ دنانيرك فحلف بكل يمين انه لا ياخذ منها شيئاً الا ثمن ناقة ومحمل ونفقة تبلغه فاجتهدت به فبعد جهد اخذ ثلثمائة دينار واحلني من الباقي فلما كان في العام المقبل جاءني بقريب مما كان يجيئني به سالفاً فقلت خبرك فقال مضيت وشرحت لاهل البلد خبري واريتهم الحجر فجاء معي وجوههم الى الامير واعلموه القصة وخاطبوه في انصافي فاخذ الحجر ورد عليَّ جميع ما كان اخذه مني من مال وعقار وضياع وغير ذلك ووهب لي مالاً من عنده وقال اجعلني في حل مما عذبتك به فأحللته وعادت نعمتي على ما كانت عليه وعدت الى تجارتي ومعاشي وكل هذا بفضل الله عز وجل وبركتك فعل الله بك وصنع قال وكان يجيئني في كل سنة الى ان مات * حدثني عبدالله بن محمد بن الحسن الصروي قال حدثني ابي ان رجلاً حج وفي وسطه هميان فيه دنانير وجواهر قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار وكان الهميان من ديباج اسود فلما كان ببعض الطريق نزل ليبول فانحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك الا بعد ان سار عن الموضع فراسخ فاتفق ان جاء رجل في اثره فجلس يبول في مكانه فراى الهميان فاخذه وكان عليه دين فحفظه قال وكان الرجل من اهل بلدنا فاخبرني انه لم يؤثر في قلبي ذهابه لاني استخلفته عند الله تعالى وكان في طريق الله عز وجل وكانت تجارتي عظيمة واموالي كثيرة قال فلما قضيت حجتي وعدت وتتابعت المحن عليَّ حتى لم املك شيئاً فهربت على وجهي من بلدي فلما كان بعد سنين من فقري وقد افضيت الى ان اتصدق على الطريق وزوجتي معي وما املك في تلك الليلة الا دانقاً ونصف وكانت الليلة مطيرة وقد اويت في بعض القرى الى خان خراب فضرب زوجتي الطلق فتحيرت وولدت فقالت يا هذا الساعة تخرج روحي فاخرج وخذلي شيئاً اتقوى به فخرجت اخبط في الظلمة والمطر حتى جئت الى بقال قال فدققت عليه فكلمني بعد جهد فشرحت له حالي فرحمني واعطاني بتلك القطع حلبة وزيتاً واغلاها واعارني غضارة جعلت ذلك فيها وجئت اريد الموضع فلما مشيت بعيداً وقربت من الخان زلقت رجلي وانكسرت الغضارة وذهب جميع ما فيها فورد على قلبي امر عظيم ماورد عليَّ مثله قط فاقبلت ابكي والطم واصيح فاذا برجل قد اخرج راسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكي ما تدعنا ان ننام فشرحت له القصة فقال ياهذا البكا كله بسبب دانق ونصف قال فداخلني من الغم اعظم من الغم الاول فقلت ياهذا والله ما عندي

قدر لما ذهب مني ولكن بكائي رحمة لزوجتي ولنفسي مما قد وقعت اليه فان امرأتي تموت الآن وولدي جوعاً ووالله والا عليّ وعليّ وحلف ايماناً غليظة لقد حججت في سنة كذا وكذا وانا املك من المال شيئاً كثيراً فذهب مني هميان فيه دنانير وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار فما فكرت فيه وهو ذا تراني الساعة ابكي بسبب دانق ونصف فضة فاسأل الله تعالى السلامة ولا تعايرني فتبلى بمثل بلواي قال فقال لي بالله يارجل ما كان صفة هميانك فاقبلت الطم وقلت ما ينفعني ما خاطبتني به وما تراه من جهدي وقيامي في المطروحين تستهزئ بي ايضاً وما ينفعني و ينفعك من صفة هميانى الذي ضاع منذ كذا وكذا سنة قال ومشيت فاذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي فقال يارجل خذ هذا فظننته يتصدق عليّ فجئت وقلت له اي شيء تريد فقال لي صف هميانك وقبض عليّ فلم اجد للخلاص سبيل غير وصفه له فوصفته فقال لي ادخل فدخلت فقال اين امرأتك قلت في الخان الفلاني قال فانفذ غلمانه فجاؤا بها فادخلت الى حرمه فاصلحوا شأنها واطعموها كل ما تحتاج اليه وجاؤني بجبة وقميص وعمامة وسراويل وادخلني الحمام سحراً وطرحت ذلك عليّ فاصبحت في عيشة راضية فقال اقم عندي اياما فاقمت عشرة ايام فكان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير وانا متحير في عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد ذلك قال لي في اي شيء تتصرف قلت كنت تاجرا قال فلي غلات وانا اعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركني فقلت افعل فاخرج لي مائتي دينار فقال خذها واتجر فيها هاهنا فقلت هذا معاش قد اغناني الله يجب ان الزمه فلزمته فلما كان بعد شهور ربحنا فجئته واخذت حقي واعطيته حقه فقال لي اجلس فجلست فاخرج اليّ هميانى بعينه وقال اتعرف هذا فحين رأيته شهقت واغمي عليّ فما افقت الا بعد ساعة ثم قلت له ياهذا املك انت ام نبي فقال انا معنى بحفظه منذ كذا وكذا سنة فلما سمعتك تلك الليلة تقول ما قلته وطالبتك بالعلامة فاعطيتها أردت ان اعطيك للوقت هميانك فخفت ان تنشق مرارتك فاعطيتك تلك الدنانير التي اوهمتك انها هبة وانما اعطيتكها من هميانك والدنانير المائتان قرض فخذ هميانك واجعلني في حل قال فشكرته ودعوت له واخذت الهميان وارتجع دنانيره ورجعت الى بلدي فبعت الجوهر وضممت ثمنه الى ما معي واتجرت فما مضت الا سنيات حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالي فانا اعيش في فضل الله تعالى وفي فضل تلك الدنانير الى الآن ¤ عن ابي سهل زياد القطان صاحب علي بن عيسى قال كنت مع علي بن عيسى لما نفي الى مكة ودخلنا

في حر شديد وقد كدنا ان نتلف وطاف علي بن عيسى وجاء فالقى نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقاً شديداً وقال اشتهي على الله تعالى شربة ماء مثلوج فقلت له يا سيدنا ايدك الله انت تعلم ان هذا مما لا يوجد في هذا المكان فقال هو كما قلت ولكن نفسي ضاقت عن ستر هذا القول فاستروحت الى المني قال فخرجت من عنده فرجعت الى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكثفت ورقت ورعدت رعداً متصلاً شديداً ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت الى الغلمان فقلت اجمعوا فجمعوا منه شيئاً كثيراً وملأنا منه جراراً كثيرة وجمع منه اهل مكة شيئاً عظيماً قال وكان علي بن عيسى صائماً فلما كان وقت المغرب خرج الى المسجد ليصلي المغرب فقلت له انت والله مقبل والنكبة زائلة وهذه علامات الاقبال فاشرب الثلج كما طلبته قال وجئته في المسجد باقداح مملوءة من اصناف الاسوقة والاشربة مكبوسة بالبرد قال فاقبل يسقي من يقرب منه من الصوفية والمجاورين في المسجد الحرام والضعفاء ويشربونه ونحن ناتيه بما عندنا من ذلك واقول له اشرب فيقول حتى تشرب الناس فخبأت له خمسة ارطال وقلت له لم يبق شيء فقال الحمد لله ليتني كنت تمنيت المغفرة بدلاً من تمني الثلج فلعلي كنت اجاب فلما دخل البيت حلفت عليه ان يشرب وما زلت اداريه حتى شرب منه بقليل سويق بقية ليلته

* حدثني عبد الله بن محمد بن الحسين بن الحفا العبقسي قال حدثني ابي قال كان مجاورني فتى من اولاد الكتاب ورث عن ابيه مالاً جليلاً اتلفه في القيان واكله اسرافاً وبداراً حتى لم يبق معه شيء فاحتاج الى بعض داره فلم يبق منها الابيت يأوي به فحدثني بعض من كان يعاشره قال صرت اليه يوماً بعد انقطاعي عنه بنحو سنة لا اعرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائماً في ذلك البيت في يوم بارد على حصير خلق وقد توطأ وطاء كانه حشو فراش وقد تغطا بقطن كانه حشو لحاف فهو بين ذلك القطن كانه السفرجل فقلت ويحك بلغت الى هذا الحال فقال هو الحد ما ترى قلت فهل لك حاجة قال او تقضيها فظننته يطلب مني شيئاً لنفقة فقلت اي والله قال اشتهي ان تحملني الى بيت فلانة المغنية حتى اراها يعني المغنية التي يعشقها واتلف ماله بسببها قال وبكا فرققت له ومضيت الى منزلي فجئته من ثيابي بما لبسه وادخلته الحمام وحملته الى بيتي فاطعمته وبخرته واخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما راتنا لم تشك في ان حاله صلحت وانه قد جاءها بدراهم فبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن حاله حتى انتهى الى ذكر الثياب وانها لي فقالت له في

الحال ثم فقال لم قالت لئلا تجي ستي فتراك وليس معك شيء فتحرد علي فاخرج الى برا حتى اصعد فاكلمك من فوق فخرج وجعل ينظر ان تخاطبه من روزنة في الدار الى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقة سكباج فصيرته آية ونكالا وضحكت فبكى وقال يا ابا فلان بلغ امري الى ها هنا اشهد الله واشهدك اني تائب عنها فاخذت اطنز به وقلت اي شيء تنفعك التوبة الآن ورددته الى بيته ونزعت ثيابي عنه وتركته بين القطن كما كان اولا وحملت ثيابي فغسلتها وايست منه فما عرفت له خبرا نحو ثلاث سنين فانا ذات يوم في باب الطاق فاذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسي فاذا به على برذون فاره بمركب خفيف مليح وثياب حسنة وكان قديما في ايام يساره يركب من الدواب والمراكب افخرها والته وثيابه وقماشه افخر شيء فحين رآني قال فلان فعلمت ان حاله صلحت وقبلت فخذه وقلت سيدي ابو فلان قال نعم فقلت اي شيء هذا قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر البيت البيت قال فتبعته حتى انتهيت الى بابه فاذا بالدار الاولى قد رمها وجصصها وطبقها و بني فيها مجلسين متقابلين وخزائن ومستراحا وجعل ما كان في الدار من البيوت والمجالس صحنا كبيرا وقد صارت طيبة الا انها ليست بذلك السرور الاول وادخلني حجرة كان يخلو فيها قديما وقد اعادها كاحسن ما كانت وفيها فرش حسنة ولكن ليس من ذلك الجنس الاول وليس في داره الا ثلاث غلمان وخادم قد كنت اعرفه لابيه قد رده واقامه على حرمه وشيخ بواب ممن كان يصحبهم قديما ووكيل يتسوق له فجلس واجلسني وجاؤنا بفاكهة حسنة نظيفة قليلة في آلة مقتصدة مليحة ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير مسرف ولا مقصر فاكلنا ثم نام ولم تكن تلك عادته ومدت ستار واحضرت مشام ورياحين في صوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه فدعى وتبخر بقطعة ند جديد و بخرني بمثلها فقلت يا سيدي ما هذه الترتيبات التي لست اعرفها فقال دع ما مضى وخذ ما نحن فيه واقبل يشرب وغنى من وراء ستاره ثلاث جوار في نهاية طيب الغناء كل واحدة منهن احسن واطيب من التي اتلف عليها ماله فلما طابت نفسي ونفسه قال يا ابا فلان تذكر زماننا الاول قلت نعم قال انا الآن في نعمة متوسطة وما افدته من العقل والعلم بامر الدنيا ليسليني عما ذهب مني وهو ذا ترى فرشي والتي وثيابي ومركبي فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففيه جمال وبلاغ وتنعم وكفاية وهو مغن عن ذلك الاسراف والتبذير وقد تخلصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتني فلانة المغنية لعنها الله تعالى بما عاملتني به قلت نعم والحمد لله الذي كشف عنك ذلك فمن اين هذه

النعمة قال مات خادم كان مولى لابي وابن عم في يوم واحد فحصل لي من تركتهما اربعون الف دينار وصل اكثرها او نايين القطن كما رأيتني فحمدت الله تعالى واعتقدت التوبة من التدبير السيء وانا ادبر ما رزقته فعمرت هذه الدار بالف دينار واشتريت من الآلة والفرش والثياب والجواري ما تراه وغيره بسبعة آلاف دينار وسلمت الى بعض التجار الثقات الفي دينار يتجر لي فيها واودعت بطن الارض عشرة آلاف دينار للشدائد والحوادث وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتي هذه التي شاهدتها فما ابقى احتاج الى الاستزادة وما تقبل غلة الا وعندي بقية من الغلة الاولى وانا اتقلب في نعم الله تعالى كما ترى ومن تمام النعمة ان لا اعاشرك ولا احد ممن كان يحسن لي الاسراف يا غلمان اخرجوه قال فاخرجت ووالله فما اذن لي بعدها في الدخول عليه

* حدثني ابي قال بلغني من غير واحد ان أبا يوسف صحب أبا حنيفة على فقر شديد وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود الى منزله الى فقر شديد وكانت امه تحتال فيما يقتاته يوماً بيوم فلما طال ذلك عليها خرج الى المجلس يوماً فاقام فيه وعاد ليلاً وطلب ما يأكل فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فاذا فيها دفاتر فقال ماهذا قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا قال فبكي وبات جائعاً وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال فيما اكلوه فلما جاء الى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه فقال الا عرفتني فكنت امدك ولا يجب ان تغتم فانه ان طال عمرك فستاكل بالفقه اللوزينج بالفستق المقشر قال ابو يوسف فلما خدمت الرشيد واختصصت به قدم بحضرته يوماً لوزينج بفستق مقشر فدعاني اليها فحين اكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى فسألني الرشيد عن السبب فاخبرته * حدثني ابو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي ان شيخاً من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فماطله واستخف به قال فعملت على الظلامة الى المعتضد لاني كنت تحملت عليه واستشفعت وتظلمت الى عبيد الله ابن سليمان فلم ينجع ذلك فقال لي بعض اخواني على أن اخذ لك المال ولا تحتاج الى الظلامة الى المعتضد قم معي الساعة فقمت معه فجاء بي الى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط ويقرأ القرآن في مسجد فقص عليه قصتي فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي انك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك واياي لمكروه عظيم هذا اذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه هذا لم يلتفت لفلان وفلان ولم يفكر في الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت فجئنا الى

باب القائد فحين رآه غلمانه أعظموه وأهووا لتقبيل يده فنعهم من ذلك وقالوا ماحاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب فان كان أمراً نعلمه نحن بادرنا اليه والا فادخل واجلس الى ان يجيء فقويت نفسي فدخلنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط اعظمه اعظاماً تاماً وقال لست اخلع ثيابي حتى تأمر بامرك فخاطبه في أمري فقال والله ماعندي الا خمسة آلاف درهم فتسأله ان يأخذها ورهناً بباقي ماله الى شهر فبادرت بالاجابة فاحضر الدراهم وحليا بقيمة الباقي فقبضت ذلك واشهدت الخياط ورفيقي عليه الى شهر يكون الرهن عندي على البقية فان حان الاجل ولم يسدد فانا وكيل ابيع وأخذ مالي من ثمنه وخرجنا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت ياشيخ ان الله تعالى قد رد هذا المال بك فأحب أن تأخذ ربعه او ثلثه أو نصفه بطيب قلب مني فقال ما أسرع ما كافئتني على الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيه فقلت له قد بقيت لي حاجة فقال قل قلت تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تهاونه بأكابر اهل المملكة فقال ياهذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي فالححت عليه فقال انا رجل اؤم واقري في هذا المسجد منذ أربعين سنة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان في هذه الدار وامرأة جميلة بجتازة فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره وهي ممتنعة تستغيث وليس احد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول في جملة كلامها قد حلف زوجي بطلاقي ان لا أبيت الا عنده فان بيتني هذا حرمني مع ما يرتكبه مني من المعصية قال فجئت الى التركي ورفقت به وسألته تركها فضرب راسي بدبوس فشجني وادخل المرأة داره فصرت الى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجة وخرجت أصلي عشاء الآخرة فلما فرغت منها قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي ننكر عليه ولا نبرح أو يخرج المرأة فقاموا وجئنا فصحنا على بابه فخرج علينا في عدة من غلمانه واوقع بنا وقصدني من دون الجماعة فضربني ضرباً عظيماً حتى كدت اتلف منه فحملني الجيران كالتالف فعالجني اهلي ونمت نوماً ثقيلاً وقمت نصف الليل فما جاءني النوم للالم وفكراً للقصة فقلت هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الاوقات فلو أذنت لوقع له ان الفجر قد طلع فاطلق المرأة فلحقت بيتها قبل الفجر فسلمت من احدى المكروهين فخرجت الى المسجد متحاملاً وصعدت المنارة فاذنت وجعلت اتطلع منها الى الطريق أراقب خروج المرأة فان خرجت والا أقمت الصلاة لكي يشك في الصباح فيخرجها فما

مضت الا ساعة والمرأة عنده الا وقد امتلأ الشارع خيلاً ورجلاً ومشاعل وهم يقولون من هذا الذي اذن الساعة أين هو ففزعت وسكت ثم قلت أخاطبهم لعلي استعين بهم على اخراج المرأة فصحت من المنارة انا أذنت فقالوا اجب امير المؤمنين فقلت دنا الفرج فنزلت فاذا بدرو عدة غلمان معه فحملني وأدخلني على أمير المؤمنين فلما رأيته هبته وارتعدت فسكن مني وقال ماحملك على أن تغرر بالمسلمين باذانك في غير وقته فيخرج ذو الحاجة في غير حينها ويمسك المريد للصوم في وقت قد أبيح له فيه الافطار وينقطع العسس عن الطواف والحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لاصدق قال انت أمن فقصصت عليه القصة وأريته الضرب فقال يابدر علي بالغلام والمرأة في هذه الساعة وعزلت في موضع ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فاخبرته بمثل ماقلته فقال لبدر بادر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني فوقفت وجعل يخاطب الغلام وانا قائم اسمع الكلام فقال له يافلان كم جرايتك في كل سنة قال كذا وكذا قال وكم عطاؤك قال كذا وكذا قال فما كان لك فيهن وفي هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصي الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف قال فاسقط الغلام في يده ولم يدر جواباً فقال هاتوا جوالقاً ومداق الجص وقيدا وغلا فقيده واغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين بدقه بمداق الجص وانا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق في دجلة وتقدم لبدر بحمل مافي داره ثم قال لي ياشيخ اي شيء رايت من اجناس المكروه ولو على هذا وأومي بيده الى بدر فالعلامة بيننا ان تؤذن في هذا الوقت فاني أسمع صوتك واستدعيك وافعل مثل هذا بمن لايقبل منك او يؤذيك قال فدعوت له وانصرفت وانتشر الخبر عند الاولياء والغلمان فما خاطبت منهم احداً بعدها في انصاف احد او كف عن قبيح الا طاوعني كما رأيت خوفاً من المعتضد وما احتجت ان أذن الى الآن * وجدت في بعض الكتب عن الاصمعي قال كنت بالبصرة اطلب العلم وأنا مقل وكان على بابنا بقال اذا خرجت بكرة يقول لي الى أين فأقول الى فلان المحدث واذا عدت المساء يقول لي من أين فاقول من عند فلان الاخباري واللغوي فيقول ياهذا اقبل وصيتي انت شاب فلا تضيع نفسك واطلب معاشاً يعود عليك نفعه واعطني جميع ماعندك من الكتب لاطرحها في هذا الدن

وأصب عليها من الماء لاعشرة اربعة وانبذه وانظر ما يكون منه والله لو طلبت مني بجميع ماالديك من الكتب جوزة ما اعطيتك فيضيق صدري بمداومة الكلام حتى كنت اخرج من بيتي ليلاً وادخله ليلاً وحالي في خلال ذلك يزداد ضيقاً حتى أفضيت الى بيع آجر اساسات داري وبقيت لا اهتدي الى نفقة يوم وطال شعري واحلق ثوبي واتسخ بدني وانا كذلك متحير في أمري اذ جاءني خادم الامير محمد ابن سليمان قال أجب الامير فقلت مايصنع الامير برجل قد بلغ به الفقر الى ماترى فلما رأى سوء حالي وقبح منظري رجع فأخبر الامير بخبري وعاد الي ومعه تخوت ثياب ودرج فيه بخور وكيس فيه دنانير وقال قد أمرني الأمير ان ادخلك الحمام والبسك من هذه الثياب وادع باقيها عليك واطعمك من هذا الطعام واذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمة وأبخرك لترجع اليك روحك ثم اطلعك عليه فسررت بذلك سروراً شديداً ودعوت له فقمت وعملت ماقال ومضيت معه حتى دخلت على محمد ابن سليمان فسلمت عليه فقربني ورفعني ثم قال ياعبد الملك قد اخترتك لتأديب ولدي امير المؤمنين فاعمل على الخروج الى بابه وانظر كيف يكون فشكرته ودعوت له وقلت سمعاً وطاعة سأخرج شيئاً من كتبي واتوجه فقال ودعني وكن على الطريق فقبلت يده واخذت جميع ما احتجت اليه من كتبي وجعلت باقيها في بيت وسددت بابه واقعدت على الدار عجوزاً من اهلنا تحفظها وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني الى زلال قد اتخذ لي وفيه ما احتاج اليه وجلس معي ينفق على حتى وصلت الى بغداد ودخلت على امير المؤمنين فسلمت عليه فرد علي السلام وقال انت عبدالملك بن قريب الاصمعي قلت نعم أنا عبد امير المؤمنين بن قريب الاصمعي قال اعلم ان ولد الرجل مهجة قلبه وثمرة فؤاده وهو ذا اسلم اليك ابني محمداً بامانة الله فلا تعلمه مايفسد عليه دينه فلعل ان يكون للمسلمين اماماً قلت السمع والطاعة واخرجه الي وتحولت معه الى دار قد اخليت لنا لتأديبه فيها وبها من أصناف الخدم والفرش مايسر واجرى علي في كل شهر عشرة آلاف درهم وأمر بأن يخرج الي في كل يوم مائدة فلزمته وكنت مع ذلك اقضي حوائج الناس وأخذ عليها للرغائب وأنفذ جميع مايجتمع أولاً فاولاً الى البصرة فابني داري واشتري ضياعاً وعقاراً فأقمت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين وروي الشعر واللغة وروي أيام الناس وأخبارهم واستعرضه الرشيد فأعجب به وقال ياعبد الملك أريد ان يصلي بالناس اماماً في يوم جمعة فاختر له خطبة وحفظه اياها فحفظته عشراً فخرج

وصلى بالناس وأنا معه فأعجب الرشيد به واخذه نثار الدراهم والدنانير من الخاصة والعامة واثنى الجوائز والصلاة على من كل ناحية فجمعت مالاً عظيماً ثم استدعاني الرشيد فقال ياعبد الملك قد احسنت الخدمة فتمنى فقلت ماعسيت ان اتمنى وقد حزت امالي فأمر لي بمال عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر وعبيد واماء وظهر وفرش وآلة فقلت ان رأى امير المؤمنين ان يأذن لي بالالمام الى البصرة والكتابة الى عامله بها ان يخاطب الناس الخاصة والعامة بالسلام على ثلاث ايام وا كرامي بعد ذلك فكتب لي عنه بما أردت وانحدرت الى البصرة وداري قد عمرت وضيعي قد كثرت ونعمتي قد فشت فما تأخر عني أحد فلما كان في اليوم الثالث تأملت اصاغر من جاءني فاذا البقال وعليه عمامة وسخه ورداء نظيف وجبة قصيرة وقميص طويل في رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لي كيف انت ياعبد الملك فاستضحكت من حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني الرشيد فقلت بخير وقد قبلت وصيتك وجمعت ماعندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت وصببت عليه من الماء العشرة اربعة فخرج ماترى ثم احسنت اليه بعد ذلك وجعلته وكيلي * اخبرني القاضي ابو علي محسن بن علي قال مسرور الكبير استدعاني المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلاناً وفلاناً وسماهما لي احدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعاً لما اقول لك فانه بلغني ان شيخاً يحضر ليلاً الى آثار دور البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرائب فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد ابياتاً فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة يايحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب امير المؤمنين ففزع فزعاً شديداً وقال دعوني حتى أوصي بوصية فاني لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا فلما مثل بين يدي امير المؤمنين قال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم قال

الخادم ونحن نسمع يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادي خضرة عندي افتأذن لي ان احدثك بحالي معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع ما على راسي ورؤوس اهلي و بيتي الذي ولدت فيه اشاروا عليّ بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلاً عن البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم رجلاً واؤخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم واذا بيحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحداً وبين يديه عشرة من ولده واذا بأمرد نبت العذار في خديه قد اقبل من بعض المقاصير و بين يديه مائة خادم متنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج عائشة من ابن اخي هذا فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمي ونظرت واذا نحن في المكان مابين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثني عشر فاذا بمائة واثني عشر خادماً قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرايت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت اتلفت الى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فبينما انا كذلك وقد وصلت الى صحن الدار ويحيى يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فاتيته فقال مالي اراك تلتفت يميناً وشمالاً فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتاه به فقال له يابني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدي وادخلني

الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذ عيش واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد فلم ازل في ايدي القوم يتداولوني مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم اخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع وقال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها اليّ فاني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الى مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجحف بي عمرو بن مسعده والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالا يفي دخلهما به فلما تحامل عليّ الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم اليّ وابكي على احسانهم فقال المامون عليّ بعمرو بن مسعده فلما اتى به قال له أتعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما اخذته منه في مدته وافرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما راى المامون كثرة بكائه قال له ياهذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضاً من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل بي ما فعل من اين كنت اصل الى امير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرايت المامون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر

* بلغني انه كان رجل من اهل الكوفة من ذوي الادب والظرف يعاشر الناس أوتأتيه الطافهم فيعيش بها متسعاً ثم انقلب الدهر عليه فامسك الناس عنه وجفوه حتى قعد في

بيته والتجاء الى عياله وشاركهن في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه وناسيه الناس ولزمه الفقر قال فبينما انا ذات ليلة في منزلي على اسوء حال واذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب فكلمته من ورائه وقلت لها ما حاجتك قال ان اخالك لا اسميه يقرأ عليك السلام و يقول اني مستتر وليس آنس بكل احد فان رأيت ان تصير الي لنتحدث ليلتنا قلت لعل سعدي يكون قد تحرك ثم لم اجد شيئا البسه فاشتملت بازار امرأتي وخرجت فقدم الي فرسا مجنوبا كان معه فركبته الى ان ادخلني الى فتى أجمل الناس فقام الي وعانقني ودعا بالعشاء فأكلنا و بالشراب فشربنا واخذنا في الحديث فما خضت في شيء الا وسبقني اليه حتى اذا صار السحر قال ان رأيت أن لا تسالني عن شيء من امري او تجعل هذه الزيارة بيني و بينك اذا ارسلت اليك فقال وهنا دراهم تقبلها ولا تردها واخرج الي جرابا مملوءا دراهم ودنانير فدخلتني اريحية الشراب فقلت اخترتني على الناس لسرك فآخذ على ذلك جزاء لا حاجة لي بالمال فجهدني فلم آخذه وقدم الي الفرس فركبت وعدت الى منزلي فدخلته مخنقا وعيالي يتطامن الى ما أجي به فاخبرتهن بخبري واصبحت نادما على فعلي وقد ورد علي وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فمكثت حينا لا يأتي رسول الرجل الى ان جاءني بعد مدة فسرت اليه فعاودني مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت مخنقا فاقبلت امرأتي علي باللوم والتوبيخ فقلت لها انت طالق ثلاثا ان عاودني فلم آخذ ما يعطيني فمكثت على ذلك مدة اطول من الاولى ثم جاءني رسوله فلما اردت الركوب قالت لي امرأتي يامشؤوم اذكر يمينك وبكاء بناتي وسوء حالك وصرت الى الرجل فلما مضينا الى الشراب وانا احادثه الى ان ابلج الفجر واخرج الي الجراب فعاودني في الكلام فأخذته فقبل راسي وتنكرني على قبوله وقدم الي الفرس وانصرفت عنه الى منزلي فالقيت الجراب فلما راينه عيالي سجدن لله شكرا وفتحناه فاذا هو مملوء دنانير فأصلحت من حالي واشتريت مركوبا وثيابا حسنة واثاثا وضيعة قدرت ان غلتها تفي بي وبعيالي بعدي واستظهرت على زماني ببقية الدنانير وانهال الناس علي يظهرون الفرح بما تجدد لي وظنوا اني كنت غائبا في انتجاع ملك وعدت مسريا وانقطع رسل الرجل عني فبينما انا اسير في القرب من منزلي واذا ضوضاء شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا فقالوا رجل من مدينة فلان يقطع الطريق فطلبه السلطان الى ان عرف خبره هنا فهجم عليه فخرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه فقربت من الجمع وتأملت الرجل فاذا هو صاحبي بعينه يقاتل الناس والشرط فينكشف الناس عنه و يكرون عليه و يضايقونه فنزلت عن فرسي واقبلت اقوده حتى دنوت منه وقد

انكشف الناس فقلت له عنه بابي وامي انت شأنك والفرس واطلب النجاه فاستوى على ظهره فلم يلحقوه فقبض عليّ الشرط واقبلوا يتردّدوني حتى جاؤوا الى عيسى بن موسى وكان لي عارفاً فقالوا ايها الامير انا كدنا ان ناسر الرجل فجاء هذا فاعطاه فرساً فنجا عليه فاشتد غضب عيسى ابن موسى وكاد ان يوقع بي وانا منكر وشرحت له ما كان افضى بي الحال اليه وما عاملني به الرجل من الجميل واني كافأته فقال لي احسنت لا باس عليك ثم التفت الى الناس وقال ياحمقى هذا مستقل بسيف قد تمكنتم عنه باجمعكم فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا ثم خلا سبيلي فانصرفت الى منزلي وقد قضيت زمام الفتى وخلصت النعمة بعد الشدة وامنت عواقب الحال وكان آخر عهدي به والسلام *سرق لجعفر بن سليمان الهاشمي جوهر بالبصرة وهو اميرها فجهد ان يعرف له خبراً فخفي عليه الفاعل فاغاظه فجاء بالشرط وضربهم فجدوا في الطلب فلما كان بعد ذلك بشهور اتاه بعضهم برجل وجده يبيع في سفط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضربه ضرباً عظيماً الى ان اقر فاخبر جعفر بخبره فاذن له في دخوله فلما راى الرجل جعفراً استغاث به وبكى فرحمه جعفر وقال الم تكن طلبت مني هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك فقال بلى فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم *وروت الفرس قريباً من هذا فذكروا ان بعض ملوكهم سخط على حاجب سخطاً عظيماً فالزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه ارزاقه وجراياته واقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال ثم بلغه ان الملك قد اتخذ سماطاً عظيماً يحضره الناس في غد ذلك اليوم فارسل الى اصدقائه واعلمهم بان له مال ويحب ان يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم دابة بسرجها ولجامها وغلاماً ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفاً ومنطقة فاعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء دار الملك فلما رآه البوابون لم يشكوا في انه لم يقدم على ذلك الا باذن الملك وتذمموا التقدم وان يحجبوه حتى يستاذنوا فدخل وهو مظهر لقوة الجاش ولم يزل حاله مع طائفة منهم يقوي نفسه الى ان وصل الى الملك وقد اكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك قطب وانكر حضوره وهم ان يامر به وبالحجاب والبوابين فكره ان ينغص يوماً قد افرده بالسرور على نفسه واقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديماً فازدادت حالته تمويهاً على الحجاب والحاشية الى ان كاد المجلس ينصرم وغفل اكثر من كان حاضراً فيه فتقدم الى صينية من ذهب تزن الف مثقال مملوءة مسكاً فاخذها بخفة وجعل المسك في كمه والصينية في حقه وخرج لم يركب وعاد الى منزله ورد العواري على اهلها وباع المسك وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع

بها وافاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون الصينية وقهرمان الدار يطالب بها ويضرب قوماً من اجلها فذكر حديث الحاجب وعلم ان ما حمله على الاقدام على مثل ذلك الامر الا من وراء شدة وضر فقال لقهرمانه لا تطالب الصينية فما لأحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردها ونظره من لا ينم عليه فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب الى شدة الاضاقة لنفاد الدنانير وبلغه خبر سماط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه الملك قال يا فلان قد نفدت تلك الدنانير فقبل الارض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال ايها الملك قد احتلت مرتين في ان تقتلني فاستريح مما أنا فيه من عظم الضر الذي اعانيه او تعفوا عني كما يليق بك وتذكر حرمتي فاعيش في ظلك وليس لي بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفا عنه وامر برد أرزاقه ونعمته ورده الى حالته الاولى في خدمته * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال نالت عمرو بن هبيرة اضاقة شديدة فاصبح ذات يوم في نهاية الكسل وضيقة الصدر والضجر مما هو فيه فقال له اهله ومواليه لو ركبت فلقيت امير المؤمنين فلعله اذا رآك ظن يجرى لك شيئاً فيه محبة أو يسألك عن حالك فتخبره فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فخاطبه ثم نظر يزيد فوجد عمرو قد تغير تغيراً شديداً انكره فقال له أتريد الخلاء قال لا قال ان لك لشأناً قال يا امير المؤمنين اجد بين كتفي اذاً لا ادري ماهو قال يزيد انظروا ما هو فنظروا فاذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثنا يمون بن موسى قال خرج رجل من المتصرفين من عسكر المعتصم بالله الى مصر قال فحدثني عنه بعض المتصرفين قال نزلت في دار بالقرب منه فحدثني الرجل بما كنت وقفت على بعضه قال أصبحت ذات يوم وقد نفدت نفقتي وتقطعت ثيابي وانا من الهم والغم على مالا يوصف فقال لي غلامي اي شيء نعمل اليوم فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه مخلى وابتع مكانه لجاماً جديداً واشتر لنا خبزاً سميذاً وجدياً حنيذاً فقد قرمت نفسي الى أكلها وعجل ولا تنس ان تبتاع ايضاً كوز نبيذ لسروري فمضى الغلام وجلست مفكراً في امري وما الاقي وكيف اعمل فاذا بباب الدار قد دق دقاً عظيماً حتى كاد أن ينكسر فاذا رهج شديد فقلت لغلامي وكان واقفاً بين يدي اخرج فانظر ماهذا فذهب الغلام وفتح الباب فلم يفتح فكسره وامتلأت الدار علي غلماناً من الاتراك وغيرهم واذا باشناس وهو حاجب المعتصم

ومحمد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحت لهما زولية فجلسا عليها واذا معهما حفارون قال فلما رايت ذلك بادرت فقبلت ايديهما فسألاني عن خبري فخبرتهما به واني خرجت من جملة اهل العسكر طمعاً في التصرف وذكرت حالي وما توالت اليه فوُعدت وعداً جميلاً والحفارون يحفرون فالتفت اشناس الى محمد بن عبد الملك فقال انا والله جائع فقال له محمد وانا والله جائع فقلت عندي ذلك ياسيداي عند خادمكما شيء قد اتخذ له فاذا اذنتما في احضاره حضر فقالا هات فقدمت الجدي وما كان ابتيع فاكلا واستوفيا وغسلا ايديهما ثم قال لي اشناس عندك من ذلك الفن شيء فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث اقداح فجعل احدهما يقول للآخر ظريف وما ينبغي لنا ان نضيع هذا الجميل فبينما الحال على ذلك اذ ارتفع تكبير الحفارين فاذاهم قد كشفوا عن عشرين مرجلاً دنانير واخرجت ليتوجهوا بها الى المعتصم فلما نهضوا قال احدهما للآخر فهذا الشقي الذي اكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا فقال الآخر ماذا نعمل نحفن له حفنة من كل مرجل لا تؤثر فيه فنكون قد أغنيناه ونصدق امير المؤمنين على الحديث ثم قالا حجرك فجعل كل واحد منهما لي حفنة من كل مرجل ثم حملا المال وانصرفا فنظرت فاذا قد حصل لي عشرين الف دينار فانصرفت بها الى العراق فابتعت بها ضياعاً وتركت التصرف * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثني ابي عن ابي قلابة المحدث قال ضقت ضيقة شديدة فاصبحت ذات يوم والمطر يجيء كافواه القرب والاولاد يتضورون جوعاً وما عندي حبة واحدة اقوتها فبقيت متحيراً في امري فخرجت فجلست في دهليزي وفتحت بابي وجعلت افكر في امري ونفسي تكاد تخرج غماً مما انا فيه وليس يسلك الطريق احد لشدة المطر فاذا بامرأة على حمار فاره وخادم اسود آخذ بلجام الحمار والحمار يخوض في الوحل فلما صار بحذائي سلم عليّ وقال اين منزل فلان فقلت هذا منزله وانا هو فسالتني المرأة عن مسالة فافتيتها بها فصادف ذلك ما أحبت فاخرجت من خفها خريطة ودفعت الي منها ثلاثين ديناراً ثم قالت يا ابا قلابة سبحان خالقك لقد تنوّق في قبح وجهك وانصرفت * وحدثني ابو القاسم التنوخي في المذاكرة باسناد ذهب عن حفظي قال كان احمد بن ابي خالد بغيضاً قبيح التجهم وكان مع ذلك حرًّا وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الاضخم من وجوه الكتاب فحدث قال لما آلت بي العطلة في ايام المأمون والوزير اذ ذاك احمد بن ابي خالد وضاقت حالي حتى خشيت التكشف فبكرت الى احمد بن ابي خالد مغلساً لا كلمه

في امري فرايت بابه قد فتح وخرج و بين يديه بريد المامون فلما نظرني انكر بكرري وعبس وجهه وقال في الدنيا احد بكرهذا البكور ليشغلنا عن أمرنا فلم تدبر نفسي ان قلت ليس العجب منك اصلحك الله فيما استقبلتني به وانما العجب مني كيف قد اسهرت نفسي ليلتي واسهرت من في داري تاميلاً لك وتوقعاً للصبح لاصير اليك وابثك امري فأستعين بك على اصلاح حالي وحلفت يميناً غليظة ان وقفت ببابك او سألتك حاجه حتى تصير اليّ معتذراً مما كلمتني به وانصرفت مغموماً مكروباً بما لقيني به متندماً على ما فرط مني غير شاك في العطب اذ كنت لا أقدر على الحنث وكان ابن ابي خالد لا يلتفت الى تبرئة قسمي فاني كذلك وقد طلعت الشمس اذ دخل بعض غلماني وقال احمد بن ابي خالد مقبل في الشارع ثم دخل آخر فقال قد دخل دارنا ثم آخر فقال قد وقف على الباب ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلاً له فلما استقر في مجلسه من داري ابتدأت اشكره على ابراره قسمي فقال ان امير المؤمنين كان امرني بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني السهو مما فرط مني اليك حتى انكر ذلك فقصصت عليه قصتي معك فقال اسأت بالرجل قم فامض اليه واعتذر مما قلته له فقلت فأمضي اليه فارغ اليد قال فتريد ماذا قلت له تقضي دينه قال كم هو قلت ثلثمائة الف درهم قال وقع له بذلك قلت يرجع بعد الى الدين قال وقع له بثلثمائة اخرى قلت وولاية يتشرف بها قال وله مصراً او غيرها مما يشتهيها قلت ومعونة على سفره قال وقع له بمائة الف درهم قال واخرج التوقيع من خفه بالولاية وسبعمائة الف درهم فدفعه اليّ وانصرف * وذكر ابو الحسين القاضي قال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الخياط قال كان في جيراني بالجانب الشرقي من بغداد رجل من الاتراك له رزق في الجند فتأخر رزقه في ايام المكتفي ووزارة العباس بن الحسين فساءت حاله ورثت هيئته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم و يشفعه ايضاً بأن يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزاً يتقوت بها هو وعياله فاجتمعت عليه للخباز شيء فضاق به صدر الخباز أن يعطيه شيئاً آخر فمنعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم ثم كشف لي حديثه وقال لقد علمت ان لابد لي من مسألة الناس وقد عملت على مسألة كل من يشتري من الخباز ان يتصدق عليّ وقد حملني الجزع على هذا كله لكن لما ذكرت ما في ذلك من الذل منعتني نفسي فبينما هو على ذلك اذ جاء رجل بزي نقيب يسال عنه فدل عليه فوجده جالساً عند الخباز فقال له قم فقال الى اين قال الى الديوان

حتى تقبض رزقك فقد خرج لك ولصاحبك رزق شهرين فمضى معه فلما كان بعد ساعة جاءني وقد قبض مائتين واربعون ديناراً فرم منزله واصلح حاله وحال عياله وابتاع دابة وسلاحاً وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه باسناده عن الفضل بن عياض قال حدثني رجل ان رجلاً خرج بغزل له فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ برأس اخيه قال ماهذا قال يصطخبان في درهم فاعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره فجاء الى امرأته فأخبرها فجمعت له شيئاً من البيت فذهب يبيعه فكسد عليه فمر عليه رجل ومعه سمكة قد اروحت فقال له ان معك شيء قد كسد ومعي شيء قد كسد فهل لك ان تبيعني هذا بذاك فبايعه وجاء الرجل بالسمكة الى البيت فقامت المرأة تصلحها واذا بلؤلؤة في جوفها فقالت له اتعرف قدر اللؤلؤة قال لا ولكن اعرف من يعرفه فانطلق بها الى صديق لي وهو في سوق الجوهر وقال بعها لي قال لك بها عليّ اربعون الف وان شئت فاذهب بها الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهبت بها اليه فقال لك بها ثمانون الفاً وان شئت فاذهب الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهبت اليه فقال لك بها مائة وعشرين الفاً ولا ادري احداً يزيدك قال فحمل لي اثنى عشر بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم فذهب بها الى منزله ليضعها فيه فاذا رجل في الباب يسأل فقال هذه قصتي التي كنت عليها ادخل فدخل فقال له خذ نصف هذا المال فأخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير بعيد ورجع اليه وقال ما انا بمسكين ولا فقير ولكن ارسلني اليك ربك تعالى الذي اعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً فهذا الذي اعطاك قيراط وادّخر لك الباقي * وذكر ابو الحسين القاضي في كتابه قال القرطبلي كان في جيراني رجل من اهل البيوتات وكانت له نعمة فزالت له وساءت حالته وكانت له زوجة واربع بنات فحملت زوجته واخذها الطلق في الليل قال فلم يكن لي حيلة شيء في الدنيا فخرجت ليلاً هارباً على وجهي امشي حتى أتيت جسر النهروان فاملت ان القى عاملها وكان يعرفني فاساله نصرتي في شيء وتعجيل رزقه ببعض الشيء لانفذه الى زوجتي فوصلت الى الموضع وقد ارتفع النهار فجلست استريح بالقرب من بقال فاذا برجل قد جاء ووضع مخلاتة وعصاه ثم قال اعطني كذا وكذا من خبز وادم فاعطاه فأكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاتة ففضها وميز ما فيها من الكتب فرأيت فيها خطاباً اليّ وعليه وصفة منزلي فقلت هذا اليّ فقال اتدري ما تقول قلت نعم قال اتعرف من كتبه قلت لا قال فان فيه

سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معي استؤجرت وخرجت من الدينور فقلت له قد قلت لك الحقيقة وان مضيت الى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيري فقال اما هنا انسان يعرفك قلت نعم قال قم بنا اليه فجئنا الى العامل فلما دخلت عليه قال لي ما اقدمك يا ابا فلان علينا فقلت له قبل كل شيء من انا اعزك الله واين منزلي ببغداد قال انت ابو فلان بن فلان الفلاني ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في سكة كذا منها فقلت للرجل عرفت صدقي قال نعم فحدثت العامل بحديثي واخذت الكتاب من الرجل واذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ابن عم كان لي فيها قد توفي بعد ان اوصى اليه اني انا وارثه واسماني له ووصف مسكني ببغداد وان الثلث من ماله يصرف في وجوه البر وباقي التركة لي وانه باع اثاث المنزل وما خاف فساده وصرف الثلث منه وبعض ما كان أوصى به وانفذ الي سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينار باجل اربعين يوماً على تاجر في دار القطن بالكرخ وقال والقصد ان تبادر الى الدينور لتبيع العقار والضياع او تبيع الثلث منها لنصرفه في مهم ونتمسك بالباقي ان شئت قال فورد عليّ من السرور ما لا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل قد وجب حقك وسأحسن اليك وشرحت له قصتي وانه لا حبة فضة معي فجاءني الى البقال وقال زن لاستاذي بكذا وكذا خبزاً وادماً وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فاركبني احدهما وركب هو الآخر ووزن الاجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا الى بغداد وقصدنا دار القطن وفي النهار بقية صالحة فاوصلت السفتجة الى التاجر فقال صحيحة اذا حل الاجل فاحضر للقبض فقلت له خذ حديثي وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له ويرى في مروءتك وقصصت عليه قصتي فقال بالله الذي لا اله الا هو انت صادق فحلفت له فاخرج كيساً كان بقربه فوزن منه مال السفتجة واخذ خطي بذلك وصرت من وقتي الى السوق فاشتريت عسلاً وسكراً وشيرجاً وخبزاً كثيراً وحملاً مشوياً وما يصلح للنساء في النفاس ومهداً وقشوة وعطراً صالحاً وشيئاً من الثياب وصرت الى منزلي وقد قربت عشاء الآخرة فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا عليّ ويلعنني فقدمت الحمالين ودخلت منزلي فانقلبت الدار وانقلب الدعاء عليّ فصار دعاء لي وصار الغم سروراً ووجدت زوجتي قد ولدت ابناً وعرفت الصبيان خبر السفتجة والميراث والرجل واعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير واقمت الرجل عندي اياماً حتى اصلحت امري وامر عيالي

وخلفت لهم نفقة واعطيت الرجل منها واجزلت وا كتريت منها حمارين لي ولده واستصحبته الى الدينور فوجدت فيه ما يخصني مما تركه ابن عمي نحو عشرة آلاف دينار فبعت ذلك كله واخذت بحصتي سفاتج الى بغداد وعدت وقد فرج الله عز وجل عني واصلح حالي فانا اعيش في بقية تلك الحال الى الآن * وذكر ابو الحسين القاضي قال حدثني ابي عن بعض اخوانه واحسبه ابو يوسف ابن يعقوب بن ثابت قال أملق بعض الكتاب في ايام الرشيد حتى افضى الى بيع دابته ونقض داره فلم يبق فيها الا بيت ياوي اليه هو وولده فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهراً وكان الرشيد يولي اعمال اذربيجان وارمينية في كل سنتين اوثلاثاً رجلاً فاضلاً فمرة عين رجلاً هاشمياً فاضلاً فطلب كاتباً فارها يصطنعه وشاور فيه صديقاً له من الكتاب فوصف له هذا الرجل المتعطل ووعده باحضاره وصار اليه فطرق الباب عليه فوجده لما دخل اليه على حال من الفقر لا يتهيأ له معها لقاء احد فبعث اليه من منزله بخلعة من ثيابه ودابة وغلام وبخور ودراهم وركب معه الى الهاشمي فلقيه بها فاستجوبه الهاشمي فوجده بارعاً في صناعته فاستكتبه وقرر جرايته وامر له بمال معجل معونة له على سفره وامره بالقدوم على اذربيجان فعاد الرجل الى منزله واصلح من حاله وخلف نفقة لعياله وشخص الى تلك البلد فلما بلغ الوالي المصروف الخبر رحل عن البلد واخذ غير الطريق الذي بلغه ان الكاتب سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج اليه كاتب المعزول ولقيه وسأله عن صاحبه فلما اعلمه بشخوصه الى دار السلام انكر ذلك فقال له كاتب المعزول مل بنا الى موضع نجلس فيه نتحدث ونرى رأيك فمالا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال اعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وخاف من مهانة تلقحه فشخص الى دار السلام وقد خلف قبلي مائة الف درهم فاقبض ذلك واكتب لنا كتاباً بازاحة علته وانفصال ما بيننا وبينك ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يغيب ولا يستعصي عليه فقبل كاتب الوالي ذلك وركبا وقد زال الخلاف بينهما الى تقبيض تلك الاشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه وكتب الكاتب الى الرشيد بازاحة علته وانفصال ما بينهم وبينه وخرج الكاتب لاحقاً لصاحبه وخلف من يسلم الحساب فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالي فكتب الى كاتبه ينكر عليه فكتب اليه اني قد بلغت من الامر مبلغاً مرضياً اذا وقفت عليه فلما صار الى الناحية عرفه ما جرى فحسن موقعه منه وتبرك به وغلب على عقله فكسب مالاً عظيماً فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمي وخلفه الذي كان قبله والياً وبلغ الهاشمي الخبر فقال لكاتبه ما الرأي فقال نفعل به مثل ما

فعل بنا واقيم انا ومعي مثل ما كان اعطانا فاعطيه اياه وأخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق بك ففعل ووافى الكاتب الذي كان مصروفا فتلقاه الكاتب في الموضع الذي كانا التقيا فيه في مبدأ الامر فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول ذلك والكتابة بمثل ما كان كتب له الى الرشيد فامتنع من قبول ذلك وكتب له بانفصال ما بينهما الى الرشيد كتابا وكيدا وقال اراك رجلا فاضلا فطنا وأرى صاحبك عاقلا وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كانه بيع له وشراء منه ولكن قد تذكرت أمرا أجمع لنا واكرم من هذا قال ماهو قال اعقد بيننا وبين صاحبك صهرا ونكون اخوة واصدقاء قال فعل الله بك وصنع فما في الدنيا اكرم ولاية منك فعقد بينهما الصهرين وسارا الى مقصدهما ودخل الكاتب بغداد وقد حصل الهاشمي صاحبه واخبره الخبر فحمد ربه وامضى عقده في المصاهرة فدار الكاتب من ارباب الاحوال وعاد الى افضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثتني جدتي ام ابي قالت كان زوجي يعقوب بن علي قد نهض الى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل واقام هناك واضقنا اضاقة شديدة وعرضنا بيع ضيعة لنا فلم نجد لها ثمنا وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره حتى توهمنا ان حادثا حدث عليه وكان اولاده صغارا فكثرت العيال واتفق عليهم حتى لم يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا الى بزر ونفقة فتعذر ذلك علينا حتى كدنا ان نتعطل ويفوت وقت الزراعة فاصبحت يوما وبي من الغم من اجتماع هذه الاحوال أمر عظيم ووجهت الى بعض من كنت اثق به واتوهم اني لو سألته اسعافنا بالكثير من ماله ان لا يخالفنا لأقترض منه شيئا لذلك فرد رسولي واعتذر وعرفني الرسول انه قال اذا بعثت لهم ما طلبوا والضيعة لم تعمر ولم يحصل لهم غلة وزوجهم لم يعرف له خبر فمن اين تردون على المال قالت فكدت اموت غما وامتنعت من الطعام يومي وليلتي فاصبحت فما انتصف النهار حتى ورد علي كتاب زوجي بسلامته وذكر السبب في تاخر كتابه وبسفتجة انفذها طي كتابه بمائتي دينار وذكر ثيابا انفذها مع آخر من اهل البصرة مبلغها خمسون دينارا فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة وحسنت حالي * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه ايضا قال روى ان سعيد بن العاص قدم الكوفة عاملا لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل قد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن اميرنا هذا كرم فاذكر له حالك فلعله ان ينيلنا شيئا فلم يبق للصبر فينا بقية فقال ويحك لا تخلقي وجهي فقالت فاذكر له ما نحن فيه على كل حال فلما كان بالعشاء اكل عنده ولما انصرف الناس

ولم يقم الرجل فقال له سعيد اظن جلوسك لحاجة فاذكرها فخجل الرجل فقال سعيد لغلمانه تنحوا ثم قال يرحمك الله أنا وأنت فاذكر حاجتك فخجل فنفخ سعيد المصباح فأطفاه ثم قال رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك قال أصلح الله الامير اصابتنا حاجة وأحببت ذكرها لك قال فاذا اصبحت فأت فلاناً وكيلي فلما اصبح الرجل لقي الوكيل فقال ان الامير قد أمر لك بشيء فهات من يحمله معك فقال ماعندي من يحمل معي وما أظن الامير الا قد امر لي بقوصرة تمر وقد ذهب ماء وجهي ولو كانت دراهم أو دنانير لاعطانيها يداً بيد فلما كان بعد ايام قالت له امرأته ياهذا قد بلغ بنا الامر الى ما ترى ومها اعطاك الامير فخذه نتقوت به أياماً فاذهب والق وكيله فلقيه فقال اين أنت لقد اخبرت الامير أن ليس لك من يحمل ما أمر به لك فأمرني ان أوجه معك من يحمل ذلك قال ثم أخرج اليه أناس من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم وقال امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة واخرج منها دراهم فدفعها للسودان وقال انصرفوا قالوا الى اين نحن عبيدك انه ما حمل مملوك لأمير هدية فرجع المملوك الى مالكه قال فصلحت حال الرجل واستظهر في امر دنياه * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه عن الاصمعي قال لزمت باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري وأبيت بالليل مع الحراس اسامرهم واتوقع طالع سعدي حتى كدت اموت قرًّا وهزالاً وانا اتصبر واتذكر عاقبة الصبر وما وراءه من الفرج وآمل صلاح حالي باتفاق محمود فبينما انا ذات يوم وقد أثر فيَّ السهاد خرج بعض الحجاب فقال هل بالباب احد يحسن الشعر فقلت الله اكبر رُبَّ مضيق فكه اليسر أنا ذاك الرجل فأخذ بيدي وقال ادخل فانه ختم لك بالسعاد ولعلها ليلة تكون فزت فيها بالغني فقلت بشرك الله بالخير ودخلت فواجهت الرشيد في البهو جالساً والخدم وقوفاً على راسه وجعفر بن يحيى البرمكي الى جانبه فوقف بي الحاجب حتى يسمع تسليمي فسلمت ثم قال تنح قريباً لتسكن نفسك ان كنت وجدت للردعة حساً فقلت في نفسي ان سكت فهي فرصة تفوتني الى آخر الدهر فلا اعتاض عنها الا كمداً حتى يضيق عليَّ الضريح فقلت بصوت اضاءة كرم أمير المؤمنين وبهاء مجده مدبران لمن نظر اليه من أذية النفس يسالني أيده الله فاجيبه ام ابتدي فأصيب فتبسم اليَّ جعفر وقال ما أحسن من استدعي الاحسان واحرى به ان يكون محسناً ثم قال لي أشاعر انت ام راوية للشعر قلت راوية قال لمن قلت لكل ذي جد وهزل بيد ان يكون محسناً قال ﴿ أنصف القارة من راماها ﴾ ما معنى هذه الكلمة قلت لها وجهان زعمت التبابعة انه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير

الحدق فكانت نكون في الموكب الذي فيه الملك على الجياد الباق فخرج فارس معلم بعذبات سمور وقلنسوة فنادى اين رماة الحدق فقالت العرب انصف القارة من راماها والوجه الآخر المرتفع من الجبل الشاهق فمن ضاهاه نعاله فقد راماه وما احسب هذا هو المعنى لان المراماه كالمعاطاه فكما ان المعاطاه للنديم هو ان ياخذ كاساً كذلك المراماه ترميها وترميه قال اصبت ارويت للحجاج شيئاً قلت الاكثر قال انشدني قوله (ارقني طارق هم طارق) فمضيت فيها مضى الجواد تهدر اشداقي فلما بلغت مدحه لبني أمية ثنيت عنان اللسان لامداحه للمنصور قال أعن عمد او عن غير عمد فقلت بل عن عمد قال تركت كذبه الى صدقه بما وصف المنصور من مجده قال جعفر بارك الله عليك مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف ثم التفت الى الرشيد وقال ارويت لعدي بن الرقاع قلت الاكثر قال انشدني قوله * بانت سعاد فاخلفت ميعادها * فابتدرت بها تهدر اشداقى فقال لى جعفر يا هذا انشد على مهل لن تنصرف الا غانماً فقال الرشيد هل قطعت على لتشركني في الجائزة قال فطابت نفسي وقلت أفلا البس اردية التيه على العرب وانا ارى الخليفة والوزير يتشاطران المواهب لي فتبسم ومضيت فيها ثم قال أرويت لذى الرمة شيئاً قلت الكثير قال انشدني قوله * أمن حذر الهجران قلبك يطمح * فقلت هي عروس شعره قال فأية لجهة قلت قوله (مابال عينك منها الماء ينسكب) قال امض فيها فمضيت حتى انتهيت الى وصفه جميلة قال جعفر تغنى علينا ماتسع من مسامرة الشين بجمل اجرب فقال الرشيد اسكت فهي التي سلبتك تاج ملكك وان عجتك عن قرارك ثم جعلت جلودها سياطاً لتضرب بها انت وقومك عند الغضب فقال جعفر الحمد لله عوفيت من غير ذنب قال الرشيد اخطأت في كلامك لو قلت استعين الله قلت صواباً انما يحمد الله عز وجل ويستعان على الشدائد ثم قال اني لاجد ملالاً وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فاذا أصبحت فان تابعي بلقاك بثلاثين الف درهم ثم قام وقربت اليه النعل فجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله فقال ارفق ويلك احسبك قد عقرتني فقال جعفر قاتل الله العجم لو كانت سديه ما احتاج امير المؤمنين الى هذه الكلفة فقال هذه نعلي ونعل آبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره فضى فقال جعفر لولا انه مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز ان امر فيه بمثل ما أمر لك لأمرت لك

بثلاثين الف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين الف درهم فاذا أصبحت فاقبضها فما صليت ظهر الغد الا في منزلي وقد صرف لي المال فأيسرت ولازمتها وزال ما كنت فيه من الضر واتي الاقبال * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال بلغني عن عمرو ابن مسعدة انه قال كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقة قال ياعمرو ماترى الرجحي قد احتوى على الاهواز وهي سلة الخبز وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متصلة بحملها وهو يتعلل ويتربص بي الدوائر فقلت أنا أكفي أمير المؤمنين هذا وأنفذ من يضطره الى حمل ماعليه فقال مايقنعني هذا فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره فقال فاخرج اليه بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله الى بغداد وتقبض على جميع مافي يده من أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً فقلت السمع والطاعة فلما كان في غد دخلت عليه فقال مافعلت فيما أمرتك به قلت انا على ذلك قال أريد ان تجيء في غد مودعاً قلت السمع والطاعة فلما كان في غد جئته مودعاً فقال اريد ان تحلف لي انك لاتقيم ببغداد الا يوماً واحداً فاضطربت من ذلك الى ان حضني واستحلفني ان لا أقيم فيها اكثر من ثلاثة أيام فخرجت حتى قدمت بغداد فلم اقم بها الا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال اريد البصرة وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحر فلما صرت بين جرجاي وجبل سمعت صوتاً من الشاطيء يصيح ياملاح فرفعت سجف الزلال واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافي القدمين خلق القميص فقلت للغلام أجبه فأجابه فقال ياغلام انا شيخ كبير السن على هذه الصورة التي ترى وقد احرقتني الشمس وكادت تتلفني وأريد جبل فاحملوني معكم فان الله يحسن اجر صاحبكم قال فشتمه الملاح وانتهره فادركتني رقة عليه وقلت خذوه معنا فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه فلما صار معنا في الزلال وانحدرنا تقدم فدفعت اليه قميصاً ومنديلاً وغسل وجهه واستراح وكانه كان ميتاً وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام هاته يأكل معنا فجاء وقعد على الطعام فأكل اكل اديب نظيف غير ان الجوع اثر فيه فلما رفعت المائدة اردت ان يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل فغسلت يدي وتذممت ان امر بقيامه فقلت قدموا له الطشت فغسل يده واردت بعدها ان يقوم لانام فلم يفعل فقلت يا شيخ اي شيء صناعتك قال حائك اصلحك الله فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء الادب فتناومت عليه ومددت رجلي فقال قد سألتني عن صناعتي وانت أعزك الله ماصناعتك

فاكبرت ذلك وقلت انا جنيت على نفسي هذه الجناية ولابد من احتمالها أتراه الاحق لايرى زلالي وغلماني ونعمتي وان مثلي لايقال له هذا فقلت كاتب فقال كاتب كامل ام كاتب ناقص فان الكتاب خمسة فأيهم انت فورد على من قول الحائك موردا عظيما وسمعت كلاما اكبرته وكنت متكئاً فجلست ثم قلت فصل الخمسة قال نعم كاتب خراج يحتاج ان يكون عالماً بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق والفنون والرتوق وكاتب احكام يحتاج ان يكون عالماً بالحلال والحرام والاحتجاج والاجماع والاصول والفروع وكاتب معونة يحتاج ان يكون عالماً بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات وكاتب جيش يحتاج ان يكون عالماً بحلى الرجال وشيات الدواب ومداراة الاوليا وشيئاً من العلم بالنسب والحساب وكاتب رسائل يحتاج ان يكون عالماً بالصدور والفصول والاطالة والايجاز وحسن البلاغة والخط قال فقلت اني كاتب رسائل قال فاسألك عن بعضها قلت قل فقال لي اصلحك الله لو ان رجلاً من اخوانك تزوج امك فأردت ان تكاتبه مهنئاً فكيف كنت تكاتبه فكرت في الحال فلم يخطر ببالي شيء فقلت ما أرى للتهنئة وجهاً قال فكيف تكتب اليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالي شيء فقلت اعفني قال قد فعلت ولكنك لست بكاتب رسائل قلت انا كاتب خراج قال لابأس لو ان امير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضي حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك واحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فحلف المساح بالله العظيم لقد أنصفوا وما ظلموا وحلفت الرعية بالله انهم لقد جاروا وظلموا وقالت الرعية قف معنا على مامسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا على قراح شكله قاتل قثا كيف كنت تمسحه قلت كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم اضربه في مثله قال ان شكل قاتل قثا ان يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس قلت فآخذ الوسط فاضربه في العرض قال اذا ينثني عليك العمود فأسكتني فقلت ولست كاتب خراج قال فاذاً ما أنت قلت أنا كاتب قاض قال أرأيت لو ان رجلاً توفي وخلف امرأتين حاملتين احداهما حرة والاخرى سرية فولدت السرية غلاماً والحرة جارية فعمدت الحرة الى ولد السرية فأخذته وتركت بدله الجارية فاختصما في ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدري قال فلست بكاتب قاض قلت فأنا كاتب جيش فقال لابأس أرأيت لوان رجلين جاءاليك لتحليهما وكل واحد منهما اسمه واسم ابيه كاسم الآخر الا ان احدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق

الشفة السفلى كيف كنت تحليهما قال قلت فلان الاعلم وفلان الأعلم قال ان رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يجيء في دعوة الاخر قلت لا أدري قال فلست بكاتب جيش قلت انا كاتب معونة قال لاتبالي لو ان رجلين رفعا اليك قد شج احدهما الاخر شجة موضحة وشج الاخر شجة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما قلت لا أدري قال لست اذاً كاتب معونة اطلب لنفسك ايها الرجل شغلاً غير هذا قال فصغرت اليّ نفسي وغاظني فقلت قد سئلت عن هذه الامور ويجوز ان لايكون عندك جوابها كما لم يكن عندي فان كنت عالماً بالجواب فقل فقال نعم اما الذي تزوج امك فتكتب اليه أما بعد فان الامور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم بل هو تعالى يختار لهم ما احب وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها وان القبور أكرم الازواج واستر العيوب والسلام واما قراح قاتل قتا فتمسح العمود حتي اذا صار عداداً في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة واما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنتين فأيهما كان اخف فالجارية له واما الجنديان المتفقا الاسمين فان كان الشق في الشفة العليا قيل فلان الاعلم واذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الافلح واما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ولصاحب المأمونة نصف الدية فلما اجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهراً في جميعها حاذقاً بليغاً فقلت الست زعمت انك حائك فقال انا اصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة وأنشأ يقول شعر

مامر بؤس ولا نعيم الاولي فيهما نصيب
فذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
نوائب الدهر ادبتني وانما يوعظ الاديب

قلت فما الذي بك من سوء الحال قال انا رجل كاتب دامت عطلتي وكثرت عيلتي وتواصلت محنتي وقلت حيلتي فخرجت اطلب تصرفاً فقطع علي الطريق فصرت كما ترى فمشيت على وجهي فلما لاح لي الزلال استغثت بك قلت فاني قد خرجت الى متصرف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك وقد أمرت لك بخلعه حسنة تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها امرك وتنفذ منها الى عيالك وتقوي نفسك بباقيها وتصير معي الى عملي فأوليك اجله فقال احسن الله جزاك اذاً تجدني بحيث أسرك ولااقوم مقام معذر اليك ان شاء الله وامرت بتقبيضه مارسمت له قبضه وانحدر الى الاهواز

معي فجعلته المناظر الرجحي والمحاسب له بحضرتي والمستخرج لما عليه فقام بذلك احسن قيام وعظمت حاله معي وعادت نعمته الى احسن ما كانت عليه * قال مؤلف هذا الكتاب بلغني لعمرو ابن مسعده في زلاّله خلاف هذا حدثني به عبدالله ابن الحسن العبسي وهو يذكر ان اهل امه اقرباء لبني مازنة الذين كانوا ابناء البصرة واهل النعم بها قال حدثني ابي قال سمعت شيوخنا يتحدثون ان عمرو بن مسعدة كان مصعداً من واسط الى بغداد في حر شديد وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك الا نظرت اليّ قال فكشفت سجف الزلال فاذا شيخ ضعيف حاف حاسر فقال له قد ترى ما انا فيه ولست اجد من يحملني فابتغ الاجر فيّ وتقدم الى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم الى ان ابلغ بلداً يطرحوني فيه قال عمرو فرحمته وقلت خذوه فاخذوه فغشي عليه وكاد يموت لما لحقه من الشمس والمشي فلما افاق قلت له يا شيخ ما حالك وقصتك فبكا وقال قصتي طويلة فسليته من بكائه وطرحت عليه قميصاً ومنديلاً وأمرت له بدراهم فاستمسك وشكرني وحمد الله جلت عظمته فقلت له لا بد ان تحدثني بقصتك انا رجل كانت لله علي نعمة وكنت صيرفياً فابتعت جارية بخمسمائة دينار فعشقتها عشقاً عظيماً فكنت لا افارقها الا ساعة واحدة فاذا خرجت الى الدكان اخذني الجنون والهيمان حتى اعود اليها فاجلس معها بقية يومي فدام ذلك حتى تعطل دكاني وبطل كسبي واقبلت انفق رأس مالي حتى لم يبق منه قليل ولا كثير وانا مع ذلك الحال لا اطيق ان افارقها بقدر ما اقعد في الدكان لا تعيش وحبلت الجارية واقبلت انقض داري وابيع انقاضها حتى فرغت من ذلك ولم يبق لي حيلة وضربها الطلق فقالت لي يا هذا هو ذا أموت فاحتل فما تبتاع به عسلاً ودقيقاً وشيرجاً والا مت فبكيت وحزنت وخرجت على وجهي وجئت لاغرق في الدجلة فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في الآخرة ثم خرجت على وجهي الى النهروان وما زالت امشي من قرية الى قرية حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني فتصرفت في صناعتي ورزقني الله جلت عظمته فاثريت واتسعت حالي وكتبت سنة وستين كتاباً لاعرف خبر منزلي فلم يعد الي الجواب فلم اشك ان الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبة وتراخت السنون حتى حصل معي ما قيمته عشرون الف دينار فقلت قد صارت لي نعمة فلو رجعت الى وطني فابتعت بالمال كله متاعاً من خراسان وأقبلت أريد العراق من طريق فارس والاهواز فلما حصلت بينهما خرج على القافلة اللصوص فاخذوا ما جميع ما فيها

ونجوت بثيابي وعدت فقيراً كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز وبقيت فيها متحيراً حتى كشفت خبري لبعض أهلها ممن لا أعرفه فاعطاني ما تحملت به الى واسط ونفدت نفقتي فمشيت الى هذا الموضع وقد كدت أتلف فاستغثت بك ولي منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة فعجبت من محنته ورفقت به وقلت له اذا صرنا الى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر اليَّ فاني آمر بتصريفك فيما يصلح لمثلك مما تعيش به فشكر ودعا ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيته فيها فبينما انا يوماً قد ركبت اريد دار المأمون فاذا بالشيخ على بابي راكباً بغلاً فارهاً بمركب محلي ثقيل وغلامين أسودين بين يديه كانهما مماليكه وثياب حسنة فلما رأيته رحبت به وقلت له ما الخبر فقال طويل فقلت عد اليَّ فلما كان من الغد جاءني فقلت له عرفني خبرك فقد سررت بحسن ظاهر حالك فقال اني لما صعدت من زلالك قصدت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفت غير ان باب الدهليز مجلو نظيف وعليه دكتان وبغال مع شاكرية فقلت انا لله ماتت جاريتي وملك الدار بعض الجيران فباعها لرجل من اصحاب السلطان فقدمت على رجل بقال كنت اعرفه في المحلة فاذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان البقال فقال ابنه فقلت ومتى مات ابوك قال منذ عشرين سنة قلت هذه الدار لمن قال لابن داية امير المؤمنين وهو الآن جهبذه وصاحب بيت ماله فقلت بمن يعرف قال بابن فلان الصيرفي فسماني فقلت هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار ابيه فقلت وهل يعيش ابوه قال لا قلت افتعرف عن حديثهم شيئاً قال نعم حدثت ان هذا الرجل كان صيرفياً جليلاً وافتقر وان ام هذا الفتى ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب لها شيئاً ففقد وهلك فقال ابي فجاءني رسول ام هذا الغلام تستغيث بي فقمت لها بحوائج الولادة ودفعت لها عشرة دراهم فما انفقتها حتى قيل قد ولد لامير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع فلم يقبل ثديهن وقد طلب له الحراير فجاؤه بغير واحدة فما أخذ ثدي واحدة منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذي طلب الداية الي أم هذا فحملت الى دار الرشيد وحين وضع فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته وكان الصبي هو المأمون وصارت عندهم في حالة جليلة ووصل اليها منهم خير عظيم ثم خرج المأمون الى خراسان فخرجت هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف اخبارهم الا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته وقد رأينا هذا قد جاء رجلاً وانا لم اكن رأيته قط وقد كان ابي قد مات فقالوا هذا ابن فلان الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها فقلت

له انشدك علم من امه اهي حية ام ميتة فقال هي حية تمضي الى دار الخليفة اياماً وتكون عند ابنها اياماً وهي الان هنا فحمدت الله على هذه الحالة وجيت حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن وفيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم وفي سفاف الدار ومجالسها جهابذة بين ايديهم الاموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون وبصرت بالفتى فرأيت شبهي فيه فعلمت انه ابني فجلست في غمار الناس الى ان لم يبق في المجلس غيري فاقبل اليّ فقال يا شيخ هل من حاجة تقولها ولكنها لا يجوز ان يسمعها غيرك ثم اومأ الى غلمان كانوا قياماً حوله فانصرفوا فقل قل اعزك الله قلت انا ابوك فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني بحرف ووثب مسرعاً وتركني في مكاني فلم اشعر الا بخادم قد جاءني وقال قم يا سيدي فقمت معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسي بين يديه والفتى خارج الستارة على كرسي آخر فقال اجلس ايها الشيخ فجلست على الكرسي ودخل الخادم فاذا بحركة خلف الستارة فقلت اظنك تريد ان تختبر صدق قولي من جهة فلانة وذكرت اسم جاريتي امه فاذا انا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت اليّ وجعلت تقبلني وتبكي وتقول مولاي والله قال فرايت الفتى قد بهت وتحير فقلت للجارية ويحك ماخبرك فقال دع خبري ففي مشاهدتك لما تفضل الله جلت عظمته عليّ كفاية عن ان أخبرك فقل ما كان خبرك انت قال فقصصت عليها خبري منذ خروجي من عندها الى يومي ذلك وقصيت ما كان قصه عليّ ابن البقال وشرحت ذلك كله بحضرة الفتى ومستمع منه فلما استوفي الحديث خرج وتركني في مكاني فاذا بخادم قال يامولاي يسالك ابنك ان تخرج اليه قال فخرجت فقال لي معذرة الى الله واليك يا ابت من تقصيري في حقك فانه جاء امر لم يظن مثله يكون فالآن هذه النعمة لك وانا ولدك وامير المؤمنين يجتهد بي منذ دهر ان اترك الجهبذة واتوفر على خدمته فما فعلت تمسكاً بصنعتي والآن فاني اساله ان يرد عملي اليك واخدمه انا غيرها عاجلاً واصلح امرك فاخذت الى الحمام وتطيبت وجاؤني بخلعة لبستها وخرجت الى حجرة والدته فجلست فيها ثم انه ادخلني على امير المؤمنين وحدثه حديثي ثم انه امر لي بخلع وهي هذه ورد اليّ العمل الذي كان لابني واجرى لي في كل شهر من الرزق كذا وكذا وقلد ابني اعمالاً هي اجل من عمله واضعف لي ارزاقه فجئت لاشكرك على ما عاملتني به من الجميل واعرفك بتجدد النعمة قال عمرو فلما اسماني الفتى

عرفته وعلمت انه ابن داية امير المؤمنين كما قال * وحدثني محمد بن عبدالله بن الحسين السقطي قال حدثني محمد بن زكريا الانصاري قال نلست يوماً الى المربد اريد مسجد الزيادتين بشارع المربد لوعد كان عليّ فيه وكانت الريح قوية وبين يدي باذرع رجل يمشي فلما بلغنا دار رباح قلعت الرياح سترا اجروجصا على راس حائط فرمت بها عليه فلم اشكك في اتلافه وارتفعت غبرة عظيمة أفزعتني فرجعت فلما سكنت عدت اسلك الطريق ولم ار الرجل فعجبت وتممت طريقي حتى دخلت مسجد الزيادتين فرايت اهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رايت في طريقي متوجعاً للرجل وشاكرا الله تعالى سلامتي فقال رجل منهم يا ابا الخطاب انا الذي وقعت عليّ السترة وذاك اني قصدت هذا المسجد لما وعدت فلما سقطت السترة ولم احس لها بضرر لحقني ووجدت نفسي سالماً قائماً فحمدت الله تعالى وتحيرت ووقفت حتى انجلت الغبرة فتاملت الصورة فاذا في السترة باب كبير وقد اتفق ان وقع راسي وسائر جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقط باقي السترة حوالي فلم يضرني شيء فتخطيت على المهندم وسبقتك الى هاهنا * وحدثت ان الفتح بن خاقان اجتاز على بعض القناطر وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته فغرق فرآه اكّار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه وقد كاد ان يتلف ولحقه اصحابه فامر للاكار بمال عظيم وتصدق بمثله فدخل عليه البحتري فانشده قصيدته التي اولها (متى لاح برق او بدا طلل قفر) الى ان قال

لقد كان يوم النهروان عظيمة   اطلّت ونعماً جرى بها الدهر
اجزت عليه عابرا فتشاعبت   اواديه لما ان طغى فوقه البحر
وزالت اواخي الجسر وانهدمت به   قواعده العظماء وما ظلم الجسر
فما كان ذاك الهول الا عناية   بدا طالعاً من تحت ظلمتها البدر
فان ننس نعمى الله فيك فخطنا   اضعنا وان نشكر فقد وجب الشكر

فقال له الفتح الناس يهنونا بنثر وانت بنظم واجزل صلته * وحدثني ابي بكر محمد بن عبدالله الرازي المعروف بابن حمدون عن الحسن بن محمد الانباري الكاتب قال كان لي ايام مقامي بارجان رجل تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكنت آنس به يحدثني قال كنت احج دائماً وانزل بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فالطفه وافتقده فتاخرت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثرياً فسالته عن سبب غناه فقال كان قد اجتمعت معي دزبهات على وجه الدهر ففكرت عام اول في ان اتزوج فاني كنت عزباً

كما علمت ثم قلت ان فرض الحج قد تعين عليّ فرايت ان اقدم اداء الفروض واتوكل على الله تعالى ان سهل لي بعد ذلك ما اتزوج به فلما حججت طفت طواف الدخول فاودعت رحلي وما كان معي بيتا من خان وقفلت بابه وخرجت الى منا فلما عدت وجدت الباب مفتوحا فارغا فتحيرت ونزلت بي شدة ما رايت مثلها قط فقلت هذا امر عظيم لثوابي فما وجه الغم واستسلمت لامر الله تعالى • جلست في البيت لاحيلة لي ولا تطيب نفسي بالمسالة فاتصل مقامي ثلاثة ايام ما طعمت فيها شيئا فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحرا وخفت على نفسي وذكرت قول جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له فخرجت حتى شربت منها ورجعت لاريد الباب باب ابراهيم لاستريح فيه وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشيء اوجع اصبعي فانكببت عليه لامسكه فوقعت يدي على هميان ادم احمر كبير فاخذته فلما حصل في يدي ندمت وعلمت ان اللقطة حرام وقلت ان تركته الآن كنت المضيع له وقد لزمني ان اعرفه ولعل صاحبه اذا رجع اليه ان يهب لي شيئا اقتاته حلالا فجئت الى بيتي وحللته في المصباح فاذا هو دنانير صفر تزيد على الف دينار فشددته ورجعت الى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شيء فلياتني بعلامته ويأخذه فانقضى يومي انادي ماجاءني احد وانا على حالي في الجوع وبت في بيتي ليلتي كذلك وغدوت الى الصفا والمروة فعرفته عندهما يومي حتى كاد ينقضي فلم يأتني أحد فضعفت ضعفاً شديداً فخشيت على نفسي فرجعت متحاملاً مقبلاً حتى جلست على باب ابراهيم فقلت قبل انصراف الناس قد ضعفت عن الصياح وانا ماض اجلس على باب ابراهيم فمن رأيتموه يطلب شيئاً قد ضاع منه فارشدوه الي فلما قربت المغرب وانا في الموضع اذا بخرساني مجتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ما ضاع منك فاعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت ان أرشدتك الى من يعطيك اياه تعطيني مائة دينار قال لا قلت فخمسين قال لا فلم ازل انازله الى ان بلغت الى دينار واحد فقال لا ان اراد من هو عنده ايماناً واحتساباً والا فهو الضر وولى لينصرف فورد عليّ اعظم وارد وهممت بالسكوت ثم خفت الله تعالى واشفقت ان يفوتني الخراساني فصحت به ارجع فرجع فاخرجت الهميان فدفعته اليه فمضى فجلست ومالي قوة على المشي الى بيتي فما غاب عني حيناً حتى عاد فقال لي من اي البلاد انت ومن اي الناس انت فاغتظت منه غيظاً عظيماً فقلت وما عليك هل بقي لك عندي شيء قال

لا ولكني اسألك بالله العظيم من اي الناس والبلاد انت تعرفني ولا تضجر فقلت من أهل الكوفة فقال ومن ايهم انت واختصر قلت رجل من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام فقال ما حالك ومالك فقلت ما املك من الدنيا شيئاً الا ما تراه علي وقصصت عليه قصتي وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطينيه من الهميان وما انتهيت اليه من الضعف وشدة الجوع فقال أريد أن تعرفني صحة نسبك وحالك حتى اقوم بامرك كله قلت ما اقدر على المشي لشدة الضعف ولكن اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوي بباب ابراهيم يريد الحيئة بينكم من ينشط لحال هو فيها فمن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق انهم كلهم يعرفون باطن حالي فقالوا ما تريد أيها الشريف فقلت هذا رجل يريد ان يعرف حالي ونسبي لشيء بينه وبيني فعرفوه ماتعرفونه من صحة نسبي فوصفوا له طريقتي وعزمي فمضى وجاء وأخرج الهميان بعينه كما كنت سلمته له فقال ياهذا خذ هذا بأسره لك بارك الله لك فيه فقلت يا هذا ما يكفيك ماعاملتني به حتى تستهزىء بي وانا في حال الموت فقال معاذ الله هو والله لك فقلت فلم بخلت علي بدينار منه ثم وهبت الجميع لي فقال ليس الهميان لي فكان يجوز لي أن اعطيك منه شيئاً قل أم كثر وانما أعطانيه رجل من بلدي وسألني ان اطلب بالعراق أو بالحجاز رجلاً علوياً حسينياً فقيراً مستوراً فاذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن أسلم اليه هذا الهميان كله ليصير أصلاً لنعمة تنعقد له فلم تجتمع لي هذه الصفة في أحد فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من الامانة والفقر والعفة والصبر وصح عندي نسبك أعطيتك اياه فقلت ان كنت تحب استكمال الأجر فخذ منه ديناراً وابتع لي دراهم واشتر لي منها ما آكله وصر به الساعة الى هاهنا فقال لي اليك حاجة فقلت قل فقال أنا رجل موسر والذي أعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك وانا أسألك أن تقوم معي الي رحلي فتكون في ضيافتي الى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك فقلت ما بي حركة فاحتل في حملي كيف شئت فغاب وجاء بمركوب فاركبنيه الى رحله وأطعمني في الحال ما كان عنده وقطع لي من الغد ثياباً وكان يخدمني بنفسه وعادلني في عماريته الى الكوفة فلما بلغنا اعطاني من عنده دنانير أخرى وقال لي ضمها على ما عندك قال وفارقته وانا ادعو اليه وأشكره ولم امس الهميان بل أنفق من الدنانير التي أعطانيها الرجل باقتصاد الي ان اتفقت لي ضيعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت وأثمرت وأنا بعافية

الباب الثامن

﴿ من اشفى على ان يقتل * فكان الخلاص اليه أعجل ﴾

وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي الختطي ان ابراهيم بن المهدي لما طال استتاره عن المامون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفياً فيه يريد موضعاً آخر في زي امرأة وكان عطراً فعرض له حارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب به فكلمه فلما علم انه رجل ضبطه فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون الف دينار وخلني فابى وتعلق به فحمله الى صاحب الشرطة فاتى به المامون فلما دخل عليه بالحالة التي هو عليها جلس المامون مجلساً عاماً وقام خطيب بحضرته يخطب بفضله وما رزقه الله جلت عظمته من الظفر بابراهيم ولما دخل ابراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان ولي الثار تحكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناولته يد الاقدار بما مد له من اسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان تؤاخذ فبحقك وان تعفو فبفضلك ثم قال

ذنبي اليك عظيم وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولا فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي من الكرام فكنه

وقال

اتيت ذنباً عظيماً وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن وان جزيت فعدل

فرق له المامون واقبل على اخيه ابي اسحاق وابنه العباس والقواد وقال ما ترون في امره فقال بعضهم يضرب عنقه و بعضهم قال يقصص لحمه الى ان يتلف و بعضهم قال تقطع اطرافه و يترك الى ان يموت فكل اشار بقتله وانما اختلفوا في الصفة فقال المامون لاحمد ابن ابي خالد ماتقول انت يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيراً وان عفوت لم نجد مثلك عفى عن مثله فايما احب اليك ان تفعل فعلاً تجد لك فيه شريك او تنفرد بالفضل فاطرق المامون ملياً ثم رفع راسه فقال اعد ما قلت يا احمد فاعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا راي لنا في الشركة فكشف ابراهيم

المقنعة عن راسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عفي والله امير المؤمنين بصوت كاد الايوان يتزعزع وكان ابراهيم طوالاً ادم جعد الشعر جهير الصوت فقال له المامون لا باس عليك باعم وامر بحبسه في دار احمد بن ابي خالد فلما كان بعد شهر احضره المامون فقال اعتذر من ذنبك فقال يا امير المؤمنين ذنبي اجل من ان افوه فيه بعذر وعفو امير المؤمنين اعظم من ان انطق بشكر ولكني اقول

تفديك نفسي ان تضيق بصالح والعفو منك بفضل خلق واسع
ان الذي خلق المكارم حازها في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم اشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالاً كافراخ القطا وحنين والدة بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب عليك يا عماه قد عفوت عنك فاستانف الطاعة ورد ماله وضياعه فقال ابراهيم يشكره

رددت مالي ولم تبخل عليّ به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعماً نعم الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به والمال حتى اسلّ النعل عن قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم

فقال المامون ان من الكلام كلاماً كالدر وهذا منه وأمر له بخلع ومال قيل انه الف الف درهم وقال له ان ابا اسحاق وولدي اشارا بقتلك فقال ابراهيم فما قلت لهما يا امير المؤمنين قال قلت لهما ان قرابته قوية ورحمه ماسه وقد ابتدأناه بامر فينبغي ان نستتمه فان نكث فالله مغير مابه قال ابراهيم لقد نصحنا لك ولكن ابيت الا ما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المامون قد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك واعظم من عفوي عنك اني لم اجرّعك مرارة امتنان الشافعين

* ووجدت في بعض الكتب انه لما حصل ابراهيم بن المهدي في قبضة المامون لم يشكك هو وغيره انه مقتول فاطال حبسه في مطمورة باسوإ حال واقبحها قال ابراهيم فآيست من نفسي ووطنتها على القتل وتعزيت عن الحياة حتى صرت اتمنى القتل للراحة من العذاب وما اؤمله في الآخرة من حصول الثواب فبينما انا كذلك اذ دخل عليّ

احمد بن ابي خالد مبادراً فقال اعهد فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك فقلت اعطني دواتًا وقرطاسًا فكتبت وصية ذكرت فيها كما احتجت اليه واسندتها الى المامون ونهضت فتطوعت ركعات ومضى احمد وفرغت من الصلاة وجلست اتوقع القتل فعاد اليّ احمد بعد ساعتين وقال امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول انا احمد الله جلت عظمته الذي وفقني لصلة رحمك والصلح وقد أمنك ورد عليك نعمتك وجميع ضياعك واملاكك فانصرف الى دارك قال فبدأت ادعي للمامون فعابني البكاء والانتحاب وهو يطالبني بالجواب وانا غير متمكن منه فقال لي احمد لقد رايت منك عجبًا اخبرك اني امرت بضرب رقبتك فلم تجزع ولم تبك ثم اخبرتك بتفضل امير المؤمنين عليك وصفحه عنك فلم تتمالك من البكاء فقلت له اما السكوت عن الخبر الاول فلأني لم اتوهم منذ ظفربي ان اسلم من القتل فلما ورد عليّ مالم اشك فيه لم اجزع ولم ابك واما بكائي عند الخبر الثاني فوالله شأنه ماهو لسرور بالحياة ولا لرجوع النعمة ولا بكائي الا لما كان مني في قطيعة رحم من بعد استحقاقي منه للقتل يخولني مثل هذا الصلح الذي لم يسمع به في جاهلية ولا اسلام فقد استحق امير المؤمنين الثواب من الله تعالى في صلة رحمه واظهاره احسانه عند اساءتي وحلمه عند جزلي وفضله عند نقضي وجوابي هو ما شهدت وسمعت فرجع الى المامون واخبره ثم عاد اليّ بالمال والخلع ومركوب فانصرفت به الى داري ونعمتي * وقال علي بن هشام بن قبراط الكاتب ببغداد باسناد ذكره يحدث عن احمد ابن يوسف الكاتب قال كنت اشرب مع المامون وانادمه وانا اتقلب له في ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزارتي له وكان كثيرا ما انادمه على الانفراد وربما يجمع بيني وبين البريدي فلما رضي عن ابراهيم بن المهدي ونادمه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيري ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستاير وربما حضر اسحق بن ابراهيم الموصلي فنحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق اذ غنى ابرهيم بن المهدي فقال

صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم　　وشمروا انها ايام من علبا

فاستعاده المامون مرارًا وبان لي في وجهه الغيظ والغضب والهم وزوال الطرب ولم يفطن ابراهيم وترك المامون القدح الذي كان في يده ونهض فظنناه يريد الوضوء ثم عاد فما شعرنا الا وقد استدعانا الى مجلس آخر فاذا هو جالس على سرير الخلافة بقلنسوة وثياب الهيبة وبين يديه اسحاق ابن ابراهيم المصعبي وجلة القواد فاستدعي ابراهيم بزيه فحضر باخس صورة واقبحها وعليه ثياب المنادمة يفضحه بذلك فلما وقف

بين يديه قال يا ابراهيم ماحملك على الخروج عليّ والخطبة لنفسك بالخلافة قال احمد بن يوسف وقد كنت لما ابطا المامون عن مجلس الشرب عرفت الصورة فلما استدعاني جئت وقد لبست ثياب العمل ونحيت ثياب المنادمة فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس علمت ان الصوت قد ذكره فاقبل عليه ابراهيم بوجه ضيق وقلب ثابت فقال يا امير المؤمنين لست اخلو من ان اكون عندك عاقلاً او جاهلاً فان كنت جاهلاً فقد سقط عني اللوم من الله تعالى ثم منك وان كنت عاقلاً فيحسن ان تعلم اني قد علمت ان محمداً اخاك مع امواله وذخائره واموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والاعمال التي كانت في يده وارتفاعها وعصبة بني هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وانت امير من امرائه فكيف اثبت انا لك وانا في قوم اكثر رزق الرجل ثلاثون درهماً في الشهر وقد غلبني على بغداد بن ابي خالد العياد وأصحابه يقطعون ويضربون ويحبسون ويطلقون ووالله جل شأنه وحق رسول الله وحق جدي العباس ما دخلت فيما دخلت فيه الا لا بقي هذا الامر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن ابن سهل قد حمله البطر والرفض على ان اخرج الخلافة عنك فاردت ضبط الامر الى ان تقدم فتستلمه قال فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال على بيناه الخادم فاحضر فقال رقعة سلمتها اليك بمرو قبل رحيلي عنها وأمرتك بحفظها فهاتها فمضى وجاء بسفط ففتحه واخرج منه الرقعة فاذا مكتوب بخط المأمون لئن اظفرني الله عز وجل بابراهيم بن المهدي لأسألنه بحضرة الاولياء والخاصة من أهل بيتي واجنادي عن السبب الذي دعاه الى الخروج علي فان ذكر انه انما أراد بذلك حفظ الامر على أهل بيتي لما جرى في امر علي بن موسى لأخلين سبيله ولاحسنن اليه ولئن ذكر غير ذلك من العذر كائناً ما كان لاضربن عنقه قال احمد بن يوسف ولم يكن بحضرته كاتب غيري فدفعها الي وقال يا احمد ادفعها اليه ثم قال يا عم خذ براءتك من احمد وعد الى مجلسك الذي خلفتك فيه قال فسلمنا الرقعة اليه وعدنا الى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم نفسه مغشياً عليه فما شعرنا الا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس مجلسنا وقال ارجعوا الى ما كنا فيه واتممنا يومنا ذلك

* وجدت في بعض الكتب ان كسرى ابرويز ركب يوماً فرسه الشبديز فتلكأ عليه فجذب عنانه فانقطع فاحضر صاحب السروج وقال يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع اضربوا عنقه فقال ايها الملك اسمع وانصف قال قل قال ما بقاء جلدة تنازعها ملكان ملك الناس وملك الدواب قال زه زه اطلقوا عنه واعطوه اثني عشر الف درهم وعفا

عنه * وذكر محمد بن عبدوس في كتابه قال لما صار الرشيد الى طوس واشتدت علته اتصل خبره بالامين فوجه بكر بن المعتمر ودفع اليه كتاباً الى الربيع بن الفضل واسماعيل ابن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقفول الى بغداد ان حدثت الحادثة بالرشيد والاحتياط على ما في الخزائن وحمله وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن المعتمر اوصل كتباً ظاهرة كانت معه بعيادة الرشيد وكانت الكتب الباطنة مخفاة فاتصل خبرها بالرشيد فاحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدها قال فذكر عبيد الله بن عبدالله بن طاهر قال حدثني ابي قال كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت علته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ بمرو وقد ظفر الرشيد بأخي رافع بن الليث فاحضر ذلك اليوم ومعه قرابة له فخلع الرشيد على بكر وصرفه الى منزله ثم أمر باحضاره ومطالبته بالكتب فجحدها فأمر بحبسه ثم جلس الرشيد مجلساً عاماً في مضرب خز اسود استدارته اربعمائة ذراع قبابه مغشاة بخز أسود وهو جالس في فازة خز أسود في وسط المضرب والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة والاوتاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وعليه فنك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلة وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفنك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال للفضل مر بكراً باحضار ما معه من الكتب السرية فانكرها وقال ما كان معي الا الكتب التي أوصلتها فقال للفضل توعده واعلمه ان لم يفعل قتلته فاقام ينكر وقال ما كان معي الا الكتب التي أوصلتها فقال الرشيد بصوت قنبوه فنحي بكر وجيء بالقنب وقنب من قرنه الى قدمه قال بكر فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الاقرار فانا على ذلك حتى أحضر هارون اخي رافع وقرابته الذين كانوا معه وقال ايتوهم رافع انه يغلبني والله لو كان معه عدد نجوم السماء لالتقطهم واحداً بعد واحد حتى اقتلهم عن آخرهم فقال الرجل الله الله يا أمير المؤمنين فان الله تعالى يعلم وأهل خراسان اني بريء من أخي منذ عشرين سنة ملازم مسجدي فاتق الله تعالى فيّ وفي هذا الرجل فقال له قطع الله لسانك فسكت فقال اخي الثالث انت والله منذ كذا وكذا تدعو الله تعالى بالشهادة فلما رزقتها على يدي اشر خلقه اخذت في الاعتذار فاغتاظ الرشيد وقال علي بجزارين فقال له قرابتي ياهارون افعل ما شئت فانا نرجو ان نكون نحن وانت بين يدي الله تعالى في اقرب

مدة فتعلم كيف يكون حالك فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضوا عضوا فوالله ما فرغ منهما حتى توفي الرشيد فقال بكر وانا اتوقع القتل بعدها حتى اتاني غلام لابي العتاهية قد بعث به مولاه وكتب في راحته شيئاً ارانيه فاذا هو

هي الايام والعبر وامر الله ينتظر
اتيأس ان ترى فرجاً فاين الله والقدر

فوثقت بالله وقويت نفسي ثم سمعت واعية لا افهم معناها فاذا الفضل بن الربيع قد اقبل اليّ فقال حلوا أبا حامد فقلت ليس هذا يكفيني فحالت ودعا لي بخلع فجعلت عليّ ثم قال اعظم الله اجرك في امير المؤمنين واخذ بيدي وادخلني بيتاً فاذا الرشيد مسجي فيه وكشف عن وجهه فلما رأيته ميتاً سكنت فقال هيه هات الكتب الباطنة التي معك وكنت اتخذت صندوقاً للمطبخ قد ثقبت قوائمه وجعلت الكتب فيها وجعلت الجلد فوقها فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت الكتب الى اصحابها واخذت الاجوبة وانصرفت قال مؤلف هذا الكتاب وقد اتى أبو الحسين القاضي في كتابه بهذين البيتين لابي العتاهية ولم يذكر القصة وزاد بين البيت الأول والبيت الثاني بيتاً وهو هـذا

فلا تجزع وان عظم البـ ـلاء ومسك الضر

حدثني ابراهيم بن علي النصيبي المتكلم قال جماعة من أهل نصيبين انه كان بها أخوين ورثا عن ابيهما مالاً جليلاً فاقتسماه فاسرع احدهما في انفاق حصته فلم يبق له شيء حتى احتاج الى ما في ايدي الناس وثمر الآخر حصته فزادت وعرض له سفر في تجارته فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخي انك تحتاج الي ان تستأجر غلاماً في سفرك وانا احتاج ان أخدم الناس فاجعلني بدل غلام تستأجره فيكون ذلك أصون لي ولك فلم يشك الاخ أن أخاه قد تأدب وان هذا أول اقباله وآثر ان يصون اخاه ورق عليه فاخذه معه فكان للاخ الغني حمار يركبه وقد استاجر بغالاً لأحماله فركب أخوه احدها والمكاري احدها وساروا فلما استتم بهم السفر حصلوا في جبل في الطريق فيه عين ماء فقال الأخ الفقير للاخ الغني لو نزلت ها هنا وأرحنا دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا فقال افعل فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل وادخل متاعه اليه وبسط السفرة ليأكل واخذ أخوه الفقير والمكاري الدواب ومضيا ليسقياها وانتظر التاجر اخاه والمكاري فاحتبسا طويلاً ثم جاء اخوه وحده وشد الدواب فقال له أين المكاري فقال له قد اقام في الجبل فقال له تعالى حتى نأكل فتركه ومضى ثم عاد يسعى اليه وبيده

أحجار يرميه بها ويقول لاخوه استكتف يا ابن الفاعلة فقال ويحك مالك ما تريد فقال أر يد قتلك يا ابن الفاعلة اخذت مال ابي وعملته تجارة لك وجعلتني غلامك قال ورفسه فالقاه على ظهره ثم اوثقه كتافا واثخنه ضربا بالحجارة وشجا وصاح الرجل فلم يجبه احد فبرك أخوه الفقير على صدره واخرج من وسطه سكينا عظيما في قراب لها ليذبحه فرام استخراجها من القراب فتعسرت عليه فقام عن صدر اخيه وعلى يده اليسرى السكين في قرابها وجذبها بيده اليمين وقد صار القراب من خلفه فخرجت السكين بحمية الجبذه فابجته فوقع يخور في دمه وينزف الى ان مات وجفت يده على السكين بعد موته وهي فيها وحصل على تلك الصورة واخوه الغني مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة والطعام عليها والدواب مشدودة فاقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة من غد فاجتازت قافلة على المحجة وكان بينها و بين الكهف بعد فاحست البغال بالدواب المجتازة ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال ارسانها فقامت وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى اهل القافلة دوابا غائرة ظنوا انها لقوم قد أسرهم اللصوص وكانوا في منعة فتسارعوا الى البغال فلما قصدوها رجعت تطلب موضعها وتبعها قوم من اهل القافلة فانتهوا الى التاجر وشاهدوه مكتوفا والسفرة منشورة والاخ مذبوحا و بيده السكين فشاهدوا عجبا واستنطقوا الرجل فأومأ اليهم انه لا قدرة لي على الكلام فحلوا كتافه وسقوه ماء واقاموا عنده الى ان افاق وقدر على الكلام واخبرهم الخبر فطلبوا المكاري فوجدوه غريقا في الماء قد اغرقه الاخ الفقير فحملوا ثقل التاجر على بغاله واركبوه حماره وسيروه معهم الى المنزل * وحدثني ابراهيم ابن علي النصيبي قال حدثني ابراهيم بن علي الصفار شيخ كان جارا لنا بنصيبين قال خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته عن ابي أقصد به عباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة وهو براس العين لاهديه له واستجديه بذلك فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب فسالني عن أمري فانست به فحدثته الحديث وكنا قد قربنا من العين فدخلناها وافترقنا وكان يجيئني ويراعيني و يظهر لي انه مسلم علي وأنه يبرني بالقصد ويسالني عن حالي فأخبرته أن الامير قبل هديتي واجاز لي بالف درهم وثياب واني اريد الخروج يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد راكبا حمارا فلما اصحرت اذا بالشيخ على دويبة ضعيفة متقلدا سيفا فحين رأيته استربت منه وانكرته ورأيت الشر في عينيه فقلت ما تصنع ها هنا فقال قضيت حوائجي

واريد الرجوع وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك فقلت علي اسم الله تعالى وما زلت متحذراً منه وهو مجتهد ان ادنو منه فلا افعل وكلما دنى مني بعدت عنه الى ان سرنا شيئاً يسيراً وليس معنا ثالث فقصرعني واحثثت الحمار لافوته فما حسيت الا بركضه فالتفت فاذا هو قد جرد سيفه وقصدني فرميت بنفسي عن الحمار وعدوت فلما خاف ان افوته صاح يا ابا القاسم انما مزحت معك فلم التفت اليه فقرع دابته وزاد في التحريك وبان لي ناووس فطلبته وكاد الاعرابي يلحق بي فدخلت الناووس ووقفت وراء بابه قال ومن صفات تلك النواويس انها مبنية بالحجارة و باب كل ناووس حجر واحد عظيم قد نقر وجفف وملس فلا تستمكن اليد منه وله في وجهه حلقة وليس من داخله شيء تتعلق اليد به وانما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل اليه واذا خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن اردامه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقفت خلف بابه وجاء الاعرابي فشد دابته في حلقة ودخل يريدني مخترطاً سيفه والناووس مظلم فلم يرني ومشى الى صدر الناووس فخرجت انا من خلف الباب وجذبته معي حتى صار الباب مردوداً وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الاعرابي الى باب الناووس فراى الموت عياناً فقال يا ابا القاسم اتق الله في امري فانني اتلف قلت له تتلف انت اهون من ان اتلف انا قال فاخرجني واعطيك اماناً واستوثق مني بالايمان اني لا اتعرض لك بسوء ابداً واذكر الحرمة التي بيننا قلت لم ترعها انت وايمانك فاجرة لا اثق بها في تلف نفسي فاخذ يكرر الكلام فقلت لا تهذي هوذا اركب دابتك واجنب حماري والوعد بيننا بعد ايام ها هنا فلا تبرح حتى اجي وان احتجت الى طعام فعليك بجيف العلوج فنعم الطعام لك واخذت الهوا به في هذا القول واخذ يبكي و يستغيث و يقول قتلتني والله فقلت الى لعنة الله وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته حرجا فيه ثياب يسيرة فجئت الى نصيبين فبعت الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها ادهم وبعته لئلا يعرف صاحبه فاطالب بالرجل واتفق انه اشتراه رجل من الحتاجين وكفيت امره وانكتمت القصة فلما كان اكثر من سنة عرض لي خروج الى راس العين فخرجت في ذلك الطريق فلما لاح لي الناووس تذكرت فقلت اعدل الى الناووس وانظر الى ما صار اليه امره فجئت اليه فاذا بابه كما تركته ففتحته ودخلته فاذا انا بالاعرابي وقد صار رمة فلا زلت احمد الله عزوجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فاذا بصوت شيء يتخشخش ففتشته فاذا هميان فاخذته واخذت

سيفه وخرجت ففتحت الهميان فاذا فيه خمسمائة درهم وبعت السيف بعد ذلك بجملة دراهم

* حدثني ابو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصري قال حدثني ابو موسى عيسى بن عبدالله البغدادي قال حدثني صديق لي قال كنت قاصداً الرملة وحدي وما كنت دخلتها قط فانتهيت اليها وقد نام الناس ليلاً فعدلت الى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور فطرحت درقة كانت معي واتكأت عليها وعلقت سيفي واضطجعت اريد النوم لادخل البلد نهاراً فاستوحشت من الموضع وارقت فلما طال ارقي احسست بحركة فقلت لصوص يجتازون وان تصديت لهم لم آمنهم ولعلهم يكونوا جماعة ولا اطيقهم فانعزلت بمكاني ولم اتحرك واخرجت راسي من بعض ابواب القبة على تخوف مني شديد فرأيت دابة كالذئب تمشي فاخفيت نفسي فاذا بها قد قصدت قبة حيالي فما زالت تتلفت طويلاً وتدور حواليها ثم دخلتها فارتبت وانكرت امرها وتطلعت نفسي الى علم ماهي ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل ينظر ثم دخل وخرج بسرعة ثم دخل وعيني اليه فضرب بيده الى قبر في القبة يبعثره فقلت نباش لاشك فيه وتأملته يحفر بيده فعلمت ان فيها آلة من حديد يحفر بها فتركته الى ان اطمأن واطال وحفر شيئاً كثيراً ثم اخذت سيفي ودرقتي ومشيت على اطراف اناملي ودخلت القبة فاحس بي فقام اليّ بقامة انسان واومى اليّ ليلطمني بكفه فضربت يده بالسيف فابنتها وطارت فقال اواه قتلتني لعنك الله وعدا من بين يدي وعدوت خلفه وكانت ليلة مقمرة حتى دخل البلد وانا اراه ولست الحقه الا انه بحيث يقع بصري عليه الى ان اجتاز بي في طرق كثيرة وانا في خلال ذلك اعلم الطريق لئلاّ اضل حتى جاء الى باب فدفعه ودخل فاغلقه وانا اسمع فعلّمت الباب ورجعت اقفوا اثري والعلامات التي علّمتها في طريقي حتى انتهيت الى القبة التي كان فيها النباش وطلبت الكف فوجدتها فاخرجتها الى القمر فبعد جهد انتزعت الكف المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتأملت الكف فوجدت فيه نقش حنا وخاتمان من الذهب وهي احسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمناً وملاحة فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت في القبة التي كنت فيها ودخلت البلد من الغد اطلب العلامات حتى انتهيت الى الباب وسألت لمن الدار فقالوا لقاضي البلد فاجتمع اليها خلق كثير وخرج منها رجل بهي فصلى بالناس وجلس في المحراب فازداد عجبي من الامر وقلت لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضي فقال بفلان فاطلت الحديث في معناه حتى عرفت انه له ابنة عاتقاً وزوجة فلم اشك في ان

النباشة ابنته فتقدمت اليه فقلت بيني و بين القاضي اعزه الله حديث لا يصلح الا على خلوة فقام ودخل المسجد وخلابي وقال قل فاخرجت الكف وقلت اتعرف هذه فتأملها طويلاً فقال اما الكف فلا واما الخواتم فخواتم ابنة لي عاتق فما الخبر فقصصت عليه القصة بأسرها فقال قم معي فادخلني بيته واغلق الباب واستدعى طبقاً وطعاماً فاحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم تقول لك كيف تخرج ومعك رجل غريب فقال لابد من خروجها تأكل معنا فهذا لانحتشمه فابت عليه فحلف بالطلاق لتخرجن قال فخرجت وهي باكية فجلست معنا فقال لها اخرجي ابنتك فقالت له يا هذا قد جننت فما الذي حل بك قد فضحتني وانا امرأة كبيرة فكيف تهتك صبية عاتقاً فحلف بالطلاق لتخرجنها فخرجت فقال لها كلي معنا فرأيت صبية كالدنيا مليحة ما لمحت مقلتاي احسن منها الا ان لونها قد اصفر جداً وهي مريضة فقلت ان ذلك لنزف الدم من يدها فاقبلت بيمينها وشمالها مخبأة فقال اخرجي يدك اليسار فقالت قد خرج بها خراج عظيم وهي مشدودة فحلف لتخرجها فقالت امراته يارجل استرعلى نفسك وابنتك فوالله وحلفت بايمان كثيرة ما اطلعت لهذه الصبية على سوء قط الا البارحة فانها جاءتني بعد نصف الليل فايقظتني فقالت يا امي الحقيني والا تلفت فقلت مابالك فقالت انه قد قطعت يدي وهو ذا نزف الدم والساعة اموت فعالجيني واخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تفضحيني ونفسك بالصياح عند ابي والجيران وعالجيني فقلت لا ادري بما اعالجك فقالت اغلي زيتاً واكوي يدي به ففعلت ذلك وكويتها وشددتها فقلت الآن خبريني مادها ك فامتنعت فقلت والله لئن لم تحدثيني لا كشفن امرك لابيك فقالت انه قد وقع في نفسي منذ سنين ان انبش الموتى فتقدمت الى هذه الجارية فاشترت لي جلد ماعز بشعره واستعملت كفاً من حديد فكنت اذا نمتم افتح الباب وآمرها ان تنام في الدهليز ولا تغلق الباب فالبس الجلد والكف الحديد وامشي على اربع فلا يشك الذي يراني من فوق سطح او غيره اني كلب ثم اخرج الى المقبرة. وقد عرفت من النهار خبر من يموت من الجلة والمياسير واين دفن فاقصد قبره فانبشه وآخذ الاكفان وادخلها معي في الجلد وامشي مشيتي واعود والباب غير مغلوق فادخل واغلقه وانزع تلك الآلة فادفعها الى الجارية مع الكفن فتأخذه فتخبيه في بيت لا تعلمون به وقد اجتمع عندي ثلثمائة كفن او ما يقاربها لا ادري ما اصنع بها الا اني كنت اجد لذلك الخروج لذة لا سبب لها اكثر من ان اصابتني هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط عليّ رجل احس بي

كأنه كان حارساً لذلك القبر فقمت لاضرب وجهه بالكف الحديد فيشتغل عني واعدوا فداخلني بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فاباد كفي فقامت لها اظهري انه قد خرج على كفك خراج وتعالي فان الذي يرى مابك من الصفار يصدق قولك فاذا مضت ايام قلنا لابيك ان لم يقطع يدك خبث جميع جثتك وتلف فيأذن لنا في قطعها فنظهر انا قطعناها ويشيع الخبر حينئذٍ ويستتر ابوك فعملنا على هذا بعد ان استتبناها فتابت وحلفت بالله لاعادت وكنت عولت على ان ابيع الجارية هذه واراعي مبيت الصبية وابيتها الى جانبي ففضحتها ونفسك قال فقال لها القاضي فما تقولين قالت صدقت اي ووالله لاعدت ابداً وتبت الى الله فقال لها القاضي هذا صاحبك الذي قطع يدك فكادت تتلف جزعاً ثم قال لي يافتى من اين انت قلت من العراق قال فيم وردت قلت اطلب الرزق قال قد جاءك حلالاً طيباً نحن قوم مياسير ولله علينا نعمة وستر فلا تنغص النعمة ولا تهتك الستر ازوجك ابنتي هذه واغنيك بمالي عن الناس وتكون معنا في دارنا قال نعم فأمر ثم خرج الى المسجد والناس مجتمعون ينتظرونه فخطب وزوجني واقعدني في الدار ووقعت الصبية في نفسي حتى كدت اموت عشقاً لها فافترعتها واقامت شهوراً معي وهي نافرة مني وانا أؤانسها وابكي حسرة على يدها واعتذر اليها وهي تظهر قبول عذري وان الذي بها غماً على يدها يزيدها حنقاً عليّ الى ان نمت ليلة واستثقلت في نومي على رسمي فاحسست بثقل شديد على صدري فانتبهت جزعاً فاذا هي باركة على صدري وركبتاها على يدي مستوثقة منهما وفي يدها موسى وقد اهوت لتذبحني فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر وخشيت ان تبادرني فسكت وقلت لها كلميني واعملي ما شئتي فقالت قل قلت ما يدعوكي الى هذا قالت اظننت انك تقطع يدي وتهتكني وتتزوجني مثلك وتنجو سالماً والله لا كان هذا فقلت اما الذبح فقد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحات توقعيها فيّ ولا تأمنين ان افلت فاذبحك واهرب او اكشف هذا عليك ثم اسلمك الى السلطان فتنكشف جنيتك الاولى والثانية ويتبرأ منك ابوك واهلك وتقتلين فقالت افعل ما شئت لابد من ذبحك وقد استوحش الآن كل منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها بعيد ولا بد من ان تجرح الموضع فيكون فيه تلفي فقلت الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير هذا فقالت قل قلت اطلقيني وانا اطلقك الساعة وتخرجين عني فاخرج غداً عن البلد فلا اراك ولا تريني ولا ينكشف لك حديث في بلدك ولا تفتضحين وتتزوجين من شئت فقد شاع ان يدك قطعت بخراج خبيثة

ونربحين الستر قالت لا افعل حتى تحلف لي انك لا تقيم في البلد ولا تفضحني ابداً وتعجل لي بالطلاق فطلقتها وحلفت اني اخرج ولا افضحها بالايمان المغلظة فقامت عن صدري تعدو خوفاً من اقبض عليها حتى رمت الموسى حيث لا ادري وعادت واخذت تظهر ان الذي فعلته مزاح وتلاعبني فقلت اليك عني فقد حرمت علي ولا يحل لي ملامستك وفي غد اخرج عنك فقالت الآن علمت صدقك ووالله لئن لم تفعل لا نجوت من يدي فقمت فجاءتني بصرة وقالت هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب رقعة طلاقي واخرج غدا فاخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد ان كتبت الى ابيها اني طلقتها واني خرجت حياء منه ولم التق معهم ابداً * وحكى محمد بن بديع العقيلي قال رأيت رجلا من بني عقيل في ظهره كله شرط كشرط الحجام الا انها اكبر فسألته عن سبب ذلك فقال اني كنت هويت ابنة عم لي وخطبتها فقالوا لي لا نزوجك الا ان تجعل الشبكة صداقها وهي فرس سابقة كانت لبعض بني بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك وخرجت أحتال في ان أسل الفرس لأتمكن من الدخول بابنة عمي فاتيت الحي الذي فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر الى أن عرفت مربط الفرس من الخبا ورأيت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحت عهن لهم كانوا نفشوه ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد أصلحت له المرأة عشاء فجعلا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم وكنت ساغباً فاخرجت يدي وأهويت الى القصعة وأكلت معهم فأحس الرجل بيدي وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدي الاخرى فقالت له المرأة مالك ويدي فظن انه قابض على يد المرأة فخلى يدي فخليت يد المرأة واكلنا ثم انكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها مالك فخلت عن يدي وخليت عن يده وانقضى الطعام واستلقى الرجل ونام فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيد في جانب وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة فوافي عبد له اسود فنبذ حصاة وأنبهت المرأة وقامت اليه وتركت المفتاح في مكانها وخرجت من الخبا الى ظهر البيت ورمقتها بعيني فاذا هو قد علاها فلما حصلا في شأنهما دببت فأخذت المفتاح وفتحت القفل وكان معي لجام شعر فأوجرته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت الاسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحي فصاحوا واحسوا بي فركبوا في طلبي وانا اكد الفرس وخلفي خلق منهم فأصبحت

ولست ارى الا فارساً واحدا يرمح فلحقني وقد طلعت الشمس فاخذ يطعنني فلم يصل طعنه الى اكثر مما تراه في جلدي لا فرسه تلحق بي فيتمكن طعنه مني ولا فرسي يبعث بي الى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا الى نهر جرار فصحت بالفرس فوثبتها وصاح الفارس بفرسه فلم يثب فلما رايت عجزها عن العبور نزلت عن فرسي لاستريح واريحها فصاح بي الرجل وقال يا هذا انا صاحب الفرس الذي تحتك وهذه ابنتها ناذ قد اخذتها فلا تخدعنها فانها تساوي عشر ديات وعشر ديات وما طلبت عليها شيئاً قط الا لحقته ولا طلبني احد عليها الا فتّه وانما سميت الشبكة لانها لم تر شيئا الا ادركته فكانت كالشبكة في التعلق به فقلت اما اذا نصحتني فوالله لانصحنّك ولا اكذبك انه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس فاطرق راسه ساعة ثم قال لا جزاك الله من طارق خيراً اخذت فرسي وقتلت عبدي وطلقت ابنة عمي * وحكي رجل من الجند قال خرجت من بعض بلدان الشام وانا على دابتي وخرج لي فيه ثياب ودنانير فلما سرت عدة فراسخ لحقني المساء فاذا بدير عظيم فيه راهب في صومعة فنزل واستقبلني وسالني المبيت عنده وان يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم اجد فيه غيري فاخذ دابتي وطرح لها شعيراً وعزل رحلي في بيت وجاءني بما جاد وكان الزمان شديد البرد واوقد بين يدي ناراً وجاءني بطعام طيب من اطعمة الرهبان فاكلت ونبيذ فشربت ومضت قطعه من الليل فاردت النوم وقامت ادخل المستراح فسالته عنه فدلني على طريقه وكنا في غرفة فمشيت فلما مررنا على باب المستراح فاذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاي عليها خلت ونزلت فاذا انا في الصحراء واذا البادية كانت مطروحة على غير سقف وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطاً عظيماً فصحت وقدرت ان ذلك تم عليّ من غير قصد فما كلمني فقمت وقد جرح بدني الا اني سالم فجئت وتظللت بطارق باب الدير من الثلج فما وقفت فيه حيناً حتى رأيت فيه برابخ من فوق راسي قد جاءتني منها حجارة لو تمكنت من دماغي لطحنته فخرجت اعدو وصحت به فشتمني فعلمت ان ذلك من حيلته طمعاً في رحلي فلما خرجت وقع الثلج عليّ فعلمت اني تالف ان دام ذلك فولد لي الفكر ان طلبت حجراً فيه ثلاثون رطلاً فوضعته على عاتقي واقبلت اعدوا في الصحراء وهو على عاتقي شوطاً حتى اذا تعبت وحميت وجريت عرقاً طرحت الحجر وجلست استريح فاذا نالني البرد اخذت الحجر وعدوت حتى ابلغ خلف الحصن فاجلس من

حيث يقع لي ان الراهب لا يراني فاذا احسست بان البرد قد بدا ياخذني تناولت الحجر وسعيت من الدير الى ذلك الحصن وانا على هذا الى الغداة فلما كان قبل طلوع الفجر وانا خلف الدير سمعت بحركة بابه فتخفيت فاذا بالراهب قد خرج فجاء الى موضع سقوطي فلما لم يرني قال وانا اسمعه يا قوم ما فعل المشؤم اظنه قد رأى بقربه قرية فقام يمشي اليها كيف اعمل فاتني سلبه واقبل يمشي يطلب اثري فخالفته انا الى باب الدير وكان في وسطي سكين فوقفت خلف الباب فطاف ولم يبعد فلما لم يرَ لي اثرًا عاد ودخل فحين بدأ يرد الباب ثرت به فقبضت عليه ووجأته بالسكين وصرعته فذبحته واغلقت باب الحصن وصعدت الغرفة فاصطليت بنار كانت موقدة ودفيت وطرحت عني تلك الثياب وفتحت خرجي فلبست منه ثيابًا واخذت كساء الراهب ونمت فيه الى العصر ثم انتبهت وانا سالم غير منكر شيئًا من نفسي فطفت بالدير حتى رأيت طعامًا فاكلت وسكنت نفسي وظفرت بمفاتيح بيوت الحصن في يدي فاقبلت افتح بيتًا بيتًا فاذا انا بمال من عين وثياب وآلات ورحالات اقوام واخراجهم واذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به منفردًا فلم ادر كيف اعمل في ثقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب واقمت في موضعه اياما اتراءى لمن يجتاز بي من بعد فلا يشكون في انني هو واذا قربوا لم ابرز لهم وجهي الى ان خفي لهم خبري ثم نزعت تلك الثياب واخذت جواليقا فملأتها مالاً وجعلتها على الدابة ومشيت وسقت الى اقرب قرية واكتريت فيها منزلاً ولم ازل انقل اليه كلما وجدته حتى لم ادع شيئًا له قدر الا حصلته في القرية ثم اقمت الى ان اتفقت لي قافلة وحملت من تلك الامتعة كل ماقدرت عليه ورفعته الى المحمل وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي وقد حصلت لي عشرات الوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت * حدثني ابو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين العبقسي الشاعر قال كان لابي مملوك يسمى مقبل فأبق منه ولم يعرف له خبرًا سنين كثيرة ومات ابي وتغربت عن بلدي ووقعت الى نصيبين وانا حدث فبينما انا مجتاز يومًا في سوقها وعليَّ لباس فاخر وفي كمي منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلامًا مقبلاً فحين رآني انكب على يدي فقبلها واظهر سرورًا شديدًا بي واقبل يسألني عن ابي واهلنا فاعرفه موت من مات وخبر من بقي ثم قال لي ياسيدي متى دخلت الى هاهنا وفي اي شيء فعرفته فاخذ يعتذر من هربه منا ثم قال انا مستوطن هاهنا وانت مجتاز فلو انعمت عليَّ وجئت في دعوتي فاني احضر لك نبيذًا طيبًا وغناء حسنًا فاغتررت به وبالصبا ومضيت

معه حتى بلغ بي الى آخر البلد والى دور خراب ثم انتهى الى دار عامرة مغلقة الباب فدقه ففتح له ودخل فدخلت وحين حصلت الدهليز اغلق الباب بسرعة واستوثق منه فتنكرت لذلك ودخلت الدار فاذا انا بثلاثين رجلاً بالسلاح وهم جلوس على بادية فلم اشكك في انهم لصوص وايقنت بالشر وبادرني احدهم يلطمني وقال انزع ثيابك فطرحت كل ما كان عليّ حتى بقيت بالسراويل فحلوا الدراهم التي كانت معي واعطوا مقبلاً شيئاً منها وقالوا امض فهات بهذا ما نأكله فانا جياع فطارت روحي فقال لهم الغلام ما امض او تقتلوه فقلت لهم يا قوم ماذنبي حتى تقتلوني قد اخذتم ما معي ولستم ترثوني اذا قتلتموني ولا لي حال غير ما اخذتموه فالله الله فيّ ثم اقبلت استعطف مقبلاً وهو لا يجيبني ويقول لهم انكم ان لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتم كلكم قال فوثب اليّ احدهم بسيف مسلول وسحبني من الموضع الذي كنت فيه الى البالوعة ليذبحني وكان بقربي غلام امرد فعلقت به وقلت يافتى ارحمني واجرني فان سنك قريب من سني واستدفع البلاء من الله بخلاصي فوثب الغلام وطرح نفسه عليّ وقال والله لا يقتل وانا حي وجرد سيفه وقام فقام استاذه لقيامه وقال لا يقتل من اجاره غلامي واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانتزعوني وجعلوني في زاوية من البيت الذي كانوا فيه ووقفوا بيني وبين اصحابهم وقال لهم رئيسهم كفوا عن الرجل الى ان تنظر في امره وشتم مقبلاً وقال امض فهات ما نأكله فانا جياع وليس يفوتنا قتله فمضى مقبل وجاءهم بمأكول كثير وجلسوا يأكلون وترك جماعة منهم الاكل حراسة لي لئلا يقتلني احدهم اذا تشاغلوا بالاكل فلما اكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لي بحراستي واكل من لم يكن اكل منهم ثم افضوا الى الشرب فقال لهم الآن قد اكلتم فترك هذا يؤدي الى قتلكم فدعوا الخلاف في امره واقتلوه فوثب من يريد قتلي ووثب الغلام ومن معه للمنع عني وطال الكلام بينهم وانا في الزاوية وقد اجتمع اليّ من يمنع قتلي فصرت بينهم وبين الحائط الى ان جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم هذا الذي انتم فيه يؤدي الى قتلكم والله رأيت رأياً فلا تخالفوه فقالوا ماذا تامرنا فقال اغمدوا السلاح واصطلحوا ونشرب الى وقت نريد ان نخرج عن هذه الدار ثم نكتفه ونسد فاه وندعه في الدار وننصرف فانه لا يتمكن من الخروج وراءنا والصياح علينا الى ان نصبح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضاً ولا تنصرف كلمتكم فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرب معهم فقلت له الله الله فيّ فتمم ما قد عملت ولا

تشرب معهم وتحرسني لئلاً يثب عليَّ احد منهم على غفلة فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ثم لا تتمكن انت من ردها ولا تنفعني ان تقتل قاتلي فرحمني وقال أفعل ثم قال لاستاذه احب ان تترك شربك اليوم وتفعل كما افعل فجاءا فجلسا قدامي وانا في الزاوية اتوقع الموت ساعة فساعة الى ان حلت العتمة وقام القوم فتحزموا ولبسوا ثيابهم وخرجوا وبقي الغلام واستاذه فقالا لي يافتى قد علمت انا خلصنا دمك فلا تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن ان نكتشفك واحذر ان تصيح فاخذت اقبل اياديهما وارجلهما واقول انتما احييتماني فكيف أكافئكما بالقبيح فقالا قم معنا فقمت ففتشنا الدار حتى علما انه لم يختف فيها من يريد قتلي ثم قالا لي يا هذا قد امنت فاذا خرجنا فاستوثق من الباب ونم وراءه فلا يكون الا خيراً ثم خرجا فاستوثقت من غلق الباب ثم جزعت جزعاً ولم اشكك في انه يخرج من تحت الارض منهم من يقتلني وزاد عليَّ الجزع واقبلت امشي في الدار وادعوا واسبح الى ان كدت اتلف وآنست باستمرار الوقت على السلامة فحملتني عيني ونمت فلم احس الا بالشمس وحرارتها على الباب فقمت وخرجت امشي عرياناً بسراويل الى ان حصلت في الموضع الذي كنت اسكنه وما حدثت احداً بهذا الحديث مدة لبقية الفزع ثم بعد انقضاء سنة او قريب منها كنت يوماً عند صاحب الشرطة بنصيبين لصداقة كانت بينه وبين ابي فلم البث ان حضر من عرّفه عن عثور الطوف على جماعة من اللصوص بقرية سماها من قرى نصيبين وقبضه على سبعة نفر منهم وفوت الباقين فامر باحضارهم فوقع بصري منهم على ذلك الغلام الذي اجارني ذلك اليوم وعلى استاذه ثم على مقبل فاخذتني رعدة تبينت فيَّ واخذ مقبل من بينهم مثل ما اخذني فقال لي صاحب الشرطة مالك فقلت له ان حديثي لطويل ولعل الله اراد بحضوري هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر فقال هات فقصصت عليه قصتي مع القوم الى آخرها فتعجب وقال هلا شرحتها لي فيما قبل حتى كنت اطلبهم وانتصف لك منهم فقلت ان الفزع الذي كان في قلبي منهم لم يبسط لساني به فقال فمن الذي كان معك من هؤلاء قلت الغلام واستاذه وواحد من الباقين فامر بحل كتافهم وتميزهم من بين اصحابهم ودعا مقبل فقال ما حملك على ما فعلت بابن استاذك قال سوء الاصل وخبث العرق فقال لاجرم تقابل بفعلك وامر به فضرب عنقه واصحابه الباقين ودعا بالغلام واستاذه وصاحبهما وقال لهما لقد احسنتما في دفعكما عن هذا الفتى والله يجزيكما عن فعلكما الخير فتوبا الى الله من

فعلكما وانصرفا في صحة الله مع صاحبكما ولا تعوداً لما كنتما عليه من التلصص فقد منت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى فان ظهرت منكما ثانياً الحقتكم بأصحابكم فشكروه ودعوا له وانصرفوا وشكرته على ما فعل والحمد لله على توفيقي لقضاء حق من اجارني والانتقام ممن ظلمني ثم صار ذلك الغلام واستاذه من اصدقائي وكان يختلفان الي

*وحكي ابراهيم بن عبدالسلام الهاشمي البصري قال كان عندنا بالمربد رجل من خول محمد ابن سليمان الهاشمي وكان مؤنثاً يسمى عياد وكان يحمل السلاح فاجتمع يوماً مع قوم من الخول على شراب لهم فتجاروا حديث الشجاعة فعابوه بما فيه من التأنيث نخاطرهم في شيء يمله مما يعرضون عليه بيبن به عن شجاعته فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح الى صهاريج الحجاج فيدخل منها الصهريج الفلاني ويسمر في أرضه هذا الوتد ويعود وهذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصرة في البرية وهي موحشة المكان خالية يجتمع فيها الماء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل قال فأخبرني عباد قال خرجت وليس معي الا وتد ومطرقة حتى بلغت الصهريج الذي خاطرت عليه وكان أعظمها واوحشها فدخلت وكان جافاً وجلست وضربت الوتد بالمطرقة في أرضه فطن الصهريج فسمعت صلصلة شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد الصوت وظهرت حركه وانا ثابت القلب أتأمل ولا أدري شيئاً من الظلمة الى ان احسست بالحركة والصوت قد قربا مني وتأملت فاذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلقة الانسان فاستوحشت وثبت نفسي وأنا ادق والشخص يقرب مني فوثبت والقيت نفسي عليه واستوثقت منه فاذا هو قرد في عنقه سلسلة فظننت أنه قد أفلت من قراد أو قافلة فسحبته فلان في يدي وآنس بي فأخذته على يدي وساعدي وجئت أريد باب الصهريج فلما بلغته سمعت كلاماً فخشيت ان يكون بعض من يطلبني من العصبية هناك فوقفت اتسمع فاذا كلام امرأة مع رجل وهي تقول له يا فلان ويحك اتقتلني اتذبحني اتبلغ بي الموت اتق الله وهو يقول الذنب كله لك وأنت اذنت لهم في ان يزوجوك ولو أبيت ما قد رابوك ان يزوجك وانما فعلتيه مللاً بي وانا تالف عشقاً وانت تتمتعين والله لأذبحنك استكتني يا ابنة الفاعلة قال فنظرت فاذا ظهره الى باب الصهريج فصحت عليه صيحة عظيمة وضربت قفاه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل وتمكن من ظهره فورد على الرجل ما حيره وأفزعه وذهب بعقله نخر مغشياً عليه ووقع السيف من يده فأخذته ورأيت الجحفة هناك فأخذتها وقصدت

الرجل وكان عقله ثاب اليه ورمي القرد عن ظهره وسعى هارباً فقصدت المرأة وحللت كتافها وقلت لها ما قصتك فقالت انا بنت فلان وذكرت رجلاً من اهل المربد وهذا ابن عمي وكان يعشقني فخطبني من ابي فامتنع من تزويجه بي وزوجني من رجل غريب ودخل بي منذ شهور فلما كان امس خرجت انا وجماعة من نساء الجيران ننظر الى الصحراء وقت العصر وبلغه خبرنا فكبسنا في الصحراء ومعه عدة رجال بالسلاح فاخذ كل رجل امرأة وانفرد بها وحملني هذا الى هذا الصهريج ففجر بي طول الليل ولما كان الآن عزم على قتلي فأغاثني الله بك وما اعرف للنسوة خبراً قلت لا بأس عليك امشي فمشيت بين يدي حتى دخلت البصرة فدققت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت الى اصحابي فحدثتهم الحديث وأريتهم القرد وخرجنا من الغد فرأوا الوتد وذهبنا الى باب المرأة فأريتهم اياه واخذت خطري* قال وحكى ابي قال كان في جواري رجل يعرف بأبي عبيدة حسن الادب كثير الرواية للاخبار وكان قديماً ينادم اسحاق ابن ابراهيم المصعبي فحدثني ان اسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل قال فهالني ذلك وأفزعني واوحشني لما كنت اعرفه من زعارة الاخلاق وشدة الاسراع الى القتل وخفت ان يكون قد بلغه عني امر باطل فيسرع الى قتلي قبل كشف حالي فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فادخلت الى بعض دور الحرم فاشتد جزعي وذهب على امري فانتهى بي اليه وهو في حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ودخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده سيف مسلول وهو مطرق فأيقنت بالقتل وسلمت ووقفت فرفع رأسه وقال اجلس يا ابا عبيدة فسكن روعي وجلست فرمى اليَّ رقاعاً كانت بين يديه وقال اقرأ هذه فقرأتها جميعاً فاذا هي رقع اصحاب الشرط يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى في عمله وفي جميعها ذكر كبسات وقعت على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والاجلاء الذين بادوا وذهبت مراتبهم ويسألوه عما يعملون في امرهن فقلت قال قد وقفت اعز الله الامير على هذه الرقاع فما يأمرني الامير قال ويحك يا ابا عبيدة ان هؤلاء الناس الذين ذكروا حال بناتهم كلهم كانوا اجل مني وأمثل وقد افضى بهم الدهر في حرمهم الى ما قد سمعت وقد وقع لي ان بناتي بعدي سيبلغن الى هذا المبلغ وقد جمعتهن وهن خمس وجعلتهن في هذه الحجرة لاقتلهن الساعة واستريح ثم ادركتني رأفة البشرية والخوف من الله تعالى فاردت ان اشاورك في امضاء الرأي او شيء تشير به علي فيهن فقلت ايها الامير ان اباء هؤلاء النساء اللواتي

قد رأيت رقاع اصحاب الاخبار بما جرى عليهن اخطأوا في تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن بالازواج فخلون بانفسهن ونعمهن ففسدن ولو كانوا جعلوهن في اعناق الأكفاء ما جرى منهن هذا والذي ارى ان استدعي فلان العابد وله خمس بنين كلهم جميل الوجه حسن اللبسة والنشو فتزوج كل واحدة من بناتك واحداً منهم فتكتفي العار والنار فتكون قد اخذت بامر الله عز وجل وبالحزم ويراك الله قد اردت طاعته في حفظهن فيحفظك فيهن فقال امض الساعة اليه وافرغ لي معه من هذا قال فمضيت الى الرجل وقررت الامر معه واخذت الفتيان واباهم وجئت الى دار اسحاق ابن ابراهيم فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيان على الخمس بنات في خطبة واحدة وحمل اسحاق بين يدي كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عيناً وشيئاً كثيراً من الطيب والثياب وحمل كلاً منهم على فرس بمركب ذهب واعطاني كل واحد من الازواج مالاً مما دفع اليه كثيراً وامر لي اسحاق بخمسمائة ديناراً وخلعة وطيباً وانفذ الي امهات البنات هدايا واموالاً جليلة وشكرتني على تخليص بناتهن من القتل وقلبي تلك النعمة فرحاً فعدت الى داري ومعي ما قيمته ثلاثة آلاف دينار * ودعا الرشيد صالحاً صاحب الموصل حين تنكر للبرامكة فقال له اخرج الى المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف الف درهم فاحملها الي في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها اليك كاملة قبل مغيب الشمس فاقبلها والا فاحمل الي رأسه واياك ومراجعتي في شيء من أمره قال صالح فخرجت الى منصور بن زياد وعرفته الخبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف انه لا يعرف موضع ثلاثمائة الف فكيف بعشرة آلاف الف درهم فقال له خذ في عملك فقال له امض بي الى منزلي حتى اوصي فما هو الا ان دخله حتى ارتفع الصياح من منازله وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح امض بنا الى ابي علي يحيي بن خالد لعل الله ان يأتينا بفرج من عنده فمضى معه الى يحيي وهو يبكي فقال له ما وراءك فقص عليه القصة فاقلق يحيي امره واطرق مفكراً ثم دعي بخازنه فقال له كم عندك من المال قال خمسة آلاف الف درهم فقال احضرنيها فأحضرها ثم وجه للفضل ابنه انك قد اعلمتني فداك ابوك ان عندك الفي الف درهم تريد أن تشتري بها ضيعة وقد اصبت ضيعة يبقى لك ذكرها وتحصد ثمرتها فوجه الي بالمال فوجه به ثم قال للرسول امض الى جعفر وقل له ابعث فداك ابوك الف الف درهم لحق لزمني فوجه بها اليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطرق اطراقه

لانه لم يكن عنده شيء ثم رفع رأسه الى خادم له فقال له امض الى دنانير فقل لها وجهي الي بالعقد الذي كان امير المؤمنين وهبه لك فجاءه به فاذا بعقد كعظم الذراع ثم التفت الى صالح وقال له قد اشتريت هذا العقد لامير المؤمنين بثمانية وعشرين الف دينار وقد حسبته عليك الآن بالف الف درهم وهذا تمام حقك فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت منصوراً معي فلما صرت بالباب انشأ منصور متمثلاً يقول

فما بقي علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

فقال صالح ماعلى وجه الارض رجلاً انبل من هذا الذي خرجنا من عنده ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا علي وجه الارض اخبث سريرة ولا اكفر نعمة ولا أدنى طمعاً من هذا النبطي لم يشكر من اعطاه ووزن عنه هذا المال العظيم قال وصرت الى الرشيد فقصصت عليه القصة وطويت عنه ماتمثل به منصور خوف ان يقتله اذا سمع ذلك فقال الرشيد قد علمت انه ان نجا انما ينجوا باهل هذا البيت اطلق الرجل واقبض المال واردد العقد فاني لم أكن لاهب هبة وترجع الى مالي قال صالح فلم اطب نفساً الا بتعريف يحيى ماقاله منصور عند خروجنا من المنزل من عنده فرجعت اليه واطنبت في شكره والدعاء له ووصف ما كان منه وقلت ولكن انعمت على غير شاكر قابل اكرم فعل بالام قول قال وكيف فاخبرته بما كان فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول يا ابا علي ان المنحوت القلب ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره وكان الرجل في حال عظيمة قال صالح فقلت له والله ما ادري من اي امر بك اعجب من اوله ام من آخره ولكني اعلم ان الدهر لا يخلف مثلك ابداً قال وكان علي بن عيسى القمي ضامناً يعمل الخراج والضياع ببلاده فبقيت عليه اربعون الف دينار ولح المأمون في طلابته حتى قال لعلي بن صالح حاجبه طالبه بالمال وانظره ثلاثة ايام فان احضر المال قبل انقضائها والا فاضربه بالسياط حتى يؤديها او يتلف وكان بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة فانصرف من دار المامون آيساً من نفسه لا يقدر على شيء من المال فقال له كاتبه لو عرجت على غسان واخبرته بخبرك لرجوت ان يعينك عليه قال فحملته على قبول ذلك فدخل على غسان فتلقاه بجميل ووفاه حقه فقص عليه كاتبه قصته فقال له ارجو ان يكفيه الله ونهض علي بن عيسى آيساً من نفسه كاسف البال نادماً على قصده وقال لكاتبه لما انصرف ما افدتني بقصد غسان الا تعجل المهانة والذل لي وتشاغل في طريقه

بلقاء بعض اخوانه وعاد الى داره فوجد على داره بغالاً عليها اربعون الف ديناراً مع رسول غسان بن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع اليه وسلم اليه المال وتقدم بحضور دار المامون من غد ذلك اليوم فبكر علي بن عيسى فلما وصل الناس الى المامون مثل غسان بن عباد بين الصفوف وقال يا امير المؤمنين ان لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف اصل ولامير المؤمنين عليه سالف احسان وقد لحقه من الخسران في ضمانه ماقد تعارفه الناس وجرى عليه من حدة المطالبة وشدتها والوعيد بضرب السياط ما حيره وقطعه عن احتيال ماعليه فان رأى امير المؤمنين ان يسعفني ببعض ماعليه ويضعه عنه فعل قال فلم يزل به الى ان حطه النصف واقتصر منه على عشرين الف دينار قال غسان على ان تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع فاجابه المامون الى ذلك قال فيأذن لي امير المؤمنين ان احمل الدواة اليه ليوقع بذلك فيبقى شرف حملها عليَّ وعلى عقبي قال افعل ففعل وخرج علي بن عيسى والتوقيع معه بذلك وعليه الخلع فلما وصل الى منزله رد العشرين الف دينار الى غسان وشكره فردها غسان وقال اني لم استحطتها لنفسي وانما احببت توفيرها عليك واستحطتها لك وليس والله يعود شيء من المال الى ملكي * وحكي احمد بن ابي داود قال ما صحب السلطان اجلد من عمر بن فرج الرجحي ولا ازجل واخبث منه غضب عليه المعتصم يوما وهمَّ بقتله وامر بحضوره فجاء وقد نزف دمه فقال المعتصم السيف يا غلام فجعلت ركبتا عمر تصطكان فقلت ان رأى امير المؤمنين ان يساله عن ذنبه فلعله ان يخرج منه بعد لعذر فقال له يا ابن الفاعلة امرتك في ولد ابي طالب ان تعرف خبر منازلهم قال لا قال فلم فعلت فقال عمر انما فعلت ذلك لانه بلغني عن واحد منهم ان اصل قوم يكاتبونه فاردت ان اعرف مافي الكتب الواردة عليه وجعل عمر في خلال ذلك يلتمس البساط الذي كان تحت المعتصم فزاد ذلك في غضبه وقال يا ابن الفاعلة ماشغلك ما انت فيه عن لمس البساط كأنك غير مكترث بما أريده منك فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن العبد يعني من امر سيده بكل شيء على جميع الاحوال واني ما استحسنت هذا البساط لانه ليس من بسط الخلافة فقال له ويلك هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك انه قام علينا بخمسين الف درهم فقال يا سيدي عندي خير منه بسبعمائة دينار قال فذهب عن المعتصم والله ذلك الفور الذي كان به وسكن غضبه وقال وجه الساعة من يحضره فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما اظن باكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه

وقال هذا والله احسن من بساطنا وارخص وقد اخذناه منك بما اقام عليك ووالله ما برح ذلك اليوم حتى نادمه وخلع عليه * قال واخذ مصعب ابن الزبير رجلاً من اصحاب المختار فامر بضرب عنقه فقال ايها الامير ما اقبح بك ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الجميل الذي يستضاء به فأتعلق بك ثم اقول يارب سل هذا فيم قتلني قال قد عفوت عنك قال ايها الامير اجعل ما وهبت لي في حياتي في خفض فانه لاعيش لفقير فقال ردوا عليه عطاءه واعطوه مائة الف درهم فقال اشهد الله اني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات قال ولم قال لقوله

انما مصعب شهاب من الله　　تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه　　جبروت ولا به كبرياء

يتقي الله في الامور وقد افـ　　ـلح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال ارى فيك للصنيعة موضعاً وجعله في ندمائه واحسن صلته * وقيل للفضل بن يحيى قد افسدت جودك بكبرك فقال والله مالي حيلة في النزوع عنه وما كان طبعي هكذا الا انني حملت نفسي عليه لما رأيت من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعاً لا اقدر على الاقلاع عنه وذلك ان ابي كان يضمن فارس من المهدي فحملت عليه الف الف درهم وكان المهدي قد ساء رأيه فيه فحرك ذلك ما كان في نفسه وامر اباعون ان يأخذه فيطالبه بالمال فان غربت الشمس عن يومه ذلك ولم يسلم جميعه او يبقى درهم منه اتاه براسه من غير ان يستاذنه او يراجعه قال فاخذه ابو عون فاستدعاني اليه وقال يابني قد ترى مانحن فيه فلا تدعوا في منازلكم شيئاً الا احضرتموه فجمعنا كل مافي منازلنا من صامت وحلي فلم يبلغ عشر المال فقال لي يابني ان كانت لنا حيلة في الحياة فهي من قبل عمارة بن حمزة والا فانا مقتول العشية فالقه واذكر له الصورة فمضيت الى بابه فاستؤذن لي عليه فدخلت عليه وهو مضطجع قد غاص في فرش له ما كاد يبين غير وجهه فوالله ماتحرك وسلمت فاوما الي بالجلوس فجلست بعيداً منه فلم يعرفني الطرف فانكسرت نفسي وقلت اي خير عند من هذا لقاؤه وعنوان امره فامسكت لا اتكلم منكراً في الكلام والقيام فقال اذكر حاجتك ان كنت اتيت بها قال فقصصت عليه القصة وعرفته بما جئت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد قال فوالله ما اجابني باكثر من ان قال امض فان الله تعالى يكفيك فقمت متغيراً اجر رجلي لا اشك في انه قد آيسني من حاجتي وقلت ان عدت الى ابي بهذا

الجواب مات خبأ قبل ضرب العنق فتوقفت ساعة لا ادري ما اصنع ثم قلت على كل حال لابد من ان امضي اليه واؤانسه فان كان له حيلة اخرى شرعنا فيها قبل ان ينصرم النهار قال فجئته فوجدت على الباب بغالاً محملة فقلت لمن معها من انتم ومن بعث بكم فقالوا انفذنا عمارة اليكم بمال على هذه البغال فدخلت واخبرت ابي بما جرى واخذنا المال فصححناه وما صليت العصر الا وسلمنا المال ولما عرف المهدي الصورة فاستحيا وافرج عن ابي وكان ذلك سبب رضاه عنه وصلاح نيته له فلما كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لي ابي خذ المال وامض به الى عمارة واشكره ورده عليه فحملت المال وجئت به الى بابه حتى استؤذن لي فدخلت عليه وهو على فرشه فما زادني على ماعاملني به اولاً ولا نقصني فشكرته عن ابي ودعوت له وعرفته احضاري المال وسالته الامر بقبضه فقال لي أكنت قسطاراً لابيك اقرضه وارتجع منه فقلت لا ياسيدي بل احييته وحقنت دمه ومننت عليه وما احب ان يتقدلك فلما حصل له المال انفذه فقال له اما اذا رده ابوك فقد وهبته لك خذه وانصرف فقمت وقد اعطاني مالم يعطه احداً فجئت الى ابي فعرفته ماجرى فقال لا والله يابني ما تطيب لك نفسي به كله ولكن تأخذ منه مائتي الف درهم فاعطانيها فهي اول مالي واصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معاً فصارا لي طبعا * وحكي المعروف بالمايم الراوية فيما حدثني به قال كنت اسير من الشام اريد العراق فلما انتهيت الى قرية في بعض الطريق لقيني خراساني معه مخلاة فقال اين تريد قلت بغداد فقال انا رفيقك فسرنا الى قرية خراب على شاطيء الفرات في برية الشام فراينا على باب القرية رجلاً اسود منكر الخلق عرياناً لا يتوارى بشيء البتة فعدا مجفلاً عنا فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطيء الفرات واخرجنا زاداً كان معنا فجعلنا ناكل فاذا الحجارة تجيئنا متداركة حتى خفنا ان نهلك منها وما تمالكنا ان نقوم الا بجهد وتاملنا امره فراينا الاسود يرجمنا فطلبناه وطلبنا فلما دخلنا وام الاسود ان يقبض عليّ ففزعت منه فقبض على الخراساني وقبض عليه الآخر وجعلا يتعاركان فانكب الاسود على كتف الخراساني فعضه فصاح الخراساني يا بغدادي ادركني فقد قتلني فدنوت من خلف الاسود وتعلقت بخصيتيه ولكتها لكمات شديدة فخرّ مغشياً عليه وقام الخراساني فجلس على صدره وخنقه بيده حتى تلف وسرنا والخراساني يصيح من الم العضة فانتهينا الى حيال قرية عامرة فصحنا بملاح فقدم زورقه لنعبر الى القرية فطرح الخراساني نفسه على الشط كالتالف فشجعته وقلت مالك

واي شيء قدر عضة فقال ويحك انظر اليها فرايتها فاذا هي قد اخذت كتفه كله واسودت واحمر بدنه كله فحملته انا والملاح حتى حصلنا في الزورق وعبرنا فلما صرنا بالقرب من الشط تلف فاخرجناه ميتاً فاجتمع اهل القرية وسألوا عن شانه فحدثتهم الحديث فقالوا قد فحتم فتحاً هذا عبد فلان اصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات وقد قتل خلقاً كثيراً بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر الى الاسود وسرت انا في طريقي وحمدت الله على سلامتي من الاسود * قال وقرأت في كتب الفرس ان ابرويز الملك كان معجباً بالقلهبذ لطيب غنائه فنشأ للقلهبذ غلام احسن غناء منه فاهداه الى ابرويز متقرباً به اليه واستطابه ابرويز وغلب على قلبه حتى قدمه على القلهبذ فحسده القلهبذ فقتله وبلغ ذلك ابرويز فغضب غضباً شديداً واستدعا القلهبذ وامر فاحضروا له السيف والنطع وعزم على ضرب عنقه وقال له يا كلب علمت ان شطر لذتي بالغناء كان فيك وشطرها في غلامك فقتلته لتذهب بشطر لذتي والله لاقتلنك وامر به فجر ليقتل فقال ايها الملك اسمع مني كلمة ثم اعمل ماشئت قال قل قال اذا كانت لذتك شطرين وقد ابطلت انا بالجهل والخطإ احدهما فهل تبطل انت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب فان جنايتك على نفسك اعظم من جنايتي عليك فقال ابرويز ما نطقت بهذا الكلام في مثل هذا المقام الا لما في اجلك من التاخير ولما يريد الله اسعادي به من الالتذاذ بالغناء وقد عفوت عنك فاطلقه * وقال ابو اسحاق اخبرنا احمد بن ابي داود قال دخلت على المعتصم يوماً فقال لي يا ابا عبدالله لم يدعني اليوم ابو الحسن الافشين حتى اطلقت يده على القاسم بن عيسى فقمت من بين يديه ولم ابصر شيئاً جزعاً على ابي دلف ودخلني امر عظيم وخرجت فركبت دابتي وسرت اشد سير من الجوسق الى باب الافشين بقرب المطيرة اؤمل ان ادرك ابا دلف من قبل ان يحدث عليه حادثة فلما بلغت بابه كرهت ان استاذن فيعلم اني قد حضرت بسبب ابي دلف فيعجل عليه فدخلت على دابتي الى الموضع الذي كنت انزل فيه واوهمت حاجبه اني قد جئت برسالة من المعتصم ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الافشين في مجلسه وابا دلف مصفداً بالحديد بين يديه على نطع وهو يقرعه ويخاطبه باشد غضب واغلظ مخاطبة فحين قربت منه امسك فسلمت واخذت مجلسي ثم قلت للافشين قد عرفت حرمتي بامير المؤمنين وخدمتي اياه وموضعي عنده وموقعي من رايه وتفرده بالصنيعة عندي والاحسان اليّ وعلمت مع ذلك ميلي اليك ومحبتي لك وقد رغبت اليك فيما

يرغب اليه مثلي الى مثالك ممن رفع الله قدره واجلّ خاطره واعلى همته فقال كلما قلت وكلما اردته مني فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فاني لا اشفعك فيه فقلت ما جئتك الا في امره ولا التمس منك غيره ولولا شدة غضبك وما تتوعده به من القتل لكان في جميل عفوك ما اغنى عن كلامك ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه مني الى كلامك في امره واستيهاب عظيم جرمه اذ كان مثالك في جلالتك انما يسئل جلائل الامور فقال يا ابا عبدالله هذا رجل طلب دمي ولم يقتصر على ازالة نعمتي ولا سبيل الى تشفيعك فيه ولكن هذا بيت مالي وهذه ضياعي وكل ما املاك فخذ من ذلك ما اردت فقلت بارك الله لك في مالك وثمرها لك لم آت لهذا وانما اتيت في مكرمة يبقى فضلها وتحسن احدوثتها وتعتقد بها منة في عنقي لا ازال مرتهنًا بشكرها فقال ما عندي في هذا شيء البتة فقلت له القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وانعم عليه فان لم تره لهذا اهلاً فهبه للعرب كلها وانت تعلم ان ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ومن ذلك ما كان من كسرى الى النعمان حتى ملكه وانت اليوم بقية العجم فانعم على شريف من العرب بالعفو عنه فقال ما عندي في هذا الا ما سمعته وتنكر وتبينت الشر في وجهه فقلت في نفسي انصرف وادع هذا يقتل ابا دلف لا والله ولكن امثل بين يديه قائمًا واسأله فلعله يستحي فقمت وتوهمني اريد الانصراف فتحضر لي فقلت لست اريد الانصراف وانما مثلت بين يديك طالبًا راغبًا ضارعًا سائلاً مستوهبًا هذا الرجل منك فكان جوابه اغلظ فتحيرت فقلت انكب على راسه فاقبله فدخلني من ذلك انفة شديدة وقلت اقبل راس هذا النذل لا يكون هذا ابدًا ثم راجعتني الشفقة على ابي دلف فقبلت راسه وتضرعت فلم يجبني فاخذ في ما قدم وما حدث وعدت فجلست وقلت يا ابا الحسن قد طلبت اليك وتضرعت ووضعت خدي لك ومثلت بين يديك وقبلت راسك فشفعني واصرفني شاكرًا فهو اجمل بك قال لا والله ما عندي غير ما قلته لك قلت فأنا رسول امير المؤمنين اليك وهو يقول لك لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثًا فانك ان قتلته قتلت به قال يقول امير المؤمنين هذا لي بعد ان اطلق يدي عليه قلت نعم انا رسوله اليك بما قلته لك فان كنت في الطاعة فاسمع واطع وان كنت قلت لا طاعة فافعل ونفضت يدي في وجهه ونهضت فاضطرب حتى لم يقدر ان يدعو لي بدابتي وركبت فاعددت السير الى المعتصم لاخبره الخبر وبما اضطررت اليه من تأدية رسالة باطلة عنه لاني علمت انه لم يقل لي ما قاله الا وهو يحب استبقاء

ابي دلف فانتهيت الى الجوسق في وقت حار والحجاب جميعاً نيام والدار خالية فانتهيت الى ستر الدار التي فيها المعتصم وجلست وقلت ان جاء الافشين دخلت معه وتكلمت وان سال الوصول اخبرت امير المؤمنين الخبر كله فبينما انا كذلك اذ خرج خادم صغير من وراء الستر ثم دخل وخرج فقال ادخل فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين امالي حرمة أمالي زمام أمالي حق أما في فضل أمير المؤمنين ونعمته عليّ ما يجب رعايته فقال مالك يا أباعبدالله ما قصتك اجلس اجلس فقلت يا أمير المؤمنين قلت لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت أنك تريد استنقاذه وحقن دمه فمضيت من فوري الى أبي الحسن الافشين وقصصت عليه القصة وكلما دخلت معه في الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى اذا أردت ان أعرفه الرسالة التي أديتها عنه قطع كلامي وقال يمضي قاضيّ وصنيعتي احمد بن أبي داود الى جندي فيخضع له ويقف بين يديه ويقبل رأسه فلا يشفعه قتلني الله ان لم أقتله يكررها فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الافشين فلقيه بالاكبر البر والاكرام وأجلسه بقربه وقال في هذا الوقت الحار يا أبا الحسن فقال يا أمير المؤمنين رجل عرفت ما نالني منه وانه طلب دمي وقد اطلقت يدي عليه ويجيئني هذا ويقول انك بعث به اليّ تأمرني ان لا أحدث فيه حدثاً واني ان قتلته قتلت به قال فاظهر الغضب وقال نعم أنا ارسلته اليك فلا تحدث على القاسم بن علي حدثاً فنهض الافشين مغضباً يدمدم واتبعته لاتلافاه فصاح بي المعتصم ارجع يا أبا عبدالله فرجعت وقلت يا أمير المؤمنين انه باق مما جرى كلاماً قد قطعتني بكلامك عن تكملته وهي بعض الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك العشية فاحذر ان تتفوه بشيء مما جرى ومضى الافشين فاطلق القاسم وخلع عليه فجاءني القاسم من عشيته وما اخبرت بالحديث أحد حتى قتل الافشين ومات المعتصم * قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة الى العربية ان ملكاً من ملوكهم قدم اليه صاحب مائدته عضادة اسفيدباج فسقطت منها نقطة على ذراع الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل اعيذ الملك بالله من أن يقتلني ظلماً لغير ذنب قصدته فقال الملك قتلك واجب ليتعظ بك غيرك فلا يهمل الخدمة فأخذ الرجل العضادة فصبها بأسرها على الملك وقال أيها الملك. تكرهت ان ان يشيع عنك انك قتلتني ظلماً ففعلت هذا لأستحق القتل ويزول عنك قبح الاحدوثة بظلم الخدم فشأنك الآن وما تريد فقال الملك ما احسن الاجل قد عفوت عنك * قال احمد بن أبي داود ما رأيت رجلاً عاين الموت فما اكترث به ولا شغله عما اراده حتى

بلغه وخلصه الله من القتل الا تميم بن جميل فاني رأيته بين يد المعتصم بالله وقد بسط له النطع وانتضى السيف وكان رجلاً جسماً وسيماً فأحب المعتصم ان يستنطقه لينظر اين منظره من مخبره فقال له تكلم فقال اما اذا اذن أمير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولمّ بك شعث المسلمين ان الذنوب تخرس الالسنة وتخلع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك او انتقامك وانشد

ارى الموت بين النطع والسيف كامناً	يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي	واي امرىء مما قضى الله يفلت
واي امرىء يدلي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وماجزعي من ان أموت وانني	لأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي بلية قد تركتهم	واكبادهم من حسرتي تتفتت
كأني اراهم حين انعى اليهم	وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة	اذود الردى عنهم وان مت موّتوا

فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم قد عفوت عنك من الهفوة ووهبتك للصبية وامر بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على سقي الفرات * وقال أُوتي معن بن زائدة بثلاثمائة اسير فأمر بضرب اعناقهم فأحضر سيف ماض وسياف ونطع وقدم واحد منهم فقتل ثم قدم غلام كان فيهم فقال يا معن لا تقتل اسراك وهم عطاش فقال اسقوهم ماء فشربوا فقام الغلام فقال ايها الامير لقد اطعتنا في السؤال وان لكل كبد حراً أجرو نحن والله جياع فان رأيت ان تشبعنا قبل قتلنا فافعل فأمر لهم بطعام فاكلوا فلما شبعوا قام الغلام فقال ايها الامير كنا اسراك والآن صرنا اضيافك فقال خلوا عنهم فاطلقوهم جميعاً * وقرأت في بعض الكتب كان موسى الهادي قد طالب اخاه هارون ان يخلع نفسه من العهد ليصيره لابنه من بعده ويخرج هارون من الامر فلم يجب الى ذلك فاحضر يحيى بن خالد البرمكي ولطف به وداراه ووعده ومناه وسأله ان يشير على هارون بالخلع فلم يجب يحيى الى ذلك ودافعه عنه وهدده الهادي وتوعده وجرت بينهما في ذلك خطوب واشفى يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعته عن صاحبه الى ان اعتل الهادي علته التي مات فيها واشتدت به فدعا يحيى وقال له ليس ينفعني معك

شيء وقد افسدت اخي وقويت نفسه حتى امتنع مما اريده ووالله لاقتلنك فدعا بالسيف والنطع وابركه ليضرب عنقه فقال له ابراهيم بن ذكوان الحراني يا امير المؤمنين ان ليحيى عندي يداً اريد ان اكافئه عنها فأحب ان تهبه لي الليلة وانت في غد اعلا عيناً بما تراه في امره فقال وما فائدة ليلة فقال اما أن يعود صاحبه الى رضاء امير المؤمنين او يعهد في امر نفسه وولده فأجابه قال يحيى فاقمت من النطع وقد ايقنت بالموت وعلمت انه لم يبق من اجلي الا بقية الليلة فما اكتحلت غمضاً الى السحر سمعت صوت القفل ففتح عني فلم اشكك ان الهادي استدعاني للقتل لما انصرف ابراهيم كاتبه وانقضت الليلة فاذا بخادم قد اقبل وقال اجب السيدة فقلت مالي وللسيدة فقال قم قال فقمت فاتيت الخيزران فقالت لي ان امير المؤمنين قد مات ونحن نساء فادخل واصلح امره وانفذ الى هارون فجيء به فدخلت فاذا هو ميت على فراشه وامه العزيز تبكي على راسه فغمضته وشددت لحيته وحمدت الله على لطيف صنعه وتفريجه ما كنت فيه وبادرت الى هارون فوجدته نائماً فايقظته فلما رآني عجب وقال ويحك ما الخبر فقلت يا امير المؤمنين قم الى دار الخلافة فقال مات موسى قلت نعم فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل ان يلبسها جاءني من عرفني سراً انه قد ولد له ابن من مراجل ولم يكن عرف الخبر فقلت اقر الله عينك يا امير المؤمنين بابن من مراجل فحمد الله كثيراً وسماه عبدالله المأمون وركب وانا معه الى دار الخلافة* ووجدت في بعض الكتب ان الحجاج كان يستعرض قوماً من اصحاب ابن الاشعث فقتل منهم جماعة ثم جيء برجل فامر بضرب عنقه فقال ايها الامير ان لي عليك حقاً فقال وما حقك قال انه سبك عبدالرحمن يوماً فرددت عليه قال ومن يعلم هذا فصاح الرجل انشد الله رجلاً سمع ذلك الا شهد به فقام من الاسرى رجل وقال قد كان ذلك قال خلوا عنه ثم قال للشاهد ما منعك ان تنكر كما أنكر هو قال قديم بغضي لك فقال خلوا عنهما هذا ليده وهذا لصدقه * وذكر المدايني في كتابه يرفعه الى رجل كان من اسراء الحجاج من اصحاب بن الاشعث قال جعل الحجاج يقتل عامة يومه الاسراء وبقيت منا جماعة قليلة واتي برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج والله لان كنا اسأنا الفعل فما احسنت في العقوبة ولئن كنا لزمنا الجناية فما كرمت في العفو فقال ردوه يا حرسي كيف قلت فاعاده فقال الحجاج صدقت والله اف لهذه الجيف والجثث اما كان فيها احد ينبهنا كما نبهتنا اطلقوا عنه* وذكر المدائني في كتابه عن معمر بن المسني قال اتى الحجاج بقوم ممن

كانوا خرجوا عليه امر بهم فقتلوا واقيمت الصلاة وقد بقي منهم رجل واحد فقال الحجاج لعنبسة انصرف بهذا معك واغد عليّ غدا قال عنبسة فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير قلت وما ذاك قال اني والله ما خرجت على المسلمين ولم استحل مناالهم وعندي ودائع واموال فتخلي عني حتى آتي اهلي وارد على كل ذي حق حقه واجعل الله لك علي اني اصبح عندك في غد فتعجبت منه وتضاحكت ومضينا ساعة فاعاد عليّ القول فقلت له اذهب فذهب فلما توارى عني شخصه سقط في يدي فاتيت اهلي فاخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج وبتنا باطول ليلة فلما طلع الفجر اذا به قد جاءني فقلت ارجعت فقال سبحان الله جعلت الله عز وجل شاهدي ثم لم ارجع قال فانطلقت الى الحجاج فقال ابن اسيرنا قلت اصلح الله الامير هو بالباب وقد كانت لي وله قصة قال وما هي فاخبرته الخبر وادخلته عليه فقال لي اتحب اني اهبه لك قلت نعم قال هو لك فقلت للرجل خذ اي طريق شئت فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله وانصرف وما كلمني بكلمة فقلت في نفسي هذا مجنون فلما كان في غد اتاني فقال يا هذا جزاك الله خيرًا اني ما جهلت قدر ما صنعت ولكن كرهت ان اشرك في حمد الله احدا * وذكر محمد بن عمر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حبس رجل وقد وجب عليه حد فلما رفع خبره امر بضرب عنقه فقال المخبر فدخلت بعدها الحبس الى رجل بيني وبينه سبب اتفقد خبره فرايت الذي امر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت للذي دخلت اليه انا اعلم بضرب عنق ذلك الانسان فما افرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس قال صاحبي اظرف من هذا انه قد امر بضرب عنقه وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال فازددت تعجبًا ففطن الرجل لما نحن فيه فاخذ بيده فصًا من فصوص النرد فرفعه وقال الى ان يسقط هذا من يدي الى الارض تكون قد حدثت امور فخرجت وانا متعجب منه مفتكر في قوله فما امسينا ذلك اليوم حتى سمعت الجند وفتحت السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل

الباب التاسع

﴿من شارف الموت بحيوان مهلك رآه * فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه﴾

عن ابراهيم الخواص قال ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا الى مكان لا ندري اي مكان هو فاقمنا فيه اياماً لانجد ما نقتاته فاحسسنا بالموت فقال بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل الله على انفسنا ان ندع له شيئاً فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا لا افطر الدهر وقال بعضنا اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة وقال بعضنا ادع اللذات الى ان قال كل منا شيئاً وانا ساكت فقالوا لي قل شيئاً فلم يجيء على لساني الا ان قلت لا آكل لحم فيل ابداً فقالوا الهزل في مثل هذا الحال فقلت والله ما تعمدت الهزل ولكني منذ بدأتم وانا اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله عزوجل فلا تطاوعني ولا يخطر على قلبي غير الذي لفظت به وما اجرى هذا علي لساني ولا الهمه قلبي الا لامر فلما كان بعد ساعة قال بعضنا لم لا نطوف في هذه الارض متفرقين فنطلب قوتاً فمن وجد شيئاً انذر به الباقين والموعد هذه الشجرة قال فتفرقنا في الطرق فرجع احدنا بولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا فاخذه اصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يا كلون وقالوا تقدم فقلت انتم تعلمون انني منذ ساعة تركته لله عزوجل وما كنت لارجع في شيء تركته له لعله جرى ذلك علي لساني لاجل موتي من بينكم لاني ما اكلت شيئاً منذ ايام وما اطمع في شيء آخر وما يراني الله انقض عهده ولو مت واعتزلتهم واكل اصحابي واقبل الليل وتفرقنا الى مواضعنا التي كنا فيها نبيت وآويت الى اصل شجرة كنت ابيت عندها فلم يكن الا لحظة فاذا بفيل عظيم قد اقبل وهو ينعر والصحراء تندكدك بنعيره وشدة شغبه وهو يطلبنا فقال بعضهم قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا واخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم على وجوههم فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً فيشمه من اول جسده الى آخره فاذا لم يبق فيه موضع الا شمه شال احدى قوائمه فوضعها عليه وفسخه فاذا علم انه قد اتلفه قصد آخر ففعل به مثل فعله في الاول الى ان لم يبق غيري وانا جالس منتصب اشاهد ماجرى واستغفره واسبحه فقصدني الفيل فحين قرب مني رميت نفسي على ظهري ففعل بي من

الشم كما فعل باصحابي ثم اعاد شمي مرتين او ثلاثًا ولم يكن فعل باحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعًا ثم لف خرطومه عليَّ فشالني في الهوا فظننته يريد قتلي بقتلة اخرى فجهرت بالاستغفار فما نحي خرطومه حتى جعلني فوق ظهره فانتصبت جالسًا واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى اخرى وانا تارة احمد الله عز وجل على تاخير الفيل واطمع في الحياة وتارة اتوقع ان يثور بي فيقتلني فاعاود الاستغفار وانا اقاسي في ذلك واتجرع من الالم الشديد لسرعة سير الفيل امرًا عظيمًا فلم ازل على ذلك الى ان طلع الفجر واشتد ضوءه فاذا به قد لف خرطومه عليَّ فقلت قد حضر الاجل فاستكثرت من الاستغفار فاذا به قد انزلني من ظهره وتركني على الارض ورجع الى الطريق التي جاء منها وانا لا اصدق فلما غاب عن عيني ولم اسمع له حسًا خررت ساجدًا لله سبحانه فما رفعت راسي حتى احسست بالشمس فاذا انا على ظهر محجة عظيمة فمشيت عليها نحوًا من فرسخين فانتهيت الى بلد كبير فدخلته فعجب اهله مني وسألوني عن حالي فاخبرتهم بالقصة فزعموا ان الفيل سار في هذه الليلة مسيرة ايام واستظرفوا سلامتي واقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التي قاسيتها وتندّى بدني ثم سرت مع التجار الى بلد على شاطئ البحر فركبته ورزقني الله السلامة الى ان عدت الى بلدي * قال حدثني ابو بكر البسطامي صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته وكان شيخًا من اهل الادب والحديث وقد استوطن الاهواز سنين وكان ملازمًا لابي رحمه الله يتفقده ويبرّه قال كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يومًا تاكل فحين كسرت لقمة واومت بها الى فيها وقف بالباب سائل مستطعم فامتنعت من اكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلتها فما مضت الا ايام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فاخبرها بشدائد عظيمة مرت به وقال اعظم شيء جرى لي كنت منذ ايام اسلك اجمة عظيمة في الموضع الفلاني اذ خرج عليَّ اسد فقبض عليَّ من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار وتشبكت مخالب الاسد في ثياب كانت عليَّ فما وصل الى بدني كثير شيء من مخالبه وذهب اكثر ثيابي فادخلني الاسد الاجمة وبرك ليفترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلقة ابيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على قفا الاسد وشاله وخبط به الارض وقال قم يا كلب لقمة بلقمة فقام الاسد هاربًا يهرول وثاب الى عقلي وطلبت الرجل فلم اجده وجلست ساعات الى ان ثابت اليَّ قوتي

ثم نظرت الى نفسي فلم اجد بها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها فتعجبوا لما راوني فحدثتهم حديثي ولم ادر معني القول من الرجل لقمة بلقمة فنظرت المرأة فاذا هو وقت ان اخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها * وجدت في دفتر عتيق عن بعضهم قال خرجت الى الحائر في ايام الحنبلية انا وجماعة مختفين فلما صرنا في اجمة بر قال لي رفيق منهم يا فلان ان نفسي تحدثني ان السبع يخرج فيفترسني من بين الجماعة فان كان ذلك فخذ حماري وما عليه فأده الى عيالي في منزلي فقلت له هذا استشعار يجب ان نتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه قال فما مضى على هذا الامر الا يسير حتى خرج الاسد فحين رآه الرجل سقط عن حماره يتشهد وقصده الاسد من بين الجماعة فاخذه ودخل به الاجمة وسقت الحمار واسرعت مع القافلة و بلغت الحائر وزرنا ورجعنا الى بغداد واسترحت في بيتي يوماً او يومين ثم اخذت الحمار وجئت به الى منزله لاسلمه الى عياله فدققت الباب فخرج اليّ الرجل بعينه فعانقني وبكا و بكيت وقلت حديثك فقال ان السبع ساعة اخذني وجرّني الى الاجمة وانا لا اعقل امري سمعت صوت شيء ورأيت السبع قد خلاني ومضى ففتحت عيني فاذا الذي سمعته صوت خنزير واذا السبع لما رآه عنّ له ان يتركني ومضى فصاده وبرك عليه يفترسه وانا اشاهده الى ان فرغ منه ثم رجع السبع من الاجمة وغاب عن عيني فسكنت وتأملت حالي فوجدت مخالبه قد وصلت الى فخذي قليلاً وقوتي قد عادت فقلت لاي شيء جلوسي فقمت انسحب في الاجمة اطلب الطريق فاذا بجيف ناس و بقر وعظام بالية واثر من افترسهم الاسد فما زلت اتخطاها حتى انتهيت الى رجل قد أكل الاسد بعض جسده وبقي أكثره وهو طري وفي وسطه هميان قد تخرق بعضه وظهرت منه دنانير فتقدمت فجمعتها وقطعت الهميان واخذت جميع الدنانير وتتبعتها حتى لم يفتني منها شيء وقويت فضل قوة فاسرعت في المشي وطلبت الجادة فوقفت عليها واقمت امشي الى بعض القرى واستأجرت حماراً وعدت الى بغداد ولم امض الى الزيارة لاني خشيت ان يسبقوني ويذكروا خبري فيصير عند عيالي مأتم فسبقتكم وانا اعالج فخذي واذا منَّ الله عزَّ وجلَّ بالعافية عدت الى الزيارة وحدثني بهذا الحديث غير واحد من اهل بغداد * حدثني ابو جعفر اصبغ ابن احمد بن شبح وكان يحجب ابا محمد المهلبي رحمة الله عليه قبل وزارته فلما ولي الوزارة كان يصرفه في الاستحثاث على العمال وفي الاعمال التي يتصرف فيها العمال الصغار قال كنت بشيراز مع ابي الحسن علي بن خلف بن طبات وهو يتولى عمالتها يومئذٍ فجاء

مستحثاً من الوزير يطالبه بحمل الاموال وكان احد الغلمان الاكابر قد كوتب باكرامه فاحضره اول يوم طعامه وشرابه فامتنع من مؤاكلته وذكر ان له عذرًا فقال لابد ان تاكل فاكل باطراف اصابعه ولم يخرج يده من كمه وكاد كمه يدخل في الغضائر وينااله الغمر فلما كان من غد قال علي بن خلف ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا يدعونه ويدعون بعضهم بعضاً فتكون صورته في الاكل واحدة فنقول لعل به برصاً او جذاماً الى ان بلغت النوبة اليّ فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا ناكل وهو ياكل معنا على هذه الصورة فسألته اخراج يده والانبساط في الاكل فامتنع من اخراج يده فقلت له يلحقك تنغيص بالاكل هكذا فاخرجها على اي شيء كان بها فانا نرضى به قال فكشفها فاذا فيها وفي ذراعه ضربات بعضها فيه بقية ادوية يابسة وهي على اقبح ما يكون من المنظر فاكل معنا غير محتشم وقدم الشراب فشربنا فلما اخذ منا الشراب سألته عن سبب تلك الضربات فقال هو امر ظريف اخاف ان لا اصدق فيه ولا يحمل بي الحديث به فقلت لابد ان تتفضل قال كنت عام اول بقريب من هذا الوقت قائمًا بحضرة الوزير فسلم اليّ كتاباً الى عامل دمشق ومنشورًا وامرني بالتوجه اليه وازهاقه بالمطالبة بحمل المال ورسم ان اخرج على طريق السماوه لاتعجل وكتب الى عامل هيت بانفاذي مع خفارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من احياء العرب وضمني اليهم واعطاهم مالاً على ذلك واشهد عليهم بتسلمي واحتاط في امري وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوقى البرية فانسوا بي وسألوني ان آخذ لنفسي مالاً وللاعراب مالاً واوصلهم في الخفارة ويسيرون معي ففعلت ذلك فصرنا قافلة عظيمة وكان معي من غلماني من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين غلامًا وفي حمالي القافلة والتجار جماعة يحملون السلاح ايضاً فرحلنا عن هيت ودخلنا في البرية ثلاثة ايام بلياليها فبينما نحن نسير اذ لاحت لنا خيل فقلنا للاعراب ما هذه الخيل فتسرع منهم قوم ثم عادوا كالمنهزمين وقالوا قوم من بني فلان بيننا وبينهم دم ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين وبقينا نحن متحيرين ولم نشك انهم كانوا بعض اهلهم وان ذلك فعل على مواطاة فجمعت القافلة وطفت بها انا وغلماني ومن كان منهم يحمل السلاح متساندين كالدائرة وقلت لمن كان معي لو كان هؤلاء ياخذون اموالنا ويدعون جمالنا لننجو عليها كان هذا اسهل ولكن الجمال والدواب اول ما تؤخذ ونتلف في البرية ضعفاً وعطشاً فاعملوا على ان نقاتل فان هزمناهم سلمنا وان قتلناهم كان اسهل فقالوا نفعل وقدم القوم فقتلنا

لهم عدة خيل وجرحنا منهم غير جريح وما ظفروا منا بعود فباتوا قريباً منا حنقين علينا وتفرق الناس للاكل والصلاة واجتهدت بهم ان يجتمعوا ويبيتوا تحت السلاح فخالفوني وكانوا قد آمنوا ونام بعضهم فغشينا الخيل فلم يكن عندنا ممانعة فوضعوا فينا السيوف وكنت انا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأيي وعلموه من اني رئيس القافلة فقطعوني بالسيوف ولحقتني هذه الجروحات وفي بدني اضعاف اضعافها قال وكشف لنا عن اكثر جسده فاذا به امر عظيم لم ير مثله في بشر قط قال وكان في اجلي تاخير فرميت نفسي بين القتلى لا يشك في تلفي قال فلما كان بعد ساعة افقت فوجدت في نفسي قوة والعطش بي شديد فلم ازل اتحايل حتى قمت اطلب من القافلة قدح ماء لاشرب منها فلم اجد احداً ورايت من القتلى والمجروحين الذين هم في آخر رمق وسمعت من انينهم ما اضعف نفسي وايقنت بالتلف وقلت غاية ما اعيش الى ان تطلع الشمس فملت اطلب شجرة او محلا لاجعله ظلا لي من الشمس اذا طلعت فاذا بي قد عثرت بشيء عظيم لا ادري ما هو من الظلمة واذا انا منبطح عليه بطولي وطوله فثار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الاعراب فاذا هو اسد فحين علمت ذلك طار عقلي وقلت ان استرخيت افترسني فعانقت رقبته بيدي ونمت على ظهره والقيت بطني بظهره وجعلت رجلاي تحت مخصاه وكانت دمائي تجري فحين دخلني ذلك الفزع الشديد رقي دمي وعلق شعر الاسد بافواه الجروحات فصار سداداً لها وعوناً على ان امسك نفسي فوقه وورد على الاسد مني اظرف ما ورد علي منه فاقبل يجري كما تجري الفرس على طريق واحد وانا احس بروحي وأعضائي تتقصف من شدة جريه فلم أشك في انه يقصد اجمته فيلقيني الى لبوته فتفترسني الا انى ضبطت نفسى وانا أؤمل الفرج وادافع الموت وكلما هم الاسد ان يربض ضربت مخصاه برجلي فيطير وانا أعجب من نفسي ومطيتي وادعوا الله عز وجل وارجوه وما زلت على ذلك الى ان ضربني نسيم السحر فقويت نفسي وأقبل الفجر يضيء فتذكرت طلوع الشمس فجزعت ودعوت الله عز وجل فما كان اسرع من إن سمعت صوتاً ضعيفاً لا ادري ما هو ثم قوى فشبهته بناعورة قال والاسد يجري وقوي الصوت فلم اشك في انه ناعورة ثم صعد بي الاسد الى تل فرأيت منه بياض ماء الفرات وهو جار وناعورة تدور والاسد يمشي على شاطيء الفرات برفق الى ان وجد شريعة فنزل منها الى الماء واقبل يسبح ليعبر فقلت في نفسي ما قعودي لئن لم أتخلص هنا ما تخلصت ابداً فمازلت ارفق حتى

خاصت شعره من افواه جراحاتي وسقطت وسبحت منحدراً واقبل الاسد يشق الماء عرضاً فبينما انا اسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت قوتي وذهب عقلي وطرحت نفسي عليها كالتالف فلم احس الا بحرارة الشمس قد نبهتني فرجعت اطلب شجرة رأيتها في الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعياً على ذنبه بشاطىء الفرات فقل فزعي منه واقمت مستظلا بالشجرة اشرب من ذلك الماء الى العصر فاذا انا بزورق منحدر فصحت به وحلفت لهم ان ما بالجزيرة احد سواي واومأت لهم الى الاسد وقلت لهم قصي ظريفة طويلة وان تجاوزتموني كنتم انتم قد قتلتموني فالله الله فيَّ فرقوا لي ودخلوا اليَّ يحملوني فلما صرت في الزورق ذهب عقلي فما افقت الا في اليوم الثاني فاذا على ثياب نظاف وقد غسلت جراحاتي وجعل فيها الزيت وادوية وانا بصورة الاحياء فسألني اهل الزورق عن حالي فحدثتهم وبلغنا الى هيت فانفذت الى العامل من عرفه خبري فبعث لي من يحملني اليه فتوجع لي وقال ما اظن أنك افلت فالحمد لله فحدثته كيف نجيت فعجب وقال بين الموضع الذي قطع عليكم وبين الموضع الذي حملك أهل الزورق منه مشاق أربعين فرسخاً على غير محجة فاقمت عنده أياماً ثم اعطاني نفقة وثياباً وزورقاً فجئت الى بغداد فكنت اتعالج عشرة اشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد افتقرت وانفقت جميع ما كان في بيتي فلما اقمت بين يدي الوزير رق لي واطلق لي مالاً واخرجني اليهم * حدثني علي ابن تضيف المعروف بشهدابجه وسعيد بن عبدالله السمرقندي الفقيه عن شخص حدثهما انه بات في سطح خان في بعض الاسفار ومعه رجل وزوجته وقرد له فنام الناس واخذني الارق فلما هدأت العيون رأيت القرد قد قلع المسمار الذي فيه السلسلة ومشى نحو المرأة ولم اسم مايريد فقمت فرآني القرد فرجع الى مكانه ثم فعل ذلك دفعات وانا اقوم فلما طال الامر جاء اليّ وفتح خرجاً واخرج منه صرة دراهم ظننت ان فيها اكثر من مائة درهم ورمى بها الي فعجبت من ذلك وقلت في نفسي امسك لانظر ما يفعل فجاء الى المرأة فمكنته من نفسها فواقعها فاغتممت بتمكيني اياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في الغد صاح صاحب القرد يطلب ما ذهب منه وقال لصاحب الخان ان قردي يعرفني من اخذ هذه الصرة فتقفل باب الخان واقعد انا وانت ويخرج الناس فمن علق به القرد فهو خصمي ففعل ذلك واقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما تعرض لي فوقفت خارج الخان انظر ما يجري فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودي فتعلق به

القرد فقال القراد هو خصمي وجذبه ليحمله الى صاحب الشرطة فلم استحل حينئذ السكوت فقلت يا قوم ليس اليهودي صاحبكم وانما انا صاحبكم والصرة معي ولي قصة طريفة في اخذها واخرجتها وقصصت عليهم القصة فحملنا الى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلي ومنزلي ويساري واقبل القراد يحيد عن القرد فما برحت حتى امر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المرأة فهربت وسلم اليهودي * حدثني الحسن بن صافي مولى محمد ابن المتوكل القاضي قال حدثني غلام كان ابق مني قال اني كنت اسير ماشياً في وسط بغداد فلما صرت بين دير العاقول والسيب وانا وحدي في يوم صائف له ريح شديد رأيت بالبعد مني غيطة عظيمة قد خرج منها سبع فحين رآني وحدي اقبل يهرول اليّ فذهب علي امري وايقنت بالهلاك وتخدر بدني كله والهمت ان آخذ منديلي واحمله في رأس قصبه كانت معي ظنا اني اقرعه بذلك وبينا انا في تلك الحال من الاياس وبقي بيني وبينه نحو المائتي ذراعاً اذ قلع الريح اصل حشيش يقال له بارق عينه وصار يلتف بالشوك حتى بقي كالكارة العظيمة والريح تدحرجه نحو السبع وبالقضاء تمكنت منه وصار حفيف شديد فحين رآني السبع وسمع الصوت رجع منصرفاً وقد فزع فزعاً شديداً وبقي يحول وجهه في كل عشر خطوات فاذا رآني وذلك الاصل في اثره يتدحرج يزيد في الجري الى ان بعد عني بعداً شاسعاً ودخل الغيطة وعادت الي نفسي ومضيت في طريقي * حدثني القاضي ابو بكر احمد بن سيار قال حدثني شيخ من اهل النير ومكران رأيته بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بالبحر وانه دخل الهند والصين قال كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على ملكها خارج فانفذ اليه الجيوش فطلب منه الامان فأمنه فسار ليدخل الى بلد الملك فلما قرب اخرج الملك جيشاً لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العامة تنظر دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طلوع الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجال من اصحابه وعليه ثوب حرير ومئزر وفي وسطه جري على زي القوم والجري مدية معووجة الرأس من سلاح الهند فتلقوه بالاكرام ومشوا معه حتى انتهوا الى فيلة عظيمة قد اخرجت للزينة وعليها الفيالون ومنها فيل يخص الملك نفسه ويركبه في بعض الاوقات فلما قرب منه قال له الفيال تنح عن طريق الفيل فسكت عنه فاعاد عليه الفيال القول فسكت فقال يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجي قل لفيل الملك يتنحى عن طريقي

فغضب الفيال واغرى الفيل به بكلام كلمه به فغضب الفيل وتمد الي الخارجي فالف خرطومه عليه فقبض الخارجي بيده على الخرطوم وشاله الفيل اشالة عظيمة والناس يرون وانا فيهم وخبط به الارض فاذا هو قد انتصب قائماً على قدميه فوق الارض ولم ينح يده عن الخرطوم فراد غضب الفيل فاشاله اعظم من تلك وعدا ثم رمى به الارض فاذا هو قد حصل عليها مستوياً على قدميه منتصباً قابضاً على الخرطوم فسقط الفيل ميتاً لان قبضه الخرطوم تلك المدة كانت على النفس فقتله قال فوكل به وحمل الى الملك وحدث بالصورة فامر بقتله قال فاجمعت القحاب (بهذا اللفظ وهن النساء الفواجر يفعلن ذلك بالهند ظاهراً عند البد تقرباً اليه بذلك عندهم قال وهن العدول يشهدن في الحقوق ويقمن الشهادة فيفعلع بها حاكمهم في سائر الامور ويعترض في الآراء لان عندهم انهن يذلن انفسهم عند البد بغير اجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القحاب للملك نحب اذ تستبقي مثل هذا فان فيه جمالاً للملك ويقال ان للملك خادماً قتل فيلا بقوته وحياته من غير سلاح فعفى عنه * عن ابي بكر محمد سهل الشاهد الواسطي القاضي قال اخبرني وكيلان ثقتان كانا في صنيعتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر قالا خرجنا مع صناع عندنا الى اجمة نقطع قصباً فرأينا اشبلاً كالسنور فقتله احد قطاعي القصب فقالوا قتلنا الشبل والساعة يجيء السبع واللبوة فاذا لم يرياه طلبانا ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فيفترسانا قال فما كان باسرع من ان سمعنا صوت السبع فطرنا على وجوهنا واجتمعنا الى دار خراب خارج الاكة وعلونا على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوي اليها ليلاً فلما راى السبع ولده قتيلاً قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة صحنين فاخذ السبع بظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا فكه في الصحراء وصاح فجاءته اللبوة ففعلت مثله فما وصلت فخرجا وصاحا فاتاهما عدة سباع اخرى من السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة سبعاً وكلما جاء واحد منهم ظفر الينا فلم يبلغنا ونحن كالموتى خوفاً من ان يصل الينا واحد منهم فبينما نحن كذلك اذ اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت افواهها في الارض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من انفاسها فما كان الا ساعة حتى جاء سبع اسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع كلها وبصبصت بين يديه وحوله فجاء يقدمها وهي خلفه حتى رآنا في الغرفة وكنا قد أغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة

لتدفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض الواحه وادخل حجره الينا فعمد احدنا الى ذنبه وقطعه بمنجل كان معنا فصاح صيحة عظيمة منكرة وهرب فرمى بنفسه الى الارض فلم يزل يخمش السباع الباقين من بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ونزلنا نحن لما لم يبق منها شيء فلحقنا القرية واخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع مثل الجرذ العتيق اذ قطع ذنبه ياكل الفار * حدثنا قاضي القضاة ابو السايب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمدانى قال كان رجل من اهل اذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلقي الدائن المدين بعد مدة في الصحراء منفرداً فقبض عليه وطالبه فحلف بالله انه معسر وسأله الانتظار وقال لو اني ايسر الناس لما تمكنت هنا من دفع شيء اليك فابى عليه واخرج قيداً كان معه ليقيده حتى لا يهرب فتضرع اليه وسأله ان لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فقيده بالقيد ومشى الى القرية بقرب الموضع الذي التقيا فيه فجاآها مساء وقد اغلق اهلها سورها واجتهدا في فتحها لهما فابى اهل القرية ذلك عليهما فباتا في مسجد خراب على باب القرية وادخل صاحب الدين رجله في حلقة من حلقتي القيد حتى لايهرب فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجرّه فانجرّ المدين معه بسبب الحلقة التي في احدى رجليه فلم يزل ذلك حاله الى ان فرغ السبع من اكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة صاحب الدين في القيد فحملها الرجل مع قيده الى اهل القرية واخبرهم الخبر فحلوا قيده وسار لحال سبيله * حدثني ابو جعفر ابن مسعود بن عبدالله الضبيّ ان شيخاً من التناء البصريين كان قد انتقل عنها الى قرية له وضيعة بقرب نهر الدين فاستوطنها قال كان في هذا البستان واشار الى بستان بجانب داره كثيرة الاشجار افعي تسمى الجراب لانها كانت بقدر الجراب الكبير طولاً وسعة وانتفاخاً فكثرت خيانتها حتى اخربت عليّ هذه الضيعة فانتقلت عنها الى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتي وصار هذا البستان كالاجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حوّاء من البصرة ليصيده وبذلت له على ذلك بذلاً فجاء الحوّاء فتبخر بدخنة معه فظهرت الافعي فحين رآها هاله امرها وقصدته الافعي فنهشته فتلف في الحال فصار لي حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع الحواؤن من المجيء وتغربت عن الضيعة وبطلت معيشتي فيها وذات يوم كنت جالساً في النهر الآخر اذ جاءني رجل فسلم عليّ وقال بلغني خبر افعي عندك قد قتل فلان الحوّاء واخرب عليك ضيعتك فجئت لاتدلى عليك

حتى آخذه فقلت ما احب تعرضك لهذا وقد صار لي بتلف ذاك الحواء ذكر فقال ان ذلك الحواء كان اخي وانا اريد اخذ ثاره او اللحوق به قلت تُشهد على نفسك اهل الانهار المجاورة ان هذا باختيارك لا بمسألة لي في ذلك قال نعم ففعل واريته البستان قال اريد شيئاً آكل فجئناه بطعام فاكل ثم اخرج دهنا كان معه فطلى به جميع بدنه وقال لغلام كان معه انظر هل بقي موضع من غير ما اطليه فقال له الصبي لا فجلست انا فوق السطح الذي كان في داري انظر فاخرج الحواء دهنه فتبخر بها فما كان بأسرع من ان ظهر الافعى كانه دن فحين قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فالحقه وقبض عليه فالتفت الافعى وعضت يده فتركه الحواء وذهب عليه امره فجئناه وحملناه فمات في الليل وانقلبت الناحية بحديث الافعى ومضى على هذا مدة فجاءني رجل يشبه الرجل وسألني عما سألني عنه الاخوان فاخبرته بالخبر فقال الرجلان اخواي ولا بد لي ان آخذ بثارهما او اكون اللاحق بهما فاشهدت عليه واريته الموضع وصعدت الى السطح فشرب هذا اقداحاً كثيرة واخرج دهناً كان معه وطلى به دفعات وكل مرة يسأل غلامه فيقول هل بقي موضع لم يبلغه الطلا فيقول له الغلام اعد الطلا فيعيده حتى طلا نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه وبخر فخرج الافعى فطلبه الحواء فاخذ الافعى يحاربه ومكن الحاوي يده من قفاه فانثنى عليه فعض ابهامه فبادر الحواء فخرم فاه وجعله في سله واخرج سكيناً وقطع ابهام نفسه وغلا زيتاً وكواها به وحر كالتالف فحملناه الى القرية فاذا بصبي من غلماني اتاني بليمونة وكان اذ ذاك قليلاً بالبصرة جداً وعندي شجرة واحدة فحين رأى الليمون قال يا سيدي هذا موجود عندكم قلت نعم قال اغثني بكل ما نقدر عليه فانا نعرفه في بلدنا انه يقوم مقام الترياق فقلت واين بلدك قال عمان فأتيته بكل ما كان عندي فاقبل يقصمه ويسرع في اكله وعمد الى بعضه فاستخرج منه ماء واقبل يتحسى منه ويطلي به الموضع فاصبح في غد معافى سالماً فسألته عن خبره قال ما خلصني بعد الله عز وجل الا ماء الليمون واظن ان اخواي لو اتفق لهما ذلك ما تلفا فقلت له ذلك الدهن الذي طليت به نفسك ماهو قال الطلق الذي لو طرح على الجسم لا يكون فيه خلل وما ضرت النار الجسم وانما تلف اخواي لان بعض ابدانهما خلا من الطلا وجف بعض الدهن فقلت وكيف تمكن منك الحية قال لطول الوقت جف بعض الدهن فتمكن مني ولولا الليمون لتلف فتعلمت منه استخراج ماء الليمون وكنت اول من استخرجه بالبصرة ونبه الناس على منافعه وجربته

في الطبيخ فوجدته طيباً وتداولته الناس قال ثم اخرج الافعى فقطع راسه وذنبه وغلاه في طنجير واستخرج دهنه وجعله في قوارير وانصرف. * حدثني عبد الوهاب بن محمد مهدي المعروف باحمد بن ابي سلمة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة بعسكر مكرم انه شاهد رجلاً مفلوجاً حمل من اصفهان الى عسكر مكرم يُعالج قال فطرح على باب خان في الجانب الشرقي منها قد هجر وفرغ منه اكثر العقارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفي خانين بجواره وطلب له موضع ليسكنه فلم يوجد الا في هذا الخان فانزله غلمانه فيه وهم لا يعلمون حالته وانه اخلي لكثرة الجرارات فيه وصعد اصحاب الرجل الى السطح وتركوه في اسفله لما وصف لهم ان المفلوج لا يبيت على السطح قال فلما كان في الغد دخلوا عليه فوجدوه جالساً وكان طريحاً لا يمكنه ان ينقلب من جنب الى جنب ووجدوا له لساناً فصيحاً وكان متكسراً بالعلة حتى ان الرجل مشى من يومه ذلك فاحضر بعض الاطباء وسأل عن حاله ففتشه فوجد اثر لسع الجرارة في ابهام رجله اليسرى فقال له انتقل الساعة من هذا الخان فانه مشهور بكثرة الجرارات وقد لسعتك واحدة منهن فابرأتك وعشت بشيء ما عاش به احد قط وقامت حرارتها ببرد الفالج فازالته ولم تتجاوزه فتقتلك وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى اعالجك باليسير من الرطوبة فلا ترجع اليك رطوبة الفالج وانتقل لئلا تلسعك اخرى فتتلف فانتقل الرجل وتعاهده الطبيب فحمّ المفلوج من غد فلطف به في علاجه حتى برأ * حدثني عبيدالله بن محمد بن الصروي قال كنت اتصرف مع المختار ابن الغيث بن حمران احد قواد بني عقيل فسار وانا في جملته مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع يطلب ناصر الدولة وصار العسكر منتشراً سائراً بعجلة وكان تحتي حجرة فصرت في اخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء كان في الطريق وحمر ولم يمكنه ان يسير خطوة واحدة فخفت ان يدركني من يأسرني فنزلت عنها امشي وفي عنقي سيف بحمائل والمقرعة في يدي فسرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجار وكنت احتاج ان امشي فيه نحو الفرسخ ثم انزل الى سنجار فاحتبسني الليل واستنفذ المشي جلدي فخفت الوحوش في الجبل فطلبت موضعاً اسكن فيه ليلتي فلم اجد ورأيت جباباً منقورة في الجبل فطلبت اقربها قعراً ورميت فيه بحجر فظننت ان قعره قامة او نحوها فرميت بنفسي فيه وكان البرد شديداً فنمت ليلتي لا اعقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتبهت وعندي ان الجب

محفور كالآبار واني اضع رجلاي في جوانبه فاتسلق واطلع فتأملت فاذا هو محفور كالتنور راسه ضيق واسفله شديد السعة وجوانبه منقوشة فقمت في وسط الجب فاذا هو اعلى من قامتي فتحيرت في امري ولم ادر كيف السبيل الى الصعود وطلعت الشمس واضاء الجب واذا فيه افعى مدور كالطبق بين حجرين وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم يتحرك من مكانه وهممت ان اجرد السيف واقطعه به ثم قلت اتعجل شراً لا ادري عاقبته ولا منفعة لي في قتله لاني سأتلف في هذه البئر وهي قبري فما معنى قتل الافعى ادعه فلعله ان يبتدئه بالنهش فاتعجل التلف ولا ارى نفسي تخرج بالجوع والعطش فاقمت يومي كله على ذلك والافعى لم تتحرك وانا ابكي وانوح على نفسي وقد يئست من الحياة فلما كان من الغد اصبحت وقد ضعفت فحملني حب الحياة على الفكر في الخلاص فقمت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئاً كثيراً ووضعتها في وسط الجب وعلوتها لتنال يدي طرف البئر فاحمل نفسي الى راسها فحين وضعت رجلي على الحجارة انهالت لرقتها وملاستها فلم اعد عملها وامضيت يومي كله وانا مشتغل البال وجاء الليل فلم يمكني ان اقوم من الجوع والضعف ثم حملني النوم فلما كان من الغد فكرت في حيلة اخرى ووقع لي ان شددت المقرعة التي معي بعلاقتها في حمائل السيف ودليت المقرعة الى داخل البئر وقد امسكت باحدى يدي فحصل جفن السيف فوق الجب معترضاً لرأسه وهي مدلاة الي ثم سللت السيف ولم ازل اقلع من ارض البئر ما يمكن نحته وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الرضراض وتعلقت على السيف المعترض وطفرت وصار السيف معترضاً في جفنه تحت صدري وظهرت يداي في البئر فحصل جوانبها تحت ابطي واستللت نفسي فاذا انا قد خرجت منها بعد ان اعوج السيف وكاد يندق ويدخل في بطني لثقلي عليه فوقفت خارج البئر مغشياً عليّ من هول ما نالني ووجدت اسناني قد اصطكت وقوتي قد بطلت عن المشي فما زلت احبو واطلب المحجة حتى وقفت عليها ورآني قوم مجتازون فأخذوا بيدي وقوى قلبي فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار وقد بلغت روحي الى حد التلف فدخلت مسجداً فطرحت نفسي فيه وانا لا أشك في الموت وحضرت صلاة المغرب واجتمع اهل المسجد فيه وسألوني عن خبري فلم يكن فيّ مقدرة على الكلام فحملوني الى بيت أحدهم ولم يزالوا يصبون على حلقي الماء ثم المرق والثريد الى ان فتحت عيني بعد العتمة فتكلمت وبت ليلتي بحال عظيم من الالم فلما كان من الغد دخلت الحمام وأقمت عندهم اياماً حتى برأت وأخرجت

نفقة كانت في وسطي فاستأجرت منها مركوباً ولحقت بصاحبي وسلم الله عزوجل * عن ديسم بن ابراهيم بن شاذلويه المتغلب كان باذربيجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر السلار لما هرب عنها قال ان بناحية اذربيجان وادياً يقال له الرأس شديد جرية الماء جداً وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء وبعضها مغطى بالماء وليس للسفن فيه مسلك وله اجراف هائلة وبه قنطرة يجتاز عليها المارة قال كنت مجتازاً عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشي وتحمل ولداً طفلاً في القماط فزاحمها بغل محمل فطرحت نفسها على القنطرة فزعاً فسقط الطفل من يدها الى النهر فوصل الى الماء بعد ساعة لبعد مابين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبي قد طفا على وجه الماء وقد سلم من تلك الحجارة وكان الموضع كثير العقبان ولها اوكار في اجواف ذلك النهر ومنها يصاد افراخها قال فحين ظهر الطفل في قماطه صادف ذلك عقاباً طائراً فرآه فظنه طعمة وانقض عليه وشبك مخالبه في القماط وطار به وخرج الى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة ان يركضوا وراء العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسي لمشاهدة الحال فاذا العقاب قد نزل الى الارض وابتدأ يمزق قماط الصبي ليفترسه فحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على الارض فلحقنا الصبي فاذا هو سالم ماوصل اليه جرح وهو يبكي فقاياناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالماً الى امه * حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي قال رأيت بمصر رجلاً يعرف بابن التمساح فسألت جماعة من اهل مصر عن ذلك فقالوا هذا وطىء التمساح أمه فولدته فكذبت ذلك وبحثت عن الخبر فأخبرني جماعة من عقلاء اهل مصر ان التمساح ربما يأخذ الناس في الماء من الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم الى جباله وهي جبال حجارة فيها مغارات الى النيل لايصل اليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق التمساح الى بعض المغارات فيودع بها الانسان الذي أخذه حياً او ميتاً بحسب الاتفاق ويتركه ويذهب فاذا جاع ولم يظفر بشيء عاد اليه فيفترسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة وجعلها في المغار فذكرت المرأة انها حين استقرت في المغار وانصرف التمساح رأت رجلاً حياً وأثر جماعة قد افترسهم التمساح وانها قد سألت الرجل عن أمره فذكر ان التمساح تركه هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يؤانسني الى ان طالبني بنفسي

فقلت ياهذا اتق الله فقال التمساح قد مضى ومن ساعة الى ساعة فرج ولعله ان يجتاز بنا سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا اليها وننجو فوعظته ولم يلتفت الى كلامي واغتصبني فواقعني ولم ينزل عني حتى جاء التمساح واخذه من فوقي ومضى فبقيت كالميتة فرعاً فاني لكذلك اذ سمعت وقع حوافر الخيل وصليل اللجم وصوت اقوام كثيرين فاخرجت راسي من الغار وصحت واستغثت فاطلع بعضهم وقالوا ما أنت قلت حديثي طويل ارموا اليَّ حبلاً فشددت نفسي وجذبوني فصرت معهم على ظهر المغار بعد ان توهمت وانسلخ بعض جلدي فسألوني عن خبري فأخبرتهم حديث التمساح فاركبوني شيئاً حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضي تأخر عني ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا بعد تسعة اشهر وكرهت ان اخبر الناس بالحديث فنسبته الى التمساح * حدثني ابو القاسم بن الاعلم العلوي الفيلسوف قال خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة افضيت الى اجمة هناك وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكباً حماراً وورائي بمسافة قريبة غلام مملوك لي راكب بغلة فلما وصلنا للاجمة رأيت مشاة دقيقة في وسط الاجمة وعليها المسلك ويوصل اليها بهبوط فرمت النزول اليها فوقف الحمار من تحتي فضربته ضرباً شديداً فلم يبرح فالتفت الى كفله اتأمل مايقوائمه فوجدت اسداً واقفاً بينه وبين كفل الحمار نحو ذراع واقل واذا بالحمار عند ماشم رائحته اصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الارض ولم يتحرك فلم اشك في التلف وان الاسد سيمد يده فيجذبني من على الحمار فغمضت عيني لئلا ارى كيفية وجودي في مخالبه وفمه واقبلت اتشهد واقرأ ومع هذا اجد عقلي ثابتاً ومتصوراً لهيئة الاسد ولم يفدني التغميض شيئاً فاستدرت اليه وفتحت عيني في عينه واقبلت اتشهد خفياً والاسد فاتح فاه وانا اتأمل اسنانه ويصل الى انفي من فمه روائح منتنة واني لكذلك اذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ومعه رجل راكب دابة ووراهما قوم مشاة فحين رآني والاسد على تلك الصورة جزع جزعاً شديداً وصاح بأعلى صوته يامعشر المسلمين ادركونا فقد افترس الاسد مولاي فحين سمع الاسد الصياح من ورائه التفت فرأى الصبي فتناوله من على سرجه وغار البغل وصار الصبي في فم الاسد كالفارة في فم السنور وانا كالميت الا اني ارى كل شيء واقبل الاسد يحمل على راكب الدابة والمشاة والصبي في فمه فهربوا منه ودخل الاجمة فقلت في نفسي قد فداني الله عزَّ وجل بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار وسرت اعدو حتى تلقاني قوم قد جاؤا من الكوفة ورأوا فزعي فسألوني

عن امري فاخبرتهم فتقدموا يطلبون الاسد وردت اليّ روحي فزدت في الجري الى ان خرجت من الاجمة ولحقتني الرفقة الذين كنت معهم وقد احضروا البغلة التي كانت تحت مملوكي وساقوا الحمار فركبت ودخلت الكوفه قال وكان هذا يوم الثلاث غرة المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومي واعتقدت ان اصومه ابداً فانا كل يوم ثلاثاء صائم الى الآن وجاءني ابوعلي عمر بن يحيى وهناني بالسلامة وبقدومي وقد كان خبري شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الاسد او ماعلمت أن لحومنا بني فاطمة محرمة على السباع فقلت له مثل سيدنا اطال الله بقاه لا يقول مثل هذا وما الذي كان يؤمنني ان يكون هذا الخبر باطلاً فاتلف وكيف كانت نفسي مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث قال وَلِمَ لاتطيق وكيف يجوز ان يكون هذا الخبر باطلاً مع ما روينا من خبر زينب الكذابة مع علي بن موسى الرضا رضى الله عنه قال فقلت له بلى قد رويت ذلك ولكن لم يحضرني فكري من هذا شيء في تلك الحال قال مؤلف الكتاب فقلت انا لابي القاسم الاعلم وما خبر زينب الكذابة فاني ما سمعته قال هذا خبر مشهور عند الشيعة يروى باسناد لهم لا أحفظه ان امرأة يقال لها زينب ادعت انها علوية فجيء بها الى علي بن موسى الرّضا رضي الله عنهم فدفع نسبتها فخاطبته بكلام دفعت به نسبه ونسبته الى مثل مانسبها له من الادعاء وكان ذلك بحضرة الخليفة فقال الرضا اخرج انا وهذه الى بركة السباع فاني رويت عن آبائي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لحوم ولد فاطمة رضي الله عنها محرمة على اكل السباع فمن اكلته السباع فهو دعي فقالت المرأة لا ارضى بهذا ودفعت الخبر فاجبرها السلطان على ذلك فقالت فلينزل هو قبلي فنزل الرّضا رضى الله عنه بركة السباع بحضر من خلق عظيم فلما رأته السباع اقعت علي اذنابها فدنى منها ولم يزل يمسح راس كل واحد منها ويمرّ بيده الى ذنبه والسبع يبصبص له حتى أتى على آخرها ثم ولى وكرهت المرأة النزول وابته فأجبرت على ذلك فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فافترسها ومزقها فعرفت بزينب الكذابه * وروي عن جماعة من شيوخ البحرين الذين ترددوا الى بلد الهند انهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة ان رجلاً كان معاشه صيد الفيلة قال استخفيت مرة في شجرة طالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة من شرائع الماء التي تردها الى مرتعها فاجتاز بي قطيع منها وكانت عادتي ان ادع القطعان تجوز الى ان يبلغ آخر فيل فارميه بسهم مسموم في بعض مقاتله فتفزع الفيلة وتمضي فاذا مات المجروح نزلت

فانتامت انيابه وسلخت جلده وأخذت ذلك وبعه في البلاد فاما اجتاز بي هذا القطيع رميت آخر فيل كان فيه نفر فاضطربت الفيلة واسرعت اليه فاذا اعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والجرح ورجعت معه الفيلة ووقفت بوقوفه فما زال قائماً والفيل المجروح يضطرب الى ان مات فضج ذلك الفيل ضجيجاً عظيما وضجت الفيلة ثم انتشرت في الغيضة فتشموها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك وانتهى الفيل الاعظم الى الشجرة التي انا فيها واتكأ عليها فاذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها وسقطت الشجرة الى الارض فلم اشك ان الفيل سيدوسني فاذا به قد جاء حتى وقف يتأملني واحجمت الفيلة عني فلما رآني الفيل الاعظم ونظر الى قوسي وسهامي لف خرطومه فلواه عليّ وانزلني الى الارض واخذ يومئ بخرطومه الى ثعبان كان هناك برفق وتملق فسددت سهماً الى الثعبان ورميته فأصبته وتابعت رميه فانصرف مثخناً فتقدم الفيل اليه فداسه ثم عاد فأخذني بخرطومه وحطني على ظهره وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء الى غيضة لم اكن اعرفها اعظم من تلك التي أخذني منها فاذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة لايحصيها الا الله عز وجل واكثرها قد بلي جلده وبقيت عظامه فما زال يتتبع الانياب ويجمعها ويومئ الى فيل فيجيء اليه فيمشي عليه ما يمكنه أن يمشيه عليه من ذلك الى ان لم يدع هناك ناباً الا جمعه وأوقر تلك الفيلة ثم اركبني على ظهره وأخذ بي على طريق العمارة واتبعته الفيلة فلما شارف القرى أومى الى الفيلة فطرحت احمالها حتى لم يبق منها شيء ثم انزلني بخرطومه برفق وتركني عند الانياب وقد صارت تلاً عظيماً هائلاً فجلست عندها متعجباً من سلامتي ورجع الفيل يريد الصحراء ورجعت الفيلة برجوعه وأنا لا أصدق بسلامتي ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل وذكائه فلما غابت الفيلة عن عيني مشيت الى اقرب القرى مني واستأجرت خلقاً كثيراً حتى خرجوا معي وحملوا تلك الانياب في أيام وما زلت ابيعها في تلك المدة حتى حصل لي مال عظيم كان سبب يساري وغناي عن صيد الفيلة * عن مروان بن شعيب العدوي عن عدي بن ربيعة قال كنت في حداثتي شديد القوة وكانت عندي زوجة لي من عبد القيس ببلدة منارة وهي قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ وعندي قوم من أهل المرأة ونحن نشرب فتنافرنا حتى انتهينا الى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وبدر لساني ان حلفت بالطلاق ان لا أقيم بمنارة فخرجت منها أريد منزلي بتل اهواز ومعي سيفي وجحفني وكان ذلك ليلاً فسرت في الطريق وحدي وبلغت الى اجمة لابد من سلوكها

فلما سرت فيها قليلاً سمعت ضجة من ورائي قبيحة فجردت سيفي ورجعت اطلب الصوت فوجدت أسداً قد افترس رجلاً وهو الذي صاح وهو في فم الاسد عرضاً بثيابه فصحت في الاسد فرمي الرجل ورجع الي فقاتلته ساعة ثم وثب علي وثبة شديدة فلطيت الارض ثم جمعت نفسي في حجفتي فلشدة وثبته جازني فصار ورائي فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فمه وكان سيفاً ماضياً فدخل في فيه وخرج من لحيته فخر صريعاً يضطرب فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف وعدت الى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل فحملته الي الجادة وكانت ليلة مقمرة وتأملته فاذا هو تاجر من تل أهواز اعرفه فلم تطب نفسي بتركه أصلاً فجعلته عند الجادة وعدت فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما في صيغة كانت عليّ والصيغة ازار أحمر يتشح به العرب في تلك الناحية وكان الاسد في خلال قتالي قد ضرب فخذي بكفه فأحسست به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشي حاملاً لرأس الاسد والرجل احسست بالالم ورأيت الدم يجري وقوتي قد ضعفت فصبرت نفسي حتى بلغت تل أهواز وقد اصبحت فكر اهل القرية الجراح وسألوني عن خبري فالقيت الصيغة التي بها الرجل والرأس فاستهولوا الحال لما حدثتهم بها وفتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت ان امشي يسيراً الى منزلي فلم اقدر حتى حملت وكنت أعالج من تلك الجراح مدة وعولج الرجل فبرأ قبلي وهو حي الى الآن يسميني مولاي ومعتقي قال وجراحاتي لصعوبتها تنتقض عليّ في أغلب الاوقات قال صاحب الحكاية وأراني الجرح وكان عظيم الفتح فلم أكن أعلم سبباً لشكرنا وعربدتنا الا نجاة ذلك الرجل من السبع * قال رجل يعرف بعبد العزيز بن الحسن الازدي من تجار القصباء بالبصرة قال كنت يوماً جالساً في القصباء وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل كالقباب على العادة فيما يراد تجفيفه من القصب وكان يوماً صائفاً وكدني الحر فدخلت احدى تلك القباب القصب وهي تكون باردة جداً وعادة التجار ان يستكنوا بها فنمت في القبة فلبردها استثقلت في النوم فانتبهت بعد العصر وقد انصرف الناس من القصباء وهي موضع بالبصرة في اعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة وعملت على القيام فاذا بافعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق ولم اجد سبيلاً الى الخروج ويئست من نفسي وتحيرت وجزعت جزعاً شديداً فأخذت في التشهد والتسبيح والفزع الى الله تعالى واني لكذلك اذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى

الافعى تأمله ثم رجع من حيث جاء وأتى ثانياً ومعه ابن عرس آخر فوقف احدهما يتأمله على يمين القبة والآخر على اليسار وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند ذنبه والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه في آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما وجرّاه حتى بعدا عن عيني فخرجت من القبة سالماً * عن الحسن بن علي الانصاري المقري بالرملة وكان فارساً فاتكاً شجاعاً جلداً قال خرجت في قافلة من الرملة صاحبها ابن الحداد وانا على مهر لي وعلى سلاحي فبلغنا في ليلة ظلماء الى واد عميق جدًّا عمقه نحو فرسخ وفي بطنه ماء يجري وعليه شجر كثير وهو مشهور بالسباع والطريق على جنبه في مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه بزّ فرأيت صاحبه يلطم ويبكي وكان موسراً فدعاه ابن الحداد وقال له انت رجل موسر فما هذا الجزع فقال له على الجمل اكثر من عشرة آلاف دينار فنادى في القافلة من ينزل ويخلص الجمل ويرده الى صاحبه وله مايشاء فلم يجسر احد على ذلك فلما كرر النداء اجبته وقلت عجل لي الدنانير فقال لا ولكن اكتب لك بها الساعة كتاباً واشهد من في القافلة فاذا صار الجمل وحمله مع مافيه من المال عندي فالمال لك فكتبنا كتاباً بذلك واشهدنا القافلة واعطيتهم دابتي ورحلي واخذت سيفاً وحجفة وشمعة ودنوت للنزول فرأيت منزلاً غرني فاستعجلت بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادي فاذاهو وادمشجر فيه أثر الرعاة والغنم ثم لم اجد طريقاً الى اسفل وكان سبيلي ان ارجع وارتاد المنزل من جهة اخرى فحملني ضيق الوقت والحرص على الدنانير ان جعلت أتوغل وانتقل من شجرة الى شجرة ومن حجر الى حجر حتى حصلت في جنب الوادي على صخرة ملساء كالرف وليس لها الى اسفل طريق البتة فاطلعت بالشمعة فاذا بيني وبين القرار نحو عشرين ذراعا وفي اسفل الوادي بردي كثيف يجري بينه الماء وله خرير شديد فاجمعت رأيي على ان القي نفسي واطفأت الشمعة وشددتها مع حمائل السيف مع الحجفة والقيت ذلك في موضع علمته عن يميني ثم جمعت نفسي فوثبت في وسط البردي فوقعت على شيء ثار من تحتي ونفضني بعد ان صاح صيحة ملأ بها الوادي واذا هو اسد فشق الوادي وسعى هارباً فوقف بأذائي من جانب الوادي الآخر فطلبت سيفي وحجفتي حتى اخذتهما ووقفت انتظر ان يمشي فأطلب الجمل فأقبل يريدني فمشيت بين يديه في ذلك البردي وهو في أثري يخوض الماء ويشق البردي وانا اخاتله من موضع الى موضع فطلع القمر فأبصرت بناء خفياً فقصدته فاذا هو بيت رحى يديرها

الماء فدخلت فيه ثم فكرت فقلت هذا مأوى السبع والساعة يجيئني فخرجت منه وجئت الى شجرة كبيرة فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها ودخلت بيت الرحى فامتلأ الباب بها وجلست في الداخل وساق الشجرة في يدي فما كان الا مقدار الجلوس حتى احسست بالاسد يزحم الشجرة وهو يروم الدخول فاستندت الى الحائط وامسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملني ومللته ثم ربض بالباب الى ان اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأقمت الى ان انبسطت الشمس حتى أمنته ثم خرجت فما زلت اطلب اثر الجمل حتى انتهيت اليه فاذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطروحان وكانوا امروني بفتقهما واستخراج المال منهما وحمله ان لم اقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد وقد علت الضحى فصعدت فيه فلما صرت برأس الوادي اذا ببادية مجتازين فقصدوني فمانعتهم عن نفسي بالسيف فلم اطقهم فضربوني بالسيوف فقلت لشيخ رأيته كالرئيس لهم الى الزمام على مامعي حتى اصدقك وانفعك نفعاً كثيراً فقال اصدقني حتى اعطيك الزمام فحدثته بالحديث فأخذوا المال وساروا بي معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوها وضرب الشيخ يده في المال فحثي منه ثلاث حثوات واعطاها لي فأخذتها وقلت ان هذا لاينفعني ان لم تبلغوني مأمني فاناخ جملاً وحملني عليه وسار بي سيراً حثيثاً حتى أتى بي القافلة على بعد ثم انزلني وقال الحق رفقتك فما عليك من احد بأس فمشيت حتى لحقت القافلة وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي فعرفتهم بما جرى وبما اخذته البادية وكتمتهم ما اعطونيه ودخلنا طبرية فشكوا الى اميرها ابي عثمان مولى بني عقيل فاسرى الى الاعراب فارتجع منهم اكثر المال والثياب ورده الى صاحبه وكنت انا لما دخلت طبرية فارقتهم ودخلت مصر ولحقوني وبلغني مارد عليهم فقلت لصاحب المال قد بذلت مهجتي وافلت من الاسد ومن الموت مراراً ومن الاعراب حتى وصل اليك بعض مالك فلا اقل من ان توصلني الى بعض ما كنت قد وعدتني به فاعطاني مائتي دينار فاضفتها الى ما اعطانيه الاعراب فاذا الجميع ستمائة دينار مع السلامة من تلك الشدائد * وجدت أيضاً ان رجلاً وفد على هشام فقال يا امير المؤمنين لقد رأيت في طريقي عجباً فقال وما هو قال بينما اسير بين جبلي طي اذ نظرت فاذا عن يميني اسد كالبغل وعن يساري ثعبان كالجبل وهما مقبلان نحوي ففزعت منهما ورفعت رأسي الى السماء وقلت شعر

يادافع المكروه قد تراها فنجني يارب من اذاها
ومن اذى من كادني سواها لا تجعلن شلوي من قراها

قال فقربا مني فشماني حتى لم اشك في الموت ثم صدرا عني فنجوت ولله الحمد * بلغني عن قاضي القضاة ابي السائب ولم اسمع ذلك منه قال وافيت من همدان الى العراق وانا فقير وزرت قبر الحسين رضي الله عنه فلما انصرفت اريد قصر بن هبيرة قيل ان الارض مسبعة واشير عليّ ان الحق قرية فيها حصن سميت لي نأوي اليها قبل المساء وكنت ماشيا فاسرعت واتعبت نفسي الى ان لحقت القرية فوجدت باب الحصن مغلقا فدفعته فلم يفتح لي وتوسلت للقائمين بحراسته بمن قصدت زيارته فقالوا قد اتانا منذ ايام من ذكر مثل ماتذكر فادخلناه وآويناه فكان عينا علينا للصوص وفتح الباب ليلا وادخلهم فسلبونا ولكن الحق بذلك المسجد وكن فيه لئلا تمسي فيأتيك السبع فصرت الى المسجد فدخلت بيتا كان فيه وجلست فلم يكن بأسرع من ان جاء رجل على حمار منصرفا من الحائر فدخل المسجد وشد حماره في غلق كان في باب البيت ودخل اليّ ومعه كرز فيه خرج فاخرج منه سراجا فاصلحه وقدح فأوقدها واخرج خبزه واخرجت خبزي واجتمعنا على الاكل فما تسمر الا والسبع قد حصل في المسجد فلما رآه الحمار دخل الى البيت الذي كنا فيه فدخل السبع وراءه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فاغلقه علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقدرنا ان السبع لا يفترسنا بسبب السراج وانه اذا انطفى اخذنا واكلنا وما طال الامر ان فني ما كان في السراج من الدهن وطفىء وصرنا في الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله شيء الا اذا تنفس فانا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فملأ المسجد روثا ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعا ثم سمعنا صوت الاذان من داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى مافعله الحمار لعن وشتم وحل رسن الحمار من الغلق فمر بطير في الصحراء وفتح المؤذن باب البيت لينظر من فيه فوثب السبع اليه فدقه وحمله الى الاجمة وقمنا نحن وانصرفنا سالمين * بلغني عن ابي عيسى محمد بن محمد بن علي بن مقلة قال كنت عند ابي الحسن علي بن عمر بن يحيى العلوي بالكوفة اذ دخل عليه غلام له فقال يامولاي اخذ الاسد فلانا وكيلنا فانزعج وقال في اي محل فقال في موضع كذا وادخله الاجمة الفلانية فقال العلوي لا اله الا الله في هذا الموضع بعينه اخذ الاسد اباه وادخله الى هذه الاجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة فاغتم فاخذنا نسليه فعاد الى شأنه في المحادثة وانا

قاعد احدثه اذ دخل عليه غلمانه مبادرين وقالوا قد نجى الوكيل من الاسد وحضر فما تم كلامه الا ودخل الوكيل فبش له العلوي وسأله عن خبره فقال نعم اخذني السبع كما شاهد من حدثكم وكنت را كباً فحملني بفمه كما تحمل السنور بعض اولادها الا انه ما كلمني فادخلني الاجمة وقد زال عقلي فما اعرف من امري شيئاً الا اني افقت فلم اره ووجدت اعضائي سالمة ووجدت حولي من الجماجم والعظام امراً اعظيماً ولم تزل قوتي تعود الى ان قمت فعثرت بشيء فاذا هو هميان فاخذته وشددته على وسطي ومشيت الى ان بعدت عن الموضع فوصلت الى شبيه بوهدة فجلست فيها وغطيت نفسي بما امكنني من القصب بقية ليلتي فلما طلعت الشمس احسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل احدهم فلما بعدت عن الاجمة وامنت على نفسي فتحت الهميان فاذا فيه رقعة فتأملتها فاذا هي بخط ابي بأصل ما كان في الهميان من الدنانير وما انفقه فاذا هو هميان ابي الذي كان في وسطه عند ما افترسه الاسد فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فاذا هي بازاء مابقي من الاصل مانقصت شيئاً قال. واخرج الهميان وفتحه واخرج الرقعة فقال العلوي نعم هذا خط ابيك فعجبت الجماعة من ذلك * بلغني عن رجل من اهل الانبار قال خرجت الى ضيعة لي في ظاهر الانبار را كباً دابة كانت معي ومعي عبد اسود مملوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق بالقرب من الضيعة اذ نشأت سحابة فامطرت وكان المطر قد ادركنا فملنا الى قباب كانت الا كاسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فلجأنا اليها وقوي المطر جداً حتى منعنا من الحركة فاشار عليّ الغلام بالمبيت فقلت له نخاف ويلك اللصوص فقال لي انخاف وانا معك فقلت فالسبع قال نصيّر الدابة داخل القبة وانت تليها وانا عند الباب واشد وسطي بالحبل الذي معنا واشد طرفه برجلك حتى لا يأخذني النوم فان جاء الاسد اخذني دونك وما زال يحسن لي ذلك الرأي حتى اطعته وملنا الى احد القباب ودخلناها وفعل ماقال فلا والله مامضت قطعة من الليل حتى وافى السبع فاخذ الاسود ودقه واحتمله وجرّ رجلي المشدودة معه في الحبل ولم يزل يجرّني على الشوك والحجارة والمدّ كادك الى ان صار الى اجمته وانا لا اعقل شيئاً من امري ولا احس باكثر مما يجري ولا تمييز لي يؤديني الى الاجتهاد في حل الحبل من رجلي ثم رمى بالاسود وربض عليه وما زال يا كل منه حتى شبع وترك مافضل منه وليس فيّ من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب من مكاننا وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعي

وثاب الي فهمي ورجعت الي نفسي فحالت رجلي من الحبل المشؤم وقت لادب فعثرت بشيء لا ادري ماهو فاخذته بيدي فاذا هو هميان ثقيل فشددته في وسطي وخرجت من الاجمة وقد قارب الصبح ان يسفر ومشيت الى القبة التي فيها دابتي فاذا هي واقفة بحالها فاخرجتها وركبتها وانصرفت الى منزلي فوجدت في الهميان جملة دنانير فحمدت الله عز وجل على السلامة و بقي الرعب في قلبي والتألم في جسدي

الباب العاشر

﴿ من اشتد بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بايسر سبب واقاله ﴾

روى باسناد آخره عثمان بن ابي العاص الثقفي قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعًا قد كان يبطلني قال فقال لي ياعثمان ضع يدك عليه وقل اعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ هذا الوجع ومن شر ما اجد سبع مرات قال فقلتها فشفاني الله * وعن ابن جعدبة قال مرض ابو عزّة الجمحيّ الشاعر فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه فقال الموت خير من هذه الحياة فاخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبي الراكب من الدابة قال بن الجعدية فمرت الحديدة بين الجلد والصفاق فسال منه ماء اصفر فقال

لاهمّ ربّ نائل ونهد والمهات والجبال الجرد

من بعد ماطعنت في معد

قال مؤلف الكتاب كذا في كتاب الطوسي والصواب عندي

لاهمّ ورب من يرعى بياض نجد اصبحت عبدا لك وابن عبد

أبرأتني من وضح بجلدي من بعد ما طعنت بها في معد

* حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال كان ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب العابد لا يعرف الا بهذا وكان الناس ينتابونه وكان صديقًا لابي فحدثني لبيب قال كنت مملوكاً روميًا لبعض الجند فربّاني وعلمني السلاح حتى صرت رجلاً ومات مولاي وتزوجت بامرأته وقد علم الله اني ما اردت بذلك الا صيانتها واقمت معها مدة

ثم اتفق لي اني رأيت حية داخلة الى جحرها فامسكت ذنبها لاقتلها فانثنت عليّ فنهشت يدي فشلت ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الاخرى بغير سبب اعرفه ثم جنت رجلاي ثم عميت ثم خرست فكنت على هذه الحال ملقى سنة كاملة لم يبق لي جارحة صحيحة الا سمعي اسمع به ما اكره وانا طريح على ظهري ولا اقدر على كلام ولا ايماء ولا حركة اسقى وانا ريان واطعم وانا شبعان واترك وانا جائع فلما كان بعد سنة دخلت امرأة الى زوجتي وقالت كيف ابو علي فقالت لها زوجتي لاهو حيّ فيرجى ولا ميت فيسلى فاقلقني ذلك وآلم قلبي المـا شديداً وبكيت وضججت الى الله عز وجل في سري بالدعاء وكنت في جميع تلك العلل لا اجد المـاً في نفسي فلما كان بقية ذلك اليوم ضرب على جسدي ضرباً شديداً كاد يتلفني ولم ازل على ذلك الحال الى ان دخل الليل وانتصف وخف الالم قليلاً فنمت فما احسست الا وقد انتبهت وقت السحر واحدى يداي على صدري فتعجبت من ذلك في نفسي وقلت كيف صارت يدي على صدري ومن رفعها اليه وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشي لا ترفع الا ان شالها احد لي ثم وقع في قلبي تحريكها فتحركت ففرحت فرحاً شديداً وقوي طمعي في فضل الله عز وجل بالعافية فحركت الاخرى فتحركت فقبضت احدى رجليّ فانقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالاخرى ورمت الانقلاب من غير ان يقلبني احد كما كان يفعل بي فانقلبت بنفسي فجلست ورمت القيام فامكنني فقمت فنزلت من على السرير الذي كنت مطروحاً عليه وكان في بيت من الدار فمشيت التمس الحائط من الظلمة لانه لم يكن هناك سراج الى ان وقفت على الباب وانا لا اطمع في بصري فخرجت من البيت الى صحن الدار فرأيت السماء والكواكب مزهرة وكدت اموت فرحاً وانطلق لساني وقلت ياقديم الاحسان لك الحمد ثم صحت بزوجتي فقامت وقالت ابو علي فقلت لها الساعة صرت ابو علي اسرجي فاسرجت فقلت جيئيني بمقراض فجاءت به فقصصت شارباً كان لي بزي الجند فقالت زوجتي ماتصنع الساعة تعيبك رفقاؤك فقلت بعد هذا لا اخدم غير ربي فانقطعت الى الله عز وجل وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ولزمت عبادة ربي وقال ابو الحسن خبر هذا معروف مشهور وكانت هذه الكلمة لاتفارقه وهي ياقديم الاحسان لك الحمد وصارت عادته يقولها في حشو كلامه وكان يقال أنه مجاب الدعوة فقيل له ان الناس يقولون انك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده عليك فبرأت فقال ماكان لعافيتي سبب غير ما عرفتك * حدثني

محمد بن علي الخلال البصري أحد أبناء القضاة قال حدثني بعض الاطباء الثقاة ان غلاماً من بغداد كان عليلا فقدم الري وهو ينفث الدم وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى ابا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فاراه ماينفث ووصف له الحال فأخذ الرازي مجسه ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الامر فقامت على العليل القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة فازداد مابه وولد الفكر للرازي أن عاد اليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذهن ان علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وان ذلك النفث للدم من فعلها وقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف حتى تبرأ ولكن بشرط ان تأمر غلمانك ان يطيعوني فيما امرهم به فيك قال نعم وانصرف الرازي وتقدم وجمع له ملأ مركنين من طحلب فاحضرهما في غد معه واراه اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئاً يسيراً ثم قال ليس يمكنني بلع شيء آخر اكثر منه فقال له ابلع فقال لا استطيع فقال للغلمان خذوه فعلوا ذلك به وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه بلعه شاء او أبى ويتهدده بالضرب الى ان ابلعه كارهاً احد المركنين بأسره والرجل يستغيث ولا ينفع مع الرازي شيء الى ان قال العليل الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف فتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة واذا هي لما وصل الطحلب اليها دبت اليه بالطبع وتركت موضعها فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافى * عن ابي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال كان عندنا بسوق الاربعاء من أولاد آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه في اكثر الاوقات ضرباناً عظيماً حتى كاد يتلف وقل أكله ونحل جسمه فحمل الى الاهواز فعولج بكل شيء فما نجع فيه دواء فرد الى بيته وقد يئس منه فاجتاز بنا بعض الاطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنه فقال للعليل اقعد واشرح لنا سبب مرضك من منذ حال صحتك الى ان اصبت فشرحها فطاولها بحديث الى ان قال العليل اني دخلت الى بستان لنا فكان في بيت البقر منه رمان كثير قد جمع للمبيع فاكلت منه رماناً عدة فقال له الطبيب كيف كنت تاكل قال كنت اعض راس

الرمانة بفيي واكسرها وارمي بها واكلها قطعاً قطعاً فقال الطبيب في غد اعجل لك العلاج فتبرأ باذن الله وخرج فلما كان من الغد جاءه بقدر اسفيدباج قد طبخها في لحم جرو سمين وقال للعليل كل هذا فقال ما هو قال اذا اكلته عرفتك قال فاكل العليل وقال له امتل من الطعام ففعل ثم اطعمه بطيخاً كثيراً ثم تركه ساعتين وسقاه فقاعاقد خلط بماء حار وشبث ثم قال له اي شيء اكلت فقال لا ادري فاخبره الخبر فحين سمع الغلام ذلك اندفع يقذف فامر بعينيه ورأسه فامسكت واقبل يتامل القذف الى ان طرح الغلام شيئاً اسود كالنواة الكبير يتحرك فاخذه الطبيب وقال له ارفع رأسك فقد برات وفرج الله تعالى عنك فرفع الغلام راسه وانقطع القذف وسقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان وصب على راسه ماء ورد ومسكن ثم اخذ الذي يشبه النواة فاراه لوالد الغلام فاذا هو قراد فقال له اني قد ذكيت ان الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قراداً من البقر وانه دخلت واحدة منهن في رأس احدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفم الغلام فنزل القراد في حلقه وعلق بمعدته يمتصها وعلمت ان القراد يهش الى لحم الكلب فأطعمته اياه وقلت ان صح ظني سيتعلق القراد بلحم الكلب تعلقاً يخرج معه ان قذف فيبرأ وان لم يكن ما ذكيت صحيحاً فما يضره من اكل هذا اللحم فلما احب الله عز وجل عافيته صح ما ذكيته فنبهه الى ان لا يعاودبعدها ادخال شيء في فيه لا يدري ما هو وبرأ الغلام وصح جسمه * حدثنا ابو الحسن غلامنا عن ابن الصيدلاني قال كان لي أكار حدث فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً فلم يكن ينام الليل ولا يهدأ النهار وعولج فلم يكن لبرئه سبيل قال فجاء متطبب من الاهواز يريد البصرة فسألته ان ينظر اليه فقال لي قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته الى الآن قال فحدثه قال فأصدقني فلست أدري شيئاً يوجب هذه العلة ومالي الى علاجك سبيل قال فقال لي الغلام أصدق وأنا آمن جهتك فقلت افعل فقال له انا غلام حدث واعزب فوطئت حماراً ذكراً كان لي في الصحراء قال فقال له الطبيب الآن قد علمت انك صادق والساعة اعالجك فتبرأ ثم امر به فأمسك امساكاً شديداً والغلام ساكت الى ان جس منه موضعاً فصاح الغلام فأخذ الطبيب خيطاً ابريسماً فشد الموضع شداً شديداً ولم يزل يمرح ذكر الغلام حتى خرجت منه حبة وقد كبرت وجرحت الموضع فسال منه شيء يسير كماء اللحم فاعطاه مرهماً وقال استعمل هذا اياماً فانك تبرأ وتب الى الله تعالى عن مثل هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم

فبرأ * حدثني ابو عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن السكري من بغداد في المذاكرة قال كان ابي اذا جلس يفتش دفاتره وانا صبي اجيء فآخذ منها الشيء بعد الشيء استحسنه والعب به وكنت ارى في دفاتره دفترا فيه خطوط حمر فاستحسنه واطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال قال فجلس يوما يفتش كتبه فرأيت الدفتر فاغفلت ابي واخذته ففتحته اقراه فاذا هو مولدي قد عمله بعض المنجمين ووجدت فيه اني اذا بلغت اربعا وثلاثين سنة كان عليّ قطع فيها فالتفت ابي فرأى الدفتر في يدي فصاح واخذه مني ونظر اي موضع اقرأ فرآه فاخذ يضعف ذلك في نفسي لئلا اغتم ومضت السنون فلما بلغت الى السنة التي ذكرها المنجم ركبت مهرا لي وقد خرجت الى دار الضرب وابي فيها وكان اليه العيار فبلغت الى سباط في درب الديرج فنفر المهر من كلب كان في الطريق رابضا فضرب راسي حائطا كان في السباط فوقعت عن المهر مغشياً عليّ ثم حملت الى دار الضرب فاحضروا طبيبا وقد انتفخ موضع من راسي انتفاخا عظيما فاشار بفصدي ففصدت فلم يخرج لي دم فحملت الى بيتنا ولم اشك في اني ميت لشدة مالحقني فاعتللت مدة وضعفت نفسي خوفا مما ذكر من حكم المنجم وكنت يوما جالسا مستندا على سرير وقد آيست من نفسي اذ حملتني عيناي فخفق راسي فضرب درابزين السرير فانبج الموضع المنتفخ وخرج منه ارطال دم فخف مابي في الحال وصلحت وبرأت وعشت الى الآن وكان له يوم وقد حدثني بهذا الحديث وهو ابن اربع وثمانون سنة وشهور على ما اخبرني * حدثني ابو الحسن بن علي ابن ابي محمد الحسين بن محمد الصالحي الكاتب قال رأيت بتصر طبيبا كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي وكان يقول انه يكسب في كل شهر الف دينار من حرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان وما ياخذه من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبه بيمارستان من جملة داره يأوي اليها ضعفاء الاعلاء ويعالجهم ويقوم بأغذيتهم وادويتهم وخدمتهم وينفق اكثر كسبه على ذلك قال ابو الحسن واصيب احد فتيان الرؤساء بتصر بالسكتة واسماه لي وذهب عني اسمه فحمل الى الاطباء وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته الا القطيعي وعمل اهله على غسله وكفنه فقال القطيعي دعوني اعالجه فان برئ والا فليس يلحقه اكثر من الموت الذي قد اجمع هؤلاء عليه فخلاه اهله معه فقال هاتوا غلاما جلدا ومقارع فاتى بذلك فامر به وضربه عشر مقارع باشد الضرب ثم مس مجسه وضربه عشرا اخرى شديدة ثم مس مجسه وضربه

ايضاً عشراً اخرى ثم مس مجسه وضربه عشراً اخرى ثم مس مجسه وقال للاطباء ايكون لميت نبض متحرك فقالوا لا فضربه عشرة أربع اخرى وقال جسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشراً اخرى فتأوه فضربه عشراً اخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته اليه فقال له ماتجد قال انا جائع فقال اطعموه الساعة فجاؤه بما يأكل فرجعت قوته اليه وقمنا وقد برىء فقال له الاطباء من اين لك هذا قال كنت مسافراً في قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فاسكت فعمد اليه شيخ منهم فضربه ضرباً عظيماً فما رفع عنه الضرب حتى افاق فعلمت ان الضرب جلب اليه الحرارة وازالت سكتته فقست عليه امر هذا العليل ☆ حدثني بعض المتطببين بالبصرة قال حدثني ابو منصور بن مارمة كاتب ابي مقاتل صالح بن مدركه الكلابي امير دجلة وكان ابو منصور من رؤساء اهل البصرة الذين يضرب المثل بنعمتهم وترفههم وكان ثقة اديباً قد شاهدته انا ولم اسمع منه هذه الحكاية قال اخبرني شيوخنا قال كان بعض اهلنا قد استسقى فآيس من حياته فحمل الى بغداد فشوور الاطباء فيه فوصفوا له ادوية كباراً فعرفوا انه قد تناولها باسرها فلم تنجع وآيسوا منه وقالوا لاحيلة في برئه قال فسمع العليل فقال لمن كان معه دعوني الآن اتزود من الدنيا وآكل ما اشتهي ولا تقتلوني بالحمية فقالوا كل ما تريد فمهما رآه مما يجتاز به على الطريق اشتراه واكله ولم يلتفت الى ضره ونفعه فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة ارطال واكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة ايام اكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه الى حالها في الصحة وثابت اليه قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس ينصرف في حوائجه فرآه احد الاطباء فعجب من امره فسأله عن الخبر فعرفه فقال ليس من شأن الجراد ان يفعل هذا ولا بد من ان يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فاحب ان تدلني على الذي باعك الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته انا اصيده واجمع منه شيئاً كثيراً واطبخه على الايام وابيعه فقال من اين تصيده قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب اعطيك ديناراً وتدع شغلك وتجيء معي الى ذلك الموضع فقال نعم فخرجا وعاد الطبيب من غد فذكر انه رأى ذلك الجراد يرعى في

صحراء اكثرها حشيشة يقال لها الماذريون وهي دواء الاستسقا فاذا دفع الى العليل منها دون درهم اسهله اسهالاً يزيل الاستسقا ولكن لا يؤمن من ان لا ينضبط ولا يقف فيقتله الذرب والعلاج بها خطر جدًا وهي مذكورة في الكتب ولفرط ضررها لا يكاد يصفها الطبيب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وانطبخت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبيخين اجتمعا عليه وقضي ان تناولها هذا بالاتفاق وقد تعدلت بمقدار مااندفع طبعه دفعًا قطع بانقطاع العلة فبرأ * حدثني محمد بن احمد بن طوطي الواسطي ابو الحسين قال سمعت ابا علي عمر بن يحيى العلوي الكوفي رحمه الله يقول كنت في بعض حججي في طريق مكة فاستسقى رجل كان معنا من اهل الكوفة وثقل في علته وسل الاعراب قطارًا من القافلة كان على جمل منه هذا العليل فافتقد وجزعنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين الى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءني العليل الى داري معافًا فسألته عن قصته وسبب عافيته فقال ان الاعراب لما سلوا القطار ساقوه الى محلهم وكان من المحجة على فراسخ يسيرة فانزلوني ورأوا سوء حالي فطرحوني في اواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار فكنت ازحف واتصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت ادعوا الله عز وجل به او بالعافية فرأيتهم وقد عادوا يومًا من ركوبهم فاخرجوا افاعي قد صادوها فقطعوا رؤسها واذنابها وشووها واكلوها فقلت هؤلاء يأكلون هذه فلا تضرهم بالعادة التي نشؤا عليها ولعلي ان اكلت منها شيئًا ان اتلف فاستريح مما انا فيه فقلت لبعضهم اطعمني من هذه الحيات فرمى اليّ واحدة منها مشوية فيها ارطال فاكلتها باسرها وامعنت طلبًا للموت فاخذني نوم عظيم فانتبهت وقد عرقت عرقًا عظيمًا واندفعت طبيعتي فقمت في بقية يومي وليلتي اكثر من مائة مجلس الى ان سقطت طريحًا وجوفي يجري فقلت هذا طريق الموت واقبلت اتشهد وادعوا الله عز وجل بالمغفرة فلما اضاء الصبح تأملت بطني فاذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها فقلت اي شيء ينفعني من هذا وانا ميت فلما اضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم احس بقيام وجعت فجئت لازحف على العادة فوجدت بدني خفيفًا وقوتي صالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم مأكولاً فاطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافًا ما انكر شيئًا من امري فاقمت اياما الى ان وثقت من نفسي بأني ان مشيت نجوت فاخذت الطريق من بعضهم الى ان صرت على المحجة ثم سلكتها الى الكوفة مشيًا * حدثني ابو الفضل محمد بن عبيدالله بن المرزبان الشيرازي الكاتب قال حدثني القاضي

ابو بكر بن الحعابي الحافظ قال دخلت يوماً على القاضي ابي الحسين ابن القاضي ابي عمر رحمهما الله وهو مغموم فقلت لا يغم الله قاضي القضاة ماهذا الحزن الذي اراه به قال مات يزيد المائي فقلت يبقى الله قاضي القضاة ومن يزيد المائي حتى اذا مات اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله فقال ويحك مثلك يقول هذا في رجل اوجدلنا صناعة نخيمة قد مات وما ترك في حذقه احد وهل تفخر البلدان الا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق اهل العلوم فيها فاذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته لابدل الناس فرحهم بالترح وهل يدل هذا الا على نقصان العالم وانحطاط البلدان قال ثم اقبل يعدد فضائله والاشياء الظريفة التي عالج بها والعلل الصعبة التي زالت بتدبيرها فذكر من ذلك اشياء كثيرة كان منها اذ قال لقد اخبرني مذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابنة له علة فكتمت أمرها ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى امر البنت الى حد الموت قال فقلت لا يصح ترك علاج هذا وكتمانه اكثر من هذا قالى وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تنام معه الليل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم قال فلما خفت المأثم احضرت يزيداً فشاورته فقال اتأذن لي في الكلام و بسط عذري قلت نعم قال لا يمكنني ان اصف لك شيئاً دون ان اشاهد الموضع بعيني وافتشه بيدي واسائل المرأة عن اسباب لعلها كانت الجالبة للعلة قال فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف امكنته من ذلك فاطال مسائلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة فبعد ان جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الالم حتى كدت ابطش به ثم تصبرت ورجعت الى ما اعرفه من ستره فصبرت على مضض الى ان قال تأمر من يمسكها ففعلت ثم ادخل يده في الموضع دخولاً شديداً فصاحت المرأة فاغمي عليها وانبعث الدم واخرج في يده حيواناً اقل من الخنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال وقالت يا ابت استرني فقد عوفيت فاخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فاجلسته وقلت اخبرني ماهذا فقال ان تلك المسابلة التي لم أشك في انك أنكرتها انما كانت لاطلب دليلاً استدل به على سبب العلة الى ان قالت انها في يوم من الايام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه فلما كان في غدته الضربان تخيلت انه قد دب الى فرجها من القردان التي تكون على البقر وفي بيوته قراد قد تمكن من اول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضرباناً وانه اذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه

ونقطت من الجرح الذي يمتص منه الى خارج الفرج هذه النقط اليسيرة من الدم فقلت ادخل يدي وافتش فادخلتها فوجدت القراد فاخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الايام قال فتأملنا الحيوان فاذا هو قراد وبرأت المرأة قال مؤلف هذا الكتاب ولم يذكر القاضي ابو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه * عن بني عقيل وكان اذا جاء من البادية ينزل في شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال كانت عندي جارية بالبادية بالغة زمنة مقعده سنين ومن عادتنا ان نأخذ الحنظل فنقور رأسه ونملاه باللبن الحليب ونرد على كل واحدة رأسها ونتركها في الرماد الحار حتى تغلي فاذا غلت حسى كل واحدنا ما في الحنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه قال فاخذنا سنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس يشربونها وجعلنا فيها اللبن على الصفة المذكورة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها من الزمانة غدت الى الحناظل الثلاث فحستها كلها وعلمنا بذلك بعد لما رأينا من قيامها فآيسنا من حياتها فباعدناها في الاخبية لئلا تشم روائحها تعدينا ولتموت بالبعد عنا فلما كان في الليل انفتح باطنها ومشت برجلها الى ان عادت الى البيوت معافية لاقلبة بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت * قال جبريل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة ومعه المأمون ومحمد وكان رجلا كثير الاكل والشرب فاكل في بعض الايام أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه وقوي عليه الغشي حتى لم يشك غلمانه انه قد مات وحضر ابناه وشاع عند العامة والخاصة خبره فارسل الي فحضرت وجسست عرقه فوجدت نبضاً خفيفاً وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكي امتلاء وحركة الدم فقلت لهم لم يمت والصواب ان نحجمه الساعة فقال كوثر لما يعرف من أمر الخلافة وانصاتها الى صاحبه محمد يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلا ميتاً لا يقبل قولك ولا كرامة فقال المأمون الامر قد وقع وليس يضر أن نحجمه فاحضر وتقدمت الى جماعة من غلمانه بامساكه ففعلوا واقعد فقلت للحجام ضع محاجمك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد احمر فطابت نفسي بذلك انه حي ثم قلت اشرط فشرط فخرج الدم فسجدت شكراً لله عز وجل وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه الى ان تكلم فقال اين انا فطيبت نفسه وغذيناه صدر دراج وسقيناه نبيذاً وما زلت أسعطه بالطيب في انفه حتى تراجعت اليه قوته وادخل الخاصة والقواد اليه فسلموا عليه من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته ووهب الله له العافية فلما خرج من علته

دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف أنها الف الف درهم وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف انها خمسمائة الف درهم ثم قال لي ياجبريل كم غلتك فقلت خمسين الف درهم فقال ما انصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني ويحجبوني عن الناس على ماهي عليه وتكون غلتك ماذكرت وأمر باقطاعي ماقيمته الف الف درهم فقلت ياسيدي مالي حاجة الى الاقطاع ولكن تهب لي ما أشتري الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على ابتياعها فابتعت بهباته وصلاته ضياعاً غلتها الف الف درهم لجميع ما امتلكته ضياعاً لا اقطاع فيها * حدثني طلحة بن عبدالله بن قياس الطائي الجوهري البغدادي ابو جعفر قال كان في درب مهرويه بالجانب الشرقي ببغداد قديماً رجل من كبراء الحجزية وكان متشبباً بغلام من غلمانه رباه صغيراً فاعتل الغلام علة من ياسام وهو الذي تسميه العامة البرسام فبلغ الى حالة قبيحة وزال عقله فتفرقوا عنه يوماً وهو في موضع فيه خيش ووكلوا صبياً بمراعاته فسمعوا صياح الفتى الموكل به فبادروا اليه فقال انظروا الى ما قد إصابه فاذا عقرب قد نزل من المسند على راس العليل فلسعته في عدة مواضع فاذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكوا الماً فسألوه عن حاله فطلب ما يأكل فاطعموه وبرأ فلاموا طبيبه فقال علام تلومونني لو امرتكم ان تلسعوه بعقرب اكنتم تفعلون * عن ابي بكر بن قارب الرازي وكان تلميذ لابي بكر محمد بن ذكريا الطبيب بعد رجوعه من عند امير خراسان لما استدعاه ليعالجه من علة صعبة قال اجتزت في طريقي الى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف من طريق نيسابور الى الري قال فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني وخدمته وسالني ان اقف على ابن له به إستسقاء فادخلني الى دار قد افردها له فشاهدت العليل ولم اطمع في البراءة فعللت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه سالني ان اصدق فصدقته وآيسته من حياة ابنه وقلت له يمكنه من شهواته فانه لا يعيش وخرجت الى خراسان وعدت بعد اثني عشر شهرا فاستقبلني الرجل بعد عودي ولما لقيته استحييت منه غاية الحياء ولم اشك في وفاة ابنه واني كنت نعيته اليه وخشيت من ثقله بي فلم اجد عنده ما يدل على ذلك وكرهت ان اسأله عنه لئلا اجدد عليه حزناً قد نسيه فقال لي بعد ايام اتعرف هذا الفتى وأومىء الى شاب حسن الوجه والسجية كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا فقلت لا فقال هذا ابني الذي آيستني منه عند مضيك الى خراسان فتحيرت وقلت عرفني سبب برأه فقال لي انه بعد قيامك من عنده فطن انه قد آيستني منه فقال لي

لست اشك ان هذا الرجل وهو اوحد في الطب قد آيسك مني والذي اسئلك ان تمنع هؤلاء الغلمان يعني الغلمان الذين كنت اخدمهم اياه عني لانهم اذوني لاني اذا رأيتهم معافين وانا ادت بينهم يتجدد على قلبي الحزن فارحني منهم يا ابي وافرد لي فلانة لخدمتي ففعلت ما ساله وكانت المرأة داية له وكان يحمل اليها في كل يوم ما تأكله وله ما يطلب على غير حمية فلما كان بعد ايام حمل الى الداية مضيرة لتاكل فتركتها ومضت لشغل لها فذكرت بعد ان عادت ان ابي قد نهاها عن اكل المضيرة فوجدتها قد ذهب كثير منها وبقي بعضه متغير اللون قالت فسالت الغلام عن السبب فاخبرني بانه راى افعى عظيماً قد خرج من موضع ودب اليها واكل منها ثم قذف فيها فصار لونها كما ترينه فقلت انا ميت وهو ذا يلحقني الم شديد ومتى اظفر بمثل هذا وجئت فاكلت من الغضارة ما استطعت لاموت عاجلاً واستريح فلما لم استطع زيادة اكل رجعت حتى جئت الى فراشي وجئت انت قالت ورأيت انا المضيرة على يده وفمه فصحت فقال لا تعلمي احداً حتى تدفني الغضارة بما فيها لئلا ياكلها انسان فيموت او حيوان فيلسع انساناً فيقتله ففعلت ماقال وخرجت اليك فلما عرفتني ذلك ذهب عليّ امري ودخلت الى ابني مسرعاً فوجدته نائما فقلت لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقا شديداً وهو يطلب المستحم فانهضناه اليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل ومن الغد اكثر من مائة مجلس فازداد ياسنا منه وقل القيام وقد سار بطنه مع ظهره مثل بطون الاصحاء وطلب فراريج فأكل ولم تزل قوته تزداد فطمعنا في حياته فنعناه التخليط وثابت قوته وتزايدت الى ان صار كما ترى قال فعجبت من ذاك وذكرت ان الاوائل قالوا ان المستسقى اذا اكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مؤن سنة برأ ولو قلت لك هذا علاجه لظننت اني ادافعك ومن اين يعلم كم عمر الحية اذا وجدت فامسكت عنه

الباب الحادي عشر

﴿ من امتحن من لصوص بسرق اوقطع * فعوض عن الخلف باكمل صنع ﴾

عن دعبل بن علي الخزاعي الشاعر قال لما قلت قصيدة (مدارس آيات خلت من تلاوة) قصدت بها ابي الحسن علي بن موسى الرضا رضوان الله عليهم أجمعين

وهو بخراسان ولي عهد المأمون فوصلت اليه فانشدته فاستحسنها وقال لا تنشدها لاحد حتى آمرك واتصل خبري بالمأمون فاحضرني وسألني عن خبري ثم قال لي يا دعبل أنشدني (مدارس آيات خلت من تلاوة) فقلت لا اعرفها يا امير المؤمنين فقال يا غلام احضر ابا الحسن علي بن موسى قال فلم يكن بأسرع من ان حضر فقال له يا ابا الحسن سألت دعبلاً عن مدارس آيات فذكر انه لا يعرفها فالتفت اليّ ابو الحسن فقال انشده يا دعبل فانشدت القصيدة ولم ينكر ذلك المأمون الى ان بلغت الى بيت فيها وهو هذا

قال رسول الله هلب رقابهم وآل زياد غلظ الرقاب

ثم تممتها الى آخرها فاستحسنها وأمر لي بخمسين الف درهم وأمر لي علي بن موسى بقريب منها فقلت له يا سيدي أريد ان تهب لي ثوباً يلي بدنك أتبرك به واجعله كفناً فوهب لي قميصاً قد ابتذله ومنشفة واظنه قال وسراويل قال ووصلني ذو الرياستين وحملني على برذون اصفر خراساني فكنت أسايره في يوم مطير وعليه ممطر خز وبرنس ومنه فأمر لي به دعا بغيره جديداً فلبسه وقال انما آثرتك باللابس لانه خز الممطرين قال فاعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه وقضيت حاجتي وكررت راجعاً الى العراق فلما صرت ببعض الطريق خرج علينا أكراد يعرفون بالسرنجان فسلبوني وسلبوا القافلة وكان ذلك في يوم مطير فاعتزلت في قميص خلق قد بقي علي وانا متأسف من دون ما كان معي على القميص والمنشفة اللذين وهبهما لي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما اذ مرّ بي واحد من الاكراد تحته الاصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخز ثم وقف بالقرب مني وابتدأ ينشد (مدارس آيات) ويبكي فلما رأيت ذلك عجبت من لص يتشيع ثم طمعت في القميص والمنشفة فقلت يا سيدي لمن هذه القصيدة فقال وما انت وذلك ويلك فقلت له فيه سبب اخبرك به فقال هي اشهر بصاحبها من ان يجهل فقلت ومن هو قال دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ياسيدي انا والله دعبل وهذه قصيدتي فقال ويلك ما تقول قلت الامر أشهر من ذلك فاسأل اهل القافلة بصحة ما أخبرتك به فقال لا جرم والله لا يذهب من القافلة خلالة فما فوقها ثم نادى في الناس من اخذ شيئاً يرده على صاحبه فردوا على الناس امتعتهم وعليّ جميع ما كان معي ما فقد أحد عقالاً ثم انصرفنا الى شأننا فقال راوي هذا الخبر

عن دعبل فحدثت بهـذا الحديث علي بن بهزا الكردي فقال لي ذلك والله أبي الذي فعل هذا * حدثني عبد الله بن عمرو الحارث الواسطي السراج المعروف بابي احمـد الحارث قال كنت مسافراً في بعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردي فقطع علينا وكان بزي الامراء لا بزي القطاع فقربت منه انظر اليه واسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فاذا برجل فاضل يروي الشعر ويفهم النحو فطمعت فيـه وعملت في الحال ابياتاً مدحته بها فقال لست اعلم ان هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعراً الساعة لاعلم انك قلته وانشدني بيتاً قال فعملت في الحال اجازة له ثلاثة ابيات فقال لي اى شيء أخذ منك لارده عليك قال فذكرت ما أخذ مني واستضفت اليه قماش رفيقين كانا لي فرد جميع ذلك ثم أخذ من أكياس التجار التي نهبها كيساً فيه الف درهم فوهبه لي قال فجزيته خيراً ورددته عليه فقال لي لم لا تاخذه فواربت في كلامي قال أحب ان تصدقني فقلت وانا آمن قال نعم قلت لانك لا تملكه وهو من اموال الناس اخذته منهم الساعة ظلماً فكيف يحل لي اخذه فقال لي اما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم قال ان هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لانهم منعوها وتجردوا فتركت عليهم فصارت اموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء اليها فاذا أخذوا أموالهم وان كره التجار أخذهـا كان ذلك لهم مباحاً لان عين المـال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء ارباب الاموال او كرهوا فقلت بلى قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من اين يعلم ان هؤلاء استهلكت الزكاة اموالهم فقال لا عليك انا احضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلاً صحيحاً ان اموالهم لنا حلال ثم قال لاصحابه هاتوا التجار فجاؤا فقال لاحدهم منذ كم تتجر في هذا المـال الذى قطعناه عليك قال منذ كذا وكذا سنة قال فكيف كنت تخرج زكاته فتلجلج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن ان يخرجها ثم دعى بآخر وقال له اذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما احسن ان يجيبه ثم قال للآخر ان كان معك تجارة ولك دين على نفسين احدهما مليء والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع كيف تخرج الزكاة قال فما فهم السؤال فضلاً عن ان يتعاطى الجواب فصرفهم ثم قال لي بان لك صدق حكاية ابي عثمان الجاحظ وان هؤلاء التجار ما زكوا قط خذ الآن الكيس قال فأخذته وساق القافلة ليتصرف فيها فقلت ان

رأيت ايها الامير ان تنفذ معي من يبلغني المامن كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت من اذاه * حدثني ابي رحمة الله عليه قال لما كنت مقيماً بالكرخ اتقلد القضاء بها وبالمرج واعالها كان معي رجل له ابن صبي فاقام معي ابوه عشر سنين وكان ذلك الصبي يدخل داري ويمرح مع غلماني واهب له في بعض الاوقات الدراهم والثياب واحمله وارقصه كما يفعل الناس باولاد غلمانهم ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم اعرف للرجل ولا لابنه خبراً حتى مضت السنون فانفذني ابو عبد الله اليزيدي من واسط برسالة الى ابي بكر بن رائق فلقيته في حدود دير العاقول قال وانحدرت اريد واسطاً وقد كان قيل لي قبل اصعادي ان في الطريق لصاً يعرف بالكرخي وكنت خرجت من واسط بطالع اخذته تلى موجب تحويل مولدي لتلك السنة وقد استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي امر اللص فلم ارَ له اثراً فلما انحدرت الى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم وكان معي من غلماني من يضرب النشاب فحلفت ان من يرمي منهم ضربته اذا صرت في البلد مايتي مقرعة وذلك اني خفت ان يقصدنا اللصوص فلا يرضوا الا بقتلي من دونهم وبادرت واخذت ذلك السلاح الذي كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للامر طلباً للسلامة وجلست افكر في الطالع فاذا ليس مايوجب عنده القطع عليّ والناس قد ادبروا الى الشط وانا في جملتهم حيث تفرغ سفنهم وينقل مافيها الى الشط وهم يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فانتهى الامر اليّ فعجبت من حصول القطع وان الطالع لا يوجبه ولست اتهم عملي فانا كذلك واذا بسفينة فيها رئيسهم قد طرح على زيربي كما كان يطرح على سفن التجار ليشرف على ما يؤخذ منها فحين رآني منع اصحابه من انتهاب شيء من زيربي وصعد وحده اليّ فتأملني طويلاً ثم انكب فقبل يدي وكان متلثماً فلم اعرفه فارتعت وقلت ياهذا مالك فقال لي اما تعرفني يا سيدي فتأملته وانا جزع فلم اعرفه فقلت لا والله قال بلى انا عبدك بن فلان الكرخي حاجبك وانا الصبي الذي ربيت في دارك وربيتني وكنت تحملني على كتفك وتطعمني بيدك قال فتأملته فاذا الخلقة خلقته الا ان اللحية غيرته في عيني فسكن روعي وقلت ياهذا كيف بلغت الى هذا الحال قال نشأت فلم اتعلم غير معالجة السلاح وجئت الى بغداد اطلب الديوان فما قبلني احد فانضفت الى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان انصفني السلطان ونزلني بحيث استحق من الشجاعة لانتفع بخدمتي وما فعلت هذا ثم قال ياسيدي

هل رأيت احدًا من القوم اخذ منك شيئًا فقلت ماذهب مني الا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال والله اصاب القاضي فمن في الكارة ممن تعني به حتى اطلقه فقلت كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو افرجت عن الجميع كان احسن بك فقال والله لولا ان اصحابي فرقوا ما اخذوا لفعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في رده الا اني لا ادع احدًا يأخذ من السفن الباقية شيئًا بعد هذا بجزيته الخير فصعد الى الشط واصعد جميع اصحابه ومنع ان يؤخذ شيء من السفن الباقية فما تعرض اليها احد ورد علي قوم ضعفاء اشياء كثيرة كانت اخذت منهم واطلق الناس وسار معي في اصحابه الى ان صار بيني و بين الماء من شيء يسير ثم ردعني وانصرف الى اصحابه * حدثت عن عن بعض التجار البغداديين قال خرجت بسلع لي ومتاع من بغداد اريد واسطا وكان البزيدي بها والدنيا مفتتنة فقطع عليّ الطريق وعلى الكار الذي كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطالع قريبًا من بغداد فأفقرني وكان معظم ما املكه معي فسهل عليّ الموت وطرحت نفسي له وكنت اسمع ببغداد ان ابن حمدون فيه فتوة وظرف وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الالف واذا اخذ ممن حاله ضعيفة شيئًا قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك فاطمعني ذلك في ان يرقّ لي فصعدت الى الموضع الذي هو فيه جالس فخاطبته في امري ورفقته ووعظته وقلت له ان جميع ما املكه قد اخذه وانني احتاج الى ان اتصدق من بعده قال فقال لي يا هذا لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا فانه قد اسقط ارزاقنا فاحتجنا الى هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب امر اعظم مما يرتكبه السلطان انت تعلم ان ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى ياخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدي الى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدي بواسط البصرة والديلم و بالاهواز وقد علمت انهم ياخذون اصول الضياع والدور والعقار و يتجاوز ذلك الى الحرم والاولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء فقلت اعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة والقبيح لا يكون سنة فاذا وقفت انا وانت بين يدي الله عزوجل اترضى ان يكون هذا جوابك له قال فاطرق مليًا ولم اشك في انه يقتلني ثم رفع رأسه وقال كم اخذ منك فصدقته فقال احضروه فاحضر قال وكان كما ذكرت فاعطاني نصفه فقلت الآن قد وجب حقي عليك وصار لي باحسانك اليّ حرمة فقال اجل فقلت ان الطريق فاسد وما الا ان اتجاوزك حتى يؤخذ

هذا ايضاً فأنفذ معي من يؤديني الى المامن قال ففعل ذلك وسلمت بما افلت معي قال فجعل الله عز وجل فيه البركة واخلف * حدثني الحسن بن صافي مولى ابن المتوكل القاضي وكان ابوه يعرف بغلام ابن مقلة قال لما حصل المتقي بالله الرقة ومعه ابو الحسن علي بن محمد بن مقلة وزيره كاتبني بان اخرج اليه فخرجت ومعي جماعة من انسابي وانساب الخليفة الى هيت وضم الينا ابن قتال خفراء يودونا الى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخفراء والغلمان ومن انجر معنا من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الاقفر وقد حصلنا نستريح اذا بسواد عظيم من بعيد لاندري ماهوفلم نزل نرقبه الى ان بان لنا واذا هو بمائة مطية على كل مطية رجلان فجمعنا رجالنا واصحابنا وحملنا واخذوا حجفهم وسلوا سيوفهم وتقدمهم رئيسهم فقال لنا يا معشر الناس لا يسلن احد سيفه ولا يرمين بسهم فمن فعل ذلك فهو مقتول ففشل اكثر من كان معنا وقاتل الباقون قتالاً ضعيفاً وخالطنا الاعراب وخرج جماعة منهم واخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس مجرحين فنظرت فاذا انا قد عريت وبقي عليّ خلق لا يصد عني شيئاً وليس معي ماء اشربه ولا ظهر اركبه وليس بيني وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت عليّ القيامة واشتد جزعي ولم يكن لي حيلة فآيست من الحياة فأنا كذلك اذ وجدت شنشجة كانت لي فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير الماء فوقع لي في الحال وجه الحيلة فاخذته وجعلته في قطن وخبأته معي وقصدت رئيس القوم وكان هو الذي تولى اخذ مالي وقد عرف موضعي وقدري وقلت له رأيت عظيم ما اخذته مني فأنا خادم الخليفة وقد خرجت لامر كبير من خدمته وانك فزت بما اخذته مني وانا اعاملك به واسديه اليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب على ان تؤمنني على نفسي وترد عليّ من ثيابي وادواتي وتسقيني ماء وتسيرني حتى اصل الى مامني فقال لي ماهو فقلت تعطيني ايمانك وعهودك وذمامك على الوفاء ففعل فانفردت به وجعلت يدي مقابلة للشمس واريته الخاتم واقمت فصه في شعاع الشمس فكاد يخطف بصره ورأى مالم يكن رآه فهاله وقال لى استره وقل لي خبره قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه يافوت احمر وهو الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل ويعرف بالجبل ولا يقوم امر الخلافة الا به وكان مخبوءا ببغداد فأمرني الخليفة ان احمله في جملة ما حملته وحيث حصل عندك فالراي ان تمتنع من اعطاه الا بمائة الف دينار وهم لم يقدروا عليك فيضطروا لانفاذ الثمن وارى ايضاً ان تاخذه وتنفذه الى

ناحية الشام وتوقفني على موضع حلتك وتخفي حصول الخاتم معك واني اذا حصلت بحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رسله بالرغائب حتى يرتجعه منك بأي ثمن قال فاذاً خذ من ثيابك ماتريد فاخذت من ثيابي ما احتجت اليه واخذ الخاتم فخباه في جيبه واركبني راحلة موطاة واعطاني اداتين كبيرتين وسار معي والناس يهلكون عطشاً ولم يزل يسيرني حتى بلغت الى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبدالملك فيه رجل من بني امية يكنى بابي مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده وامنت انصرفت الاعراب وعرفت ابا مروان خبري في القطع ومن انا فاعظم امري واكرمني وانفذ معي من اصحابه من بلغني الرقة سالماً * عن رجل من الدقاقين في دار بن الزبير بالبصرة قال اورد علي رجل غريب سفتجة بأجل وكان يتردد عليَّ الى ان حلَّ ميعاد السفتجة ثم قال دعها عندك حتى آخذها متفرّقة وكان يجيء في كل يوم فياخذ بقدر نفقته الى ان نفذت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني اخرج كيساً من صندوقي فاعطيه منه فقال لي يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على ماله والذي ينفي الظن عن اهله وعياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه واری قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت له من فلان بن فلان الاقفالي عند باب الصفارين قال فما شعرت يوماً وقد جئت الى دكاني فطلبت صندوقي لآخذ شيئاً من الدراهم فحمل اليَّ ولما فتحته وجدته خالياً من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرّابات شيئاً قال لا فقلت فتش هل ترى في الدكان نقباً قال لا فقلت من السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الدراهم قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته وقمت لا ادري ما اصنع وتأخر الرجل عني فلما غاب اتهمته وذكرت مسألته عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله قال رسمي ان أُدرّب درّابين والدرابات في المسجد فأحملها في دفعات اثنين او ثلاثة فاشرحها ثم افعل كذا وكذا فقلت البارحة واليوم فعلت قال نعم فقلت فاذا مضيت لترد الدرابات او تحضرها فلمن تدع الدكان قال خالياً قلت من هنا وقع الشر ومضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم رجل من صفته كذا وكذا واعطاني صفة صاحبي تماماً فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت انا وذهب الغلام بحمل الدرابات فدخل هو الى الدكان فاختبىء فيه ومعه مفتاح القفل الذي يقع على قفلي وانه اخذ الدراهم

وجلس طول الليل خلف الدرابات فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل بعض الدرابات ايرفعها خرج هو وانه مافعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من يسأل عني فعرّفه اني خرجت الى ضيعتي قال ثم خرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط قال فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً في الكتبيين بواسط لانزله فارشدت اليه فصعدت فاذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال قدم رجل من البصرة امس فقلت اي شيء صفته قال فوصف لي صاحبي بعينه فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً بجانبه ورصدت البيت حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه فأخذته وخرجت واقفلت الباب ونزلت في الحال الى السفينة التي جئت فيها ودعوت الملاح وانحدرت الى البصرة فما اقمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى منزلي بمالي عينه * حدثني عبدالله بن محمد البصري قال حدثني اكار بنهر سايس يقال له سارح قال خرجت من نهر سايس الى موضع من طرف يقال له كوخ راذويه فبلغني ان في طريقي رجلاً يقطع الطريق وحده وحذّرت منه فلما خرجت من القرية رأيت رجلاً تدل فراسته على شدته ونجدته وفي يده زقاية فجسرني على الطريق فترافقنا فانتهينا الى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزماً متسلحاً فصاح بنا فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره واخذ عصاه وبادر اللص وضربه بها فعطل اللص الضربة واستلقاها على سيفه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل الرجل فأقعده ثم وشحه بالسيف حتى قتله وحمل عليّ ليقتلني فقلت له ما حاربتك ولا امتنع من اخذك ثيابي فلأي شيء تقتلني فقال استكتف فاستكفت فكتفني بتكتي ثم حمل الثياب وانصرف وبقيت متحيرًا مشفيًا على التالف بالعطش والشمس والوحوش فما زلت اتمطى في التكة الى ان قطعتها فقمت امشي الى ان جنبني الليل فرأيت في الصحراء على بعد ضوء نار خفياً فقصدته فمشيت الى نصف الليل فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها واطلعت فاذا هو اللص جالس في القبة يشرب نبيذاً ومعه امرأته فلما ابصرني صاح وتناول السيف وخرج اليّ فما زلت اناشده واحلف له انني ما علمت انه هو ولا قصدته وانما رأيت النار فقصدتها فلم يعبأ بقولي وحلفته المرأة ان لا يقتلني بحضرتها فجذبني الى نهر جار يقرب من القبة وطرحني على شاطئه تحته وجرّد سيفه ليذبحني فسمع صوت اسد قريباً فارتعدت يده وسكن واخذ يسكني فآنست بالسبع

استيحاشاً منه وزدت في الصياح فما شعرت الا والسبع قد تناوله من صدري فقمت ناخذت السيف وجئت الى القبة فلم تشك الجارية اني هو فقالت قتلته فقلت لها الله عز وجل قتله وقصدت عليها القصة وسألتها عن شأنها فقالت انا امرأة من القرية الفلانية اسرني هذا الرجل وخبأني في هذا الموضع وهو يتردد اليَّ في كل ليلة فارهبتها فدلتني على دفائن له في الصحراء فاستخرجتها وحملت الجارية و بلغتها القرية وسلمتها فيها وفزت بمال عظيم اغناني عن مقصدي فعدت الى بلدي * وحدثني ايضاً عن ابن الدنانيري التمار الواسطي قال حدثني غلام لي قال كنت ناقداً بالابلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عيناً وورقاً ولففتها في فوطة واستعديت على السفر مساء الى الابلة فما زلت اطلب ملاحاً فلم اجد الى ان رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته ان يحملني فسهل عليَّ الاجرة وقال انا راجع الى منزلي بالابلة فانزل فنزلت قال وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا الى ان تجاوزنا مسماران فاذا رجل ضرير على الشط يقرأ احسن قراءة تكون فلما رآه الملاح كبَّر وصاح هو بالملاح احملني فقد جنبني الليل واخاف على نفسي فشتمه الملاح فقلت احمله فدخل الى الشط فحمله فلما حصل معنا رجع الى قراءته تخلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع الى الابلة فلم ارَ الفوطة فقمت واقفاً فاستغاث الملاح وقال الساعة تقلب الخيطية وخاطبني بخطاب من لا يعلم حالي فقلت ياهذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار فلما سمع ذلك بكى وقال لم ادخل الشط بعد ولا لي موضع اخبيء فيه شيئاً فتتهمني بسرقته ولي اطفال وانا ضعيف فاتق الله عز وجل وفعل الضرير مثل ذلك ففتشت الخيطية فلم اجد شيئاً فوجمت وقلت هذه محنة لا ادري كيف الخلاص منها وخرجنا فعملت على الهروب واخذ كل واحد منا طريقاً و بت ولم امض الى صاحبي وانا بليلة عظيمة فلما اصبحت عملت على الرجوع الى البصرة لاستخفي فيها اياماً ثم ارجع الى بلد شاسع فانحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة وانا امشي واتعثر وابكي قلقاً على فراق اهلي وولدي وذهاب معيشتي وجاهي اذ اعترضني رجل فقال لي ياهذا ما وراءك ولماذا انت قلق البال فاعرضت عنه فاستحلفني فاخبرته بالايجاز على سبيل السلوى فقال امض الى السجن ببني نمير واشتر معك خبزاً وشواء جيداً وحلوى وسل السجان ان يوصلك الى رجل محبوس هناك يقال له ابو بكر النقاش وقل له اني زائره فانك لا تمنع فان منعت وهبت للسجان شيئاً يسيراً فانه يدخلك اليه فاذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه

حتى تجعل بين يديه مامعك فاذا اكل وغسل يده يسألك عن حاجتك فاخبره خبرك فانه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك قال فشكرته وانصرف وفعلت ذلك ووصلت الى الرجل فاذا شيخ مثقل بالحديد فسلمت عليه وطرحت مامعي بين يديه فدعى رفقاء كانوا معه وأقبلوا يأكلون فلما استوفى وغسل يده قال من أنت وما حاجتك فشرحت له القصة فقال امض الساعة لوقتك ولا تتأخر الى بني هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي الى آخره فانك تشاهد باباً شعثاً فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي الى بابين فادخل الايمن منهما فسيدخلك الى دار فيها أوتاد وبواري وعلى كل وتد ازار ومئزر فانزع ثيابك والقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالازار فيجيء قوم يفعلون كما فعلت الى ان يتكاملوا ثم يأتون بطعام فكل معهم وتعهد ان تفعل في كل شيء كما يفعلون فاذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم اقداحاً يسيرة ثم خذ قدحاً كبيراً واملاه وقم فقل هذا شادّي خالي ابو بكر البغاش فسيضحكون ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون لي فاذا تكامل شربهم لي جلسوا فقل نعم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول لكم بحياتي يافتيان ردوا على ابن اختي القوطة التي اخذتموها أمس في السفينة بنهر الابلة فانهم يردونها عليك فخرجت من عنده وفعلت ماقال ووجدت الصورة على ماذكر فردت القوطة على بعينها ولم يحل شدها فلما حصلت لي قلت لهم يافتيان هذا الذي فعلتموه بي هو قضاء لحق خالي ولي حاجة تخصني فقالوا مقضيه فقلت عرفوني كيف أخذتم القوطة فامتنعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة ابي بكر البغاش فقام واحد منهم وأوميء الى رجل فتأملته جيداً فاذا هو الضرير الذي كان يقرأ وانما يتعامى وأوميء الى آخر وقال أتعرف هذا فتأملته فاذا هو الملاح بعينه فقلت كيف فعلتما فقال الملاح انا ادور المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي فأجلسته حيث رأيت فاذا رأيت من معه شيئاً له قدر ناديته وأوجبت الاجرة عليه وحملته فاذا بلغت الى القاريء وصاح بي شتمته حتى لايشك الراكب في براءة ساحتي فان حمله الراكب فذاك وان لم يحمله رققت عليه حتى يحمله وجلس هذا يقرأ بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما ذهلت انت فاذا بلغت الموضع الفلاني فان فيه رجل متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لايفطن له فيأخذ الاعمى الشيء الذي مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه في القوصرة فيأخذه هذا ويسبح الى الشط فاذا أراد الراكب النزول وافتقد مامعه عملنا كما رأيت

فلا يتهمنا ونتفرق فاذا كان في الغد اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه واليوم كان يوم القسمة فلما جئت برسالة استاذنا خالك سلدنا اليك الفوطة قال فأخذتها وانصرفت الى بلدي عاجباً حامداً * حدثني عبد الله بن محمد الصروري قال حدثني بعض اخواني انه كان ببغداد رجل يتلصص في حداثته ثم تاب وصار بزازاً قال فانصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعه صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس واعطاه الشمعة في الظلمة وقال اشعلها وجئني بها فان لي في هذه الليلة في دكاني شغلاً فمضى الحارس وأشعل الشمعة وركب اللص المفاتيح على الاقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لايتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب فاخرج مافيه وجعل ينظر في الدفاتر ويوري بيده انه يحسب فدخلت الحيلة على الحارس ولم يشك انه هو صاحب الدكان الى ان قارب السحر فاستدعاه اللص وكلمه من بعيد وقال له اطلب لي حمالاً فجاء بحمال فحمل عليه من متاع الدكان اربع رزم واقفل الدكان وانصرف معه واعطى الحارس درهمين فلما اصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام اليه الحارس يدعوا له فعل الله بك وصنع كما اعطيتني البارحة الدرهمين قال فانكر الرجل ماسمع ولم يرد جواباً وفتح الدكان فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الرزم الاربع فاستدعى الحارس وقال من الذي حمل الرزم البارحة معي فقال قد استدعيت فلاناً الحمال وهو الذي حملها فقال له علي به فمضى الحارس وجاء بالحمال فأغلق الرجل الدكان واخذ الحمال معه ومشى وقال له الى اين حملت الرزم البارحة فاني كنت منتبذاً فقال الى المشرعة الفلانية وأستدعيت لك فلاناً الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال اين عديت اليوم يا أخي الذي كان معه الاربع رزم فقال الى المشرعة الفلانية فقال اطرحني اليها فطرحه فقال من حملها قال فلان الحمال فدعى به فقال امش قدمي واعطاه شيئاً واستدل منه برفق على الموضع الذي حمل اليه الرزم فجاء به الى باب غرفة في موضع بعيد عن الشط قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلاً واستوقف الحمال الى ان فش القفل وفتح الباب ودخل فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الحمال وحملها عليه ووجد بركاناً فاخذه ايضاً ووضعه مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللص وفهم الامر فاتبعه الى الشط فجاء الى المشرعة ودعى الملاح ليعبر فدعي الحمال من يحط عنه فجاء اللص فحط عنه كأنه مجتاز متطوع ثم

ادخل الرزم الى السفينة مع صاحبها الى ان انتهى الي البركان فأخذه ووضعه على كتفه وقال للتاجر يا اخي استودعتك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك منه وقال انزل ولاخوف عليك فنزل معه فاستتابه ووهب له شيئاً ولم يسيء اليه * عن رجل يعرف بأبي العرب قال كنت مع اهل قرية من نواحي الشام اسكنها انا واسلافي وكنت اطحن مع اهل القرية في رحي ماء على فراسخ من البلد يخرج اليها اهل البلد واهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن من الطحن الا القوى فالقوى فمضيت مرة ومعي غلة وحملت معي خبزاً ولحماً مطبوخاً يكفيني لأيام وكان الزمان شتاء فلما وصلت حططت اعدالي وانتظرت حتى يخف الناس فاطحن فيها على عادتي فأخذني الجوع فتحولت الى موضع نزه وفرشت سفرتي لاكل فاجتاز بي رجل عظيم الخلقة فدعوته الى الاكل فلم يتأخر وجلس فاكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا أوقية واحدة فعجبت من ذلك عجباً بان له مني فأمسكت وغسلنا ايدينا فقال على أي شيء مقامك هنا قلت لاطحن هذه الغلة قال ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك علي فثار كالجمل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهي تدور فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدر فعجب الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمي به كالكورة وجعله تحت رجله الاخرى فما قدر ان يتحرك وقال قدموا غلتي الى الطحن والا كسرت الرحي وكسرت عظام هذا فقالوا لي هات الغلة فجئت بها فطحنت وفرغ منها وجعلها في الاعدال وقال لي قم فقلت الى اين قال الى منزلك فقلت لا أسلك الطريق وحدي فهو مخيف ولكن اصبر حتى يفرغ اهل قريتي فارجع معهم فقال قم وانا معك ولست تخاف باذن الله عزوجل فقلت في نفسي من كانت تلك قوته يجب أن آنس به فقمت وحملت الغلة على الحمير وسرنا ولم نر في طريقنا أحداً فلما بلغت المنزل تعجب قومي من سرعتي ووروودي بالغلة لوحدي ورأوا الرجل وسألوني عن القصة فأخبرتهم وسألناه ان يقيم عندنا أياماً في ضيافتنا ففعل فذبحنا له بقرة واصلحنا له سكباجاً وقدم اليه فاكل الجميع بنحو المائة رطل خبزاً فقال له أبي ياهذا مارأيت مثلك قط فأي شيء انت ومن اين معاشك قال انا رجل من الناحية الفلانية وكان لي اخ اشد بدناً وقلباً مني إسمه عاد واسمي شداد وكنا نبدرق القوافل من قريتنا الى مواضع كثيرة لانستعين بأحد وتخرج علينا الرجال الكثيرة فالقاهم انا واخي فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان اذا قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها

احد فمكثنا بذلك سنين كثيرة فخرجنا مرة انا وأخي نسير قافلة قد خفرناها فلما صرنا بالفلاة رأينا سواداً مقبلاً نحونا فانتظرنا ان يقدم علينا احد ثم بان لنا شخص وهو رجل اسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق اخي بالسيف ضربة اقعدته وعاد الي فقبض على كتفي فما اطقت الحركة فكتفني ثم كتف أخي وطرحنا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد ان اخذ من القافلة ما كان فيها من عين وورق وحلى وشيئاً من الزاد وأوقر الراحلة بذلك وسار بنا على غير محجة في طريق لانعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الثاني حتى أتى جبلان لانعرفهما واوغل فيهما وانتهى الى مغارات واناخ الراحلة ثم رمى بنا عنها وتركنا في الكتاف وجاء الى مغارة على بابها صخرة لاينقلها الا الجماعة الكثيرة فنحاها عن الباب واستخرج منها جارية حسناء وسائلها عن خبرها وجلسا يأكلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها قومي فقامت فدخلت الى الغار ثم جاء الى أخي فذبحه وانا اراه وشواه واكله وحده حتى لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلا يشربان فلما توسط شربه جرني فلم اشك في ان يريد ذبحي فاذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات وحل كتافي واطبق البـاب بصخرة عظيمة قال فآيست من الحياة وعلمت انه انما اخرني لغد فلما كان في الليل لم احس الا بالمرأة تكلمني فقلت مالك فقالت ان هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك في الغد كما ذبح صاحبك فان كانت لك قوة فاجتهد في دفع الصخرة واخرج واقتله وانج بنفسك وبي فقلت ومن أنت فقـالت انا امرأة من اهل البلد الفلاني ذات نعمة خرجت اريد ارضاً بالبلد الفلاني فخرج هذا عدو الله على القافلة التي كنت فيها فاستهلكها واخذني غصباً وانا منذ كذا وكذا شهراً على هذه الصورة ويرتكب مني الحرام واشاهد ذبح الناس واكله لهم ولايوصف له انسان بشدة بدنه الاقصده ثم يقهره ويجيء به فيأكله ويعتقد أن شدته تنتقل اليه واذا خرج حبسني في الغار وخلف عندي مأكولاً وماء لايام ولو اتفق انه يحتبس عني ولو يوماً لمت جوعاً وعطشاً فقلت انني والله ما اطيق قلع الصخرة قالت ويلك فجرب لنفسك قال فجئت الى الصخرة واعتمدتها بقوتي فتحركت فنظرت فاذا قد وقعت تحت الصخرة حصاة صغيرة وقد صارت الصخرة متركبة تركيباً صحيحاً وذلك لما أراده الله سبحانه وتعالى من خلاصي فقلت لها ابشري ولم ازل اجتهد حتي زحزحت الصخرة شيئاً امكنني الخروج منه قال فخرجت واخذت سيف الاسود

واعتمدت بكلتا يدي وضربت ساقيه فاذ قد ابنت احدهما وكسرت الاخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الاخرى على حبل عاتقه فسقط فضربته اخرى فابنت رأسه وعمدت الى المغارات واخذت كلما وجدت فيها من عين وورق وجوهر وثوب فاخر خفيف الحمل واخذت زاداً لايام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم ازل اسير في طريق لا اعرفها حتي وقفت على محجة فسلكتها فافضت بي الى بعض القرى فسلمت الراحلة الى المرأة واعطيتها نفقة تكفيها الى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت الى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل ان لا اتعرَّض للطريق ولا للخفارة ابداً فانا اتاجر في ضياع اشتريتها من ذلك المال وغيره واقوم بعمارتها واعيش من غلتها الى الآن * وعن رجل كردي يعرف بابي علي كان قد انحاز الى عمران بن شاهين بن عبد حسنويه بن الحسن الكردي وكان شجاعاً قال خرجنا مرة بالجبال في ايام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل فاعترضنا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعاد وعرفنا ان في القافلة رجل من اهل شاس وفرغانة معه اثنى عشر جملاً وجارية في قبة عليها حلى ثقيل فجعلنا اعيننا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عماريته فقطعنا قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على مامعه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون اصفر يساوي مائتي درهم فلما رآنا نريد القفول قال يافتيان هنأ كم الله بما اخذتم ولكنني رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرَّضوا لسخط الله بمنعي من الحج فاما المال فيذهب ويجيء وتعلمون انه لا نجاة لي الا على هذا البرذون فاتركوه لي فليس يبين ثمنه في الغنيمة التي اخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرَّب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فان كان في اجله تأخير فسيقيض له من يحل كتافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا مامقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجل حاج وجعلوا يرققون بقلوب الباقين حتى سمحنا بذلك فاطلقناه ولم ندع عليه الا ثوباً يستر عورته فقال يافتيان انتم مننتم عليَّ ورددتم دابتي واخشى اذا انا سرت ان يأخذها غيركم فاعطوني قوسي ونشابي اذب بها عن نفسي وفرسي فقلنا لا نرد سلاحاً على احد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا فاعطيناه قوسه ونشابه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن اعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكي وتقول انا حرة ولا يحل لكم ان تاخذوني فنحن في هذا واذا بالرجل قد كرّ راجعاً وقال يافتيان انا لكم ناصح فانكم قد احسنتم اليَّ ولا بد لي من مكافأتكم على احسانكم بنصيحتي لكم فقلنا

ما نصيحتك فقال دعوا مافي ايديكم وانصرفوا سالمين بانفسكم ولكم الفضل فانكم منتم على رجل واحد وانا آمن على سبعين رجلاً منكم واذا به قد انقلبت عيناه في ام راسه وخرج الزبد علي اشداقه كالجمل المائج فهزانا به وضحكنا فأعاد علينا النصيحة فقال ياقوم قد منت عليكم لا تجعلوا لارواحكم سبيلاً فزاد غيظنا عليه فقصدناه وحملنا عليه فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها منا خمسة انفار واخذ خمسة اخر وقال ان جماعتكم تموت على هذا ان لم تخلوا عن مافي ايديكم فلم نزل ندافعه و يقتل منا حتى قتل خمسين رجلاً و بقي معه النشاب في جعبته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطررنا الى ان ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلاً ثم رجع وقال اطالبكم بحلمكم من رمي بسلاحه فهو آمن ومن تمسك به فهو ابصر فرمينا سلاحنا فقال آمنين واخذ جميع السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق انفة لما لحقني منه وانا علي ذلك الحال الى اليوم

الباب الثاني عشر

﴿ من ألجأه الخوف الى هرب واستتار * فادرك بأمن ومستجد نعم ومسار ﴾

* عن محمد بن زكريا العلائي قال غنى الرشيد يوماً بهذا الشعر

الا هل الى شم الخزامى ونظرة ... الى قرقرى قبل الممات سبيل
فيا اثلاث القاع من بطن توضح ... حنيني الى اظلالكن طويل
اريد نهوضاً نحوكم فيصدني ... اذا رمته دين عليّ ثقيل

قال مؤلف الكتاب ووجدت الشعر في غير هذه الرواية

ويا اثلات القاع قد ملّ صحبتي ... صحابي فهل في ظلكن مقيل
احدث نفسي عنك ان لست راجعاً ... اليك فحزني في الفؤاد دخيل

(رجع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر وسال عن قائله فعرف انه ليحيى بن طالب الحنفي اليمامي فقال هو حي ام ميت فقال بعض الحاضرين هو حي كميت فقال ولم قال هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل فصار الى الري فامر الرشيد ان يكتب الى عامله بالري يعرفه ذلك وان يدفع اليه عشرة آلاف درهم ويحمل الى اليمامة على دواب البريد وكتب الى عامله باليمامة بقضاء دينه فلما كان بعد ايام قال الرشيد لمن حضره ان الكتب وردت بامتثال

ما امرت به وعاد يحيى الى وطنه موسرًا وقد قضي دينه عنه من غير سعي منه في ذلك

* ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني عبد الواحد بن محمد يعني الحصني قال حدثني يموت بن المزرع قال كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد وكثر عليه في امره فأمر عليه بأمر غليظ فهرب الى اليمن وكان مقيمًا فيها على خوف وتوق فاحتال يحيى بن خالد الى ان اسمع الرشيد شيئًا من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى هو كلام العتابي وان رأيت يا امير المؤمنين ان يحضر حتى يسمع الامين والمامون ويضع لهما خطبًا لكان في ذلك صلاح لهما فآمنه الرشيد وامر باحضاره ثم لما اتصل خبر ذلك بالعتابي قال يمدح يحيى ابن ابي خالد

مازلتُ في سكرات الموت مطّرحًا قد غاب عني وجه الارض من حيلي
فلم تزل دائبًا تسعى لتنقذني حتى اختلست حياتي من يد الاجل

* ذكر في بعض كتب الدولة ان ابا سلمة الخلال لما قوي الدعاة وشارفوا العراق وقد ملكوا خراسان وما بينها و بين العراق استدعي لبني العباس فسترهم في منزله بالكوفة وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيًا في ذلك الوقت من ولد عبد الله بن العباس وفيهم السفاح والمنصور وعيسى بن موسى وهو يراعي الاخبار وكان الدعاة يامرون بقصده اذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الامام فيسلمون الامر اليه فلما اوقع قحطبة وابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات وغرق قحطبة وانهزم ابن هبيرة ولحق بواسط وتحصن بها ودخل ابنا قحطبة الكوفة بالعسكر كله قالوا لابي سلمة اخرج الينا الامام فدافعهم وقال لم يحضر الوقت الذي يجوز فيه ظهور الامام واخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الامر عنهم الى ولد فاطمة رضي الله عنهم وكاتب جماعة منهم فتأخروا عنه وساء ظن بني العباس فاحتالوا حتى اخرجوا مولى لهم اسود كان معهم في السرداب وقالوا له اعرف لنا الاخبار فصار يعرفهم ان قحطبة غرق وان ابن هبيرة انهزم وان ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا فقالوا اخرج وتعرض لابني قحطبة واعلمهما بمكاننا ومرهما ان يكبسا الدار علينا ويخرجانا فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفًا به فتعرض له فلما رآه اعظم رؤيته وقال ويلك ما فعل سادتنا واين هم فخبره بخبرهم واراه اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وابو سلمة غافل فجاء حتى ولج الدار واراه الاسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال السلام عليكم ورحمة

الله و بركاته فقالوا وعليكم السلام فقال ايكم ابن الحارثية وكانت ام ابي العباس عبدالله ابن محمد بن علي بن عبدالله وكان ابراهيم بن محمد الذي يقال له الامام لما بث الدعاة قال لهم ان حدث بعدي حدث فالامام ابن الحارثية الذي معه العلامة وهي (ونريد أن نمنّ على الذينَ استضعفوا في الارضِ ونجعلهم أئمّةً ونجعلهمُ الوارثين ونمكّنَ لهمْ في الارضِ الى قوله تعالى ما كانوا يحذرون) قال فلما قال ابن قحطبة ايكم ابن الحارثية ابتدره ابو العباس وابو جعفر كلاهما يقول انا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة فأيكما معه العلامة فقال ابو جعفر فعلمت اني قد اخرجت من الامر لانه لم يكن معي علامة فقال ابو العباس ونريد ان نمنّ وتلا الآية فقال له حميد بن قحطبة السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله و بركاته مد يدك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال بايعوا امير المؤمنين فبايعه اخوته و بنو عمه وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب واخرجه الى المنبر بالكوفة واجلسه عليه فحصر ابو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه عمه على المنبر بمرقاةٍ وجاء ابو سلمة وقد استوحش وخاف فقال حميد يا ابا سلمة زعمت ان الامام لم يقدم بعد فقال ابو سلمة انما اردت ان ادفع بخروجهم الى ان يهلك مروان وان كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا وان هلك مروان اظهرت امرهم على ثقة فاظهر ابو العباس قبول هذا العذر منه واقعده الى جانبه ثم دبر عليه بعد مدة حتى قتله وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا قدم ابو العباس السفاح واهله على ابي سلمة سرًّا فستر امرهم وعزم ان يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من ارادوا ثم قالوا خاف ان لا يتفق الامر فعزم ان يعدل بالامر الى ولد الحسن والحسين رضي الله عنهم وهم ثلاثة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وعبدالله ابن الحسن بن الحسين بن علي وعمر بن علي بن الحسن ووجه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد فلقيه ليلاً فاعلمه اني رسول ابي سلمة وان معه كتاباً اليه فقال ما انا وابو سلمة هو شيعة لغيري فقال له الرسول تقرأ الكتاب وتجيب عنه بما رأيت فقال جعفر لخادمه قرب مني السراج فقربه فوضع عليه كتاب ابي سلمه فاحرقه فقال الا تجيب عنه فقال قد رأيت الجواب ثم اتى عبدالله بن الحسين فقبل كتابه وركب الى جعفر فقال جعفر امر جاء بك يا ابا محمد لو اعلمني لجئتك فقال واي امر هو مما يجل عن الوصف فقال وما هو قال هذا كتاب ابي سلمة يدعوني الى الامر ويراني احق الناس به وقد جاء به شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضي الله

ومتى صاروا شيعتك انت وجهت ابا مسلم الى خراسان وامرته بلبس السواد اتعرف احداً منهم باسمه ونسبه قال لا قال كيف يكونوا شيعتك وانت لا تعرف واحداً منهم ولا يعرفونك فقال عبدالله هذا الكلام كان منك لشيء فقال جعفر قد علم الله تعالى اني اوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف ادخره عنك فلا تمنين نفسك الاباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم وما هي لاحد من ولد ابي طالب وقد جاءني مثل ماجاءك فانصرف غير راض بما قال له واما عمر بن علي بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال لا اعرف من كتبه قال وابطأ ابو سلمة على ابي العباس ومن معه فخرج اصحابه يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة ومحمد بن صول احد مواليهم فعرفاه لانه كان يحمل كتب محمد بن علي وابراهيم بن محمد اليه فسألاه عن الخبر فاعلمها ان القوم قد قدموا وانهم في سرداب يعرف ببني اود فصارا الى الموضع فسلما عليهم وقالا ايكما عبدالله فقال المنصور وابو العباس كلانا عبدالله فقال ايكما ابن الحارثية فقال ابو العباس انا فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ودنوا فبايعوه واحضروه الى المسجد الجامع فصعد على المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه بمرقاة * وعن طارق ابن المبارك عن ابيه قال جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وانا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فما اكون في قبيلة الا وشهر امري وقد عزمت ان افدى حرمي بنفسي وانا صائر الى باب الامير سليمان بن علي فصر الي فوافيته فاذا عليه طيلسان مطبق ابيض وسراويل وشي مشدود فقلت سبحان الله ماتصنع الحادثة باهلها ايها الانسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاءهم وعليك مثل هذا قال والله ماذهب علي ذلك ولكن ليس عندي ثوب الا اشهر من ذلك فاعطيته طيلساني واخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبته فدخل ثم خرج مسروراً فقلت حدثني بما جرى بينك وبين الامير قال دخلت اليه ولم يرني قط فقلت ايها الامير لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك فاما قبلتني غانماً واما رددتني سالماً فقال من انت فانتسبت اليه فقال مرحباً اقعد فتكلم غانماً مسروراً ثم اقبل علي وقال ماحاجتك يا ابن اخي فقلت ان الحرم اللواتي انت اقرب الناس اليهن قد خفن بخوفنا ومن خاف خيف عليه فوالله ما اجابني عليه الا بدموع تسيل على خديه فقال يا ابن اخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك والله لو امكنني ذلك في جميع اهلك لفعلت ولكن كن متوارياً كظاهر وآمناً كخائف ولتأتيني رقاعك قال

وكان والله يكتب اليه كما كان يكتب الرجل الى ابن عمه قال فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلاً فان ثيابنا اذا خرجت عنا لم ترجع الينا ووجدت هذا الخبر باسناد ليس هو لي برواية عن العتبي قال حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزه قال قدم جدك عمرو بن معاوية البصري حين نكب بنو امية قال فجعل لا ينزل بحي الاّ اجهزوه واشتهر فقال لي اذهب بنا اضع يدي في يد هذا الرجل يعني سليمان بن يحيي وذكر نحوه وقال في آخره فلما صار عمرو الى منزله دفعت اليه ثوبه وطلبت ثوبي فردها عليّ جميعاً وقال انا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لنرده * عن عبدالله بن قيس الرقيات قال لما خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال فملأ المناطق منه والبسني منها وقال امض حيث شئت فاني مقتول فقلت لا والله لا اروح حتى آتي سبيلك فأقمت معه حتى قتل ومضيت الى الكوفة فاول بيت دخلته اذا فيه امرأة معها بنتان لها كأنهما ظبيتان فرقيت في درجة لها الى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت لي ما احتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فاقمت كذلك عندها اكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا عليّ في كل صباح فتسألني عن حوائجي فما سألتني من انا ولا انا سألتها من هي وانا في اثناء ذلك اسمع الصياح في الجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصياح والجعل وعرضت بمكاني عادت اليّ تسألني ما الصياح والحاجة فاعلمتها اني قد عرضت بموضعي واحببت الشخوص الى اهلي فقالت لي يأتيك ماتحتاج اليه ان شاء الله تعالى قال فلما امسيت وضرب الليل بارواقه رقت اليّ وقالت ان شئت فنزلت وقد اعدت راحلتين عليهما جميع ما احتاج اليه ومعهما عبد واعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك فركبت وركب معي العبد حتى اتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من انت ياهذا فقلت عبدالله بن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا لم يردنا طلبك الا في هذا الوقت فوقفت عندهم حتى اسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعي العبد فجئت الى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم وهو يعشي اصحابه فجلست معهم وجعلت اتعاجم واقول نبّا ربنا واي طيار فلما خرج اصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس قلت عائذاً بك فقال ويحك ما اجدهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك ولكني اكتب الى ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد ابن عبد الملك وعبد الملك ارق شيء عليها فكتب اليها يسألها

التشفع الى عمها عبد الملك فلما وصلها الكتاب دخلت علي عمها فسالها هل من حاجة قالت نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت وان كان ابن قيس الرقيات فقال لا تستثنين عليّ ونفخ بيده فاصاب حروجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة وان كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب اليّ يسألني ان اسئلك قال فهو آمن قالت فمر به يحضر المجلس العشية فحضر بن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الاذن لابن قيس واذن للناس فدخلوا واخذوا مجالسهم ثم اذن له فلما دخل عليه قال عبد الملك يا اهل الشام اتعرفون هذا قالوا لا قال هو ابن قيس الرقيات الذي يقول

كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء

فقالوا ياامير المؤمنين اسقنادم هذا المنافق قال الآن وقدامنته وصار في منزلي وعلى بساطي وقد اخرت الاذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس ان ينشده مديحه فأذن له فانشدته قصيدته التي يقول فيها

عادَ لهُ من كثيرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكبُ
والله ما ان صبت اليّ فلا يعرف بيني وبينها نسبُ
الا الذي اورثت كثيرة في الـ قلب وللحبّ سورة عجبُ

حتى قال فيها

ان الاغر الذي ابوه ابو الـ عاص عليه الوقار والحجبُ
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك يا ابن قيس اتمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب ابن الزبير

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

اما الامان فقد سبق لك ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء ابدًا واخبرني ابو الفرج المعروف بالاصفهاني عن حماد بن اسحاق عن ابيه ان عبدالله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك ابن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله فاستجار بعبدالله بن جعفر وقصده فالتقاه نائمًا وكان ابن قيس صديقًا لسائب خاثر فطلب الاذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر ليستأذن له فقال له سائب خاثر فجئت من قبل رجلي عبدالله

ابن جعفر ونبحت بنباح الجرو الصغير فانتبه ولم يفتح عينيه ورفسني برجله قال فدرت الى عند رأسه فنبحت بنباح الكلب الهرم فانتبه وفتح عينيه فقال مالك ويلك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال ائذن له فأذنت له ودخل فرحب به عبدالله وقرّبه فعرّفه ابن قيس خبره فدعى بظبية فيها دنانير وقال لي عد له مافيها فجعلت اعد له واطرب واحسن صوتي بجهدي حتى عددت له ثلثمائة دينار وسكت فقال عبدالله ويلك لماذا سكت ماهذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت اعد مافي الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها اليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له تسأل امير المؤمنين في امري قال نعم اذا دخلت عليه ثم انه دعى بالطعام فأكل أكلاً فاحشاً وركب ابن جعفر فدخل معه الى عبدالملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الأكل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا قال هذا رجل لايجوز ان يكون كاذباً ان استبقى وان قتل كان أكذب الناس قال كيف قال لانه يقول

ما نقموا من بني امية الا انهم يحملون ان غضبوا

فان قتلته بغضبك عليه أكذبكم فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه عطاء من بيت المال قال احب ان تهب عطاءه لي أيضاً كما وهبت لي دمه قال قدفعلت وأمرت له بذلك * عن حماد الراويه قال كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك جعل هشام يجفوني دون سائر اهله من بني أمية في ايام يزيد فلما مات يزيد وافضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا اخرج الا الى من اثق به من اخواني سرًّا فلما لم اسمع احداً يذكرني آمنت فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل فاذا بشرطيين قد وقفا علي وقالا يا حماد اجب الامير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت احذر ثم قلت للشرطيين هل لكما ان تدعاني آتي بيتي فاودع اهلي وداع من لا يرجع اليهم أبداً ثم اصير معكما فقالا ما الى ذلك سبيل فاستسلمت في ايديهما وصرت الى الامير وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى اليّ كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام امير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ان يروّع ولا يتعتع وادفع اليه خمسمائة ديناراً وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الخمسمائة دينار واذا جمل مرحول فجعلت رحلي في الغرز وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فاذن لي فدخلت

عنده في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت في اواني ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه فرد عليّ واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله واذا جاريتان لم آر مثلهما وفي اذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال لي كيف انت يا حماد وكيف حالك قلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدري فيم بعثت اليك قلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر في بالي لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت   قينة في يمينها ابريق

فقلت هذا يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له قال أنشدنيها فانشدته

بكر العاذلون في وضح الصبـ   ـح يقولون لي الا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الـ   ـله والقلب عندكم موثوق
لست أدري اذا كثر العذل فيها   أعدوّ يلومني أم صديق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت   قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الد   يك صفى سلافها الراووق

قال فطرب ثم قال أحسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي وقال اعد فاعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الأخرى اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي فقلت أن سقيت الثالثة افتضحت ثم قال لي سل حوائجك قات كائنة ما كانت قال نعم قلت احدى الجاريتين قال هما لك بما عليهما وما لهما ثم قال للأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتى اصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسي واذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة وقال لي احدهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذا فانتفع به في سفرك فاخذتها والجاريتين وانصرفت * عن عبد الله بن عمران ابي فروة قال كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي من اشراف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد الله بصفة أعرابي على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس فجلس واكل معهم ثم وثب فقال

منع القرار فجئت نحوك هاربا   جيش يجر ومقنب يتلمع

فقال اي الاخابيث انت فقال

ارحم اصيبية هديت كأنهم حجل تدرّج بالسرية جوّع

فقال اجاع الله بطونهم فانت اجعتهم فقال

مال لهم مما تظن جمعته يوم القليب فحيز عنهم اجمع

فقال كسب سوء خبيث فقال

ولقد وطئت بنو سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعضع

وأرى الذين رجوا تراث محمد افلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال الحمد لله على ذلك فقال

أدنوا لترحمني وتقبل توبتي وأراك تدفعني فاين المدفع

فقال الي النار فقال

ضاقت ثياب الملبسين فأولني عرفاً والبسي فثوبك اوسع

قال فرمى اليه بمطرف خز كان عليه فقال عبد الله امنت والله فقال له عبد الملك كن من شئت الا عبد الله بن الحجاج فقال والله ما انا الا هو وقد امنتني اكلت طعامك ولبست ثيابك فأي خوف عليّ قال ما هداك الا جدك وامضى له الامان * ووجدت في بعض كتبي هذا الخبر ان ابن الزبير لما قتل اهدر عبد الملك دم عبدالله ابن الحجاج هذا فاشتد عليه الطلب فجاء ليلا ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس مستخفياً على الطعام الى ان اكل وتحرم ورآه عبد الملك ثم قام وقال الابيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله اعلم * عن ابي طالوت كاتب ابن طاهر قال سمعت الفضل بن الربيع يقول لما استترت عن المأمون اخفيت نفسي حتى على عيالي وولدي وكنت انتقل وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري فافضيت الى منزل بزّاز كنت اعرفه في درب على باب الطاق وتشدد المأمون في طلبي فلم يعرف لي خبراً فتذكرني يوماً فاغتاظ على اسحق بن ابراهيم وحدّ به في طلبي فاغلظ له فخرج اسحاق من حضرته وجد باصحاب الشرط واوقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين من جاء به فله عشرة آلاف درهم واقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وان كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمساية سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره ويحبس طول عمره ونودي بذلك عشاء فما شعرت بصاحب الدار حتى دخل علي واخبرني به وقال والله ما اقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن على روحي

وغلماني وجاريتي ان تشره نفوسهم الى المال فيدلون عليك واهلك بهلاكك فان صفح
الخليفة عنك لم آمن ان تهمني اني دللت عليك فيكون ذلك اقبح وليس الرأي الث ولا لي
الا ان تخرج فورد علي اعظم وارد فقلت اذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق
الصبر على هذا وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس بك فتنكر واخرج قلت وكيف
اتنكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قميصاً ضيقاً وتخرج فقلت افعل فجاء
بمقراض فأخذ اكثر لحيتي وتنكرت وخرجت في اول اوقات العصر وانا ميت خوفاً
فمشيت في المشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فاذا
بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في داري ايام وزارتي قرب مني وقال طلبة
أمير المؤمنين والله وعدل الي ليقبض علي فمن حلاوة النفس دفعته ودابته فزلق ووقع
في بعض سفن الجسر وتعادى الناس لخلاصه وظنوا انه زلق بنفسه وتشاغلوا به
وزدت انا في المشي ولم أعد لئلا ينكر حالي من يراني الى ان عبرت الجسر ودخلت
دار سليمان فوجدت امرأة على باب دار مفتوح فقلت لها يا امرأة انا خائف من
القتل فأجيريني واحفظيني فقالت ادخل واومأت الى غرفة فصعدت اليها فلما كان
بعد ساعة اذا بزوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملته فاذا هو صاحبي على الجسر
وهو مشدود الرأس من شجة لحقته وسألته المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال
لها قد زمنت دابتي وانفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتني الغناء وجعل يشتمني
وهو لا يعلم بوجودي معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به الى ان هدأ فلما صليت
المغرب واقبل الظلام صعدت المرأة الي وقالت اظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت
قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت الباب فتحاً رقيقاً
وكانت الدرجة في الدهليز فانضيت الى الباب فلما انتهيت الى آخر الدرب وجدت
الحراس قد اغلقوه فتحيرت فرأيت رجلا يفتح باباً بمفتاح رومي فقلت هذا رومي
وهو ممن يقبل مثلي فدنوت وقلت استرني سترك الله قال ادخل فدخلت فرأيت
رجلاً فقيراً وحيداً فأقمت ليلتي فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه حمالان
يحمل احدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والآخر يحمل
خبز وفاكهة ولحم وثلج فدخل وترك ذلك كله عندي واغلق الباب فنزلت وعذلته
وقلت له لم كلفت نفسك هذا فقال انا رجل مزين واخاف ان تستقذرني فاطبخ انت
واطعمني في غضارة اجيء بها من عندي فشكرته على ذلك ومكثت عنده ثلاثة ايام

فلما كان اليوم الرابع ضاق صدري فقلت له الضيافة ثلاثة وقد احسنت واجملت واريد الخروج فقال لا تفعل فاني وحيد وخبرك لا يخرج من عندي ابداً فأقم الى ان يفرج الله عنك فلست اتثاقل بك فابيت للحين قال فخرجت حتى بلغت باب التين الى دار عجوز من موالينا فدفعت الباب عليها فخرجت فلما رأتني بكت وحمدت الله تعالى على رؤيتي وادخلتني الدار فلما كان في السحر وانا نائم غير مكترث وبكرت فسمت الى إبواب اسحاق فما شعرت الا فاسحاق نفسه في خيله ورجله فداحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها حتى اوقفني بين يدي المامون حافياً حاسراً فلما رآني سجد طويلاً ثم رفع رأسه فقال يا فضل اتدري لم سجدت قلت شكراً لله على ظفرك بعدوك وعدو دولتك والمغري بينك وبين اخيك قال ما اردت هذا ولكن سجدت شكراً على ما الهمنيه من العفو عنك فحدثني بخبرك فشرحته له من اوله الى آخره فامر باحضار المرأة مولاتي وكانت في الدار تنتظر الجائزة فقال ماحملك على ما فعلتِ مع انعامه وانعام اهله عليك قالت رغبة في المال قال هل لك ولد او زوج او اخ قالت لا فأمر بضربها مائتي صوت وتخليدها في الحبس ثم قال لاسحاق احضر الساعة الجندي وامرأته والمزين فاحضروا في المجلس فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على فعله فقال الرغبة في المال ووالله انه الذي اثبتني في الجيش ولكني رغبت في المال العاجل فقال انت بأن تكون حجاماً اولى بك من ان تكون من اوليائنا وامر بأن يسلم للمزينين في الدار ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وامر باستخدام زوجته على قهرمه دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وامر بتسليم دار الجندي وقماشه الى المزين وان يجعل رزقه له ويجعله جندياً مكان ذلك الجندي واطلقني الى داري فرجعت اليها آخر النهار آمناً مطمئناً ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا في كتاب الوزراء لابن عبدوس فانه ذكر ان الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الاخبار فغيّر زيه وخرج في السحر وكان استتر بناحية الحربية من الجانب الغربي فمشي وهو لا يدري اين يقصد لحيرته وبعد عهده بالطرق فادّاه المشي الى الجسر وقد اسفر الصبح فايقن بالعطب وقصد منزلاً لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة نصر فلما صار ببعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادي ومشى فرآه رجل فانتبه له وقال يا فضل وكان في احد جانبي الطريق الذي الفضل فيه فامه الى الجانب الذي كان فيه

يقبض عليه فاعترضته حمير وجمال عليها جص ونظر الفضل يميناً وشمالاً فلم يجد مذهباً وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينفذ ووجد في صدره باباً مفتوحاً فهجم على المنزل وفيه امرأة فاستغاث بها فاجارته وبادرت الى الباب فاغلقته وناشدها الله ان تستره الى الليل فامرته بالصعود الى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح الباب دخل الرجل الذي رآه وعزم على القبض عليه واذا المنزل له فقال لزوجته فاتني الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف ذلك قال لها مر بي الفضل فمددت يدي لاقبض عليه فابتلعته الارض فقالت له امرأته الحمد لله عز وجل على ان كفاك أمره وبقي دينك عليك ولم تكن سبباً لسفك دمه او مكروه يلحقه فلما خرج صعدت اليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع فخرج الى بعض منازل معامليه فلما صار اليه نبه العامل عليه واسلمه الى طالبيه فحمل الى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره شرح له قصته فأمر للمرأة بثلاثين الف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل هذا جزاؤك على ما فعلته من الجميل فردتها وابت قبولها وقالت لست آخذ على شيء فعلته لله تعالى جزاء الا منه * حدثنا ابو الحسن محمد بن عمر بن شجاع المتكلم البغدادي الملقب بجنيد قال حدثنا الفضل بن هامان السيرافي وكان مشهوراً بسلوك اقاصي بلاد البحر قال قال لي رجل من بعض بياسرة بلاد الهند والبيسر هو المولود على ملة الاسلام هناك قال كان في احدي بلادهم ملك حسن السيرة وكان لا يأخذ ولا يعطي بمواجهة وانما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاماً منهم للملك وسنة لهم هناك ولاولادهم وانه توفي فوثب رجل من غير اهل المملكة فاحتوى على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه من المتغلب ورسوم ملوك الهند ان الملك اذا قام عن مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر مضروب بالابريسم في الصدرة ويكون فيها من الجوهر ما لو أراد ان يقيم به ملكه لاقامه قال ويقولون ليس بملك من اذا قام عن مجلسه وليست معه حتى اذا حدثت عليه حادثة وهرب بها امكنه اقامة ملك منها فلما حدث على الملك تلك الحادثة أخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكي عن نفسه انه مشي ثلاثة ايام قال ولم اطعم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به ما كولا ولم اقدر على اظهار ما معي وانفت ان استطعم قال فجلست على قارعة الطريق فاذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعي

الحرام الرستاق فقلت وانا ايضاً أريد هذا الحرام قال فنصطحب قلت نعم فصحبته طمعاً في ان يعرض عليّ شيئاً من مأكوله قال فحل الكاره واكل وانا أراه ولم يعرض عليّ شيئاً من مأكوله ولم تقو نفسي على ان تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشي فمشيت معه وبت معه طمعاً في ان تحمله المزاملة على العرض عليّ فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال واصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لي سبعة ايام لم اذق فيها شيئاً فأصبحت في الثامن ضعيفاً مهووساً لا قدرة لي على المشي فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوماً يبنون وقيماً عليهم فقلت للقيم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطينيها عشاءً فقال نعم ناولهم الطين قلت عجل لي اجرة يوم ففعل فابتعت بهـا ما أكلته وقمت اناولهم الطين فكنت لعادة الملك اقلب يدي الى ظهري واعطيهم الطين فلما اتذكر ان ذلك خطأ ينبه على سفك دمي ابادر بتلافي ذلك فارد يدي بسرعة من قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت سيدتها خبري وكانت صاحبة البناء وقالت لابد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدمت الى القيم بحبسي عن المضي مع الصناع فاحتبسني وانصرف الصناع فجاءتني بالدهن والعروق لاغتسل بهما وهذه تقدمة اكرامهم وسنة لعظمائهم فتغسلت بذلك وجاؤوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة عليّ نفسها في التزويج فاجبت وعقدت ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين ادبر حالي وحالها وكانت لها نعمة فانا يوم جالس على باب دارها اذا برجل من بلدي فاستدعيته فجاء فقلت له من اين انت قال من بلد كذا وكذا فذكر بلدي فقلت ما تصنع ها هنا قال كان فينا ملك حسن السيرة فمـات فوثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبثنا في البلدان نطلب ابن ذلك الملك المتوفي فنجلسه مكان ابيه فما عرفنا له خبراً قال فقلت اتعرفني قال لا قلت انا طلبتكم قال وأعطيته العلامات فعلم صحة ما قلته له فكفر لي فقلت اكتم امرنا الى ان ندخل الناحية قال افعل ففعل قال فدخلت الى المرأة واعلمتها بالخبر وحدثتها بأمري كله واعطيتها الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا ومن حالها كذا وكذا وانا ماض مع الرجل فان كان ماذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيئك رسولي ويذكرلك الصورة وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك فانفذ الى زوجته من حملها فجاءت اليه فحين

اجتمع شمله واستقام أمره أمر فبنيت له دار ضيافة عظيمة وأمر ان لا يجوز في عمله مجتاز الا حمل اليها فيضاف فيها ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام أخر فكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي صحبه في سفره ويقدران يقع في يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال وكان يستعرضهم في كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان في ذلك اليوم رأى الرجل فيهم فحين وقعت عينه عليه أعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك برعيته قال فحين فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبل الارض فأمره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فأمر بتغير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال اتعرفني فقال وكيف لا اعرف الملك وهو من عظم شأنه وعلو سلطانه بحيث هو قال لم أرد هذا اتعرفني قبل هذا الحال قال لا فذاكره الملك بالحديث والقصة في منعه اياه الطعام في السفر قال فبهت الرجل فقال ردوه الى الدار فردوه فزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد النوم قال الملك لزوجته امضي فغمزيه حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمزه الى ان نام ثم رجعت الى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حركوه فحركوه فاذا هو ميت قال فقالت له المرأة اي شيء هذا قال فساق لها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهيت في اكرامه والهندلهم اكبادعظام واوهام ظريفة فادخلت عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي فقتلته وقد كنت اتوقع موته قبل هذا بما نوهمه واستشعره من العلة في نفسه لفرط الحسرة * حدثنا ابو عبد الله بن احمد بن شيرزاد قال حدثني خالي وابن عم ابي ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال لما سعى علي عند بجكم حتى صرفني عن كتبته ونكبني والزمني بمائتي الف دينار فأديت اكثرها من غير ان ابيع شيئاً من املاكي الظاهرة فلما قاربت على وفائها استحضرني احمد بن علي الكوفي كاتبه وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو تقدمة واعتذار لشيء يريد ان يخاطبني به فقلت له يا سيدي ماتريد وما بك حاجة الى التسبب فاني بمودتك واثق فقال ان هذا الرجل يعني بجكم قد رجع عليك في صلحك وطمع فيك وطالبني ان آخذ منك مائتي الف دينار أخرى ووالله ما هذا عن رأيي ولا لي فيه مدخل ولو قدرت على ازالته عنك لفعلت قال فأخذت أحلف اني لا أهتدي اليها ولا الى عشرها وان النكبة قد استنفدت مالي ولم يبق لي شيء الا داري وضياعي واني اسميهما ولا اكتم شيئاً منهما واخرج له عنهما ليهب لي روحي قال فطال الخطاب بيننا فلما قام في نفسه

صدقي فكر طويلاً ثم قال يا سيدي هذا رجل اعجمي وعنده ان وراءك اصعاف هذا المال وان فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه وانت والله معه في طريق القتل الا ان يكفيك الله عز وجل ووالله ما احب ان يجري مثل هذا على يدي ولا في ايامي فيلزمني عاره الى الابد واجسّره على قتل كتّابه فدبر خلاصك فتحيرت ثم سكنت وقلت له تعطيني ميثاقك وتحلف لي ان سرك في صحبة خلاصي كعلانيتك حتى اقول ماعندي ففعل فحلفت له اني قد صدقته واني لا امتنع مما يجرّعني به بعد هذا اليمين ولو شاء مني ان افتح دواتي واكتب بين يديه وقلت له انت وقتك مقبل ووقتي مدبر وانت فارغ القلب وانا ذاهل بالمحنة فدبر امري الآن كيف شئت فانه ينفتح لك بهاتين الخلتين ماقد استبهم عليّ قال ففكر ثم قال انا ان آيستُ هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك وان اطمعته في مالك وليس لك ما تعلله به ادت بك المطالبة الى التلف ولكن الصواب عندي ان اطمعه في ضيعتك فاشتريها له منك واقول ان ضياع السّواد الخراجية قد اجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديمًا وحديثًا على ان كل ما كان منها غلته درهم فقيمته اربعة دراهم وابو جعفر يقول ان غلات الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون الف دينار وانه يضمنها بذلك حاصلاً خالصًا بعد الخراج والمؤن ويقيم بذلك كفلاء فاشترها منه بمائتي الف دينار كلاً ويحصل لعقبك ملك جليل مع هذا وهو يؤدّي باقي المصادرة الاولى وتصير ضامنًا لضيعته فادفع ذلك اليك ايضًا ومن ساعة الى ساعة فرج وانا احتال بحيلة في ان يكون الكتاب عندي فلا اسلمه اليه فلعل حادثة تحدث وترجع اليك ضيعتك وتكون بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في اربع سنين قال فعلمت انه قد نصحني وآثر خلاصي واجبت فدخل الى يحكم ولم يزل معه في محادثات الى ان تقرّر الامر على ما قاولني عليه واحضر الشهود وكتب عليّ الكتاب بالابتياع والكتاب بالاجارة وقال لي الوجه ان تقيم كفلاء بقية المصادرة الاولى فقد استأذنته في صرفك الى منزلك واذا انصرفت فانفسم ولا يراك احد وكن متحذرًا ولا تظهر انك مستتر فتغرية بك قال فشكرته واقمت الكفلاء بالمال الى ايام معلومة فصرفني فعدت الى داري وكنت متحذرًا اجلس في كل يوم فيدخل اليّ بعض الناس بمقدار ما يعلم اني في داري فاذا كان نصف النهار خرجت الى منازل اخواني واقمت يومًا عند هذا ويومًا عند الآخر وراعيت اخبار داري اتوقع ان يجيئها من يكبسها فيطلبني فاكون بحيث لا يعرف خبري فانجوا فطال ذلك والسلامة مستمرة

وانحدر بحكم الى واسط فآنست بالجلوس والاستقرار في داري فلما كان في بعض الايام ضاق صدري ضيقاً لا اعرف سببه واستوحشت وفكرت في امري وقلت ان كبست على غفلة فماذا اصنع قال وكان لداري اربعة عشر باباً الى اربعة عشر سكة وشارعاً وزقاقاً نافذاً ومنها عدة ابواب لا يعرف جيرانها انها تفضي الى داري واكثرها عليه الابواب الجديدة قال فتراءى لي ان ارسلت لغلماني المقاتلة وكانوا متفرقين عني قد صرفتهم لئلاً يصير لي حديث بحاؤني واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة غلام فقلت لهم اذا كان الليلة فاحضروا جميعاً بسلاحكم وبيتوا عندي ليلاً وأقيموا نهاراً الى أن أدبر أمري قال ففعلوا ذلك وفرقتهم في الحجر المتقاربة للمجلس الذي كنت أجلس فيه وقلت ان كبست فشاغلوا عني من يطلبني لأنجو قال وكنت ادبر كيف أعمل في قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لي الرأي ولا اجد الى ذلك طريقاً وكنت أوصيت بوابي أن يغلق بابي المعلوم للناس ولا يفتحه لاحد من خلق الله الا بامري واجلست غلاماً كان يحجبني في ايام الدولة ومعه عشرون غلاماً بسلاح خلف الباب وكان لا يفتح لاحد فما مضى لهذا الا يومان او ثلاثة حتى جاءني حاجبي وقال قد دق الباب فقلنا من الطارق قال انا غلام لمحمد بن ثبال البرجمان وهو وابو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا في الدخول فقلت في نفسي بليت والله وأمرت الغلمان فاجتمعوا باسرهم متسلحين في بيت له قبة كبيرة كنت جالساً في أحد أروقته وأمرتهم ان لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى واخبرني به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوءً بالخيل والرجل وقد احاطوا من جنبات كثيرة ولما رأوني اراقبهم نحيت فصاح بي البرجمان قائلاً كلمني وما عليك باس فاخرجت رأسي فقال ويحك ما ما جئنا لمكروه وما جئنا الا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو في الدار ولكن أراسله ثم أخبر الامير أيده الله في غد برسول الى داره فقال انا ههنا واقف ساعة الى ان يرى رايه ففكرت وقلت هذه حيلة القبض عليّ لاشك ويجوز ان يكون بحكم قد تغير على الكوفي ولا يجد لخدمته غيري واعترضني الطمع وكاد يفسد رابي ثم قلت للغلمان ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على ابي بكر النقيب والبرجمان ايديكم فاخرجوا وخذوا راسيهما ولا تستأذنوا البتة فاجابوا فقلت احذروا ان تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له اني على حال من اختلال الفرش والكسوة لا احب معها دخول احد اليّ فان رضيت ان تدخل انت وابو بكر النقيب فقط والا فأنا اصلح أمري واجيء

الى دارك الليلة قال فعاد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يافلان اخرج واحذر ان يفتح الباب كله فتدخل الجماعة وارى ان تقول له ان يتباعد عن الباب الى الشارع قليلاً فان ازدحم الناس وتكاثروا فهي حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم انا انها حيلة فاخرج من بعض الابواب امامهم فيفضون الى هذا الباب وهو مقفل ووراءه الغلمان وان حضرا وحيدين فقل لهما الشرط ان اقفل الباب بينكما و بين اصحابكما ثم افتح الباب الذي يلي الشارع حتى يدخلا ثم اقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني الينا الى الصحن ودق هذا الباب فاني واقف وراءه لاتقدم بفتحه و يدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل ابو بكر النقيب والبرجمان في الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجي وانا عند الباب الداخلي ودق الحاجب الباب الثاني ورمى بالمفتاح عدت الى مجلسي فجلست فيه ونحيت من كنت اقمته وراء الباب الثاني بالسلاح واعدت على الجماعة الوصية بقتلهما ان صحت ياغلمان اخرجوا ثم تقدمت الى غلام كان واقفاً بلا سلاح ان يفتح الباب و يدخلهما ففعل ذلك والقيت نفسي على الفرش كأني عليل ودخلا فلم أوفهما الحق واخفيت كلامي كما يفعل العليل فقالا ما خبرك فقلت انا منذ ايام عليل وارتعت لحضوركما فاخذ البرجمان يحلف انه ماحضر الا ليردني الى منزلتي واستكتابي للامير بحكم فشكرته على ذلك وقلت اني تائب من التصرف ولا اصلح له فقال قد امرني الامير بمخاطبتك في الخروج اليه الى واسط لتقرير هذا الامر فلايجوز ان اكتب اليه بمثل هذا عنك ولكن ان كنت زاهداً في الحقيقة فاخرج اليه واحدث لخدمته عهداً واستعفه فانه لايجبرك فقلت هل كاتبني بشيء توصله اليّ فقال قد اقتصر علي ما كتب به الي لما يعلمه من مودتي لك ولكي لايفشوا الخبر بذلك فقلت تقفني على كتابه اليك قال لم احمله معي فعلمت انه كوتب بالقبض علي فقلت انا عليل كما ترى ولا فضل في للسفر ولكن تجيب الامير عني بالسمع والطاعة واني سأخرج لحضرته بعد اسبوع اذا شممت نفسي قليلاً قال انه يقبح هذا الوجه وارى ان تخرج قلت لا اقدر فراجعني و راجعته الى ان قال لابد من خروجك فقلت اني لا اخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت ان اصيح بالغلمان وكان ابو بكر النقيب خبيثاً فقام وقال اسئل سيدنا بالله العظيم ان لايتكلم بحرف و يدعني وهذا الامر ثم اخذ بيد البرجمان وقاما الى ناحية من المجلس بعيدة لا اسمع مايجري بينهما فاطالا السر ثم جاءني فأخذ ابو بكر يعتذر الي مما جرى و يخاطبني باللين و يقول فبعدكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده ونتصرف فقلت بعد عشرة ايام

فقال قد رضينا واخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبزق علي في الكلام وابو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغنا الى قريب من الدهليز رجع ابو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده انه يقدر ان يستوفى عليك الحجة فبالله الاعرفته ما كان في نفسك ان تحمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لئلا اقع انا في مكروه معه ومع الامير اطال الله بقاه فقلت في نفسي انا اريد الهرب الساعة فما معنى مساترتي عنهما ما اريد ان افعله ولم لا اظهره ليكون اهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذي كان واقفاً امض الى اصحابنا ومرهم ان يخرجوا ولا يعلموا ما كنت تقدمت به اليهم فمضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولاتحدثوا حادثة فخرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء اعددتهم لدفعكما عن نفسي ان رمتما قسرى قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتحير وقال له ابو بكر انت تظن انك بالجبل ولست تعلم بين يدي من انت علمت الآن ان الرأي كان في يدي لا في يدك والله لوزدت في المعني لخرج هؤلاء فاخذوا رأسك ورامي قلت معاذ الله ولكن كانوا يمنعونكما من اذاي ثم قلت للغلمان كونوا معهما الى ان يخرجا وتغلقوا الابواب خلفهما ففعلوا وقمت في الحال فلبست خفاً وازاراً على صورة النساء واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الابواب الخفية متحيراً لا ادري اين اقصد فقصدت عدة مواضع كلما اتيت موضعاً علمت انه لا يحملني فاتجاوزه الى غيره الى ان كدني المشي وقربت من الرصافة فعن لي ان اقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معي الا واحدة وقصدت دار الخالة ودخلت دهليزها فقام الى الخادم وقال من اقول فقالت العجوز تقول امرأة لا تحب ان تسمي نفسها فدخل فاذا الخالة قد خرجت الى الدهليز فقالت لها العجوز يا ستي تامرين الخادم بالانصراف فلما انصرف كشفت وجهي وقلت ياستي الله الله في دمي اشتريني فقالت يا ابا جعفر ما الخبر قلت ادخليني احدثك قالت كن بمكانك فاني قد خمنت انه ما جاءني الا مستتر فلهذا خرجت بنفسي ثم دخلت فابطات حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرفني وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فاذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك بالانتظار وما كان ذلك الا احتياطاً لك فادخل فدخلت فاذا دارها الاولى فارغة على عظمها وليس فيها احد فسلكت بي وبالعجوز الى موضع من الدار فدخلنا حجرة واقفلتها بيدها ومشيت بين ايدينا حتى انتهينا الى سرداب فادخلتنا فيه ومشينا طويلاً وهي بين ايدينا حتى صعدت منه الى درجة افضت بي منها الى دار في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش كل

شيء حسن وقالت انما احتسبت عليك حتى اصلحت لك هذه الدار واخليت الاولى لئلا يراك الذين كانوا فيها فيعرفون خبرك فاجلس ههنا ما شئت فوالله انك لتسرني بذلك واحفظ نفسك من ان ينتشر خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك فيفشيه ولا اعرفه احد من اسبابي واحتفظ لنفسك ممن يخرج من عندك او يدخل عليك فيهلك نفسك وتهلكني معك فانك تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثلي فقلت لها ما معي غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو الصواب وأقمت عندها مدة وكانت تجيئني كل يوم فتعرفني أخبار الدنيا وتحادثني ساعة وتتصرف وتحمل الي كل شيء فاخر من المأكول والمشروب والبخور وأخدم بما لا أخدم بمثله في أيام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا ابا جعفر انت وحدك وليس يصلح ان يخدمك كل احد وقد حملت اليك هذه الجارية وأومأت الى وصيفة في غاية الحسن والملاحة فاستخدمها فانها تقوم مقام فرّاشة وقد أهديتها لك فان احتجت الى ما تحتاج اليه الرجال صلحت لذلك ايضاً فقبلتها وشكرتها وناتشت الجارية فاذا هي تغني احسن غناء واطيبه فكان عيشي معها اطيب عيش ومضى على استتاري نحو شهرين لا يخرج من عندي احد ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت نفسي الى معرفة الاخبار وانفاذ هذه العجوز الي من تتعرف ذلك منه قالت افعل واحتفظ جهدك فكتبت مع العجوز كتاباً الى وكيل كان لي اثق به آمره ان يتعرف لي الاخبار ويكتب بها الي مع العجوز ورسمت له ان ينفذ طيوراً مع غلام اسميته له وكنت به واثقاً ويأمره بالقيام بواسط والمكاتبة على الطيور في كل يوم بالاخبار ورسمت للعجوز ان لا تعرف الوكيل موضعي لئلا يفشوا شيئاً من الامر ويقع الوكيل فيطالب بي فيدل عليّ فعاد اليّ الجواب بما عنده من الاخبار وانه لا ينقضي يوم الا وينفذ الغلام والطيور وامهلته عشرة ايام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتاباً ورد على الطيور فقرأته ومضت على ذلك مدة وانا على الغاية من النشاط والسرور فقلت للعجوز يوماً امض الى فلان فاعرفي خبره وهل ورد كتاب من واسط فمضت وللاتفاق سقط طائر عند دخولها بكتاب ففضه وسلمه اليها دون ان يقف عليه فجاءتني به فاذا هو بتاريخ يومه واكثره رطب يذكر فيه غلامي وورود الاخبار الى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت رجلاي الأرض فرحاً وسروراً وكتبت في الحال رقعة الى كاتبه الكوفي اشكره فيها على جميله واعرفه اني ما طويت خبري عنه الى الآن الا

اشفاقاً عليه من ان يسأل عنى فيكون متى حلف انه لا يعرف خبرى صادقاً وان من حق ما عاملني به ان اعرفه ما يجب ان يتحرز عنه وذكرت ما ورد من قتل سيده واشير عليه بالاستتار مع الاستظهار وانفذت الرقعة في طي رقعة كتبتها لوكيلي وأمرته ان يمضي بها اليه في الحال ولا يسلمها الا بيده وقلت للعجوز اذا مضى الوكيل فارجعي انت ولا تقعدي في داره ففعلت وعادت فعرفتني ان الوكيل قد توجه الى الكوفي فلما كان بين العشائين رددت العجوز الى الوكيل وقلت لها اطرقي بابه فان كان في بيته على حال سلامة فادخلي وان بان لك انه منتقل او داره موكل بها فانصرفي ولا تدخلي فعادت الي برقعة الوكيل وفيها انه حين اوصل الرقعة الى الكوفي بان له في وجهه الاضطراب وانه ما صلى العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ في البلد بان الكوفي قد استتر وان بجكم حدث به حادثة لا ندري ما هي وقد عدت بعد العصر الى دار الكوفي فوجدتها مغلقة ليس فيها أحد وانه قد انفذ جوابه اليك فقرأته فاذا هو يشكرني ويقول قد علمت ان مثلك ياسيدي لم يكن ليفتعل هذا الخبر ولا يضيع مروءته وقد تشاغل الذين مع الامير بالهرب عن ان يكتبوا لي بالحادثة وكتب به من رتبته انت كما ذكرت في رقعتك فان كان الخبر صحيحاً وهو عندي صحيح فالرأي معي في الاختفا وان كان باطلاً فما يضرني ذلك عند صاحبي ان كان حياً لانه يتصورني جباناً لاغير فيكون اسلم في العاجل وقد انفذت اليك يا سيدي طي رقعتي هذه الكتابين اللذين كتبتهما عليك في ضيعتك بالابتياع والاجارة ابتغاء اتمام مودتك ولتعلم صدقي فيما كنت توسطته ونصحي فيما عاملتك به فان كان مات الرجل قد رجعت اليك ضيعتك وان كان باطلاً فانه لا يسألني عنهما وان ذكرهما يوماً وسألني اجحد اني تسلمتهما وقضيت حقك بذلك واعدت نعمتك عليك فاخذت الكتابين ومزقتهما في الحال ولبست من عند الخالة خفاً وازاراً بعد ان عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت الى داري فدخلتها من بعض ابوابها الخافية فلما كان الغد قوي الخبر بقتل بجكم ففتحت بابي وفرج الله عني المحنة فلما كان العشاء اتاني رسول الخالة ومعه الجارية وقال يا سيدي سيدتي تقريك السلام وتقول لك لم تدع جاريتك عندنا واذا بها قد ارسلتها وحملت معها كلما كانت أخدمتنيه من فرش وآلة واضافت عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت انه جهاز الجارية وأحب ان تقبله فأخذت الجميع ورددت الرسول شاكراً ومنّ الله عليّ بالعود الى احسن حال * قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء عن سليمان البرقي قال انصرفت عن

بعض العمال فألفيت عمر بن الفرج الرجحي يتقلد الديوان وكان في نفسه شيء علي فاخفيت شخصي وتسترت عن اصحابي فطلبني واركن العيون علي ثم يصل الي وأمر ان يعمل لي مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة الف درهم وكان بيني وبين الحجاج بن سلمة مودة فاتاني عشية من عشايا استتاري رقعته يأمرني بالمصير اليه فقدمت عليه فلما رآني قال صر الى عمر بن الرجحي فسلم عليه وعرفه اني قد بعثت بك اليه قال فقلت يا سيدي انظر فيما تقوله فانه يهدر دمي كيف امضي اليه هكذا قال اعلم انه قال لي اليوم ان فلسطين قد انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد اكلها العمال وانه في طلب من يكفيه امرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كفاءته فقلت لو اردت الكفاءة وجدتهم هذا سليمان بن سهل وهو من الاكفاء ولا يشك فيه فلم عطلته واخفته فقال وكيف لي به فقلت تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فانه يكفيك امرها ويوفر عليك ما لها ويحمله اليك وانا ابعث به اليك فقال ابعث به فهو آمن فصر اليه فانه لا يتعرض لك الا بما تحب قال فبكرت اليه فاذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على اكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم فهالني ما رأيت فلما وصلت اليه سلمت عليه وقلت اني كنت خادم ابي الفضل اعني اباه فرجا الرجحي واحد صنائعه فقال لولا ما اتيت به من هذه الحرمة لكنت احد هؤلاء الذين تراهم ثم رفع مصلاه واخرج الكتب بولاية فلسطين وامرني بكتمان امري واعداد السير فاخذت الكتب واشخصت الى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسي *

عن الحكم بن عتبة ان حارثة بن بدر الغداني كان يسعى في الارض فساداً فهدر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه دمه فهرب واستجار باشراف الناس فلم يجره احد فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله ان يجيرك فطلب سعيداً فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فاخذ بلجام دابته وقال اجرني اجارك الله فقال له مالك قال هدر أمير المؤمنين دمي قال وفيم قال سعيت في الارض فساداً قال ومن انت قال انا حارثة بن بدر الغداني قال اقم وانصرف الى علي رضي الله عنه فوجده قائماً على المنبر يخطب فقال يا امير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً قال ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض قال يا أمير المؤمنين الا من تاب قال الا من تاب قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد اجرته قال انت رجل من المسلمين وقد اجرناه ثم قال رضي الله عنه وهو على المنبر ايها

الناس اني كنت اهدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له فانصرف اليه سعيد فأسلمه وكساه وحمله واجازه فقال فيه شعراً

الله يجزي سعيد الخـير نافلة ... اعني سعيد بن قيس قوم همداني
انقذني من شفا غـبرا مظلمة ... لولا شفاعته البست اكفـاني
قالت تميم بن مرّ لا تخـاطبه ... وقد ابت ذلكم قيس بن عيلاني
اساغ في الحلق ريقاً كنت احرضه ... واظهر الله ستري بعد كتماني
انى تداركني عمن شهانه ... اباؤه حين ينمى خير قحطاني

*عن عطاء بن العاصم بن الحدثان قال كان أبو النمير الثقفي شبب بزينب بنت يوسف بن الحكم وكان الحجاج اخوها يتهدده ويقول لولا ان يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعراً

اتتنى في الحجاج والبحر بيننـا ... عقـارب تسري والعيون هواجع
فضقت بهـا ذرعاً واجهشت خيفة ... ولم آمن الحجـاج والامر ناصع
وحل بي الخطب الذي جاءني به ... سميع فلبست تستقر الاضـالع
فبت دبير الامر والرأي ليلتي ... وقد اخلقت خدي الدموع الهوامع
وما أمنت نفسي الذي خفت شره ... ولا طاب لي ممـا خشيت المضاجع
فني الارض ذات العرض عنك بن يوسف ... اذا شئت منأى لا اباك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا ... فان الذي لا يحفظ الله ضـائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على النميري الهروب واشتاق الى وطنه فجاء حتى وقف على رأس الحجاج فقال إيه يانميري أنت القائل (فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا) فقال بل انا الذي اقول

أخاف من الحجاج مالست خائفا ... من الاسد العرم باض لم ينهه ذعر
أخاف يديه ان تنـال مفاصلي ... بأبيض غضب ليس من دونه ستر

وانا الذي اقول

فها انا ذا طوفت شرقاً ومغرباً ... وانت وقد دوخت كل مكاني
فلو كانت العنقاء منك تطيرني ... لخلتك الا ان يصد تراني

* عن مروان ابي حفصة قال كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلباً شديداً وجعل لمن يأت به مالا فحدثني معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب الى ان نام

في الشمس حتى لوّحت وجهه وخفف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال الثقالة وخرج عليه ليمضي الى البادية وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو ابن هبيرة بلاءً حسناً نخاف فاغتاظ المنصور وجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد اسود متقلداً سيفاً حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض عليّ فقلت ما لك قال طلبة أمير المؤمنين قلت ومن انا حتى يطلبني أمير المؤمنين قال انت معن بن زائدة فقلت يا هذا اتق الله واين انا من معن قال دع هذا عنك فانا والله أعرف بك منك فقلت فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي فقال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت قل فقال ان الناس يصفونك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه حتى بلغ الى عشره فاستحييت وقلت اظن أني فعلت هذا فقال ما أراك فعلته وانا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم ان في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجري وخلى خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته اليك فاني عنه غني فضحك وقال أردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمناً أبداً ومضى فو الله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض ابتلعته قال وكان سبب رضا المنصور عن معن انه لم يزل مستتراً حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً وذب القوم عنه ثم جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له تنح فاني احق بلجامها في هذا الوقت فقال المنصور صدق فادفعه اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك قال أنا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة قال قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوماً فقال اني اهلتك لامر كيف تكون فيه قال كما يحب أمير المؤمنين فولاه البصرة وتوجه اليها فبسط فيهم العطاء حتى اسرف قال مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد

بلغني عنك شيءٌ لولا مكانك عندي ورأيي فيك لغضبت عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال اعطاك لمروان بن أبي حفصة في قوله فيك

معن بن زائدة الذي زادت به　　شرفًا على شرف بنو شيبان

ان عدّ ايام الفعال فانما　　يوماه يوم ندى ويوم طعان

قال والله يا امير المؤمنين ما اعطيته مابلغك لهذا الشعر ولكن اعطيته ما اعطيته لقوله

مازلت يوم الهاشمية معلنًا　　بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه　　من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور وقال انما اعطيته لمثل هذا القول قال نعم يا امير المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لامكنته من مفاتيح بيوت الاموال وابحته اياها فقال المنصور لله درك من اعرابي ما اهون عليه ما يعزّ على الناس واهل الحزم * عن قطن بن معاوية الكلابي قال كنت ممن سارع الى ابراهيم بن عبدالله واجتهد معه فلما قتل طلبني ابو جعفر فاستخفيت منه فطلب اموالي وذريتي ولحقت بالبادية وجاورت في بني نصر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم في بني فزارة ثم في بني سليم ثم تنقلت في بوادي قيس اجاور فيهم حتى ضقت ذرعًا بالاستخفا فازمعت القدوم على ابي جعفر والاعتراف له وقدمت البصرة ونزلت بها ثم ارسلت الى عمرو بن ابي العلاء وكان لي وُدًّا فشاورته في الامر الذي ازمعته فلم يقبل رأيي وقال والله ليقتلنك فلم التفت اليه وشخصت الى بغداد فنزلت خانًا وليس بالمدينة احد يركب خلا المهدي ثم قلت للغلمان انا ذاهب الى امير المؤمنين فامهلوا ثلاثًا فان جئتكم فيها والا فانصرفوا ودخلت المدينة وجئت الى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم البث ان خرج وهو يمشي وقام الناس اليه وقمت معهم فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال من انت قلت قطن بن معاوية قال انظر ماتقول قلت انا هو قال فاقبل على من معه وقال احتفظوا بهذا فلما حرست لحقني الندم وذكرت رأي ابي عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم يطل حتى خرج خصي فاخذ بيدي وادخلني قصر الذهب ثم اتى بيتًا حصينًا فادخلنيه واغلق عليّ وانطلق فاشتدت ندامتي وايقنت بالبلاء وخلوت بنفسي الومها فلما كان الظهر اتاني الخصي بماء فتوضأت وصليت واتاني بطعام فاخبرته اني صائم فلما كان المغرب اتاني بماء فتوضأت وصليت وارخى عليّ الليل سدوله فانسيت الحياة وسمعت ابواب المدينة تغلق فامتنع عني النوم فلما ذهب صدر من الليل اتاني الخصي ففتح عني ومضى بي فادخلني صحن دار ثم اتاني من وراء ستور مسدولة

واخذني وادخلني محلاً فاذا ابو جعفر وحده والربيع قائم على حاله ناحية فاكب ابو جعفر هنيهة مطرقاً ثم رفع راسه فقال هيه فقلت يا امير المؤمنين انا قطن بن معاوية فقال والله جهدت عليك جهدي حتى منّ الله عليّ بك فقلت يا امير المؤمنين لقد عصيت امرك وواليت عدوك وخرجت على ان اسلبك ملكك فان عفوت فانت اهل لذلك وان عاقبت فباصغر ذنوبي تقتلني قال فسكت هنيهة ثم قال هيه فاعدت مقالتي فسكت ثم قال ان امير المؤمنين قد عفا عنك فقلت يا امير المؤمنين اني امرٌ من ورائك فلا اصل بعدها اليك وضياعي ودوري مقبوضة فان رأى امير المؤمنين ان يردها عليّ قال فدعى بخادم معه الدواة ثم امره وهو يكتب باملائه الى عبد الملك بن ثور النميري وهو يومئذٍ على البصرة ان امير المؤمنين قد رضي عن قطن بن معاوية فاردد عليه ضياعه ودوره وجميع ماقبض له فاعلم ذلك وانفذه ان شاء الله تعالى ثم ختم الكتاب ودفعه اليّ فخرجت من ساعتي لا ادري اين اذهب فاذا الحرس بالباب فجلست مع احدهم احدثه فلم البث ان خرج الربيع وقال اين الرجل الذي خرج الساعة فقمت اليه فقال انطلق ايها الرجل فقد والله سلمت ثم صحبني الى منزله فعشاني وفرش لي فلما اصبحنا ودعته واتيت غلماني وارسلتهم يكترون لي سميرة فوجدوا صديقاً لي من الدهاقين من اهل نيسان وقد اكترى سميرة لنفسه فحملني معه فقدمت على عبد الاعلى بن ايوب بكتاب ابي جعفر فاقعدني عنده حتى رد ما اصطفى لي * حدثني عبدالله بن احمد بن معروف بن ابي القاسم قال كنت بمصر وكان بها رجل يعرف بالناظري من ابناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره فهرب منه الى كافور الاخشيدي فاجرى عليه جراية سابغة في كل شهر كما كان يجري على جميع من يقصده من الجرايات التي تسمى الراتب وكان له مالاً عظيماً قدره في السنة خمسون الف دينار لارباب النعم واجناس الناس وليس فيها لاحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال شيءٌ قال فجرى يوماً ذكر الناظري بحضرة كافور فقيل له انه فاسق بغاء وكثرت عليه الحكايات في ذلك فامر بقطع جرايته فرفع اليه قصته يشكوا فيها انقطاع راتبه و يسأل التوقيع باعادة صرفه فامر كافور فوقع على ظهرها قد صح عندنا انك رجل تصرف ماتجريه عليك فيما يكرهه الله من الفساد وما نرى ان نعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال فلما قرأها الناظري عمل محضراً فيه خطوط كثير ممن يعرف انه مستور ولم يعهد فيه البغاء واحتج بالمحضر وجعله طي رقعة قال فيها ان الذي

كان يدفع اليه لم يكن لاجل حفظه فرجه وهتكته وانما كان لانه منقطع غريب هارب مفارق لنعمته وان الله عز وجل اقدر على قطع ارزاق من يرتكب المعاصي وما فعل ذلك بارزاقهم بل امهلهم وامرهم بالتوبة فان كان ما نسب اليه صحيحاً فهو تائب الى الله عز وجل ويسأل رده الى رسمه ورفع القصة الى كافور قال صاحب الحديث ولم ادر الى اي شيء انتهى امره الا انه صار مفضوحاً بين الناس وتحدثوا بحديثه واتفق خروجي من مصر عقيب ذلك الى حضرة سيف الدولة فلقيته بحلب وحدثته باحاديث المصريين وكان يتشوق الى سماعها صغرت او كبرت ثم سقت له حديث الناظري فضحك منه ضحكاً شديداً وقال هل هذا المشؤم بلغ الى مصر فقال لي محمد بن اسمر النديم اعلم ان هذا الرجل كان صديقي جداً وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فاحب ان تخاطب الامير في امره عقيب ماجرى آنفاً لاعاونك فلعل الله عز وجل ان يفرج عنه فقلت افعل ولما اخذ سيف الدولة يسألني عن الامر فاعدت شرحه عليه وعاد فضحك فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير سررت بهذا الحديث ويجب ان يكون له ثمرة اما لي واما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيحته بمصر قال اما لك فنعم واما له فلا يستحق فانه فعل وصنع واخذ يطلق القول فيه فقلت اما لي فلست اريده لان فوائدي من مولانا متصلة ولست احتاج مع انعامه عليّ وترادف احسانه الى السبب الى الفوائد ولكن ارى ان تجعلها لهذا المفتضح المشؤم فقال تنفذ اليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم قال فشكرته الجماعة وخاطبته في ان يأذن له في العود الى حضرته ويؤمنه ويكتب له اماناً مؤكداً قال فغمزني الاسمر في الاستزادة فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ان الثلاثة آلاف درهم لو انفذت الى مصر ما كفته فيمن يحمله معه على نفقته لان اكثر اهل مصر بغاؤن وضايقوه في النائكة وغلبوه باليسار لانه لا يصل هو الى شيء الا بالغرم الثقيل وبلغني وانا بمصر ان رجلاً من البغائين اشتد به حاله فطلب من يأتيه فلم يقدر فخرج الى الموضع الفلاني قرية قريبة من مصر فاقام بها فكان اذا اجتاز بها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال فحمله على نفسه وكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ويتمكن من ارضاه بما لا يتمكن منه بمصر فعاش بذلك برهة حتى جاءه يوماً بغاء آخر وسكن معه فكان اذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال سأل عنه ففسد على الاول امره فجاء الثاني وقال له ياهذا افسدت عليّ امري وابطلت عملي وانا هربت من مصر لاجل المنافسة فليس لك ان تقيم معي ههنا فقال له الثاني

سواء العاكف فيه والباد ولا ابرح ههنا فقال الاول بيني وبينك شيخنا بن العجمي الكاتب رئيس البغائين بمصر وجذبه معه الى مصر واحتكما اليه فحكم بن العجم للاول ومنع الثاني من المقام في الناحية فكيف يمكن للناظري ايد الله مولانا ان يكتفي بثلاثة آلاف درهم وقد امرت له بها في بلد هذا قدر الناكة فيه وكثرة البغائين لو كان مقيماً فكيف وقد انعمت عليه بالاذن في المسير ويحتاج الى بغال يركبها في الطريق باجرة ونفقة وديون عليه يقضيها فضحك ضحكاً شديدا من حكاية البغائين وحكم ابن العجمي بينهما وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له انا والامر فترد الى الرجل اطال الله بقاء مولانا ضيعته فقال لقد اطلتم علي في امر هذا الصانع الفاعل فاطلقوا له عن ضيعته باسرها ووقعوا بذلك الى الديوان وعن مستغله واخلوا له عن داره وان تفرش له احسن من الفرش الذي ذهب له لما سخط عليه قال فاكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه وقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ما سمع بهذا الكرم قط مع سوء رايك في الرجل وسوء حديثه فما على الارض بغاء ابرك على صاحبه من هذا قال فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وانا بحلب عاد الرجل الى بلده ونعمته * عن ابي عمرو بن العلاء قال خرجت هارباً من الحجاج الى مكة فبينما انا اطوف بالبيت اذا اعرابي ينشد

ربّما تجزع النفوس من الامـ ... ـر لهـا فَرجة كحـل العقال

فقلت مه قال مات الحجاج قال فلا ادري بأي القولين كنت افرح بقوله فرجة بفتح الفاء او بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب وفيه ان ابا عمرو سمع الاعرابي ينشد

يا قليل العزاء في الاهوال ... وكثير الهموم والاوجال

صبّر النفس عند كل مهم ... ان في الصبر حيلة المحتال

ربما تجزع النفوس من الامـ ... ـر لهـا فرجة كحـل العقال

قيل والفَرجة من الفرج والفُرجة فرجة الحائط * وعن ابي عمرو قال كنت مستخفياً من الحجاج وذلك ان عمي كان عاملاً له فهرب فهم بأخذي به فبينما انا على حالي اذ سمعت منشداً ينشد ربما تكره النفوس من الامر البيت وذكر الحديث وزاد فيه ان ابا عمرو يقرأ الاّ من اغترَفَ غرفةً بيده وفَرجة بالفتح شاهد له في هذه القراءة وذكر ابو الحسين المدايني في كتابه ان القمير الثعلبي قال في الوليد بن عبد الملك

انثني ياوليد بلاء قومي   بمسكن والزبيريون صيد
اتنسانا اذا استغنيت عنا   وتذكرنا اذا صلّ الحديد

فطلبه الوليد فهرب منه حيناً فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف انصرف الى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت الجماعات بعض الأكل عرف رجل النميري فاخبر الوليد به فدعا به وقال له يا عدو الله الذي امكنني منك بلا عقد ولا ذمة انشدني ماقلت فبكى ثم انشده فقال ماظنك بي قال قلت ان امهلت حتى اطأ بساطه وآكل طعامه فقد امنت وان عوجلت قبل ذلك فقد هلكت وقد امهلت حتى وطأت بساطك يا امير المؤمنين واكلت طعامك فقد امنت اذاً فقال له الوليد قد امنت فانصرف راشداً فلما ولى تمثل الوليد بقول من قال

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   واعظم الناس احلاماً اذا قدروا

* عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن ابيه قال ما اتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فانصرفت من عندها الا ببرّ وان قل وكان لها وصيفة يقال لها كتات فعلقتها وقلت لابي يا ابي انا والله مشغول القلب بكتات جارية زينب فقال يابني اطلبها من عندها فانها لاتمنعها عنك فقلت كنت احب ان تكون حاضراً لتعينني عليها فقال ليس لك اليّ ولا الى غيري احتياج فغدوت اليها فلما انقضى السلام قلت لها جعلني الله فداك اني فكرت في حاجة سألت ابي ان يحضر كلامي اياك فيها لاستعين به فاسكتني فقالت يابنيّ ان حاجة لا تقضى حتى يحضر ابوك لحاجة عظيمة القدر فما هي قلت كتات وصيفتك احب ان تهبيها لي فقالت انت صبيّ احمق اقعد احدثك حديثاً احسن من كل كتات على ظهر الارض وانت من كتات على وعد فقلت هاتي جعلني الله فداك قالت كنت اول امس عند الخيزران ومجلسي ومجلسها اذا اجتمعنا في صدر المكان وفوقنا سبنية لامير المؤمنين المهدي وهو كثير الدخول اليها فاذا جلس في ذلك الموضع رفع عنه واذا انصرف طرحت عليه السبنية الى وقت حضوره فانا لجلوس اذ دخلت علينا حاجبة وقالت ياستي بالباب امرأة مارأيت احسن منها ولا اسوأ حالاً عليها قميص ما تستر ببعضه موضعاً من بدنها الا انكشف موضع آخر تستأذن عليك فالتفتت اليّ وقالت ماترين فقلت تسألين عن حالها واسمها ثم تاذنين لها على علم فقالت الجارية قد والله جهدت بها كل الجهد ان تفعل فما فعلت وارادت الانصراف فمنعتها فقلت للخيزران وما عليك ان تاذني لها فانك منها بين مكرمة او ثواب

فاذنت لها فدخلت امرأة اكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشي وهي مستحدثة حتي صارت الى عمارة الباب فجعلت مايليني وكنت متكئة فقالت السلام عليكم فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران انا مزنة امرأة مروان بن محمد فلما وقع كلامها في سمعي قلت لاحياك الله ولا قربك الحمد لله الذي ازال نعمتك وعزك وصيرك نكالاً وعبرة اتذكرين ياعدوة الله حين اتاك اهل بيتي يسألنك ان تكلمي صاحبك في انزال ابراهيم بن محمد من خشبته فتلقيتهن ذلك اللقاء واخرجتيهن ذلك الاخراج الحمد لله الذي ازال نعمتك قالت زينب فضحكت المرأة والله يابنيّ حتى كادت تقهقه وبدا لها ثغر ما رأيت احسن منه ثم قالت اي بنت عم اي شيء اعجبك من صنع الله عز وجل بي على العقوق حتى اردت ان تتأسي بي السلام عليكم ثم ولت خارجة وهي تمشي بخلاف الاول فقالت للخيزران انها مخبئة من الله عز وجل وهدية منه الينا ووالله ياخيزران لايكون اخراجها مما هي فيه الابي ثم نهضت على اثرها حتي وافيتها عند الستر ولحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت يا اخية المعذرة الى الله عز وجل واليك فاني ذكرت بوجودك مانالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ماوددت اني منعت منه وقطعت عنه ولم املك نفسي واردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت لاتفعلي يا اخية فاني على حال اصونك من الدنوّ منها فرددتها وقلت للجواري ادخلن معها الحمام وقلت للمواشط اذهبن معها حتى تصلحن حفافها وما تحتاج الى اصلاحه من وجهها فمضت ومضين معها ودعونا بكرسيين فجلست انا والخيزران عليهما ننتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشط وهي تضحك فقلت لها مايضحكك قالت ياستي انا لنرى من هذه الغريبة عجباً فقلت وما هو قالت نحن معها في انتهار وزجر وخصومة ماتفعلين انت ولا ستنا مثله اذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران حتى تعلمي والله يا اختي انها حرة رئيسة والحر لايحتشم من الاحرار ثم خرجت الينا جارية ثانية فاعلمتنا انها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف الخلع فتخيرت منه مالبسته وبعثنا اليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت الينا فقمنا جميعاً فعانقناها فقالت اما الآن فنعم ثم جئنا الى الموضع الذي كنا جلوساً فيه وامرنا بكشف السبتية عن الموضع الذي كان يجلس فيه امير المؤمنين واقعدناها فيه ثم قالت الخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله مافيكن احوج اليه مني فدعونا بالطعام فجعلت تأكل وتضع بين ايدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا قالت لها الخيزران من لك ممن

تعتنين به قالت مالي وراء هذا الحائط احد من خلق الله تعالى فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على ان نخلي لك مقصورة ونحول اليها جميع ما تحتاجينه و يستمتع بعضنا ببعض فقالت وردت وانا على اقل حال واذ قد تفضل الله عزوجل عليّ بكما وبهذه النعمة فلا اقل من الشكر للمبتدي بكل نعمة ولكما فافعلي ما احببت وبدا لك فقامت الخيزران وقمت معها واقمناها معنا وجعلنا نطوف في المقاصير فاختارت والله اوسعها واحسنها فملأتها الخيزران بالجواري والوصائف والخدم والفرش والكسوة والآلات ثم قالت لها ننصرف عنك وعليك بمنزلك حتى تصلحينه فخلفناها في المقصورة وانصرفنا الى موضعنا فقالت لي الخيزران ان هذه امرأة تعيسة قد عضها الفقر وليس يملأ عينها الا المال ثم بعثت اليها بخمسة آلاف دينار ومائتي الف درهم وارسلت اليها يكون هذا في خزانتك تحت تصرفك بوظيفتك ووظيفة حشمك قيام في كل يوم مع وظيفتنا ثم لم نلبث ان دخل علينا المهدي فقلت والله ياسيدي عندي خبر ظريف فقال ماهو فحدثته به فلما قلت له ما كان مني من الوثوب عليها واسماعها اقشعر واصفر ثم قال يازينب هذا مقدار شكرك لربك عزوجل وقد امكنك من عدوك واظفرك به على هذه الحالة التي تصفينها والله لولا مكانك مني لحلفت ان لا اكلك ابدًا اين المرأة قالت فوفيته خبرها فقال لخادم بين يديه ادفع اليها عشرة آلاف دينار ومائتي الف درهم وابلغها سلامي وقل لها لولا خوفي ان احتشمها لصرت اليها مسلمًا ومخبرًا اياها بسروري بها وقل لها اني اخوك وجميع مانفذ فيه امري فامرك انفذ فيه ثم قالت زينب فاذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى راسها دواج ملحم حتى قعدت ولقيها المهدي احسن لقاء واقامت عنده ساعة محدثة ثم انصرفت الى مقصورتها فهذا الحديث يابنيّ خير من كتات قال فامسكت فقالت لي قد اغتممت فقلت ما اغتم ابقاك الله فالت الليلة توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها اليّ ومعها ما يساوي ثمنها من كل صنف من الرقيق والكسا والآلة وفي رواية اخرى ان الذي حملته الخيزران خمسمائة الف درهم وان المهدي حمل اليها الف الف درهم * عن ابي عبدالله الحسين ابن محمد النافطائي قال كنا نتعلم ونحن احداث في ديوان اسحاق ابن ابراهيم الطاهري وكنت ملازمًا لمجلس فتى من الكتاب له خلق جميل يعرف بابي غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرًا بمال اخذوه ووقف اسحاق على الخبر فطلبهم فظفر ببعضهم فقطع ايديهم وهرب الباقون وكان فيمن هرب الفتى الذي كنت الزم مجلسه فغاب سنين كثيرة

حتى مات اسحاق فبينما انا ذات يوم في بعض شوارع بغداد اذا انا به فقلت ابو غالب قال نعم فاذا تحته دابة فاره وسرج محلى وعليه ثياب حسنة فقلت عرفني حالك قال الى المنزل فسرت معه فاحتبسني ذلك اليوم عنده فرأيت فيه مروءة حسنة فسألته عن حاله فقال لما طلبنا اسحاق استترت فلما بلغني ما عامل به من كان معي في الخيانة ضاقت عليّ بغداد فخرجت على وجهي خوفا من العقوبة حتى وافيت ديار مصر مستخفياً وطلبت التصرف فتعذر عليّ وتفرق من كان معي ولم يصبر الا غلام واحد فرقت حالي جدًّا حتى بعت ما في البيت عن آخره على قلة فاصبحت يوماً فقال لي غلامي اي شيء نعمل اليوم فما معنا حبة فقلت خذ مطلتي فبعها واشتر لنا ما نحتاج اليه فخرج الغلام وبقيت في الدار وحدي افكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة والوحدة والعطلة وتعذر المعيشة والتصرف ومن اقترض منه فكاد عقلي ان يزول فبينما انا كذلك وقد استلقيت على قفاي اذا بجرذ قد خرج من كوة البيت وفي فيه دينار فوضعه ثم عاد فاخرج ديناراً آخر وما زال كذلك حتى اخرج ثمانين ديناراً فصفها وجعل يتمرّغ ويلعب وانا انظر اليه واظهر التناوم وقد قويت نفسي ولست اتحرك لئلاّ يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب حتى اخذ واحداً ودخل الكوة فقمت واخذت الدنانير وشددتها وجاء الغلام ومعه ماقد ابتاعه فتغذينا وقلت له إشتر لنا فاسا فقال ماذا نصنع به فحدثته الحديث واريته الدنانير وقلت عزمت على ان اقلع الكوة فلعل فيها شيء آخر فمضى وجاء به فحفرنا الكوة فافضى بنا الحفر الى بركة فيها سبعة آلاف دينار فاخذناها واصلحنا الموضع على ما كان وخرجت فاخذت بالمال سفاتج بعد ان تركت بعضه وانفذت الغلام بالسفاتج الى بغداد وانتظرته حتى ورد كتابه بصحة تلك السفاتج وتحصيله المال في بيتي وان اسحاق قد مات فانحدرت الى بغداد وابتعت بالمال ضيعة فاثمرت ونمت فلزمتها وتركت التصرف

الباب الثالث عشر

﴿ من نالته شدة في هواه * فكشفها الله تعالى وملكه من يهواه ﴾

عن عاصم بن عدي قال كان لعمرو بن دويرة السحمي اخ قد كلف بابنة عم له

كلفاً شديداً وكان ابوه يكره ذلك ويأباه فشكاه الى خالد بن عبد الله القشيري وهو أمير العراق انه يؤذي جواره فحبسه اياماً ثم تركه فلما زاد ما في نفس الفتى وحمل عليه الحب تسور الجدار الى ابنة عمه فلما حصل معها احس به ابوها فقبض عليه واتى خالداً وادعى عليه بالسرقة وأتاه بجماعة يشهدون انهم وجدوه في منزله ليلاً وقد دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فاعترف انه دخل ليسرق وما سرق شيئاً ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فاراد خالد ان يقاصيه فدفع عمرو اخوه الى خالد رقعة فيها هذا الشعر

اخالد قد اوطيت والله عشوة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقرّ بما لم يجنه المرء انه ... رأى الموت خيراً من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه ... لالفيت في امر لهم غير ناطق
اذا مدت الغايات في السبق للعلى ... فانت ابن عبد الله اول سابق

فارسل خالد مولى له من الخبر ليتجسس على جلية الامر فاتاه بتصحيح ما قاله عمرو في شعره فاحضر الجارية واخذ بتزويجها من الفتى فامتنع ابوها وقال ليس هو بكفوء لها قال بلى انه لكفوء لها اذا كف يده عنها ولئن لم تزوجه لازوجته وانت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر الى العم من ماله وكان يسمى العاشق الى ان مات

* عن ابي العلا صاعد بن ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء عن ابي الحسين بن ميمون الافطس الذي كان وزيراً للمتقي قال لما دخل ابو عبد الله اليزيدي بغداد متقلداً للوزارة المرة الثانية للمتقي قبض عليه وأحدره للبصرة فلما وردها اليزيدي منهزماً احسن اليه واطلقه وامرني بانزاله بالقرب مني والتناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت فكنا متلازمين لا نفترق ووجدته أحلى الناس حديثاً وأحسنهم أدباً وأتمهم عقلا ولم أر قط أشد تغزلا ولا تهالكاً في العشق منه فحدثني يوماً قال عشقت مغنية في القيان عشقاً مبرحاً شديداً فراسلت مولاتها في بيعها مني فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار وكنت اعرف من نفسي الملل فخشيت ان اشتريها ان امَلها فدافعت بذلك ومضت أيام فانصرفت من عندي يوماً وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشتري له مغنيات وانا لا اعلم فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت الى المقتدر في جملة جوار فامر بشرائهن كلهن فاشتريت في جملتهن وانفذت من غد أستدعيها من مولاتها فأخبرت بالخبر فقامت علي القيامة ودخل على قلبي من الاحزان أمر مادخل مثله عليّ قط من

نكبة فضلا عن عشق وزاد الامر عليَّ حتى انتهى بي الى حد الوسواس وامتنعت عن النظر في امر داري وتشاغلت بالبكاء ولم يكن لي سبيل الى العزاء وكنت اكتب حينئذ لام المتقي وله وكان حدثاً فتأخرت عنهما اياماً واخللت بأمرها وانا متوفر تلك الايام على الطواف في الصحاري ولا آكل ولا أشرب ولا اتشاغل بأكثر من الهيمان وانكر المتقي وامه أمري لتأخري فاستدعاني وخاطبني في شيء من أمري فوجدني لا اعي ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطي فصدقته وبكيت بين يديه وسألته ان يسأل اباه بيع الجارية علي او هبتها فقال ما اجسر على هذا قال فزاد على الامر وبطلت وبلغ ام المتقي الخبر وراسلتها بما سألت به ابنها فرقت لي وحملت نفسها ان خاطبت ام المقتدر في امري فقالت لها السيدة ما العجب من الرجل فان الذي في قلبه من العشق اعماه عن وجه الرأي انما العجب منك كيف وقع لك انه يجوز ان تقولي للخليفة انزل عن جاريتك لرجل يعشقها فراسلتني ام المتقي بما جرى فزاد ما بي من القلق وكنت لا القى احداً من رؤساء البلد كالوزير ونصر القسوري وحاشية الخليفة الا واقصدهم وابكي بين ايديهم واحدثهم حديثي واسالهم مسئلة الخليفة تسليم الجارية الى ببيع او هبة فمنهم من ينكر عليَّ ومنهم من يوبخني ومنهم من يرثي لي فيعذرني ومنهم من يقول ان علم الخليفه هذا منك وانك تتعرض لخدمه فان فيه تلف نفسك ومنهم من يعاتبني وانا ملازم لهم ولابوابهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل امر داري وضيعتي فطال هذا على المتقي وامه واضاقا من اجل اخلالي بالنظر في امورها فطلبا كاتباً يصرفاني به وبلغ الخبر اليَّ وقد كنت آيست من الجارية فعزلت نفسي وقلت ليس بعد الصرف الاّ الفقر والنكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم افقر نفسي واقطع تصرفي واقبلت اعظ نفسي واسليها ليلتها كلها الى ان طاوعتني على الصبر فبكرت الى دار المتقي وبدأت بالنظر في اموره ورأوا مني خلاف ما تقدم فسروا بذلك وقالوا أنت احب الناس الينا من غيرك ومن الغريب الذي نستانفه فضمنت لها الملازمة وتمشية الامور واقمت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت الى الشرب وكنت قد هجرته منذ فقدت الجارية الى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصلح لنا مجلساً للشرب وعدا صحابنا اعني اصدقاء لي كانوا يعاشرونني للرواح اليَّ ولا تدع غناء فلما قضيت شغلي عدت الى داري واجتمع اصدقائي وصوبوا رايي وجلسنا نشرب ونتحدث ونلعب بالشطرنج فقالوا لو دعوت غناء فقلت اخاف ان اتذكر به امري فجلسوا عندي الى ان صليت العشاء الاخرة وانصرفوا وجلست وحدي اشرب القدح بعد

القدح فلما مضت قطعة من الليل اذا بابي يدق دقاً عنيفاً فقال بوابي من هذا فقال خادم
من دار امير المؤمنين فقامت قيامتي ولم اشك ان خبري قد اتصل به فانكره وقال مثل
هذا لا يصلح ان يكون كاتباً لامراة ولا مدبرا لغلام حدث وانه قد انفذ للقبض عليّ
و بريد نكبتي فقمت امشي في صحن الدار لاخرج من باب آخر كان لي فاستتر فاذا
الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع واذا قد نزل من العمارية جارية
احداها معشوقتي فبهت وقال احد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا يقرؤك السلام و يقول
عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخادم وعدة
بغال عليها اثقال من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعدة جوار وانصرف الرسول
فاخذت بيد عشيقتي وادخلتها المجلس فلما رأته والشرب قالت سلوت عني وشربت بعدي
فحلفت لها ما شربت نبيذاً منذ فارقتها الا في هذا اليوم بلا غناء وحادثتها حديثي بطوله
وقلت لها ما سبب ما جرى فقالت اعلم ان الخليفة لم يرني مذ يوم عرضني وامر بشرائي
الا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة معي بك وذلك انها استدعتني منذ مدة ثم سالتني
عن خبري معك وحدثتني ما دار بينك وبين ام المتقي فصدقتها وبكيت ايضاً فقالت كانك
تحبينه فسكت وتغامز الجواري عليّ وصار شعار السيدة المزاح معي فيك فلما كانت هذه
الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجواري فاستدعيت وغنيت للخليفة فقال ان كنت
تحسنين الصوت الفلاني تغنيه وكان صوتك عليّ فغنيته وتمثلت لي صورتك وذكرت
سري معك فلم املك دموعي حين جرت فقال المقتدر ما هذا فتحيرت وجزعت ونظرت
الى السيدة فضحكت وضحك الجواري فقال المقتدر للسيدة ما القصة فدافعته فقال بحياتي
فحدثته الحديث فلما استوفاه قال يا جارية الامر هكذا انما بكيت ابن ميمون فسكت
فقال ان صدقت وهبتك له فقلت نعم فاقبل على امه وقال ما هو بكثير ان وهبتها لخادم
لنا فقالت والله اردت ان اسالك هذا ولكن رايت انك ان تفضلت به ابتداء كان احسن
فقال لبعض الخدم القيام خذ هذه وجميع ما في حجرتها فاحمله الى دار بن ميمون كاتب ابني ابراهيم
وأقره السلام وعرفه اني وهبتها له فلما نقلت تصايح الجواري قد جاء فرجك وبلغت مناك
فقمت في حجرتي وحملت اليك وما تراه معي فحمدت الله عز وجل وجلست معها وما شلت
ما في المجلس حتى شربت معها فيه وغنت لي وبت بأتم ليله و بكرت نشيطاً الى دار ام المتقي
لادعوا لهما وقامت الجارية عندي الى ان ماتت * حدثني عبد الله بن محمد الصروي
قال حدثني ابي قال كان ببغداد من اولاد النعم فتى ورث من ابيه مالاً عظيماً وكان

يعشق قينة فأنفق عليها شيئاً ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها الى ان افلس فقالت الجارية ياهذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشاً كان الامر اسهل . قال وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستاذات لها ليزيدها في صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحذق فيهما فشاور بعض معارفه فقال ما أعرف لك اصلح من ان تغني الناس وتحمل جاريتك اليهم وتأخذ على هذا الكثير من الاموال ويطيب عيشك فانف من ذلك وعاد اليها فاخبرها بما اشير عليه واعلمها ان الموت اسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة ثم قالت له قد رأيت لك رأياً قال قولي قالت تبيعني فانه يحصل لك من ثمني ما اردت ان تتجر به او تقتني ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من هذه الشدة واحصل انا في نعمة لان مثلي لا يشتريها الا ذو نعمة فحملها الى سوق النخاسين فاول من اعترضها فتى هاشمي من اهل البصرة قد ورد بغداد للعب والتمتع فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عيناً قال الرجل فحين لفظت بالبيع واعطيت المال ندمت واندفعت في بكاء عظيم وحملت الجارية في اقبح من صورتي وجهدت في الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل واخذت الدنانير في الكيس لا أدري الى اين اذهب لان بيتي موحش منها وورد عليَّ من اللطم والبكاء ما قد اهوسني فدخلت مسجداً وجلست ابكي فحملتني عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فما شعرت الا بانسان قد جذبه من تحت رأسي فانتبهت فزعاً فاذا شاب قد اخذ الكيس وهو يعدو فقمت لأعدوا وراءه فاذا رجلي مشدودة بحبل قنب في وتد مضروب في ارض المسجد فما امكنني ان اتخلص من ذلك حتى غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت ونالني أمر عظيم اشد من الاول وقلت فارقت من احب لأستغنى بثمنه عن الصدقة وقد صرت الآن فقيراً مفارقاً فجئت الى دجلة ولففت رأسي ووجهي برداء كان عليَّ ولم أكن أحسن السباحة فرميت بنفسي الى الماء فظن الحاضرون ان ذلك لغلط وقع على فطرح قوم نفوسهم خلفي فاخرجوني وسألوني عن امري فاخبرتهم فبعضهم رحمني والبعض استجهلني الى ان خلا بي شيخ فاخذ يعظني ويقول يا هذا ذهب مالك فكان ماذا حتى تتلف نفسك او ما علمت ان فاعل هذا في نار جهنم ولست اول من افتقر بعد غنى واستغنى بعد فقر فلا تفعل وثق بالله عز وجل اين منزلك قم معي اليه فما فارقني حتى حملني الى منزلي فأدخلني اليه وما زال يؤانسني فيه ويعظني الى ان رأى مني السلوان فانصرف فكدت اقتل نفسي لوحشة منزلي عليَّ ثم ذكرت النار فخرجت

ولحقت به فبكى لي رقة واعطاني خمسين درهماً وقال خذهذه واخرج الساعة من بغداد واجعلها نفقة لك الى حيث وجدت قلبك يساعدك على قصده وانت من اولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فاقصد بعض العمال واطرح نفسك عليه فاقل ما في الامر ان تصير محرراً بين يديه وتعيش معه ولعل الله ان يخلف عليك نقبلت نصيحته وعملت على ذلك وجئت الى الكتبيين وقد قوى في نفسي ان انصد واسطاً وكان لي بها اقارب فأجعلهم ذريعة الى التصرف مع عاملها فحين جئت الى الكتبيين اذا بزلال مقدم وجراية كثيرة وقماش فاخر كثير ينقل الى الزلال فسالت من يحملني الى واسط فقال احد ملاحي الزلال نحن نحملك الى واسط بدرهمين ولكن هذا الزلال لرجل هاشمي من اهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذه الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كانك واحد منا فحين رأيت الزلال وسمعت انه لرجل هاشمي من اهل البصرة طمعت ان يكون هو مشتري جاريتي فانفرج لسماعها لحد واسط فدفعت الدرهمين الى الملاح وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعت تلك الثياب التي عليّ واضفت ثمنها الى ما معي من النفقة واشتريت خبزاً وادماً وجلست في الزلال فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل عليّ ما كان بي وما انا فيه وقلت أراها واسمع من غناها من ههنا لحد البصرة واعتقدت ان جعلت البصرة مقصدي وطمعت في ان اداخل مولاها واصير احد ندمائه وقلت لا تخليني هي من المودة فاني واثق بها ولم يكن بأسرع من ان جاء الفتى الذي اشتراها راكباً ومعه عدة من الغلمان ركبان وركبوا في الزلال وانحدر بهم فلما وصلوا الى كلواذ اخرج الطعام فأكل واكل الباقون على سطح الزلال واطعموا الملاحين ثم اقبل على الجارية فقال الى كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق مولى كان له فعلمت ما عندها من أمري ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين في سطحه وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذاهم اخوته وبنو عمه فاخرجوا الصواني ففرقها عليهم فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية الى ان استدعت بالعود فاصلحته واندفعت تغني من الثقيل الاول باطلاق الوتر الذي في مجرى الوسطى

بان الخليط بمن عرفت فادلجوا عمداً لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها جمر الغضا في ساعة يتأجج

ثم غلبها البكاء فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت انا مغشياً على فظن

الملاحون اني قد صرعت فاذن بعضهم في اذني فافقت بعد ساعة وما زالوا يدارونها و يرفقون بها و يسالونها الغنا الى ان اصلحت العود واندفعت تغني في الثقيل الثاني

فوقفت اسئل بالذين تحملوا   وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم   والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت فكادت تتلف وارتفع لها بكاء عظيم وصعقت انا فتبرم بي الملاحون وقالوا كيف حملنا هذا المجنون وقال بعضهم اذا بلغتم بعض هذه القرى فاخرجوه واريحونا منه فجاءني امر عظيم من كل ما اصابني وجاء ني في نفسي التصبر والحيلة في أن اعلم الجارية بمكاني بالزلازل لتمنع من اخراجي فأفقت و بلغنا الى قرب المداين فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا الى الشط وصعدت الجماعة وكان المساء قريباً وصعد اكثر الملاحين يتغوطون وخلا الحريري وكان الجواري فيمن صعد الى مستراح ضرب لهن. فمشيت سارقاً نفسي حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أُخرى ورجعت الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم في الشط ورجعوا والقمر منبسط فقالوا لها هوذا ترين وقتنا فتكافي الغنا ولا تنغصي علينافاخذت العود فجسته وشهقت وقالت قد والله اصلح هذا العود مولاي علي طريقة من الضرب كان بها معجباً وكان يضربها معي ووالله انه معنا في الزلال فقال لها مولاها والله يا هذه لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله ان يخفف بعض ما بك فننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد فقالت لا ادري ما تقولون هو والله معنا فقال الرجل للملاحين ويلكم هل حملتم معنا انساناً قالوا لا فاشفقت ان ينقطع السؤال فصحت نعم هوذا انا فقالت كلام مولاي والله وجاءبي الغلمان الى الرجل فلما رآني فقال ويحك ماهذا الذي أصابك وصيرك في مثل هذا الحال فصدقته عن امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة و بكي هو واخوته بكاء شديداً ارقة لنا ثم قال ياهذا والله ماوطئت هذه الجارية ولا سمعت غناها الا اليوم وانا رجل موسع عليّ ولله الحمد وردت بغداد لسماع الغنا وطلب ارزاق من الخليفة وقد بلغت من الامرين ما اردت ولما عملت على الرجوع الى وطني احببت ان استبيع من غناء بغداد شيئاً فاشتريت هذه الجارية لاضمها الى عدة مغنيات عندي بالبصرة واذا كنتما على هذه الحال فانا والله اغتنم المكرمة والثواب فيكما واشهد الله اني اذا صرت الى البصرة اعتقتها وزوجتك منها واجريت عليكما ما يكفيكما و يسعكما على شريطة اذا اجبتني اليها قلت ماهي قال ان تحضرنا كلما اردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك الى دار افردها لكما وقماش

أعطيكما اياه فقلت ياسيدي وكيف ابخل بهذا على من هو المعطي لي وعلى من رد عليّ حياتي واخذت اقبل يده فمنعني ثم ادخل راسه الى الجارية فقال يرضيك هذا فاخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاماً فقال خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم اليه ما ياكله وجئنا به فاخذني الغلام ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صينية واندفعت الجارية تغني بنشاط وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا واخذت اقترح عليها الاصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك اياماً الى ان بلغنا الى نهر معقل ونحن سكارى فشدّ الزلال في الشط واخذتني بولة فصعدت الى ضيعة بنهر معقل لابول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وانا لا اعلم واصبحوا فلم يجدوني ودخلوا البصرة ولم انتبه الا بحرّ الشمس فجئت الى الشط فلم ارَ لهم عيناً ولا اثرًا وقد كنت اجللت الرجل ان اسأله بمن يعرف واين داره من البصرة واحتشمت ان اسأل غلمانه عن ذلك فبقيت على شاطيء نهر معقل كأول يوم بدأت بي المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية فركبت فيها ودخلت البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خاناً وبقيت متحيرًا لا ادري ما اعمل ولم يتوجه لي معاش الى ان اجتاز بي يوماً انسان عرفته من بغداد فتبعته لاكشف له حالي واستميحه فأتفت من ذلك ودخل الرجل الى منزله فعرفته وجئت الى بقال كان هناك على باب الخان الذي نزلته فاعطيته دانقاً واخذت منه ورقة ودواة وجلست اكتب رقعة الى الرجل فاستحسن البقال خطي ورأى رثاثة ذلي فسألني عن امري فاخبرته انني رجل ممتحن فقير وقد تعذر عليّ التصرف وما بقي معي شيء ولم إشرح له اكثر من ذلك فقال اتعمل معي في كل يوم على نصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت نعم فقال اصعد فخرقت الرقعة وصعدت فجلست معه ودبرت امره وضبطت دخله وخرجه وكان غلمانه يسرقونه فأديت اليه الامانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فحمدني فكنت معه كذلك شهوراً ثم جعل رزقي في كل يوم درهماً ولم يزل حالي يقوى معه الى ان حال عليه الحول وبان له الصلاح في امره فدعاني الى ان اتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى الا انني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب فيجتذبني الى مساعدته فامتنع واظهر ان ذلك حزناً على موتى لي واستمرت بي الحال على هذا سنين فلما كان يوماً رأيت قوماً يجتازون بخون ونبيذاً اجتيازاً متصلاً

فسألت على ذلك فقالوا اليوم الشعانين ويخرج اهل الظرف واللعب بالشراب والطعام والقيان الى الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتني نفسي الى التفرج وقلت لعلي اقف لاصحابي على خبر لان هذا من مظانهم فقلت اريد ان انظر هذا المنظر فقال لي شأنك فاصلح لي طعاماً وشراباً وسلم اليّ غلاماً وسفينة فخرجت واكلت في السفينة وبدأت اشرب حتى وصلت الى الابلة وابصرت الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فاذا بالزلال بعينه لقيته في اوساط الناس سائراً في نهر الابلة فتأملته فاذا باصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم اتمالك فرحاً وطرحت اليهم فلما رأوني وعرفوني كبّروا واخذوني اليهم وقالوا ويحك انت حي وعانقوني وفرحوا وسألوني عن قصتي واخبرتهم بها على اتم شرح فقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا انك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت فما منعناها عن شيء من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ماتختارين ان نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروّة من استخدامك معه في حال فقده والاستمتاع بغنائك فقالت تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وان اعمل قبراً في بيت من الدار واجلس عنده واتوب من الغنا فمكناها من ذلك فهي جالسة عنده الى الآن واخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيتها بتلك الصورة ورأتني فشهقت شهقة عظيمة ما شككت في تلفها واعتنقنا فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لي مولاها خذها فقلت بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع لي ثياباً كثيرة وفرشاً وقماشاً وحمل لي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت ان اجري عليك في كل شهر من منذ اول دخولي البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية لك مستأنفة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باقٍ وقد وهبت لك الدار الفلانية قال فجئت اليها فاذا بذلك الفرش والقماش الذي اعطانيه فيها والجارية فجئت الى البقال فحدثته حديثي وطلقت ابنته ووفيتها صداقها واقمت مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعدت الى قريب مما كنت عليه وانا اعيش كذلك الى الآن مع جاريتي * حدثني ابو دوق الهراني عن الرياشي ان رجلاً من اهل النعيم بالبصرة اشترى صبيّة فاحسن ادبها وتعليمها واحبها كل المحبة وانفق عليها حتى املق ومسها الضر الشديد فقالت له الجارية اني لارثي لك يامولاي مما ارى بك

من سوء الحال فلو بعتني واتسعت بثمني فلعل الله ان يصنع بك واقع انا بحيث يحسن حالي فيكون بذلك اصلح لكل واحد منا قال فحملها الى السوق فعرضت على عمر بن عبيدالله ابن معمر التيمي وهو اميرالبصرة يومئذٍ فاعجبته فاشتراها بمائة الف درهم فلما قبض المولى الثمن واراد الانصراف استعبر كل واحد منهما الى صاحبه باكيًا وانشأت الجارية تقول

هنيئًا لك المال الذي قد اخذته ولم يبق في كفي غير التذكر
اقول لنفسي وهي في غشي كربة ابكي فقد بان الحبيب او اكثري
اذا لم يكن للمرء عندك حيلة ولم تجدي شيئًا سوى الصبرفاصبري

فاشتد بكاء المولى ثم انشد يقول .

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
اروح بهمّ في الفؤاد مبرّح اناجي به قلبًا طويل التفكر
عليك سلام الله لا زيارة بيننا ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها ولك المال وانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببًا لفرقة مجتمعين * حدثني ابو الفرج علي بن الحسين المعروف بالاصبهاني املاءً من حفظه قال حدثني الحسين بن يحيى المرقاشي قال حدثنا حماد بن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لما دخل الرشيد البصرة حاجاً كنت معه فقال لي جعفر بن يحيى يومًا يا ابا محمد قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكروا ان مولاها يمتنع من عرضها الا في داره وقد عزمت ان اركب متخفيًا فاعرضها فتساعدني فقلت السمع والطاعة. فلما كان في نصف النهار حضر النخاس فاعلم بحضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية وامرني فلبست مثل ذلك وركبنا حمارين قد اسرجا لنا بسروج التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الطريق حتى اتينا دارًا ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب واذا شاب حسن الوجه عليه اثار ضرٍّ بادٍ وعليه قميص ففتح وقال انزلوا باسادة فدخلنا واذا بدهليز شعثٍ ودار قوراء خراب منقوضة واذا في الدهليز بيت كالعامر مغلوق الباب فاخرج لنا الرجل منه قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها وقال له النخاس احضر لنا الجارية فقد حضر المشتري فدخل البيت واذا بجارية قد خرجت في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلى والحلل لحسن وجهها وفي يدها عود فامرها جعفر بالغناء

لجسته وضربت ضرباً حسناً واندفعت تغني

ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً و يصبح بيتكم مهجورا
فلقد رآني والجديد الى بلى دهرا بوصالك راضياً مسروراً
جذلاً بمالي عندكم لا ابتغي بدلاً بوصالك خلة وعشيرا
كنت المنى واعز من وطيء الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا

قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت الجارية تتعثر في قيصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق ثم خفتا حتى ظننا انهما قد ماتا وهممنا بالانصراف فاذا الفتى قد خرج وعليه ذلك القميص بعينه فقال ايها القوم اعذروني فيما افعله واقوله فقال له جعفر قل فقال اشهد الله واشهدكم ان هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى واسألكم ان تزوجوني بها فتحير جعفر أسفاً على الجارية ثم خاطبها فقال اتحبين ان ازوجك من مولاك قالت نعم فقرروا الصداق وخطب زوجها ثم اقبل على الفتى فقال له يا هذا ما حملك على ما فعلت فقال حديثي طويل ان نشطت له حدثتك فقال لا اقل من ان نسمعه فلعنا نبسط عذرك فقال انا فلان بن فلان وكان ابي من وجوه اهل هذه البلد ومياسره وهو عارف بهذا واشار الى النخاس وانه اسلمني الى الكتاب وكانت لامي صبية وسنها قريب من سني وهي جاريتي هذه وكانت معي في الكتاب تتعلم ما اعلم وتنصرف معي فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لحبي بها اتعلمه منها وعلق بقلبي منها حباً شديداً و بلغت فخطبني وجوه اهل البصرة لبناتهم فخيرني ابي فاظهرت له الزهد في التزويج ونشأت متوفراً على الادب متقلباً في نعمة ابي غير متعرض لما يتعرض له الاحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة اهل البلد تزداد فيّ وعندهم ان عفتي لصلاح وما كانت الا لتعلق قلبي بالجارية وان شهوتي لا تتعداها الا حد وبلغت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه فعزمت امي على بيعها وهي لا تعلم بما في نفسي منها فاحسست بالموت واضطررت الى ان صدقت امي عن الصورة فحدثت ابي فاجمع رأيهما على ان وهبا الجارية لي وجهزاها كما يجهز اهل البيوتات بناتهن وجليت عليّ وعمل العرس الحسن فنعمت معها دهراً فمات ابي فلم احسن ان أرب نعمته فأسأت تدبيرها واسرعت في الا كل والشرب والقيان وانا مع ذلك اجدد في كل يوم خمسين ديناراً وا كثر ولا اتجاوزها في جماع او حب الى ان تلفت النعمة وافضت الحال الى نقض الدار والفقر الى ما ترون فانا على هذا منذ سنين فلما كان هذا

الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره واكثر مملكته بالبصرة فقلت لها يا اختي ان شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضي ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك فاني اعلم اني تالف متى فارقتك ولكنني أوثر تلفها معوصولك الى نعمة ورفاهية فدعيني اعرضك فلعله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد من العيش فان مت بعدك فتلك أمنيتي ويكون كل واحد منا قد تخلص من الشقا وان حكم الله عز وجل عليّ بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في معاشي بثمنك فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت الى هذا النخاس واطلعته على امري وقد كان يسمع عنا في ايام نعمتي وعرف حالها وحالي وعلمته اني لا اعرضها ابداً الا عندي فانها والله ما تعلقت عتبة هذه الدار قط واردت بذلك ان يراها المشتري وحده ولا تمتهن بسوق ولادخول الى بيوت الناس وانه لم يكن لها ماتلبسه الا قميصي هذا وهومشترك بيننا البسه اذاخرجت لابتياع القوت وتتشح هي بازارها فاذا جئت الى البيت البستها اياه واتشحت انا بالازار فلما جئتما لعرضها خرجت فغنتكم فلحقني من البكاء والقلق أمر عظيم ودخلت الي وقالت لي يا هذا ما اعجب امرك انت مللتني وآثرت فراقي وتبكي هذا البكاء عليّ فقلت يا هذه والله لفراق نفسي اسهل عليّ من فراقك وانما اردت ان تتخلصي من هذا الشقاء فقالت والله يامولاي لوتملكت منك ما تملكته مني مابعتك ابداً وأموت جوعاً فيكون الموت هو الذي يفرق بيننا فقلت لا عليك تريدين ان تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت هل لك ان اخرج الساعة الى المشتري فاعتقك بين يديه واتزوجك ثم اصير معك على ما نحن عليه الى ان يأتي الله بفرج أو صنع او موت وراحة فقالت ان كنت صادقاً فافعل هذا فما اريد غيرك فخرجت اليكم وكان مني ما قد علمتم فاعذروني فقال جعفر انت معذور ونهض فنهضت والنخاس فلما قدمت الحمير لنركب دنوت منه فقلت يا سبحان الله مثلك في جودك ترى هذه الكرامة ولاتنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظي من فوت الجارية منعني من التكرم عليه فقلت فاين الرغبة في الثواب فقال صدقت والله ثم التفت الى النخاس فقال له كم كان الخادم سلم اليك عند ركوبنا لثمنها قال ثلاثة آلاف دينار قال فاين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذاها وادفعاها الى الفتى وقولا له يكتسي ويركب ويجيئني لاحسن اليه واستخدمه فرجعت الى الفتى وأنا ابكي فقلت له قد عجل الله عز وجل عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك هو الوزير الامير جعفر بن يحيي البرمكي

وقد امر لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال فصعق حتى قلت قد تلف ثم افاق فاقبل يدعو ويشكرني فركبت فلحقت بجعفر فأخبرته فحمد الله عز وجل على ماوفقه له وعاد الى داره وانا معه فلما كان العشاء جئنا الى الرشيد فاخذ يسأل جعفر عن حاله في يومه وهو يخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى ذلك الى ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد فما عملت فاخبره فاستصاب رأيه وقال وقع له برزق سلطاني في رسم ارباب النعم في كل شهر كذا وكذا واعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاءني الفتى راكباً بثياب حسنة وهيئة جميلة واذا هو احلى الناس كلاماً واتمهم ادباً فحملته معي الى جعفر وأوصلته الى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله اليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء آخر وشاع حديثه بالبصرة وفي اهل العسكر فلم يبق فيهما متغزلاً ولا متظرف الا أهدى اليه شيئاً جليلاً فاخرجنا من البصرة الا وهو رب نعمة صالحة *

ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره ابن علي بن محمد بن الحسن ابن جهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب السمار والندما فزعم ان الرشيد لما حج كان معه ابراهيم الموصلي واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه وان الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة ابراهيم وهو

نمّت علينا زفرة صاعدة ومانني العائد والعائدة
يارب كم فرّجت من كل كربة عني فهذه المرة الواحدة

وان الذي حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين ومعهما ابراهيم الموصلي والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتي الف درهم ثم عادوا بالمال معهم فامروا باعاده التقليب فخرجت الجارية فغنت لابراهيم ايضاً

ومن عادة الايام أن صروفها اذا سر منها جانب ساء جانب
وما اعرف الايام الا ذميمة ولا الدهر الا وهو بالثأر طالب

ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا وفي الخبر الاول زيادات ليست في حديث بن جهور * وبلغني خبر لجعفر بن يحيى مع جارية تقارب هذا اخبرني به ابو محمد الحسن ابو عبد الرحمن بن خلاد الوانهرزي خليفة ابي علي القضاء بها قال اخبرنا محمد ابن الصلت الجماني قال حدثني يلخ وشير النخاسان قالا ارسل الينا جعفر بن يحيى البرمكي يطلب جارية قوالة ذات ادب وظرف على صفة ذكرها وحدها فبقينا بخيل

الرأي ونخوض في ذكرهن ونتواصف من يعرف منهن والى جانبنا شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندي بغية الوزير فانهضوا ان شئتم لتنظروا اليها فنهضنا معه حتى اذا وصلنا الى داره وجدناها ظاهرة الاختلال ولم نر فيها الا مسحاً خلقاً وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية كانها فلقة قمر تنثني كالقضيب فاستقراها فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكناً واتبعتها بقصيدة مليحة شوقتنا واطربتنا فقلنا أصناع وأشرنا الى يدها فقالت نعم علمت العود وانا صغيرة فقلنا أتحفينا به فقالت سبحان الله وهل يصلح ذلك العود الا لمولى مالك ان دعاني اليه فعلته قال وراح الرسول الى جعفر فاخبره بما شاهده فلم يتمالك جعفر حين سمع بقصة الجارية حتى استنهض الرسول الى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله اخراجها اليه ففعل فلما رآها جعفر اعجب بها قبل ان يستنطقها ثم استنطقها فاخذت بمجامع قلبه فقال لمولاها قل ما تشاء فقال الشيخ لست احدث أمراً حتى استأذنها ولولا الضر الذي نحن فيه ما عرضتها ولكن حالي ما يشاهده الوزير ووراء ذلك دين كثير قد فدحني ومن اجله فارقت وطني وعرضت على البيع ثمرة قلبي فقال جعفر فما مقدار ما في نفسك ان أردت بيعها قال ثلاثون الف دينار قال جعفر فهي لك ان بعتنيها فلما سمعت ذلك استعبرت فلما رأى الشيخ استعبارها اقبل على جعفر ومن حضر معه فقال اشهدكم أني قد اعتقتها وجعلت عتقها صداقها والله لاملكتها احداً ابداً فغضب جعفر واقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه ويقولون ضيعت هذا المال الجليل وعجلت وحمقت فقال الشيخ النفس اولى ان يبقى عليها من المال والرزاق الله جل وعز وعاد جعفر الى ابيه فاخبره بما كان من الرجل والجارية فقال ابوه له فما صنعت بهما قال تركتهما وانصرفت قال ويحك ما أنفت ان تنصرف عن متحابين مثلهما فقيرين لاتجبر حالهما أرضيت ان يكون الكوفي اسمح منك ودعا بغلام فحمل معه الى الشيخ ثلاثين الف دينار على بغل فلما وصل المال الى الشيخ اخذه وحمد الله جل وعز وعاد بالجارية والمال الى منزله بالكوفة * وجدت في بعض كتبي ان عمرو بن شبة قال حدثني ابو غسان قال اخبرني بعض اصحابنا ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما اشترى جارية من مولدات اهل مكة وكان يتعشقها غلام من اهلها فقدم في أثرها المدينة فنزل قريباً من منزل عبد الله بن جعفر ثم جعل يلطف عبد الله بطرائف

مكة حتى عرفه وجعلت الجارية تراسله فادخلته ليلة في اصطبل دواب عبد الله بن جعفر فعبر عليه السايس فاعلم عبد الله بن جعفر فاتى به فقال مالك قبحك الله أبعد تحرمك بنا تتعرض لحرمنا قال لا انك لما ابتعت الجارية كنت لها محباً وكانت تجدني مثل ذلك قال فدعا الجارية فسألها فجاءت بمثل قصة الفتى فقال خذها فهي لك فلما كان بعد ذلك بقريب عشق عبد السلام بن ابي سليمان مولى اسلم جارية لآل طلحة ابن عبد الله بن معمر التميمي يقال لها رواح فطلبها منهم ورجا ان يفعلوا به مثل ما فعل ابن جعفر بالفتى المكي فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبدالسلام

وأنت فلا تعدل نوال بن جعفر　　واين لعمري من نوال بن معمري

يطير لذي الجنات هذا لفضله　　وقد قص هذا في الجحيم المسعر

* وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثني به أبو الحسن على بن عمر الدارقطني الحافظ قال حدثنا ابو احمد محمد بن احمد الجرجاني الفقيه الذي كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال كنا ندرس على ابي اسحاق المروزي الشافعي وكان يدرس عليه معنا فتى من اهل خراسان له والد هناك يوجه اليه في كل سنة مع الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في نفسه والفته والفها وكانت معه سنين وكان رسمه ان يستدين في كل سنة ديناً بقدر ما يعجز عن نفقته فاذا جاءه ما ينفذه اليه ابوه قضى دينه وانفق الباقي مدة ثم عاد الى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة من ابيه فسألهم عن ذلك فقالوا ان اباك اعتل علة عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه فلم يتمكن من انفاذ شيء معنا قال فقلق الفتى قلقاً شديداً وخاف غرماؤه يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب واخرج الجارية الى النخاسين فعرضها وكان الفتى ينزل بقرب منزلي ويختلف الى مجلس الفقه ولا يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على غرمائه قدر ما لهم ويتمرر بالباقي وعند رجوعنا من النخاسين كان قلقاً موجعاً فلما كان الليل لم اشعر الا وبابي يدق ففتحته فاذا بالفتى فقلت مالك فقال قد امتنع عليّ النوم وحشة للجارية وشوقاً اليها قال ووجدته من القلق على أمر عظيم حتى انكرت عقله فقلت ما تشاء قال لا ادري وقد سهل الله عليّ ان ترجع الجارية الى ملكي وابكر غداً فاقر لغرمائي بما لهم واحتبس في حبس الحاكم الى ان يفرج الله جل وعز ويجيئني من خراسان نفقتي في

العام المقبل بعد ان تكون الجارية في ملكي فقلت له انا اكفيك ذلك في غد ان شاء الله واعمل في رجوع الجارية اليك اذا كنت قد وطنت نفسك على هذا قال وبكرنا الى السوق فسألنا من اشترى الجارية فقالوا امرأة من دار ابي بكر بن ابي حامد الخراساني صاحب بيت المال فجئنا الى مجلس الفقه فشرحت لابي اسحق المروزي بعض حديث الفتى وسألته أن يكتب الى ابي بكر بن ابي حامد رقعة يسئله فيها فسخ البيع والاقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقمت وأخذت بيد الخراساني صديقي وجئت الى ابي بكر بن ابي حامد فاذا مجلس حاشد فأمهلنا حتى خف فدنوت انا والفتى فعرفني وسألني عن المروزي فقلت هذه رقعته في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت لا ولكنه صديقي هذا وأومأت الى الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لي والله ما أعلم انني ابتعت جارية ولا ابتيعت لي فقلت ان امرأة جاءت فابتاعتها وذكرت انها من دارك فقال يجوز يا فلان فجاء خادم فقال ادخل الى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار الى أخرى حتى وقع عليها فقال عثرت عليها فقال نعم فقال أحضرها فاحضرت فقال لها من مولاك فأومأت الى الخراساني فقال لها أتحبين ان اردك عليه فقالت والله ليس مثلك من يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال فاخرج الخراساني الكيس وتركه بحضرته فقال للخادم امض الى الحرم فقل لهن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من احسان وبر فعجلنه الساعة فجاء الخادم باشياء لها قدر فدفعها اليها ثم قال للخراساني خذ كيسك فاقض منه دينك ووسع بباقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد اجريت لك في كل شهر تميز دقيقاً ودينارين تستعين بها في دارك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات قال مؤلف هذا الكتاب وجدت هذا الخبر مستفيضاً ببغداذ واخبرت به على جهات مختلفة الا انني اذكر بعض الطرق الاخر التي بلغتني * حدثني احمد بن عبدالله عن شيخ من دار القطن ببغداد قال كان لابي بكر ابن ابي حامد جارية ظريفة وكان ثم رجل يعرف بعبد الرحمن الصيرفي باعها له بثلثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليل استوحش لها وحشة شديدة ولحقه من القلق والهيام والجنون والاسف على فراقها ما منعه من النوم ولحقه من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما اصبح خرج الى دكانه ليتشاغل بالنظر في امره فلم يكن الى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء الى دار ابي بكر بن ابي حامد ودخل

ومجلسه حافل فسلم وجلس في اخريات الناس الى ان انفضوا فلما لم يبق منهم غير ابي بكر بن ابي حامد قال له ان كانت لك حاجة فاذكرها فخصر وجرت دموعه وشهق فرفق به ابن ابي حامد وقال له قل عافاك الله ولا تستحي قال بعت امس جارية كانت لي احبها واشتريت لك اطال الله بقاك وقد احسست بالموت اسفاً على فراقها واخرج الثمن ووضعه بحضرته وقال انا اسألك ان ترد عليّ حياتي بأخذ هذه الدنانير واقالتي البيع قال فتبسم له بن ابي حامد وقال فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعتها قال انا رجل صيرفي وكان رأس مالي الف دينار فلما اشتريتها تشاغلت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت انفق عليها من رأس مالي نفقة لايحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فاذا لم يبق معي من رأس مالي الا ثلثه او اقل وصارت تطالبني من النفقة بما ان اطعتها فيه ذهبت هذه البقية فلما منعتها ساءت اخلاقها عليّ وتنغصت عيشتي فقلت ابيعها وارد ثمنها فيما اختل من دكاني ويستقيم عيشي واستريح من اذاها واتصبر على فراقها وينضبط امري بسقوط النفقة عليّ وتوفري على التجارة ولم اعلم انه يلحقني هذا الامر العظيم وقد آثرت الفقر الآن بأن تحصل لي الجارية فان الموت اسهل مما انا فيه فقال ابن ابي حامد يافلان فجاء خادم اسود فقال اخرج الجارية التي اشتريت لنا امس قال فاخرجت الجارية قال يابنيّ ان مثلي لا يطأ قبل الاستبراء والله ماوقعت عيني عليها منذ اشتريت الى الآن وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير الى دكانك ثم قال للخادم هات الف درهم فجاء بها فقال للجارية قد كنت عملت على ان اكسوك فجاء من امر مولاك ما رأيت وليس من المروءة منعه منك فخذي هذا الدراهم واتسعي بها على نفسك ولا تحملي مولاك مالا يطيق فيفتقر ويحتاج لبيعك واين تجدين من يرغب فيك مثل رغبته فاعرفي له حق هذه المحبة وهذه الالف درهم لك عندنا كل سنة يجيء مولاك ويأخذها لك اذا شكرك ورضي طريقك ثم قال له لا تنفق عليها الا بقدر طاقتك وهذه الالف درهم لها في كل سنة كفاية مع ماتطيقه انت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما اتفق الآن فقام الرجل وقبل يديه ورجليه وجعل يبكي ويدعوا له ورجع الى بيته بماله وجاريته واصلح دكانه ومعيشته وفرج الله عز وجل ما كان من الشدة وكان ما فعله ابو بكر بن ابي حامد سبباً لصلاح حاله * ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم المعروف بابن

حاجب النعمان وهو يومئذٍ كاتب الوزير المهلبي على ديوان السواد وذكر انه نسخه من
كتاب اعطاه ابو الحسن الخصيبي وكان فيه اصلاحات بخط ابن مابيداد اشترى الحسن
ابن سهل من القسطاطي التاجر جارية بالف دينار فحملت الى منزل الحسن وكتب
للقسطاطي بثمنها فاخذ الكتاب احالة عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشاً نظيفاً
وفيه ريحان قد عبي تعبية حسنة ونبيذاً قد صفي فقال ماهذا فقيل له جاريتك التي
بعتها الساعة اعدت لك هذا لتنصرف اليها فبعتها قبل انصرافك قال فقام القسطاطي
فرجع الى الحسن وقال ايها الامير اقلني بيع الجارية اقالك الله في الآخرة فقال ما الى
هذا سبيل وما دخلت قط دارنا جارية فخرجت منها قال ايها الامير انه الموت قال وما
ذلك فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له
الالف دينار لا يرجع الى ملكي منها دينار واحد فأخذ القسطاطي الجارية والدنانير
وعاد الى منزله وجلس مع جاريته على ما اعدته له * عن حماد بن إسحق عن ابيه قال
غدوت يوماً وانا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على
ان اطوف الصحراء واتفرج بها فقلت لغلماني ان جاء رسول الخليفة فعرفوه اني بكرت
في مهم لي وانكم لا تعرفون اين توجهت ومضيت وطفت مابدالي ثم عدت وقد حمي
النهار فوقفت في شارع المخرم في الظل عند جناح رحب في الطريق لاستريح فلم البث
ان جاء خادم يقود حماراً فارهاً عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من
اللباس الفاخر مالا غاية ورائه ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتناً وشمائل ظريفة
فحدست انها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها وعلقها قلبي في الوقت علوقاً
شديداً لم استطع معه البراح فلم البث الا يسيراً حتى اقبل رجلان شابان جميلان
لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني حب الجارية على ان نزلت
معهما ودخلت بدخولهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار اني معهما
فجلسنا فاتي بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيتها
حسناء وتمكن مافي قلبي منها وغنت غناء صالحاً وشربنا وقمت قومة للبول فسأل صاحب
المنزل من الفتيين عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكن ظريف فاجملوا
عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لي

ذكرتك اذ مرّت بنا امّ شادنٍ امام المطايا تستريب وتطمح
من المولعات الرمل ادماء حرّة شعاع الضحى في متنها يتوضح

فأَدته اداءً صالحاً ثم غنت اصواتاً فيها من صنعتي

الطلول الدوارس فارقتها الاوانس اوحشت بعد اهلها فهي قفـر يابس

فكان اثرها فيه اصلح من الاول ثم غنت اصواتاً من القديم والمحدث وغنت في اضعافها من صنعتي في شعري

قل لمن صدّ عاتبا ونأى عنك جانبا قد بلغت الذي ارد ت وان كنت لاعبا

واعترفنا بما ادعيـ ت وان كنت كاذبا

فكان اصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه لها فأَقبل عليَّ رجل منهم فقال ما رأَيت طفيليًا اصفق وجهاً منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي ويقترح فاطرقت ولم اجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلم يكف ثم قاموا الى الصلاة وتأَخرت واخذت العود واشددت طبقته واصلحته اصلاحاً محكماً وعدت الى موضعي فصليت وعادوا واخذ الرجل في عربدته علي وانا صامت ثم اخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من مس عودي فقالوا ما مسه احد قالت بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من صنعته فقلت لها انا اصلحته قالت بالله عليك خذه فاضرب به فأَخذته وضربت مبداءً عجيباً فيه نقرات محركة فما بقي في المجلس احد الا ووثب فجلس بين يدي وقالوا بالله عليك ياسيدنا اتغني قلت نعم واعرفكم نفسي ايضاً انا اسحق بن ابراهيم الموصلي واني والله لاتيه على الخليفة وأَنتم تشتموني اليوم لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لانطقت بحرف ولا جلست معكم او تخرجوا هذا المعاند ونهضت لاخرج فتعلقوا بي فلم ارجع فلحقتني الجارية فتعلقت بي فلنت وقلت لا اجلس حتى تخرجوا هذا البغيض فقال له صاحبه من هذا كنت اخاف عليك فاخذ يعتذر فقلت اجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فاخذوا بيده واخرجوه فبدات اغني بالاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طرباً شديداً وقال هل لك في امر اعرضه عليك فقلت وما هو قال تقيم عندي شهراً والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فاقمت عنده ثلاثين يوماً لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل موضع فلم يعرف لي خبراً فلما كان بعد ذلك سلم اليَّ الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك الى منزلي وهم في اقبح صورة لخبري وتأَخري عنهم وركبت الى المامون من وقتي فلما رآني قال لي يا اسحاق ويحك أَين انت وأَين تكون فاخبرته بخبري فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على

بيته فاحضر فسأله المامون عن القصة فاخبره بها فقال انت ذو مروءة وسبيلك ان تعاون عليها فامر له بمائة الف درهم وقال لا تعاشرذاك المعربد السفل فقال معاذ الله يا امير المؤمنين وامر لي بخمسين الف درهم وقال لي احضر الجارية فاحضرته اياها فغنته فقال لي قد جعلت لها نوبة كل يوم ثلاثاء تغنيني من وراء الستارة مع الجواري وامر لها بخمسين الف درهم فربحت والله بتلك الركبة وأربحت* عن نمير بن خلف الهلالي قال كان منا فتى يقال له سير بن عبدالله ويعرف بالاشتر كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع خبره في حبها فمنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر ان يلم بها فجاءني يوماً فقال يا اخي قد بلغ مني الوجد وضاق عليّ الصبر فهل تساعدني على زيارتها فاجبته فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا قريباً من حيها فكمن في موضع وقال لي اذهب الى القوم فكن ضيفاً فيهم ولا تذكر شيئاً من امرنا حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها خبري وتأمرها بأخذ موعد منها فمضيت وفعلت ما امرني به حتى لقيت الراعية فخاطبتها فمضت الى جيداء وعادت وقالت موعدك الليلة عند تلك الشجرة من موضع كذا فمضيت اليه وجلسنا عند الشجرة الى الوقت المعلوم فاذا بجيداء قد اقبلت فوثب الاشتر يقبل عينها فقمت مولياً عنهما فقالا نقسم عليك الا رجعت فوالله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك من المصاحبة الليلة فنتعلل بها قالت لا والله الا بأن يعود حالي الى ما تعرف من البلاء والشدة فقال مامن ذلك بدّ ولو وقعت السماء على الارض فقالت هل في صاحبك هذا خير فقلت أي والله فقالت وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت اذهب فان زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الابل فلا تدفعه اليه من يدك فهكذا كنت افعل به ودعه بين يديه فانه سيذهب فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تطيل نكدك عليه ثم تأخذه او تدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت لآخذه واهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكفأ القدح فقال ان هذا الطماح مفرط وضرب بيده الى سوط ثم تناول جبتي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثين فجاءت أمه وأخته وانتزعاني من يده بعد ان زال عقلي وهممت أن أوجئه بالسكين فلما خرجوا عني لم ألبث الا يسيراً فاذا بأم جيداء قد دخلت عليّ تكلمني وتزبرني فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بنتي اتق الله وأطيعي زوجك

أما الاشتر فلا سبيل لك اليه وانا ابعث اليك اختك الليلة ثم مضت وبعثت الي بالجارية فجعلت تكلمني وتدعو على من ضربني وتبكي وانا ساكت ثم اضطجعت الى جنبي فشددت يدي على فمها وقلت يا جارية ان أختك مع الاشتر وقد قطع ظهري بسببها وانت أولى بسترها مني وان تكلمت بكلمة فضحتها وأنا لست أبالي فاهتزت مثل القضيب فزعاً ثم ضحكت وباتت معي اظرف الناس ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر ثم خرجت وجئت الى أصحابي فقالت جيداء ما الخبر فقلت سلي اختك عنه فلعمري انها عالمة به ودفعت اليها ثيابها وأريتها ظهري فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل الاشتر يبكي وانا احدثه وارتحلنا * عن بعضهم قال حضرت في دعوة عند صديق لي من البزازين كان مشهوراً فقدم اليه في جملة طعامه داجيراجة فلم يأكلها فامتنعنا من اكلها فقال أحب ان تأكلوا وتعفوني من أكلهـا فلم ندعه حتى اكل فلما غسلنا ايدينا انفرد يغسل يده ووقف غلام يعد عليه حتى قال لقد غسلت يدك اربعين مرة فقطع الغسل فقلنا ما سبب هذا فامتنع فالححنا عليه فقال مات ابي وسني نحو العشرين سنة وخلف عليَّ حالاً ضعيفة واوصاني قبل موته بقضاء ديونه وملازمة السوق وان اكون اول داخل اليها وآخر من يخرج منها فرأيت في ذلك منافع كثيرة وبينما انا جالس ذات يوم ولم يتكامل السوق اذا بامرأة راكبة حماراً على كفله منديل دبيقي وخادم يمسك العنان فنزلت عندي فقمت اليها ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئاً من الثياب ذكرته فسمعت منها احسن نغمة ورأيت وجهاً لم ارَ احسن منه قط فذهب عليَّ امري وهمت بها في الحال فقلت تصبري حتى يتكامل السوق وآخذ لك ما تريدين فأجابت واخذت تجاذبني وانا كدت ان اموت عشقاً وخرج الناس فاخذت لها ما ارادت فجمعته وركبت ولم تخاطبني في ثمنه بحرف وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عيني افقت واحسست بالفقر وقلت محتالة خدعتني بكشف وجهها ورأتني حدثاً ولم اكن سألتها عن منزلها ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبري لئلاً افتضح واتعجل المكروه وعملت على اغلاق دكاني وان ابيع كل مافيه واوفي الناس حقوقهم وأجلس في بيتي مقتصراً على شيء يسير من عقار خلفه ابي فلما كان بعد اسبوع اذا بها قد باكرتني ونزلت عندي فحين رأيتها انسيت ما كنت فيه وقمت اليها اجلالاً فقالت يافتى قد تأخرنا عنك وما شككنا ان قد روعناك وظننت انا احتلنا عليك فقلت قد رفع الله قدرك عن هذا فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ما قلت لها انه ثمن المتاع واخذت تذكر متاعاً

آخر فأجلستها احدثها واتمتع بالنظر اليها الى ان تكاملت السوق فقمت فدفعت الى كل انسان ممن كان له شيء ماله وطلبت منهم ما اردت فاعطوني فجئت به معي فاخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عيني ندمت وقلت المحنة هذه لانها اعطتني خمسة آلاف درهم واخذت متاعاً ثمنه الف دينار والآن لم اقف لها على خبر فليس الا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من ابي وتطاولت غيبتها عني اكثر من شهر واخذ التجار يشدون عليَّ المطالبة فعرضت عقاري على البيع واشرفت على الهلاك وانا في ذلك واذا بها قد نزلت عندي فحين رأيتها ورأتني زال عني الفكر وانسيت ما كنت فيه واقبلت عليَّ تحادثني وقالت هات الطيار فوزنت لي بقية المال فاخذت اطاولها ونشطت لكلامها فباسطتني فكنت فرحاً وخجلاً الى ان قالت لي هل لك زوجة فقلت لا والله ياستي ماعرفت امرأة قط وبكيت فقالت مالك قلت خيراً واخذت بيد خادمها واخرجت اليه دنانير كثيرة وسألته التوسط بيني وبينها فضحك وقال انها والله اعشق منك لها وما بها حاجة الى ما اشترته منك وانما تجيئك لمطالبتك فخاطبها بما تريد فانها تقبله وتستغني عني فعدت وقلت لها اني مفيت لانقد الدنانير فضحكت وكانت قد رأتني مع الخادم فقلت ياستي الله الله في دمي وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك وقبلت الخطاب احسن قبول ثم قالت الخادم يجيئك برسالتي بما تعمله وقامت ولم تاخذ ثياباً فوفيت الناس اموالهم وحصل لي ربح واسع واغتممت غماً شديداً خوفاً من انقطاعها عني ولم انم ليلتي قلقاً وحزناً فلما كان بعد ايام جاءني الخادم فاكرمته واعطيته دنانير وسألته عنها قال هي والله عليلة شوقاً اليك قلت فاشرح لي امرها قال هذه صبية ربتها السيدة ام المقتدر وهي من اخص جوارها واشتهت رؤية الناس والدخول والخروج فتوصلت الى ان صارت تخلف القهرمانة فتخرج لقضاء بعض الحوائج فترى الناس وقد والله حدثت السيدة بحديثك وسألتها ان تزوجها منك فقالت لا افعل حتى اراه فان كان يستحقك والاّ لم ادعك باختيارك ويحتاج ان تحتال في دخولك الدار بحيلة ان تمت وصلت الى حاجتك وان انكشف ذلك ضرب عنقك فما تقول قلت اصبر على هذا فقال اذا كان الليلة فاعبر الحزم وادخل المسجد الذي بنته السيدة على شاطيء دجلة وعلى الحائط الآخر مما يلي دجلة اسمها مكتوب بالاجر المقطوع ﴿ وهو المسجد الذي سدّ بابه الآن سبكتكين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير وادخله الى ميدان داره وجعله مصلى لغلمانه ﴾ فبت فيه تصل لمشتهاك

ففعلت فلما كان السحر اذا بطيار لطيف قد قدم وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجعلوها في المسجد وانصرفوا وبقي منهم واحد فتأملته فاذا هو الواسطة بيني وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتني فقمت وعانقتها وقبلت يدها وقبلتني قبلاً كثيرة وتحدثنا ساعة ثم اجلستني في واحد من الصناديق كبير واقفلته واقبل الخدم يتراجعون بثياب وماورد وعطر واشياء قد احضروها من مواضع ففرقت في باقي الصناديق واقفلت ثم حملت الصناديق في الطيار وانحدر فلحقني امر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة لعلها لا تتم ولو تمت ماساوت قتل نفسي واقبلت ابكي وادعوا الله عز وجل واتوب اليه وانذر الى ان حملت الصناديق بجهازها في دار الخليفة وحصل صندوقي خادمان احدهما الواسطة ومشت هي امام الصندوق والصناديق كلها خلف صندوقي فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بابواب الحرم قالوا نريد نفتش الصناديق فكانت تصيح على بعضهم وتشتم بعضهم وتداري بعضهم الى ان انتهينا الى خادم ظننته رئيس القوم فخاطبته بفزع وخضوع وذلة وحقق ان لابدّ من فتح الصناديق فبدأ بصندوقي فانزله فحين حسست بذلك ذهب عقلي وغاب علي امري وبلت في الصندوق فزعاً فجرى البول حتى خرج من خلاله فقالت يا استاذ اهلكتني واهلكت التجار ذهب عليّ الامر كله وهلك علينا مافي الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار لان فيه قارورة من ماء زعزم وقد انقلبت وجرت على الثياب والآن تستحيل الوانها فقال لها خذي صندوقك الى لعنة الله انت وهو ومري فحمل الخادم صندوقي بعد ان اشتد عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راعني بعدها الاّ حين سمعتها تقول ويلاه الخليفة فمت رعباً وجاءني مالم احتسبه فقال لها الخليفة ويحك اي شيء في صناديقك قالت يامولاي ثياب للسيدة فقال افتحي حتى اراها قالت يامولاي الساعة افتحها بين يديك وتراها قال مري هوذا ساجيء اليك فقالت للخدم اسرعوا فاسرعوا ودخلت حجرة وفتحت صندوقي وقالت اصعد تلك الدرجة ففعلت واخذت مما في بعض تلك الصناديق وجعلته في صندوقي وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم اغلقت الحجرة ومضت ومعها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت اليّ وطيبت نفسي واحضرتني طعاماً وشراباً وما احتاج اليه واقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتني فصعدت اليّ وقالت السيدة تجيء الساعة لتراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من ان جاءت السيدة فجلست علي كرمي وفرقت جواريها ولم يبق معها واحدة منهن ثم انزلتني الجارية فحين

رأتني السيدة قبلت الارض وقمت ودعوت لها فقالت لجاريتها ما بئس ما اخذت هو كيس وينهض ت فجاءتني صاحبتي بعد ساعة وقالت ابشر فقد وعدتني والله ان تزوجني بك وما بين ايدينا الآن الا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى فلما كان من غد حملتني في الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش ايسر وتركت في المسجد فرجعت وتصدقت ووفيت بنذري فلما كان بعد ايام جاءني الخادم برقعة بخطها الذي اعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف دينار عيناً وتقول في الرقعة امرتني السيدة بأتصال هذا اليك من مالها وقالت اشتر ثياباً ومركوباً ومملوكاً يسعى بين يديك واصلح به ظاهرك وتجمل بكل ما تقدر عليه واحضر يوم الموكب الى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل على الخليفة فتزوج بحضرته فاجبت على الرقعة واخذت المال واشتريت منه ماقالوه باحسن ما يكون واحتفظت الباقي وركبت دابتي يوم الموكب الى باب العامة ووقفت الى ان جاءني من استدعاني فادخلت على المقتدر وهو على السرير والقضاة والهاشميون والجيش قيام فداخلني هيبة عظيمة وخطب بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات عدل بي الى دار عظيمة مفروشة بانواع الفرش الفاخر والآلات والخدم فاجلست وتركت وحدي وانصرف من ادخلني فلبثت يومي لا ادري من اعرف الا خدم يدخلون ويخرجون وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة نزف فلانة اسم زوجتي الى فلان البزاز فلما جاء الليل اثر الجوع بي واقفلت الابواب وآيست من الجارية فقمت اطوف في الدار فوقعت على المطبخ واذا قوم طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفوني فقدموا اليّ داجيراجة فاكلتها ومسحت يدي باشنان كان في المطبخ وانا مستعجل لئلاّ يفطن بي وظننت اني نقيت من ريحها وعدت الى مكاني فلما انتصف الليل اذا بطبول وزمور والابواب تفتح وصاحبتي قد اهديت اليّ وجاؤا بها يحملونها وانا اقدر ان ذلك في النوم ولا اصدق فرحاً به وقد كادت مرارتي تنشق سروراً ثم خلوت بها وانصرف الناس فحين تقدمت اليها وقبلتها رفستني فرمت بي عن المنضدة وقالت انكرت ان تفلح ياعامي وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت الارض بين يديها وقلت عرفيني ذنبي واعملي بعده ماشئت فوقفت وقالت هات حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت قل علي وعلي وحلفتني بايمان غليظة لا أكلت داجيراجة الا غسلت يدي أربعين مرة فاستحيت وتبسمت وقلت فرجعت الى المنضدة وصاحت يا جواري فجاءت عدة وصائف فقالت

هاتن ما نأكل فقدمت الينا مائدة حسنة والوان فاخرة من موائد الخلفاء والوائهم فاكلت واكلت معها واستدعت شراباً فشربت انا وهي وغنى لنا اولئك الوصائف وقمنا الى الفراش فدخلت معها وافتضضتها وبت بليلة من ليالي الجنة ولم نفترق اسبوعاً ليلاً ونهاراً الى ان انقضت وليمة الاسبوع وكانت عظيمة فاخرة فلما كان من الغد قالت لي ان دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها اكثر من هذا وما تمّ لاحد ان يدخل فيها بعروس غيرك وكل ذلك بعناية السيدة وقد اعطتني خمسين الف دينار من عين وورق وجوهر وقماش ولي خارج القصر اموال وذخائر وكلها لك فاخرج وخذ معك مالاً واشتر لنا داراً عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير كثيرة الحجر ولا تضيق على نفسك كما تضيق نفوس التجار فاني ما تعودت السكن الا في الصحون الواسعة واحذر ان تبتاع شيئاً ضيقاً فلا اسكنه واذا تم البيع فاصلحها ونظفها وعرفني لانقل اليك مالي وانتقل فقلت افعل كما تأمرين فسلمت لي عشرة آلاف دينار فاخذتها وخرجت وآتيت داري فانهال الناس عليّ واعترضت الدور حتى ابتعت ما وافق اختيارها وكتبت اليها بالخبر فنقلت اليّ تلك النعمة بأسرها وعندي مالم اظن اني أراه فضلاً عن ان املكه واقامت عندي كذا وكذا سنة اعيش معها بعيش الخلفاء واتجر في خلال ذلك لان نفسي لم تسمح بترك الصنعة وابطال المعيشة فتتزايد مالي وجاهي وولدت لي هؤلاء الشبان وأومى الى اولاده وماتت رحمها الله وبقي علي مضرة الداجيراجة أني لا آكلها الا غسلت يدي اربعين مرة * وجدت في بعض الكتب ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت قد طلقني وباتت بليلة عظيمة فلما اصبح عدا على المنصور واخبره الخبر وقال له يا امير المؤمنين ان تم على طلاقها تلفت نفسي عنها وكان الموت احب اليّ من الحياة واظهر للمنصور جزعاً شديداً فاحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلاً واحداً من اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه فانه سكت فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فلا شيء يا أمير المؤمنين أحسن من الانسان فقال المنصور لعيسى بن موسى قد فرج الله عز وجل عنك والامر على ما قال هذا فاقم على زوجتك وراسلها ان اطيعي زوجك فما طلقك * عن محمد بن يونس قال لما سلمت

تمل دمشق الى ابي المغيث الرافقي سألني ان اكتب له عليه ففعلت فلما تآنست انا وهو حدثني أول خبره في تقلده الناحية فقال لي كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حمص فصرفني وقلده ابن عم لي فانصرفت عنه الى الرافقة وكان لابنة عم لي جارية نفيسة قد ربتها وعلمتها الغناء وكنت أدعوها فالفتها ووقعت في قلبي موقعاً عظيماً واشتد حبي لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها وناظرت مولاتها في ذلك فحلفت انها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت فاذا انا افتقر ولا تفي حالي كلها بثمنها فقامت قيامتي واشتد وجدي وانحدرت الى سر من رأي اطلب تصرفاً اوما به شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وابوه يوهبان لي فقصدت محمداً ومعي دواب وبقية من حالي فأقمت عليه مدة لم يسنح لي فيها تصرف فأبدت لي رقة الحال فانحدرت الى بغداد اقصد أسحق بن ابراهيم الطاهري فوردت في زورق وفكرت في أمري وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن الفضل الجوحواني لمودة كانت بيني وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه اجل موقع وفاتشني عن امري وسألني عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال والله لا تبرح من مجلسك حتى تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار وسلمت الي وتأبيت عليه فحلف ايماناً مؤكدة ان اقبله وقال ان اتسعت لقضائه واحتجت اليه لم امتنع من اخذه منك فأخذت الكيس وشكرته وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد أتي رسول اسحاق بن ابراهيم الطاهري يطلبني فصرت اليه فأحفى بي واكرمني وقال ما ظننت انك توافي بلداً احله فتنزل غير داري فقلت والله ما وافيت الا قاصداً الى الامير ولكن دوابي تأخرت فتوقعت ورودها لاصير الى باب الامير عليها فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب من امير المؤمنين المعتصم بولايتي دمشق وأراني كتاباً يعلمه فيه ما خبأ علي بن اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك بدمشق وان امير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت بسر من رأى فذكر له انك انحدرت الى اسحاق بن ابراهيم فأمر بتسليم كتبك الي ودفع مائة الف دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكل بي من يستحثني على البدار فورد علي من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت الى محمد بن الفضل فعرفته ما جرى وودعته ايضاً وأخرجت دنانيره فرددتها عليه فحلف بايمان غليظة عظيمة لا عادت الى ملكه ابداً وقال ان جلست في عملك واتسعت لم أمتنع أن أقبل منك غير هذا فشخصت ومررت بالرقة وابتعت الجارية وبلغت مناي بملكها واجترت

بحمص بابن عمي وانا اجل منه عملاً ودخلت عملي فصنع الله سبحانه ووسع * ووجدت في كتاب السمير للمدايني ان رجلاً من بني أسد علق امرأة من همدان بالكوفة وشاع أمرها فوضع قوم المرأة عليه عيوناً حتى أخبروا انه قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما رأت ذلك ولم تجد للرجل مهرباً وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك موضعاً أستر من ان أدخلك خلف ظهري وتلزمني فأدخلته بينها وبين القميص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى لم يتركوا موضعاً الا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول

حبك اشهاني وحبك قادني ... لهمدان حتى امسكوا بالمخنق
فجاشت الى النفس أول مرة ... فقلت لها ماتفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عما تنجلي ... عماية هذا العارض المتعلق

*وذكر الهيثم بن عدي ان جماعة من عذرة حدثوه ان جميل بثينة حضر ذات ليلة عند خباء حتى اذا صادف منها خلوة تنكر ودنا منها وكانت الليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح فحذف بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت ما حذفني في هذه الليلة الا الجن ففطنت بثينة ان جميلاً فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصرفي يا أخية الى منزلك حتى ننام فانصرفت وبقت مع بثينة ام الحسين ويروى أم اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت الى جميل فادخلته الخباء معها وتحدثوا جميعاً ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى اصبحوا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها فرآها نائمة ونظر جميلاً فمضى لوجهه حتى خبر سيده وكانت ليلى رأت الغلام والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذري جميلاً وبثينة فجاءت الجارية ونبهتهما فلما تبينت بثينة ان الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلي بصبوح من اللبن فرآنا نائمين فقال جميل وهو غير مكترث

لعمرك يا خوفتني من مخافة ... علي ولا حذرتني موضع الحذر
وأقسم ما يلقى لي اليوم غرة ... وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه ان يلقي نفسه تحت النضد وقالت انما اسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ونامت واضجعت أم الحسين الى جانبها فجاء زوجها

الي اخيها وابيها فعرفهما الخبر وجاؤا بأجمعهم الى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فرآوا أم الحسين الى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لابيها وأخيها قبحكما الله في كل يوم تفضحان المرأة في فنائكما ويلكما هذا لا يجوز فقالا انما فعل ذلك زوجها فقالت قبحه الله واياكما فجعلا يسبان زوجها وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد الى الليل ثم ودعها وانصرف * عن ابي القاسم علي بن أحمد الكاتب المعروف بابن كردويه قال كان لي صديق من اهل واذان عظيم النعمة والضيعة فحدثني قال تزوجت في شبابي امرأة من آل وهب ضخمة النعمة حسنة الخلقة والادب كثيرة المروءة ذات جوار مغنيات فعشقتها عشقاً مبرحاً وتمكن لها من قلبي أمر عظيم ومكث عيشي بها طيباً مدة طويلة ثم جرى بيني وبينها بعض ما يجري بين الناس فغضبت عليّ وهجرتني واغلقت باب حجرتها من الدار دوني ومنعتني الدخول اليها وراسلتني بأن اطلقها فترضيتها بكل ما يمكنني فلم ترض ووسطت بيننا اهلها من النساء فلم ينجع فلحقني الكرب والغم والقلق والجزع حتى كاد يذهب بعقلي وهي مقيمة على حالها فجئت الى باب حجرتها وجلست عنده مفترشاً التراب ووضعت خدي على العتبة أبكي وانتحب واتلافاها واسألها الرضا وأقول كلما يجوز ان يقال في مثل هذا وهي لا تكلمني ولا تفتح الباب ولا تراسلني ثم جاء الليل فتوسدت العتبة الى ان اصبحت واقمت على ذلك ثلاثة ايام بلياليها وهي مقيمة على الهجران فآيست منها وعزلت نفسي ووبختها ورضيتها على الصبر وقمت من باب حجرتها عاملاً على التشاغل عنها ومضيت الى حمام في داري فأمطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه وجلست لاغير ثيابي وأتبخر فاذا بزوجتي قد خرجت الي وجواريها المغنيات حواليها بآلاتهن يغنين ومع بعضهن طبق فيه اوساط وسنوسج وماء ورد وما اشبه ذلك فحين رأيتها استطرت فرحاً وقمت اليها واكببت على يديها ورجليها وقلت ما هذا ياستي فقالت تعال حتى نأكل ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق فأكلنا جميعاً ثم جيء بالشراب واندفع الجواري بالغناء واخذنا في الشراب وقد كاد عقلي يزول سروراً فلما توسطنا امرنا قلت لها ياستي انت هجرتني بغير ذنب كبير اوجب ما بلغته من الهجران وترضيتك بكل ما في المقدرة فما رضيت ثم تفضلت ابتداء بالرجوع الى وصالي بما لم تبلغه امالي فعرفيني ماسبب هذا قالت كان الامر في سبب الهجر ضعيفاً كما قلت ولكن تداخلني في التجني ما يتداخل المحبوب ثم استمر بي اللجاج وأراني الشيطان الصواب فيما فعلته فاقمت على ما رايته فلما كان الساعة اخذت دفتراً كان بين يدي

وتصفحته فوقعت عيني منه على قول الشاعر :

الدهر اقصر مدة من ان يضيع في الحساب فيعمني ساعاته فمرورها مر السحاب

قالت فعلمت انها عظة لي وان سبيلي ان لا اسخط الله عز وجل باسخاط زوجي ولا استعمل اللجاج فاسوءك واسوء نفسي فجئتك لاترضاك وارضيك فانكببت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا * عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفي فارسل الي عشرة من اصحابه واذا احدهم من وجوه اهل الكوفة فسهرنا عنده ثم قال ليحدثني كل رجل منكم احدوثه وابدأ انت فقلت اصلح الله الامير احديث الحق ام حديث الباطل قال بل حديث الحق قلت ان امرئ القيس بن حجر الكندي حلف ان لا يتزوج امراة حتى يسالها عن ثمانية واربعه واثنين وجعل يخطب النساء واذا سالهن عن هذا قلن اربعة عشر فبينما هو يسير في الليل اذا برجل يحمل بنتاً له صغيرة كأنها البدر لتمه فاعجبته فقال يا جارية ماثمانية واربعة واثنان قالت اما الثمانية فاطباء الكلبة واما الاربعة فاخلاق الناقة واما الاثنان فثديا المراة فخطبها الى ابيها فزوجه اياها وشرطت عليه ان تسأله ليلة بناءها عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على ان يسوق لها مائة من الابل وعشرة عبيد وعشرة وصائف وثلاث افراس ففعل ثم انه بعث عبداً له الى المراة واهدى اليها نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بشجرة فانشقت وفتح النحيين واطعم اهل الماء منها ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف فسألها عن ابيها وامها واخيها ودفع اليها هديتها فقالت اعلم مولاك ان ابي ذهب يقرّب بعيداً و يبعد قريباً وان امي ذهبت تشق النفس نفسين وان اخي يراعي الشمس وان سماءكم قد انشقت وان وعاكما قد نضبا فقدم الغلام على مولاه فاخبره فقال ما اقوى قولها انها تعني بقولها ان اباها ذهب يقرب بعيداً و يبعد قريباً ان اباها ذهب يحالف قوماً على قوم وقولها ذهبت امي تشق النفس نفسين فان امها ذهبت تقبل امرأة نفساء واما قولها اخي يراعي الشمس فان اخاها في سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس ليروح به واما قولها ان سماكم قد انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق واما قولها ان وعاكما قد نضبا فان النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني قال يامولاي اني نزلت بماء لبني تميم فسألوني عن نسبي فاخبرتهم اني ابن عمك ونشرت الحلة فلبستها فتعلقت بشجرة وانشقت ثم فتحت النحيين واطعمت منهما اهل الماء فقال اولى لك ثم ساق الابل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلاً فقام

الغلام يستقي فاعانه امرؤ القيس فرمي به الغلام في البئر وخرج حتى اتي المرأة بالابل واخبر اباها انه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما ادري اهو زوجي اولا ولكن انحروا له جزوراً واطعموه من كرشها ففعلوا فاكل ما اطعموه فقالت اسقوه لبناً خازراً وهو الحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما اصبح ارسلت اليه اني اريد ان اسألك فقال سلي ماشئتِ فقالت مم تختلج شفتاك فقال لتقبيلي اياكِ فقالت مم يختلج كشحاك فقال لالتزامي اياكِ فقالت مم يختلج فخذاك فقال لتوركي اياكِ قالت عليكم بالعبد فشدوا ايديكم به ففعلوا قال ومر قوم فاستخرجوا امرءا القيس من البئر فرجع الى حيه واستاق من الابل واقبل الى امرأته فقالت والله لا ادري اهو زوجي اولا ولكن انحروا له جزوراً واطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما اتوه بذلك قال اين الكبد والسنام والملحاء وابى ان يأكل فقالت اسقوه لبناً خازراً فأبى ان يشربه وقال اين الضريب والرايب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فابى ان ينام وقال افرشوا لي عند التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباً ثم ارسلت اليه هلم شرطي عليك في المسائل الثلاث قال فارسل اليها ان سلي عما شئت قالت مم تختلج شفتاك قال لشرب المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فمم يختلج فخذاك قال لركضي المطهمات قالت هذا زوجي فعليكم به واقتلوا العبد فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية قال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديثك يا ابا عمرو ولن تأتينا باعجب منه فقمنا وانصرفنا وامر لي بجائزة سنية * وجدت في كتاب الاغاني الكبير لابي الفرج المعروف بالاصبهاني الذي اجاز لي روايته في جملة ما اجازه لي اخبار قيس بن دريح الكناني قال في صدرها اخبرني بخبر قيس بن دريح ولبنى امرأته جماعة من مشائخنا في قصص متصلة ومنقطعة واخبار منثورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتّسق حديثه الاّ ماجاء منفرداً وحسن اخراجه عن جمله النظم فذكرته على حدة فممن اخبرنا بخبره احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه الى غيره وابراهيم ابن ايوب عن ابي شبة والحسن بن علي عن محمد بن موسى عن حماد البريدي عن احمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن ابي السري عن هشام بن محمد الكلبي وعلى روايته اكثر المعول ونسخت ايضاً من اخباره المنظومة اشياء ذكرها عن رجاله وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه وخالد بن حمل ونتفاً حكاها التوسعي صاحب

الرسائل عن ابيه عن احمد بن حماد. جميل عن ابن ابي جناح الكعبي وحكيت كل متفق فيه متصلاً وكل تختلف في معانيه منسوباً الي قالوا جميعاً كان ينزل قيس برسة في ظاهر المدينة وكان هو وابوه من حاضرة المدينة فمر قيس لبعض حوائجه بخباء من بني كعب من خزاعة والحي جلوس فوقف علي خيمة لبني بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به اليه وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت له اتنزل عندنا قال نعم فنزل بهم وجاء ابوها فنحر له واكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حر لا يطفى فجعل ينطق الشعر فيها حتى شاع وروى ثم اتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها فسلم وظهرت له وردت عليه سلامه وتحفت به فشكا اليها مايجد بها وما لقي من حبها فشكت مثل ذلك فاطالت وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه فانصرف الى ابيه فاعلمه حاله وسأله ان يزوجه اياها فأبي عليه وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهن احق بك وكان ذريح كثير المال فاحب ان لا يخرج ابنه عن يده فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به ابوه فاتى امه وشكا ذلك اليها واستعان بها علي ابيه فلم يجد عندها مايحب فاتى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وروى ابو الفرج قبل هذا في اخبار قيس باسناد مفرد لم اذكره ههنا خوف الاطالة انه كان رضيع الحسين عليه السلام واتى الى ابن ابي عتيق وكان صديقه فشكا اليهما مابه وما رد عليه ابوه فقال له الحسين عليه السلام انا اكفيك فمشى معه الى ابي لبني فلما بصربه اعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك الا بعثت الي فآتيك فقال ان الذي جئت له يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً لبني لقيس بن ذريح فقال يا ابن رسول الله الا بعثت الي وما كنا لنعصى لك امراً وما بنا عن الفتى رغبة ولكن احب امرين اليها ان يخطبها ابوه ذريح وان يكون ذلك عن امره فانا نخاف إن سمع ابوه بعد هذا يكون عاراً وسبة علينا فاتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظاماً وقالوا له مثل قول الخزاعيين فقال ياذريح اقسمت عليك الا خطبت لبني لابنك قيس قال السمع والطاعة لامرك فخرج معه في وجوه قومه حتى اتى حي لبني فخطبها ذريح علي ابنه لابيها فزوجه اياها وزفت اليه فاقام معها مدة لا ينكر احدهما من صاحبه شيئاً وكان ابر الناس بامه فالهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت امه في نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري ولم تر للكلام موضعاً حتى

مرض قيس مرضاً شديداً فلما رأ قالت امه لابيه لقد خشيت ان يموت قيس ولم يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المراة وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة فزوجة بغيرها لعل الله ان يرزقه ولداً والحت عليه في ذلك فامهلها حتى اجتمع قومه ثم قال ياقيس انك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولالي سواك وهذه المراة ليست بولود فتزوج احدى بنات عماك لعل الله تعالى ان يهب لك ولداً تقر به اعيننا وعينك فقال قيس لست متزوجاً غيرها ابداً فقال ابوه ان في مالي سعة فتسرى بالاماء فقال ولا اسوءها بشيء ابداً فقال ابوه اني اقسم عليك الا طلقتها فابى وقال الموت والله اسهل عليّ من ذلك ولكن اخيرك خصلة من خصال قال وما هي قال تتزوج انت فلعل الله ان يرزقك بولد غيري قال ما بي فضل لذلك قال فدعني ارحل عنك باهلي قال ما كنت لاصنع قال فدع لبني عندك وارتحل انا عنك لعلي اسلوها فاتي ما تحب بعد ان تكون نفسي طيبة بانها في حبالي قال لا ارضى او تطلقها ثم حلف انه لا يكنه سقف بيت ابداً حتى تطلق لبنى وكان يخرج فيقعد في حر الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه و يظله بردائه و يصلي وهو بحر الشمس حتى يفيء الفيء وينصرف الى لبنى فيعانقها و يبكي وتبكي معه وتقول ياقيس لا تطع اباك تهلك وتهلكني معك فيقول ما كنت لاطيع احداً فيك ابداً فيقال انه مكث على ذلك سنة وقال خالد بن كلثوم ذكر ابن عائشة انه اقام كذلك اربعين يوماً ثم طلقها وحكى ليث بن عمرو انه سمع قيس بن دريح يقول ليزيد بن سليمان هجرني ابواي في لبنى عشر سنين استأذن عليهما فيردانني حتى اطلقها قال ابن جريج فاخبرت ان عبد الله بن صفوان الطويل لقي دريحاً ابا قيس فقال له ماحملك ان فرقت بينهما او ما علمت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابالي فرقت بينهما او مشيت اليهما بالسيف وروى هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين بن علي رضي الله عنهما قال لدريح ابي قيس أحل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما اني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما ابالي افرقت بين الرجل وامراته او مشيت اليهما بالسيف قالوا فلما بانت لبنى منه بطلاقه اياها وفزع من الكلام لم يصمت حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وجعل يبكي ويتشنج احر تشنج و بلغها الخبر فارسلت الى ابيها ليحملها وقيل بل اقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل اليها فاقبل ابوها بهودج على ناقة و بإبل يحمل اثاثها فلما راى ذلك قيس اقبل على جاريتها وقال ويحك مادهاني فيكم قالت لاتسئلني وسل لبنى فذهب ليلم

بخبائها فمنعه قومها واقبلت اليه امراة من قومه فقالت مالك تسئل ويحك كانك جاهل او متجاهل هذه لبنى ترحل الليلة او غداً فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم افاق وهو يقول

وانى لمفن دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي بكفي الا انّ من خان خائن .

قال ابو الفرج من هذه الابيات غناء ولها اخبار قد ذكرت في اخبار المجنون يعني قيس بن الملوح مجنون بني عامر ثم ذكر ابو الفرج بعد هذا عدة قطع من شعر قيس بن دريج ثم قالوا فلما ارتحل بها قومها اتبعها ملياً ثم علم ان اباها سيمنعه من المسير معها فوقف ينظر اليها و يبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً ونظر الى خف بعيرها فاكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها واثر قدميها فليم علي ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال

وما احببت ارضكم ولكن اقبل اثر من وطيء الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى بلاء ما اسيغ له شرابا

ثم ذكر ابو الفرج قطعة من شعر قيس واخباراً من اخباره في لبني مشهورة بأسانيد مفردة عن الاسناد الذي رأيته عنه هاهنا ثم رجع الى موضع من الحديث الذي جمع فيه اسانيده وأتى بسياقة تطول عن ان اذكرها في كتابي هذا جملتها عظيم مالحق قيساً من التململ والسهو والكمد والاسف والبكاء العظيم والجزع المفرط والصاق خده بالارض على آثارها وخروجه في أثرها يشم روائحها وعتابة نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلة اعتلها اشرف منها على الموت وجمع أبيه له فتيات الحي يسألنه ويحدثنه طمعاً في ان يسلوا عن لبني ويعلق واحدة منهن فيزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره وقطع شعر كثيرة له في خلال ذلك وذكر في جملة اخبار كثيرة بأسانيد متفرقة وبالاسناد الذي ذكره ان ابا لبني شكا قيساً الى معاوية بن ابي سفيان وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها فكتب مروان بذلك الى صاحب الماء وان أباها زوجها فبلغ ذلك قيساً فاشتدجزعه وجعل يتشنج أحرّ تشنج ويبكي اشد بكاء وأتى محلة قومها فنزل عن راحلته وجعل يبكي في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي احد بكاء ثم قال قصيدة أتى بها ابو الفرج وبأخبارها أولها .

الى الله اشكوا فقد لبني كما شكا　　الى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها اخباراً له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة ووجدها به وبكاها وانكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت قيساً واشهارها وافتضاحها وما لحق قيساً ولبني من الخبل واختلال العقل وقطع شعر كثيرة أخر لقيس في خلال ذلك وان قيساً مضى الى يزيد بن معاوية فمدحه وشكى اليه مابه فرق عليه وأخذ له كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض عليه احد وأزال ماكان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال ذلك واخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من امر قيس ولبني وذكر كلاماً كثيراً في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك كله وذكر الفحذمي وابن عائشة وخالد ابن حمل ان أبي عتيق صار الى الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رحمهما الله وجماعة من قريش فقال لهم أن لي حاجة اخشى ان تردوني فيها واني استعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك مبذول لك منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم الى زوج لبني فلما رآهم أعظم مصيرهم اليه واكبره فقالوا قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق فقال مقضية كائنة ما كانت قال ابن ابي عتيق قد قضيتها كائنة ماكانت من اهل او مال قال نعم قال فهب لي اليوم لبني زوجتك وتطلقها قال فاني اشهدكم انها طالق ثلاثاً فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولو علمنا انها هذه ما سألناك اياها قال بن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بمائة الف درهم وحملها ابن ابي عتيق اليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتى القوم اباها فزوجها قيساً ولم تزل معه الى ان ماتا فقال قيس بن دريح يمدح بن أبي عتيق

جزى الرحمن افضل مايجازي　　على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت اخواني جميعاً　　فما الفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع　　ورأى حرت فيه عن طريق
واطفا لوعة كانت بقلبي　　أغصتني حرارتها بريق

قال فقال له بن أبي عتيق ياحبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه احد الا ظنني قواداً * اخبرني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن سعد قال حدثني عبد الله ابن نصر المروزي قال حدثنا محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيي بن معاذ قال قدم عليّ بنيسابور

ابراهيم بن سيابة يعني الشاعر البصري الذي كان جده حجاماً فاعتقه بعض بني هاشم فصار مولى لهم فأنزلته علي لجاة في ليلة من الليالي وهو مكروب وقدهام فجعل يصيح بي يا أبا ايوب نخشيت ان يكون قد غشيته بلية فقلت له ما تشاء فقال (أعياني الشاذن الربيب) فقلت له ما ذا تقول فقال (اشكو اليه فلا يجيب) فقلت داره وداوه فقال

من أين ابغي شفاء مابي وانما دائي الطبيب

فقلت فلا اذاً الا ان يفرج الله تعالى فقال (يارب فرج اذن وعجل) (فانك السامع المجيب) * ثم انصرف * اخبرني ابو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثني محمد بن مزيد أبي الازهر قال حدثنا حماد بن اسحق قال حدثني ابي قال سرت الى سر من رأى بعد قدومي من الحج فدخلت الى الواثق فقال بأي شيء اطرفتني من الاحاديث التي استفدتها من العرب في اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جاس الي فتى من الاعراب في بعض المنازل يحدثني فرأيت منه احلى من رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وظرفاً وأدباً فاستنشدته فأنشدني

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتنفان مؤتلفان
اذا أمنا التفا بجيدي مواصل وطرفاها للريب مسترقان
اردتهما ختلا فلم استطعهما ورميا ففاتاني وقد قتلان

ثم تنفس تنفساً ظننت انه قد قطع حيازيمه فقلت مالك بأبي انت وامي فقال لي وراً هذا الجبلين شجي لي وقد حال قومه بيني وبين المرور بهذه البلاد وهدروا دمي فانا اتمتع بالنظر الى الجبلين تعللاً به اذا قدم الحاج ثم يحال بيني وبين ذلك فقلت له زدني مما قلت فانشدني

اذا ما وردت الماء في بعض اهله حضور فعرض بي كأنك مادح
فان سألت عني حضوراً فقل لها به غير من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق فكتبت الشعرين فلما كان بعد ايام دعاني فقال قد صنع بعض عجايز دارنا في احد الشعرين لحنا فاسمعه فان ارتضيته أظهرناه وان رأيت فيه موضع اصلاح اصلحته فغنى لنا فيه من وراء الستارة فكان في نهاية الجودة وكذا كان يفعل اذا صنع شيئاً فقلت له احسن والله صانعه يا امير المؤمنين ماشاء فقال بحياتي فقلت وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لي برطل فشربته ثم اخذ العود فغناه ثلاث مرات فلما كان بعد ايام دعاني وقال لي قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الآخر لحنا وأمر

فغنى به وكانت حالي به كالحالة الاولى في الشعر الاول لما استحسنته وحلفت له على جودته وسقاني ثلاثة ارطال وامر لى بثلاثة الف درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت نعم يا امير المؤمنين اطال الله بقاك وأتم نعمته عليك ولا افقدنيها منك ربك فقال ولكنك لم تقض حق جليسك الاعرابي ولا سألتني معونة على امره وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال ولكني كتبت بخبره الى صاحب الحجاز وامرته باحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها الى قومها من مالى ففعل فقبلت يده وقلت السبق الى المكارم لك وأنت اولى بها من عبدك ومن سائر الناس قال ابو الفرج وصنعة الواثق في الشعرين جميعاً من الرمل * وجدت في بعض كتبي قال ابو عبيد الله محمد بن علي بن حمزة كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه فعشقتها فعلمت زوجتي بذلك فحجبتها عنى واشتد مابي من الوجد عليها وتنغصت على حياتي وقاسيت شدة شديدة فبينا انا ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتي الى جانبي اذ رأيت في النوم كان الجارية حيالي وانا ابكي وقد لاح انسان انشدني

وقفت حيالك اذري الدموع   واخلط بالدمع مني دما
واشكو الذي بي الى عاذلي   ولا خير في الحب ان يكتما
رضيت بما ليس فيه رضاً   بتسليم طرفك أن سلما
فتهت علي واقصيتني   واعزز علي بأن ارغما

قال فانتبهت جزعاً ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي فكتبت الشعر فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله من حب فلانة قد وهبتها لك * اخبرني ابو الفرج القرشي المعروف بالاصبهاني قال نسخت من كتاب محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشي قال حماد الراوية اتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن ابي ربيعة المخزومي فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن ابي ربيعة كان لى صديق من بني عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان احد بني سلامان وكان يلقي من الصبابة بالنساء على أنه كان لاعاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في كل سنة اذا جاء وقته وترجمت عنه الاخبار وتوكفت له الاسفار فغمني ذات سنة ابطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم انشد صاحبي واذا غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن ابي المسهر تسأل قلت نعم عنه اسأل واياه اردت قال هيهات هيهات اصبح ابو المسهر لامايوس منه فيهمل ولا مرجو فيعلل والله كما يقول الشاعر

لعمرك ما حبي لاسماء تاركي ... اعيش ولا اقضي به فأموت

فقلت وما الذي به قال مثل الذي بك من الهيان فى نهوككما في الضلال وجركما اذيال الخسار كانكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ومن انت منه يا ابن اخي قال اخوه قلت فما يمنعك ان تسلك مسلك اخيك من الادب وان تركب منه مركبه واخوك كالبرد والبحار لاترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتي وانا اقول

ارائحه حجاج عذرة وجهه ... ولما يزح في القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقى من الهوي ... متي اقل يسمع وان قال اسمع

الا ليت شعري اي شيء اصابه ... بلي زفرات هجن من بين اضلع

فلا يبعدنك الله خلاّ فانى ... سألقي كما لاقيت في الحب مصرعى

ثم انطلقت حتى وقفت موقفي من عرفات فبينما انا كذلك اذا بانسان قد تغير لونه وساءت هيأته فادنى ناقته من ناقتي ثم خالف بين اعناقها وعانقني وبكا حتى اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العذل وطول المطل ثم انشأ يقول

لئن كانت غدية ذات لب ... لقد علمت بان الحب داء

ولا تنظر الى تغيير جسمي ... واني لا يفارقني البكاء

فاني لو تكلفني كلاماً ... لعف الكلم وانكشف الغطاء

وان معاشري ورجال قومي ... حتوفهم الصبابة واللقاء

اذا العذري مات حليف قوم ... فذاك العبد تبكيه الرشاء

فقلت يا ابا المسهر انها ساعة يضرب اليها اكباد الابل من شرق الارض وغربها فلو دعوت كنت تمني ان تظفر بحاجتك قال فتركني واقبل على الدعاء فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا منه سمعته يتكلم بشيء فاصغيت اليه فاذا هو يقول يارب كل غدوة وروحة ... من محرم يشكوا الضنا ولوحة

انت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقلت وما يوم الدوحة فقال والله لاخبرنك ولو لم تسالنى وتيممنا نحو مزدلفة فاقبل علي وقال اني رجل ذو مال من نعم وشأو ذو المال لا يعذره القل ولا يرويه الثمار واني خشيت عام الاول على مالي التلف ونصر الغيث ارض كلب فانتجعت اخوالي منهم فاوسعوا لي عن صدر المجالس وسقوني حمة الماء وكنت معهم في خير احوال ثم انى عزمت على مرافقة ابلي بماء لهم يقال له الحردان فركبت فرسي وسمطت خلفي شراباً

كان اهداه الي بعضهم ثم مضيت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى الغنم وقعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من اغصانها وجلست في ظلها فبينا انا كذلك اذ سطع غبار من ناحية الحي ثم وقعت الى شخوص ثلاثة ثم تبينت فاذا بفارس يطرد مسحلاً واتاناً فتأملته فاذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعرس اعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز علي الا يسيرًا حتى طعن المسحل وثنى طعنة للاتان فاصرعهما واقبل راجعاً نحوي فقلت انك تعبت واتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله فنزل وشد فرسه بغصن من اغصان الشجرة والقى رمحه واقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول ابي ذؤيب

وان حديثاً منك لو تبذلينه   جني النحل في البان عوذ مطافل

ثم حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش فقلت سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك واحسن صنعتك فقال لي مما ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرني من نورك قال وما الذي يروعك من جنس التراب واكيل الدواب ثم لا يدري بعد ذلك اينعم ام ييأس قلت لا يصنع الله بك الا خيرًا ثم تحدثنا ساعة فاقبل علي فقال ماهذا الذي سمطت في سرجك فقلت شراب اهداه لي بعض اهلك فهل لك فيه من ارب قال انت وذاك فاتيته به فشرب منه وجعل والله ينكث بالسوط احياناً على ثناياه وجعل والله يتبين لي اثر السوط فيهن فقلت مهلاً فاني خائف ان تكسرهن قال ولم قلت لانهن رقاق عذاب فرفع عقيرته يتغنى وانشد

اذا قبل الانسان آخر يشتهي   ثناياه لم يأثم وكان له اجرا
فان زاد زاد في حسناته   مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

قال ثم قام الى فرسه فاصلح امره ثم رجع قال فبرقت لي بارقة من تحت الدرع فاذا الذي كأنه حق عاج فقلت نشدتك الله امرأة انت قالت نعم والله الا انها تكره الغارة وتحب الغزل ثم اجلستها فجعلت تشرب معي ما افقد من انسها شيئاً حتى نظرت الى عينيها كأنها مهاة مذعورة فوالله ما راعني الا ميلها على الدوحة سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ثم ان الله عزوجل عصمني منه فجلست منها حجرة حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها براسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله عن الصحبة خيرًا قلت الا تزوديني منك زادًا فناولتني يدها فقبلتها فشممت منها والله رائحة

الشباب المطلول وذكرت قول الشاعر

كانها اذ تقضى النوم وانتبهت　　سيابة مابها عين ولا اثر

فقلت لها واين الوعد قالت ان لي اخوة شوساً وابًا غيورًا ووالله لئن اسرك احب الي من ان اضرك وانصرفت فجعلت اتبعها بصري حتى غابت فهي والله يا ابن ابي ربيعة احلتني هذا المحل وابلغتني هذا الموضع فقلت يا ابا المسهران الغدر بك مع ما تذكر لمليح فبكى واشتد بكاؤه فقلت لاتبك فما قلت ماقلت لك الا مازحًا ولو لم ابلغ حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى اقدر عليه فقال لي خيرًا فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعير له وحملت عليه قبة حمرا من ادم كانت لابي ربيعة المخزومي وحملت معي الف دينار ومطرف خز وانطلقنا حتى اتينا بلاد كلب فنشدنا عن ابي الجارية فوجدناه في نادي قومه واذا هو سيد الحي واذا الناس حوله فوقفت على القوم وسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل قلت عمرو بن عبدالله ابن ابي ربيعة بن المغيرة المخزومي قال المعروف غير المنكر فما الذي جابك قلت خاطبًا قال الكفو والرغبة قلت اني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكنني اتيت في حاجة ابن اخيكم هذا العذري فقال والله انه لكفي الحسب رفيع البيت غيران بناتي لم يتفقن الا في هذا الحي من قريش فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال اما اني صانع بك مالم اصنع بغيرك قلت مثلي من شكر فما ذلك قال اخيرها فهي وما اختارت قلت ما انصفتني اذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك فاشار الي العذري ان دعه يخيرها فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فارسلت اليه ما كنت لاستبد براي دون القرشي والخيار في قوله وحكمه فقال لي انها قد وكلتك فاقض ما انت قاض فحمدت الله تعالى واثنيت عليه بما هو اهله وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا اني قد زوجتها من الجعد بن مهجع واصدقتها هذه الالف دينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسالته ان يبني عليها من ليلته فارسل الى امها فابت وقالت اتخرج ابنتي كما تخرج الامة فقال الشيخ فعجلي في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحريم واهديت اليه ليلاً وبت انا عند الشيخ فلما اصبحت اتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج الي وقد اثر السرور فيه فقلت كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك فقال لي ابدت لي والله كثيرًا مما كانت تخفيه عني يوم لقيتها فسالتها عن ذلك فانشأت تقول هذه الابيات

كتمت الهوى لما رايتك جازعاً ... وقلت فتي بعد الصديق يريد
وان تطرحني او تقول فتية ... يضر بها برح الهوى فيعود
فواريت ما القى وفي داخل الحشا ... من الوجد جرح فاعلمن شديد

فقلت اقم على اهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت فقال العذري

اذا ما ابا الخطاب خلا مكانه ... فافّ لدنيا ليس من اهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده ... ولا سقيت ارض الحجازين بالمطر

* اخبرني ابو الفرج الاصبهاني اجازة قال اخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن سعيد قال حدثنا محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي ابن يقطين قال كنت منقطعاً الى البرامكة فبينما انا ذات يوم في منزلي اذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجع اليّ فقال على الباب فتى ظاهر المروّة يستاذن عليك فاذنت له فدخل عليّ شاب فما رايت احسن وجهاً ولا انظف ثوباً ولا اجمل زيّاً منه عليه اثر السقم ظاهر فقال لي اني احاول لقاك منذ مدة فلا اجد اليه سبيلاً ولي حاجة قلت ما هي فاخرج ثلاثمائة دينار ووضعها بين يدي ثم قال اسالك ان تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به فقلت له هاتهما فانشدني

بالله ياطرفي الجاني على بدني ... لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
او لابوحن حتى يحجبوا سكني ... فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت له فيهما لحناً من الثقيل الاول مطلق في مجرى الوسطى ثم غنيته اياه فاغمى عليه حتى ظننته قد مات ثم افاق فقال اعد فديتك فقلت اخشى ان تموت فقال هيهات انا اشقى من ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى اعدته عليه فصعق صعقة اشد من الاولى حتى ظننت نفسه قد فاضت فلما افاق رددت عليه الدنانير وقلت خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطراً مما اردته ولست اشرك في دمك فقال لا حاجة لي في الدنانير وهذه مثلها ثم اخرج ثلثمائة دينار اخرى وقال اعد عليّ الصوت مرة اخرى وخذها فقلت تقوم عندي وتحزم وتشرب اقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن ما بك وتحدثني بقضيتك فقال افعل فاخذت الدنانير ودعوت بطعام فاصاب منه اصابة معذرة وبالنبيذ فشرب اقداحاً وغنيته بشعر غيره وهو يشرب ويبكي ثم قال اعزك الله اعد عليّ صوتي فغنيته صوته فجعل يبكي أحر بكاء وينتحب فلما رأيته قد خف عما كان يلحقه والنبيذ قد شد من قلبه كررت عليه صوته مراراً

ثم قلت له حدثني حديثك فقال انا رجل من المدينة خرجت متنزهاً في ظاهرها وقد سال العقيق في فئة من اقاربي فبصرنا بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن بفتاة كانها قضيب قد طله الندى تنظر بعين ما ارتد طرفها الا بنفس ملاحظها فاطلن واطلنا حتى تفرق الناس وقد ابقت بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله فعدت الى منزلي وانا وقيد وخرجت من غد الى العقيق وليس فيها احد فلم أر لها أثراً ثم جعلت اتبعها في طرق المدينة واسواقها وكان الارض قد ابتلعتها فقمت حتى آيس مني اهلي ودخلت بيت ظئر لي فسألتني عن حالي فاخبرتها بقصتي فقالت لا بأس عليك هذه ايام الربيع وهي سنة خصب وليس يبعد المطر فيمد العقيق والنسوة سيجئن فاذا رأيتها اتبعها حتى اعرف خبرها وموضعها واسعى لك في تزويجها فكان نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء المطر فسال العقيق فخرجت مع اخواني اليها فما جلسنا مجلسنا الاول كما كنا الا والنسوة اتين كفرسي رهان فاومأت الى ظئري فجلست حجرة قريبة منا ومنهن فاقبلت على اخواني فقلت لهم احسن القائل

ومتى بسهم يقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً بها وندوبا

فأقبلت هي على صواحبها فقالت احسن والله القائل وأحسن من اجابه حيث يقول

بنا مثل ما تشكوا فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فامسكت عن الجواب خوفاً من ان يظهر مني مايفضحني واياها وانصرفنا وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها وصارت الي فاخذت بيدي ومضينا اليها فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة حتى ظهر ما بيني وبينها فحجبها اهلها وتشدد عليها ابوها فلم اقدر عليها فشكوت الى ابي ما ألقى وشدة ما ألقى وسألته خطبتها لي فمضى ابي وشيخة اهلي الى ابيها وخطبوها فقال لو كان بدأ بهذا قبل ان يشهرها لاسعفته بحاجته وما التمس ولكنه قد فضحها فلم أكن لاحقق قول الناس فيها بتزويجها اياه فانصرفنا على بأس منها ومن نفسي قال سعيد فسألته اين تنزل فخبرني فصارت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيي يوماً للشرب فأتيته فكان اول بيت غنيته به شعر الفتى وصوتي الذي صنعته فيه فطرب منه طرباً شديداً وقال ويحك لمن هذا فقلت ان للصوت حديثاً فقال ما هو فحدثته فامر باحضار الفتى فاحضر من وقته واستعاده الحديث فاعاده عليه فقال هي في ذمتي حتى ازوجكها فطابت نفسي ونفس الفتى فاقمنا ليلتنا حتى أصبح

وغدا جعفر الى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وامر باحضارنا جميعاً وامر بان اغنيه الصوت فغنيته فشرب عليه وسمع حديث الفتى وامر من وقته بالكتاب الى عامل الحجاز باشخاص الرجل وابنته وسائر اهله الى حضرته فلم يمض الا مسافة الطريق حتى حضروا فامر الرشيد بايصاله اليه فاوصله وخطب اليه الجارية للفتى فاجابه وزوجه اياها وحمل الرشيد اليه الف دينار لمهرها والف دينار لجهازها والف دينار لنفقة الطريق وأمر للفتي بالفي دينار وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر * اخبرنا ابو الحسين محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك في رسالة في فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة شرحبيل التنوخي وعابد الطائي وهي التي كان داود التيمي عاشقاً لها فاستقبل النعمان بن المنذر في يوم بؤسه وقد خرج يريدها وهو لا يعلم بيوم النعمان فقال ما حملك على استقبالي في يوم بؤسي قال شدة الوجد وقلة الصبر فقال ألست القائل

وددت وكانت الحسنات اني … اقارع مجم وردة بالقداح
على قتلي بابيض مشرفيّ … وكوني ليلة حتى الصباح
فان تكن القداح عليّ تلقى … ذبحت على القداح بلا جناح
وان كانت عليه بيمن خدي … لهوت بكاعب خود رزاح

قال نعم قال فاني مخيرك احدى اثنتين فاختر لنفسك قال ما هما ابيت اللعن قال اخلي سبيلك او امتعك سبعة ايام ثم اقتلك قال بم تتمنى قال بوردة قال قبلت الثاني فساق النعمان مهرها الى عمها وجمع بينهما فلما انقضت الايام اقبل على النعمان وهو يقول

اليك ابن ماء المزن اقبلت بعد ما … مضت لي سبع من دخولي على اهلي
مجيء مقر لاصطناعك شاكر … منتت عليه بالكريم من الفعل
لتقضي فيه ما أردت قضاؤه … من العفو اهل العفو او عاجل القتل
فان يك عفواً كنت افضل منعم … وان تكن الاخرى فمن حكم عدل

فأحسن جائزته وخلى سبيله وانشد النعمان يقول

اذ حوى من كان يهوي … ونجي من كل بوس
وكذاك الطير يجري … بسعود ونحوس

قال مؤلف الكتاب ووجدت كتاباً لاحمد بن ابي طاهر سماه كتاب فضائل الورد على النرجس اكثر قدراً واغزر فائدة من رسالة بن لنكك فوجدته وقد ذكر فيه

الخبر قال وممن سمى بنتة وردة شرحبيل بن مسعود الشرجي وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من مسخ وبها التقى سليمان بن مبرّد امير الجيش الذين يقال لهم البوابون للطالب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيل عبيد الله بن زياد وسمى عائد الطائي بنته وردة وهي التي كان داود بن موسى التيمي ثم السعدي عاشقاً لها وساق الخبر كما ذكره بن لنكك والله تعالى اعلم

الباب الرابع عشر

* ما اختير من ملح الاشعار *

* في اكثر معاني ما تقدم من الامثال والاخبار *

قال لقيط بن زرارة التميمي

قدعشت في الناس اطواراً على طرق شتى وقاسيت فيها اللين والقطعا
كلاً لبست فلا النعمان ينظرني ولا تجرعت من لاوائها جزعا
لا يملأ الارض صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً اذا وقعا
ما سدّ مطلع ضاقت ثنيته الا وجدت وراء الضيق متسعا

وقال ابو ايوب الهذلي

فاني صبرت النفس بعد ابن عنبس وقدلج من ماء المشوق لجوج
لاحسب جلداً او ليبني شامت وللشر بعد القارعات فروج

ويروى لامير المؤمنين علي رضي الله عنه

اني اقول لنفسي وهي ضيقة قد اناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الايام ان لها عقبى وما الصبر الا عند ذي الحسب

وروي لعثمان بن عفان رضي الله عنه

خليلي لا والله لا من ملمة تدوم على حيّ وان هي حلت
وان نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوائب فصابرها حتى مضت واضمحلت

فكانت على الايام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت

وأنشد معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه

ولا تيأس واستعون الله انه اذا الله يسر عقد شيء تيسرا

لابي ذخيل من قصيدة له

عست كربة امسيت فيها مقيمة يكون لنا منها رخاء ومخرج

واني لمحجوب غداة ازورها وكنت اذا فاديتها لا أعرّج

فيكبت اعداء ويعذل الف له كبد من لوعة الحب تنضج

لجارية بن بدر الغداني

قل للفـؤاد اذا نزا بك نزوة من الهم افرغ اكثر الروع باطله

لتوبة بن حمير العقيلي

وقد تذهب الحاجات يطلبها الفتى شعاعاً وتخشى للنفس مالا يضرها

لجرير

يعافي الله بعد بلاه جهداً وينهض بعد ما يبلي السقيم

لزياد بن عمرو من بني الحرث بن كعب وقيل لزيادة بن زيد العذري من ابيات

اذا مذهب سدت عليك فروجه فانك لاق لا محـالة مذهبا

ولا تجعلن كرب الخطوط اذاعرت عليك وتاجاً لا يزال مضببا

وكن رجلاً جلداً اذا ما تقلبت به شرقيات الهموم تقلبـا

ذكر ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن تغلب

كأن الفتى لم يعر يوماً اذا اكتسى ولم يك صعـلوكاً اذا ما تمـوّلا

ولم يك في بؤس اذا بات ليلة يناغي غزالاً ساجي الطرف اكحلا

وقريب منه ما انشدني ابي عن ابي دريد عن عبد الرحمن بن اخ الاصمعي

عن عمه الاصمعي رحمهم الله

كأن قوماً اذا ما بدلوا نعما بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا

ومثله ايضاً

ان البطون اذا جاعت متى شبعت كأنما لم يقاس الجوع طاويها

لسعيد بن رمضان الاسدي

فما نوب الحوادث باقيات ولا بؤس يدوم ولا نعيم

كما يمسى سرورك وهو جم كذاك ما يسؤك لا يدوم
فلا تهلك على مافات وجداً ولا تغررك بالاسف الهموم

وقريب منه لكثير في ابن الحنفية رضي الله عنه لما حبسه ابن الزبير رضي الله عنه من ابيات

تحدث من لا قيت انك عائذ بل العائذ المظلوم في سجن غارم
وما ورق الدنيا بباق لاهلها وما شدة الدنيا لضربة لازم

فزاد فيه بعض اخواننا

لهذا وهذا مدة سوف تنقضي ويصبح مالاقيته حلم حالم

لاعرابي

فلا تحسبن سجف اليمامة دائماً كما لم يدم عيش بسفح ابان

مغرس الاسدي

ولا تيأسن من صالح ان ماله وان كان قدماً بين ايد تبادره

حوط بن ريان الاسدي

تعلمني بالعيش عرسى كأنها تعلمني الشيء الذي انا جاهله
يعيش الفتى بالفقر يوما و بالغنى وكل كأن لم يلق حين يسائله

وقريب منه

يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كأنك لم تقدم من الدهر لذة اذا انت ادركت الذي كنت تطلب

لاضبط الفريعي من جملة ابيات

لكل ضيق من الامور سعه والمسا والصباح لافلاح معه
لا تحقرن الوضيع علك ان تلقاه يوماً والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى

اصبر فليس الزمان مصطبراً وكل احدوثة فمنقشعه
كم من فقير غناه في شبع قد نال خفضاً في عيشه ودعه
وكم جليل حلت مصائبه ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمناً جنده وعاد اعداؤه له خضعه

انشد ابو العباس ثعلب

رب ريح لاناس عصفت ثم ما ان لبثت ان ركدت
وكذاك الدهر في افعاله قدم زلت واخرى ثبتت
وكذا الايام من عاداتها انها مفسدة ما اصلحت
ثم يأتيك مقادير بها فترى مُصلحة ما افسدت.

للحسين بن مطير الاسدي

اذا يسر الله الامور تيسرت ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها اتاه يسيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر تموّل والاحداث يحلو مريرها

لمسكين الدارمي

واني لارجو الله حتى كأنني ارى بجميل الظن ما الله صانع

انشدني محمد الحسين قال انشدني ثعلب

الى الله اشكو الامر في الخلق كله وليس الى المخلوق شيء من الامر
اذا انا لم اجزع من الدهر كلما تكرهت منه طال عتبي على الدهر
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى وان كان احيانًا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس واثقًا بحسن صنيع الله من حيث لا ادري
تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني حسن العزاء الى الصبر

غيره

اذا ضاق صدري بالامور تفرجت لعلمي بأن الامر ليس الى الخلق

غيره

يضيق صدري بغم عند حادثة وانما خير لي من الغم احيانا
ورب يوم يكون الغم اوله وعند آخره روح وريحانا
ماضقت ذرعًا بغم عند نائبة الا ولي فرج قد حل اوحانا

للزبير رضي الله عنه

لا احسب الشر جارًا لا يفارقني ولا اجز على مافاتني الودجا
ولا لقيت من المكروه نازلة ولا وثقت بان التي لها فرجا
ولا تراني لما قد فات مكتئبًا ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

لاعرابي

وكل وجه يضيق الا ودونه مطلب فسيح
من روّح الله عنه هبت من كل وجه اليه ريح

لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة ابيات

ان المسا قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا

عن المارستاني قال انشدني ابراهيم بن العباس الصولي وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الامـ ـر لهـا فرجة كحل العقال

ففكت بقلمه ثم قال

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

لابي العتاهية

وربما استيأست مما اقول لان الذي ضمن النجاح كريم

انشدني احمد بن عبدالله الوراق قال انشدنا دعبل قصيدته مدارس ايات فذكر القصيدة الى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله

فلولا الذي ارجوه في اليوم او غد تقطع قلبي اثرهم حسرات
فيانفس طيبي ثم يانفس ابشري فغير بعيد كلما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور انني كاني بها قد اذنت ببياتي
عسي الله ان يرتاح للخلق انه الى كل حي دائم اللحظات

لعلي بن الجهم من ضمن قصيدة له

غبر الليالي باديات عودوا والمال عارية يباد وينفد
ولكل حال معقب ولربما اجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعوّد

لغيره في مثله

قد يصح المريض بعد اياس كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجوا سليماً بعد هلك ويهلك الصياد

لعبد الله بن المعتز

وكم نعمة لله في صرف نقمة　　ومكروه امر قد حلا بعد امرار
وما كلما تهوى النفوس بنافع　　وما كلما تهوى النفوس بضرار

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب من ابيات

لا تعجلن فربما　　عجل الفتى فيما يضره　　فالعيش احلاه يعو　　د على حلاوته بمره
ولربما كره الفتى　　امر عواقبه تسره

لاعرابي

كم مرة حفت بك المكاره　　خار لك الله وانت كاره

آخر ويروى لامير المؤمنين رضي الله عنه

لا تكره المكروه عند نزوله　　ان المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها　　لله في جنب المكاره كامنه

غيره

رب امر تزهق النفس له　　جاءها من خلل الياس فرج
لاتكن من وجه وروح الله آيسًا　　ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب موجع　　جاءه الله بروح فبهج
رب امر قد تضايقت له　　فأتاك الله منه بالفرج

غيره

البؤس يعقبه النعيم وربما　　لاقيت ما ترجوه مما ترهب

غيره

اتى من حيث لا ترجوه صنع　　ويأبى ان تهم به الظنون
فحيث تراك تيأس فارج خيرًا　　فان الغيث محتجب مصون
وكن ارجى لامر لست ترجو　　من المرجو اقرب ما يكون

لعبد بن عبد الله بن طاهر

اراها تمتخض بالمفضلات　　الا ياليت شعري ما الزبده
الا ان زبدتها فرجه　　تحل العقال من العقده

لابي اسحاق اسماعيل بن القاسم الملقب بابي العتاهيه

انما الدنيا هبات　　وعوار مسترده　　شدة بعد رخاء　　ورخاء بعد شدة

وله ايضًا

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف ونختلج
من ضاق عنك فارض الله واسعة في كل ضيق وهم وجه مفترج
قد يدرك الهادي الناحي برقدته وقد يخيب اخاه الراح والدلج
خير المذاهب والحاجات انجحها واضيق الامر ادناه الى الفرج

غيره

ياصاحب الهم ان الهم منقطع ابشر بذاك كأن قد فرج الله
الياس يقطع احيانًا بصاحبه لا تيأسن فان الكافي الله
الله حسبك مما عذت منه به واين امنع ممن حسبه الله
من البلايا ولكن حسبك الله والله حسبك في كل لك الله
هون عليك فان القادر الله والخير اجمع فيما يصنع الله
فرب مستعصب قد سهل الله ورب شر كثير قد كفى الله
اذا بليت فثق بالله وارض به ان الذي يكشف البلوى هو الله
الحمد لله شكرًا لا شريك له ما اسرع اليسر جدًا ان يشا الله

لمحمد بن حازم الباهلي

طوبى لمن يتولى الله خالقه ومن الى الله يلجا يكفه الله
ورب خائف امر يستكين له ينجو وخيرته ما قدر الله

ليحيى بن خالد بن برمك من ابيات

الا اعلم انما الدنيا غرور وليس يدوم لها نعيم
سينقطع التلذذ عن اناس اداموا وتنقطع الهموم

انشدني ابي رحمه الله من قصيدة لسليمان بن عمرو الخاسر

اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح على رسله
فلا تسل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله

ووجدت مكتوبًا بخط عمي القاضي ابي جعفر احمد بن محمد بن ابي الجهم التنوخي لشدة نزلت به

اذا اذا اذن الله في حاجة اتاك النجاح بها يركض
فان عاق من دونها عائق اتى دونها عارض يعرض

انشدني عبيد الله بن محمد الحسن العتبي المعرف بالبصري لنفسه

اذا اذن الله في حاجة　　اتاك النجاح بغير احتباس
فيأتيك من حيث لاتدره　　مرادك للنجح بعد الاياس

لمحمد بن حازم الباهلي

وارحل اذا اجدبت بلاد　　منها الى الخصب والربيع
اعـل دهراً غدا بنحس　　بكر بالسعد في الرجوع

لابي تمام الطائي

وما من شدة الا سيأتي　　لها من بعد شدتها رخاءُ

وانشدني الامير ابو الفضل جعفر المكتفي بالله قال انشدني بعض اصحابنا منسوباً

وكل شديدة نزلت بقوم　　سيأتي بعد شدتها رخاءُ
فان الضغط يحوي وعاءً　　ويتركه اذا فرغ الوعاءُ
وما ملءُ الاناء وشد الا　　ليخرج منه ماامتلأ الاناءُ

انشدت

متى تصفو لك الدنيا بخير　　إذا لم ترض منها بالمزاج
ألم ترجوهر الدنيا المصفى　　ومخرجه من البحر الاجاج
ورب مخيفة فجاءت بقوم　　جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سلامة بعد امتناع　　ورب مثقف بعذاع وجاج

غيره

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي　　نوائب هذا الدهر ام كيف يحذر
يرى الشيءَ ما يتقي فيخافـه　　وما لا يرى ممـا يقي الله اكبر
وما عسر رمى الفـتى بشماله　　بل الدهر الا ما وقى الله اعسر

لمحمد بن عبد المهلبي

أني لرحال اذا الهم برك　　رحب اللسان عند ضيق المعترك
عسري على نفسي ويسري مشترك　　لا تهلك النفس على شيءٍ هلك
فليس في الهم اذا فات درك　　ولم يدم شيءٌ على دور الفلك
رب زمان ذله أرفق لك　　لا عار ان ضاقك دهر اوملك

آخر غيره

لكل غم فـرج عاجـل　　يأتيك في المصبح والممسا

لا تتهم ربك فيما قضى وهون الامر وطب نفسا

لعبد الله بن المعتز

سواء على الايام حفظ واعقال وتارك سعي واحتيال ومحتال
ولا هم الا سوف يفتح قفله ولا حال الا بعدها للفتى حال

آخر غيره

جزعت كذا ذو الهم يجزع قلبه الارب يأس جاء من بعدها فرجا
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وذو الهم من بين المضايق قد خرجا

عن ابي بكر بن ابي الدنيا قال انشدني رجل من قريش

الم تر ان ربك ليس تحصي اياديه الحديثة والقديمه
تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا اليك بنظرة منه رحيمه

آخر غيره

بيني وبين الدهر فيك عتاب سيطول ان لم تحمه الاعتاب
يا غائباً بمزاره وكتابه هل يرتجى من غيبتيك اياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفسي عليك شعارها الاوصاب
لا يأس من روح الاله فربما يصل القطوع ويقدم الغياب

آخر غيره

فلا تيأس وان أعسرت يوماً فقد ايسرت في الدهر الطويل

آخر غيره

فلا تيأس وان صحت عزيمتهم على الدلج فان الى غداة غد سيأتي الله بالفرج
فتصبح عيسهم عرجا وقد كانت بلا عرج

آخر غيره

ربما يطلع التفرج للكربه كالبدر من خلل السحاب
وتزول الهموم في قدر المده تعزى عن عروة الجلباب

آخر غيره

رميت بالهم لما ان رميت به ولم اقم عرضاً للخطب يرميني
ولست آيساً من روح ومن فرج ومن لطائف صنع سوف تكفيني

وقل ما كان من دهري الى سوى   ما سلم الله من احداث ديني

آخر غيره

وكم من ضيقة كدت بغم   وكان عقيبها فرج مفاجي
فاضيق ما يكون الامر ادنى   واقرب مايكون الى انفراج

للمكوك

عسى فرج يكون عسى نفعاً بسا   فلا تقنط وان لاقيت هماً يغيظ النفسا
فاقرب ما يكون المر   ء من فرج اذا آيسا

لبعضهم

لعمرك ما المحبوب من يتقي   ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
واكثر خوف النفس ليس بكائن   فما درك الهم الذي ليس ينفع

أنشدني أبو يوسف السهلي عن المنجع الشاعر

لا البؤس ولا النعيم ولا   حلقة ضيقة ستنفرج الحلقه
صبراً على الدهر في تجوّره   كما فتح الصبر مرة غلقه

غيره

جديدهم سيبليه الجديدان   فاستعسر الصبر ان الدهر يومان
يوماً يسوءُ فيسليه ويذهبه   يوم يسر وكل زائل فان

مفرد

لا تعجل هماً بما لست تدري   ان تراخى يكون او لا يكون

غيره

عادني الهم فاعتاج   كل الى هم الى فرج

آخر غيره

الغم فضل والقضاءُ مغالب   وصروف ايام الفتى تتقلب
لاتيأسنّ وان تضايق مذهب   فيما يحاول او تعذر مطلب
وانظر الى عقب الامور فعندها   لله عادة فرجة تتقرب

لسعيد بن حميد

يوم عليك مبارك * ما شئت من فرج وطيب عاد الحبيب لوصله * وحجبت من عين الرقيب
فاشرب شراباً تقله * تقبيل سالفة الحبيب ودع الهموم فانها * تنأى عن الصدر الرحيب

لابد من فرج قريب　　يأتيك بالعجب العجيب

من انشاد ابن هانىء المغني على الطنبور

علل همومك بالمنى * ترجع الى فرج قريب　　لابد من صنع قريب * يأتيك بالعجب العجيب

لاتيأسنّ وان ألـ * ـح الدهر من فرج قريب　　روّح فؤادك بالرضا * ترجع الى روح وطيب

غيره

ليس لي صبر ولا جلد * قد براني الهم والسهد　　من ملمات تورقني * ما لها من كثرة عدد

ولعل الله يكشفها　　فيزول الحزن والكمد

انشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان لنفسه

هاكها صرفاً تلالا * لم يدنسها المزاج　　واترك الهم لثانيك * فللهم انفراج

يا أبا وهب صديقي * كل ضيق الى انفراج　　اسقني صهبا صرفاً * لم تدنس بمزاج

آخر غيره

رضيت بالله ان يعطني شكرت وان　　يمنع قنعت وكان الصبر من عددي

ان كان عندك رزق اليوم فاطرحن　　عنك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره

سهل على نفسك الامورا　　وكن على مرها وقوراً

فان المت صروف دهر　　فلا تكن عندها ضجوراً

فكم قد رأينا اخا هموم　　اعقب من بعدها سرورا

ورب عسر اتى بيسر　　فسار معسوره يسيرا

آخر غيره

تعزّ ولا تأس عليّ وتيأس　　لجدي محظوظ وأمري مقبل

لعل الليالي ان تعود كعهدنا　　ويجمعنا حال يسر ويجذل

ويعقب هذا البؤس نعمى وهنا　　سروراً وبلوانا سراح معجل

أنشدني سعيد بن محمد الازدي البصري لنفسه

ان الزمان غرور * له صروف تدور　　فاصبر فرب اغتمام * يأتيك منه سرور

قال مؤلف الكتاب وفي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى فقلت

هون على قلبك الهموم فكم　　قاسيت هماً ادنى الى فرج

ما الشر من حيث يتقيه ولا　　كل مخوف يفضي الى فرج

ولآخر من قصيدة أولها

هل مشتكى لغريب الدار ممتحن أو راحم له لم يبق الاسر مرتهن

يقول فيها

كان جلدي سجن فوق اعظمه والروح محبوسة للهم في بدني
فالحمد لله حمد الصابرين على ما ساءني في قضاياه وأفجعني
لعل دهري بعد اليأس يسعفني بما أحب وما ارجو ويعرفني
وأن انال المنى يوماً وان طويت من فوق جثماني الايام من كفني

ولآخر غيره

وما زال هذا الدهر يأتي باضرب تسر وتبكي كلها تتنقل
فلا حزن يبقى على ذي كآبة ولا فرح يحظي به من يؤمل

ولآخر غيره

في ذمة الله من سارت بسيرهم مسرتي وأقام الخوف والحرق
لئن اشطهم دهر قضى شططا وأزهق النفس هم حكمه الزهق
لقد اناب بمبني بعد غيبتهم تجب عوايقها وامتدت العاق

ولاخر غيره

يا قارع الباب ورب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلج
ورب مستورد يوماً على مهل لم يشق في قرعه ولم يهج
علام يشقى الحريص في طلب ال رزق لطول الرواح والدلج
وهو وان قد كف عنه طالبه ال رزق وان عاج عنه لم يعج
فاطو على الهم كشح مصطبر فآخر الهم اول الفرج

غيره

اصحب الدنيا مياومة * وأدفع الايام تندفع واذا ماضيقة عرضت * فالقها بالصبر تتسع

غيره

ادرج الايام تندرج * وبيوت الهم لاتلج رب امر عز مطلبه * هونته ساعة الفرج

غيره

كما لم يكن عصر العصارة باقيا كذلك عصر البؤس ليس بثابت

وأنشدني ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحجاج الكاتب البغدادي لنفسه

تسل عن الهموم مصطبرا　　وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متسع　　وكل هم يفضي الى فرج

ولآخر

اذا ضيقت أمراً ضاق جداً　　وان هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات غما　　فكم شيء تعصب ثم لانا

ولآخر غيره

لا يؤيسنك من مجباة قوم　　تغلطه وان جرحا
عسر النسا الى مياسرة　　فالصعب يمكن بعد ما جمحا

ولآخر غيره

عرّضن للذي يحب بحب　　ثم دعه يروضه ابليس
فلعل الزمان يدنيك منه　　ان هذا الهوى نعيم وبؤس

ولآخر غيره

تحبب فان الحب داعية الحب　　وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبين فان حديث اخا هوى　　نجا سالماً فارج النجاة من الكرب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى　　فاين حلاوات الرسائل والكتب

للعباس بن الاحنف

أما تحسبيني أرى العاشقين　　بلى ثم لست أرى لي نظيرا
لعل الذي بيديه الامور　　سيجعل في الكرة خيراً كثيرا
تعزّ وهون عليك الامور　　عساك ترى بعد همّ سرورا

ولآخر غيره

قربت لي املاً فاصبح حسرة　　ووعدتني وعداً فصار وعيدا
فلاصبرن على شقائي في الهوى　　فلربما عاد الشقي سعيدا

ولآخر غيره

ايا سروة البستان طال تشوقي　　فهل لي الى ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضي خروجه　　وليس لمن يهوى اليه وصول
عسى ان يرتاح في كرته لنا　　فيلتقي اغتباطاً خلة وخليل .

ولآخر غيره

لعل التلاقي في ليال * وايام من الدنيا تقينا حبيباً نازحاً امسيت منه * على يأس وكنت به فتينا

ولآخر غيره

لئن درست اسباب ماكان بيننا من الوصل ماشوقى اليك بدارس
وما أنا من ان يجمع الله بيننا كاحسن ماكنا عليه بأيس

ولآخر غيره

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

غيره

وما انا من بعد ذاك بأيس بان يأذن الله لي في اجتماع
فاتعس حد النوى باللقا وأرغم بالقرب أنف الزماع

أنشدني سعد بن محمد البصري الوجيه الشاعر

كانت على رغم الندى أيامنا مجموعة النشوات والاطراب
ولقد عتبت على الزمان لبنيهم ولعله . سيئين بالاعتاب
ومن الليالي ان علمت احبة وهي التي تأتيك بالاحباب

وله ايضاً

ان راعني عنك الصدود * فلعل ايامي تعود اذلالتنا ولنا يد * النعماء الا ما نريد
ولعل عمرك باللوا * يخبوا فقد تخبوا العهود والغصن ييبس مرة * وتراه مخضراً يميد
اني لارجو عطفة * يبكي لها الواشي الحسود فرحاً تقر به العيون * وتنجلي عنه السعود

مما انشده علي بن مقلة في نكبته عقيب الوزارة الاولى

اذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنت وراست في اماكنها الخطوب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات اذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

ولغيره

الحمد لله على ماقضى * في المال لا حفظ المهجه ولم يكن من ضيقة هكذا * الا وكانت بعدها فرجه

للحسين بن عبد الرحمن

لعمر بنيي اللذين أراهما جزوعين ان الشيخ غير جزوع

اذا ما الليالي اقبلت باساءة رجونا بأن تنأى بحسن صنيع

عن ابن أبي الدنيا

جلبنا الدهر اشطره ومرّت بنا عقب الشدائد والرخاء فلا تأسف على دنيا تولت
ولا تفزع الى غير الدعاء هي الايام تكلمنا وتأسوا وتأتي بالسعادة والشقاء
توكلنا على رب السماء وسلمنا الاسباب القضاء

ولغيره

عسى فرج من حيث تأتي مكارهي يجيء به من جاءني بالمكاره
سير تاح لي مما أعاني بفرجة فينتاشني منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره وقد طرحته أمه بالمكاره

لمحمود الوراق

اذا من بالسراء عم سرورها وان مس بالضراء اعقبه الاجر
وما منهما الا له فيه منة تضيق بها الاوهام والبر والبحر

للعباس بن الاحنف

قالوا لنا ان بالقا طول مشنانا ونحن نأمل صنع الله مولانا
والناس يأتمرون الرأي بينهم والله في كل يوم محدث شانا

قال مؤلف هذا الكتاب

لئن عداني الدهر عنك يا أملي وسل جسمي بالاسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول
الحمد لله حمد الشاكرين على ماشاء من حادث يوهي قوى الامل
قد اشتكت لصروف الدهر والتحقت على فيك غواشي الحزن والوجل
واعتضت منك بسقم شانه خلل ومن وصالك بالهجران والملل
وبعد أمني من عذر ومثنية عذراً يسرح بالالفاظ والرسل
ومن لقائك لقى الطب ارحمهم فظ وأرفعهم يدني الى الاجل
فلست آيساً من رجع الوصال ولا عود الموافي ولا آمن من السبل

وله في محنة لحقته من قصيدة

اما للدهر من حكم رضيّ يدال به الشريف من الدني
ويستعلى الروس من الذنابي وينتصف الذكي من الغبي

ومن عاصاه دمع في بلاء   فليس بكاء عيني بالعصي
وما ابكي لوفر لم بفده   زمان خان عهد فتىً وفي
ولا آسا على زمن تولى   بعيش ناضر غضّ ندي
ومن حدث تفوتني المعالي   على عهد بها حدث في
وان يدي لتقصرعن هلاك ال   عدو وعن مكافأة الولي
وما تغني الحوادث ان المت   سوى قلب عن الدنيا سخي
وصبر ليس تنزحه الليالي   كنزح الدلو صافية الركي
وليس يأيس من كان يخشى   ويرجوا الله من صنع قوي

وله عند صرفه من تقلده القضاء بالاهواز وقبض ضيعة من ضياعه وحضوره الى بغداد

لئن اشمت الاعداء صرفي ورحلتي   فما صرفوا فضلي ولا انصرف المجد
مقام وترحال وقبض وبسطة   كذا عادة الدنيا واخلاقها النكد
وما زلت جلدًا في المهات قبلها   ولا غرْو في الاحيان ان يغلب الجلد
فكم ليث غابٍ شردته يدٌ لها   وكم من حسام فله غيلة غمد
وكم جيفة تعلوا وترسب درة   منجسة تقوى اذا ضعف السعد
الم تر ان الغيث يجري على الربا   ويحظى به ان جاد صيبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاد نيله   يجيء على يأس اذا ساعد الجد
لقد اقرض الدهر السرور فان يكن   اساء اقتضاء فالقروض لها رد
وكم فرحة تأتي على اثر ترحة   ومن راحة تطوى اذا اتصل الكد
وكم منحة من محنة تستفيدها   ومكروه امر فيه للمرتجي وفد
على انني ارجو لكشف الذي غدا   مليكاً له في كل نائبة وفد
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر   وتمسي عيون الدهر عنا هي الرمد
ونعتاض باللقيا من البين اعصرًا   مضاعفة تبقى ويستهلك البعد

انشدني سعد بن محمد الشاعر الوجيه رحمه الله

يا نفس كوني لروح الله ناظرة   فانه اللاماني طيّب الارج
كم لحظة لك مخلوس تقبلها   كانت تردد بين الياس والفرج

ولآخر غيره

اتيأس ان يساعدك النجاح   فأين الله والقدر المتاح

هي الايام والنعما تجزى   يجيء بها غدو او رواح

ولآخر غيره

اذا ما اشتد عسر فارج يسراً   فان قضاء الله ان يتبع العسر يسر
عسى ماترى الا يدوم وان ترى   له فرجاً يوماً يجيء به العسر
عسى فرج ياتي به الله انه   له كل يوم في خليقته امر
فكن عند ما ياتي به الدهر حازماً   صبوراً فان الصبر مفتاحه الصبر
فكم من هموم بعد طول تكشفت   وآخر معسور الامور له يسر

ولغيره

واكثر ما تلقى الاماني كواذباً   فان صدقت حادت بصاحبها العذرا
وآخر احسان الليالي اساءة   على انها قد تتبع العسر باليسرا

ولغيره

لا تجزعن فان العسر يتبعه   يسر ولا بؤس الا بعده ريف
وللمقادير وقت لا تجاوزه   وكل امر على الاقدار موقوف
ورب من كان معزولاً فيعزل من   ولى عليه وللاحوال تصريف

ولغيره

من ذا رأيت الزمان ايسره   فلم يشب يسره يوماً بتعسير
ام هل ترى عسرة تمت على احد   دامت فلم تنكشف الا بتيسير

ولغيره

المرء لا يبقى على حالة   والعسر قد يتبعه يسر

ولغيره

صبراً قليلاً فان الدهر ذو غير   مادام عسر على حال ولا يسر
قد يرحم المرء من يغلظ بمحنته   وليس يعلم ما يجيء له القدر
والدهر حلو ومر في تصرفه   خير وشر وفيه العسر واليسر

ولغيره

كل الامور الى   من يتم الامور   وافزع اليه اذا   لم يحرك عجزاً مجير
فكل صعب عسير   عليه سهل يسير

ولغيره

ايها الانسان صبرا * ان بعد العسر يسرا اشرب الصبر وان * كان من الصبر امرّا

ولغيره

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا وابشر بطول سلامة * تسليك عما قد مضى

ولغيره

صبرًا وامهالاً فكل ملمة سيكشفها الصبر الجميل فامهل

ولغيره

فقد يامل الانسان مالا يناله ويأتيه رزق الله من حيث ييأس

ولغيره

اذا استصعبت من دنياك حالاً ففكر في صروف كنت فيها
واحدث شكر من نجاك منها وابدلها بنعمى ترتضيها

ولآخر غيره

الدهر اعراض واقبال وكل حال بعدها حال
ما احسن الصبر ولا سيما بالحرّ ان حالت به الحال
فصاحب الايام في غفلة وليس للايام اغفال

انشدني نصير بن محمد الازدي مولى الازد

اني رأيت وفي الايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
فاصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرّواح الى الحاجات والبكر
لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والضجر
وقلّ من جد في امر يحاوله واستصحبَ الصبر الا فاز بالظفر

لغيره

قد فرّج الله من الهجر ونلت ما امل بالصبر
في ساعة الياس اتاني المنى كذاك تاتي دول الدهر

لغيره

فصبرًا ابا جعفر انه مع الصبر نصر من الصانع
فلا تيأس ان تنال الذي يؤمك من فضله الواسع

ولغيره

اذا ضاق زمانًا بامرئ كان فيه بعد ضيق متسع

ولغيره

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

محمود الوراق

صابر الصبر على كرّ النوائب من كنوز البر كتمان المصائب
والبس الدهر على علاته تجد الدهر مليًا بالعجائب

انشدني الوجيه لنفسه

عليك رجاء الله ذي الطول واللطف بجملة ما يبدي من الامر او يخفي
فقد خلق الايام دائرة بنا تقلبنا من كل صرف الى صرف
وكم فرج لله ياتي مرفرفًا على تلف الاحشا في تلف شف
فلا تمكنن من قلبك الياس والاسي لعل الذي ترجوه في مرجع الطّرف
وصبرًا جميلاً ان للدهر عادة تجربة اتباعه العسف بالعطف

لابن بسّام

الا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتذلل عزّت
ينزل ارزاق البرية كلها على ما رآه لاعلى ما استحقّت
وكم ماجد في القيد والباب دونه ترقّت به احواله وتعلّت
يشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى فلو احسنت في كل حال لمّت
ساصدق نفسي ان في الصدق راحة وارضى بدنياني وان هي قلّت
وان طرقتني الحادثات بنكبة تذكرت ما عوفيت منه فقلت

ولآخر غيره

كأنك بالايام قد زال بؤسها واعطتك منها كما كنت تطلب
فترجع عنها راضيًا غير ساخط وتحمدها من بعد ما كنت تعتب

حدثني الحسن بن صافي قال رأيت على حائط مسجد مكتوبًا بالفحم

ليس من شدة تصيبك الا سوف تمضي ويكشف الضر كشفا
لا يضق ذرعك الرحيب فان النار يعلوا لهيبها ثم يطفى
قد راينا من كان اشفي على الهلك فجاءت نجاته حين اشفا

ولآخر غيره

الدهر خدن مصاف ذو مخادعة لا يستقيم على حال لانسان

حلو ومرّ وذو منّ وذو قرف ... يخالط السوء منه فرط احسان

ولغيره

لئن قدمت قبلي رجال لطالما ... مشيت على رسلي فكنت المقدّما

ولكنّ هذا الدّهر يعقب صرفه ... فيبرم منقوضاً وينقض مبرما

وانشدني ابو الفرج البغا لنفسه

كم كربة ضاق وسعي عن تحملها ... فملت عن جلدي فيها الى جزعي

ثم استكنّت فادّتني الى فرج ... لم يجر بالظن في بأسي ولا طمعي

انشدني سيدوك الواسطي من قصيدة

ابى الله الاّ ان يعيظ عباده ... فجلسته تحت الشراع المطنّب

الى ان يموت المرء يرجى ويبقى ... ولا يعلم الانسان مافي المغيب

ولآخر غيره

ما احسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن

حسبك من حسنه عواقبه ... عاقبة الصبر مالها ثمن

وقال غيره

ان ضقت من خطب المّ فعنده ... فرج يرجّى عنده ويخاف

فاصبر على تحب النوائب مثل ما ... صبرت لها آباؤك الاشراف

انشدت لعمرو بن معدي كرب الهندي

وكانت على الايام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلّت

وكم غمرة دافعتها بعد غمرة ... تجرّعتها بالصبر عنها فولت

لابي العتاهيه

الدهر لا يبقى على حاله ... لابد ما يقبل او يدبر

فان تلقاك بمكروهه ... فاصبر فان الدهر لا يصبر

لعلي بن الجهم

هي النفس ما ان حملتها تحمل ... وللدهر ايام تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميله ... واجمل اخلاق الرجال التحمل

ولآخر غيره

لا تعتبن على النوائب ... فالدهر يرغم كل عاتب

واصبر على حدثانه ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى ولكل خالصة شوائب

ولآخر غيره

فاصبر على حلو القضاء ومره فان اعتياد الصبر ادّى الى البر
خير الامور خيارهن عواقباً وكم قد اتاك النفع من جانب الضر

وقال غيره

واني لارجو الله يكشف كربتي ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني العاجمات مثقفاً اذا ضاق امر تناهي الى الصبر
وما حزني ان كرّ دهر بصرفه عليّ ولكن ان يفوت به وتري
فان فاتني وتري فايسر فائت اذا انا عوضت الثواب من الوفر
ولطف كفايات الاله مبشّر بنيل الذي امّلت لايد صفر
فان يهلل الامر امرءٌ فهو آمل بلوغ الغنى فيما يهول من البحر
ورب مضيق بالقضاء وورطة رأى مخرجاً بين المثقفة السمر

آخر غيره

ليس لما ليست له حيلة* موجودة خير من الصبر والصبر مرّ ليس يقوى به* غير رحيب الباع والصدر

ولآخر غيره

وما التحف الصبر بالصبر الا وكفت عنه ايدي النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزاً ويكرم في الحياة وفي الممات

ولآخر غيره

الصبر مفتاح ما يرجّى* وكل خير به يكون فاصبر فان طالت الليالي* فربما طاوع الحرون
وربما نيل باصطبار ماقيل هيهات لا يكون

لابي الحسن الاطروش المصري من ابيات

مازلت ادفع شدتي بتصبري حتى استرحت من الايادي والمنن
فاصبر على نوب الزمان تكرماً فكأنما قد كان منه مالم يكن

ومما وجد على حجر قبر مكتوب

اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور فرج وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور

ولآخر غيره

اصبر على الدهر ان اصبحت منغما فالضيق في لجج تهوى الى لجج
فان تضايق امر عنك مرتج فاطلب لنفسك بابًا غير مرتبج
لا تيأَسنّ اذا ماضقت من فرج يأْتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرع كاس الصبر معتصم بالله الأَ اتاه الله بالفرج

ولآخر غيره

وأَلزمت نفسي الصبر في كل محنة فعادت باحسان وغير عواقبه
ولم ينط الصبر والرفق قلبه يكن عرضًا اودت بليل جوانبه

ولغيره

واني لاغضي مقلتي على القذى والبس ثوب الصبر ابلج ابيضا

غيره

واني لادعوا الله والامر ضيق عليّ فما ينفعك ان يتفرجا
وكم من فتى سدت عليه وجوهه اصاب لها في دعوة الله مخرجا

محمد بن بشير

ان الامور اذا اشتدت مسالكها والصبر يفتح منها كلما ارتجا
لا تيأَسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

لمدرك بن محمد الشيباني

مستعمل الصبر مقرون به الفرج يبلي ويصبر والاشياء ترتج
حتى اذا بلغت مكنون غايتها جاءتك تزهر في ظلمائها السّرج
فاصبرودم واقرع الباب الذي طلعت منه المطالع فالمغرى به يلج
بقدرة الله فارج الله وارض به فعن ارادته الغماء تنفرج

ولآخر غيره

ثبوت الخطب اوله غليل وآخره شفاءٌ من عليل
فكم من علة كانت الى ما يجيش عتابه اهدى سبيل
ورب منيحة بفناء قوم من الاحداث فهي الى رحيل
كلا يجي صروف الدهر خيرًا وشرًّا لابسٌ ثوب الافول

ولغيره

قل لمن سرّه رضي الدهر الأَ ساء بسخطه مما لا يطاق

وكذا عادة الزمان شتات والتئام والفة وافتراق

لابي احمد يحيى بن علي المنجم الى ابي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان لما ولي الوزارة من ابيات

لقد كذبت فيك العدو ظنونه وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وقد يحسن الايام بعد اساءة وان كان في الامرين منها تباعد

ولغيره

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما القى من الهم
كرب بقلبي ليس يكشفه الا مليك عادل الحكم

ولغيره

أألفة الحبيب كم افتراق اظل وكان داعيها اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

ولغيره

ولله لطف يرتجى ولعله سيعقبنا من كسر ايدي الندا جبرا

ولغيره

رب امرء مرتج بابه عليه ان يفتح اقفال ضاقت بذي الحيلة في فتحه حيلته والمرء محتال
ثم تلقته مفاتيحه من حيث لا يخطره البال

لعبد الله بن طاهر من ابيات جواباً

دعوت مجيباً يا ابا الفضل سامعاً ويارب مدعو وليس بسامع
فاوقعت شكواي الزمان وصرفه اليه بحق في احق المواقع
فصبراً قليلاً كل هذا سينجلي ويدفع عنه السوء اقدر دافع
فما ضاق امر قط الا وجدته يؤل الى امر من الخير واسع

لمحمد بن حازم الباهلي

اذا نابني خطب فزعت لكشفه الى خالقي من دون كل حميم
وان من استغنى وان كان معسراً على ثقة بالله غير ملوم
الا رب عسر قد اتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظيم

وله ايضاً رحمه الله

لارب امر قد اضاق وحاجة لها بين احشاء الضلوع عويل

فلم تلبث الايام ان عاد عسيرها بيسر ونجح والامور تحول

ولغيره

كن لمن لا يرجوا من الامر اوجي منك يوماً لما له أنت واج
ان موسى مضى ليقبس نارا من شعاع يلوح والليل داج
فانثني راجعاً وقد كلم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الامر حين يشتد بالامر يؤدي الى سعة الانفراج

ولغيره

اصبر على مضض الزما ن وان رمى بك في اللجج
فلعل طرفك لا يعو د اليك الا بالفرج

ولغيره

فياصاحبي رحلي على ان أراكما كما كنتما ان الزمان ينوب
ولا تيأسنْ من فرحة بعد ترحة فللدهر لغز حادث وخطوب
سيرحمنا مولى شعيب وصالح وارحامنا تدلى بنا فتجيب

ولغيره

خاف من فقر تعجله والغنى أولى لمنظره ليس منكوراً ولا عجباً ان يعود الماء في نهره

ولغيره

ألا أيها الشاكي الذي قال مفصحاً لقد كاد فرط اليأس ان يتلف المهج
رويدك لا تيأس من الله واصطبر عسى ان يوافينا على غفلة فرج

ولغيره

من صاحب القدر اقتدر أولى بفوز من صبر

ولغيره

ان سئل الزمان سرّ الصبر عنوان الظفر

ولغيره

اني وان عصفت بالعيش نائبة سبط التبحير بين اليأس والطمع
لا أستذمّ الى صبر بهجرته ولا اسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نعمة ويد لله يأملها من هول مطلع
وكم فرغت من الايام ثم أتت تمد ايديها نحوي من الفزع

اذا بدت نكبة فالحظ أوفرها   تنظر الى فرج للكرب ممتنع

ولغيره

يا هارباً من زمن جائر   يجني الملمات على الحر
اصبر فما استمتعت في مطلب   بشافع خير من الصبر
وابشر فان اليسر يأتي الفتى   اقنط ما كان من اليسر

أنشدني سعيد بن محمد الازدي لنفسه

لا يوحشنك من جميل تصبر   خطب فان الصبر فيه أجزم
العسر أكرمه ليسر بعده   ولاجل عين الف عين تكرم
لم يشك مني عسرة يوماً ولا   جواراً ولا قلنا على ما يحكم
المرء يكره بؤسه ولعله   يأتيه فيه سعادة لا تعلم

ولغيره

كانت اليك من الحوادث ذلة   فاصبر لها فلعلها تستغفر
انا لننهض الخطوب بصبرنا   والخطب ممتهن لمن لا يصبر
ولرب ليل بتّ فيه بكربة   وغدا بفرجتها الصباح المسفر

ولغيره

ادبتني طوارق الحدثان   فتجافيت عن ذنوب زماني
كنت اشكوا من الزمان خطوبا   أظهرت لي جواهر الاخوان
فتبينت منهم الخير والشر   وأهل الوفاء والخلان
وتوكلت في أموري على الله   اللطيف المهيمن المنان
وتيقنت انه سوف يكفيني   ضرب الدهور والازمان
ثم يمحوا بالعسر يسراً وبالا   نعمة ضرّا كما أتى القرآن
ان تصبرت وانتظرت غياث   الله وافى كاللمح في الاحيان
هو عوني في كل خطب ملم   عدمت فيه نصرة السلطان

ولغيره

ان أكن خبت اذا سألت فما   ذاك على مطلب الكريم بعار
يحرم الليث صيده وهو منه   بين حد الاظفار والاظفار
ويزول السهم السديد عن الا   قصد ومما تلك ذلة الاشوار

ليس كل الاقطار يروي من الغيـ ث وان عمها بصوت القطار
ان يجبني رشاء دلوي فقد احكمت اكرامه بعقد مغار
او يعد فارغاً اليَّ فما القيت الا الى المياه القرار
ان أساء الزمان فقد احسنـ ت صبراً وما أساء اختياري
وعسى فرجة تفتح نحوي ناصر النصر بعد طول انتظار
ما لقيت الاعسار بالصبر الا بشرتني وجوهه باليسار

ولغيره

صبراً فكيف تحقق الآمال وتحول عما تكره الاحوال
ان كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال

ولغيره

فالامر في معناها واحد لذاك شكر ولذاك صبر
حتى رأى الاقدار قد فرجت وكل عسر فله يسر

ولغيره

ان يأذن الله فيا بت آمله أتى النجاح حثيثاً غير ممطول
ما لي سوى الله مأمول لنائبة والله اكرم مسئول ومأمول

ولغيره

حزنت وذو الاحزان يخرج صدره الا رب حزن جاء من بعده فرج
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وباليسر من بين المضايق قد خرج

لابن الرومي رحمه الله

لعل الليالي بعد سخط من النوى ستجمعنا في ظل تلك المآلف
الا ان للايام بعد انصرافها عواطف من احسانها المتضاعف

وله أيضاً

ورب جلباب هم له من الصنع جيب وكل خير وشر دون العوقب غيب

ولغيره

أقول قول حكيم فاعرف بفهمك شرحه كم فرجة اثر ضيق وفرحة بعد ترحة
والعسر يعقب يسراً والهم يعقب فرحه والعيش فاعلم ثلاث غنىً وأمن وصحه

لمؤلف الكتاب

قل لمن أودى به الترح كل هم بعده فرح لا تضق ذرعاً بنازلة وارمها بالصبر تنفسح
غالط الاحداث مجتهداً كل ماقد حل منتزح وأزح بالراح طارقها فجلاء الكربة القدح
الق بالمزج المريخ أذى حدها ان شئت تسترح

ولغيره

وكاين يرى من ذي هموم تفرجت وذي غربة عن داره مسعود

ولغيره

لا يرعك الشر ان ظهرت بتهاويل مخائله رب أمر سر آخره بعد ما ساءت أوائله

ولغيره

فلا تجزعن وان اعسرت يوماً فقد ايسرت في زمن طويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

ولغيره

هل الهم الا فرجة تنفرج لها معقب تحدي اليه وتنزعج
أبى لي اغضاء الجفون على القذا يقين بأن لا عسر الا مفرج
أخطط في ظهر الحصير كانني أسير يخاف القتل والهم يفرج
ويا ربما ضاق الفضا بأهله وأمكن من بين الاسنة مخرج

ولغيره

اجارتنا ان التعفف بالباس فقير على استدرار دنيا بأساس
جدير بان لا يؤذنا بمذلة كريماً فان لايحوجاه الى الناس
ولي مقلة تنفي القذا عن جفونها وتأخذ من ايحاش دهر وايناس
اجارتنا ان القداح كواذب واكثر اسباب النجاح مع الياس

ولغيره

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

ولغيره

الا لا تموتن اغتماماً وحسرة وهما اذا ما سارح الهم اجذبا
وصبراً اذا ما الجذب ليس بدائم كما لم يدم عشب لمن كان اعشبا

ولغيره

استقدر الله خيرًا وارضينّ به　　فبينما العسر اذ وارت مياسير

ولغيره

اما علمت بان العسر يتبعه　　يسر كما الصبر مقرون به الفرج

ولغيره

اذا ما البين احوجني　　فليس علي النوى حرج　　دعي لومي على صلتي　　سيقطع بيننا حجج
سأركب هول مظلمة　　افرجها فتنفرج

ولغيره

غدا البين موعدنا　　فان الى غد فرج　　دني التهجر والدلج　　قصدي للمنى يلج
ولي هم يؤرقني　　على بحر له لجج　　اطاف بحالكه وضح　　عليه من البلا بهج
اقول لنفس مكتئب　　عليه من الردى ثبج　　رضي مادمت سالمة　　فان العيش مندعج
ولا تستخفين بها　　فوجه الحق منبلج　　وزور الحق ممتحن　　اذا دارت به اللجج
وقائلة تعاتبني　　وجنح الفجر منبلج　　فقلت رويدك معتبتي　　لكل ملمة فرج
ذريني خلف قاصية　　تضايق بي وتنفرج　　اسرك ان اكون رفعت　　حيث الامر والمهج
واني بت يصهرني　　بحر جهنم وهج　　فأدرك ماقصدت له　　ويبقى العار والحرج
اذا اكدت حائلة　　فلي في الارض منعرج

ولغيره

عسى مشرب يصفوا فيروي ظمية　　اطال صدها المنهل المتكدر
عسي بالجنوب الغاديات سنلتقي　　وبالمستلذ المستظام سيفضر
عسى جابر العظم الكسير بلطف　　سيرتاح للغصن الكسير فيجبر
عسى صور امسي لها الجود انها　　سيبعثها عدل يجيء ويظهر
عسى الله لا تيأس من الله انه　　يهون عليه ما يعز ويكبر

ولغيره

نحاول اذلال العزيز لانه　　رمانا بظلم واستمرت مرائره

ولغيره

كفاك بهذا ايها المتجبر　　وان قال فيك القائلون واكثروا

ولغيره

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه　　الا اتاني وشيكا بعده الفرج

ولغيره

اني رأيت مغبّة الصبر　　تفضي بصاحبها الى اليسر
لابد من عسر ومن يسر　　بها يدور دوائر الدهر
وكأنما يلذ اليسر صاحبه　　فكذاك فليصبر على اليسر

ولغيره

غنا النفس يكفي النفس حتى يكفها　　وان اعسرت حتى يضر بها الفقر
فما عسرة فاصبر لها ان لقيتها　　بدائمة حتى يجيء لها يسر

ولغيره

وما الدهر الا ما تراه فموسر　　يصير الى عسر وذو فاقة يثري

ولغيره

لعمرك ما كل التعطل صائر　　ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى　　عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ماترى　　الا رب ضيق في عواقبه سعه

ولغيره

يقولون صبرًا والتصبر شيمتي　　الم يعلموا ان الكريم صبور
هل الدهر الا نكبة وسلامة　　والا فبؤس مرة وحبور

ولغيره

وكل كرب وان طالت بليته　　يومًا يفرج غماه فينكشف

ولغيره

مفتاح ابواب الفرج الصبر*وكل عسر بعده يسر　والدهر لا يبقى على حالة*فكل امر بعده امر
والكره تفنيه الليالي التي*ياتي عليها الخير والشر وكيف يبقى حال من حاله*يسرع فيه النفع والضر

ولغيره

عسى الكرب الذي امسيت فيه　　يكون وراءه فرج قريب
فيامن خائف ويفك عان　　وياتي اهله النائي الغريب

ولغيره

فياليت الرياح مسخرات　لحاجتنا تصبح اوتنوب　فتخبرنا الشمال اذا اتينا　ويخبر اهلها عنا الجنوب

ولغيره

الحمد لله حمداً لا شريك له ان الزمان لذو جمع وتفريق

قد ينقل المرء من ضيق الى سعة وييأس الامر يوماً بعد تعويق

والدهر ياتى على كل باجمعه وليس من سعة تبقى ولا ضيق

ولغيره

الا فاصبرن مادام في النفس مسكه عسى فرج ياتى به الله في غد

وان امرء رب السماء وكيله حريّ بحسن الظن غير مبعّد

ولغيره

خلقان لا ارضى فعالها تيه الغنى ومذلة الفقر

واذا غنيت فلا تكن بطراً وان افتقرت فته على الدهر

واصبر فلست بواجد خلقاً ادنى الى فرج من الصبر

غيره

النسل من واحد والشكل مختلف والدهر فيه بنو الدنيا على درج

اذا تضايق امر فانتظر فرجاً فاضيق الامر ادناه الى الفرج

تم



فهرست الجزء الاوّل

فهرست الجزء الثاني

تم

ونرجو ممن يعثر على تحريف مغير للمعنى في اي باب او مخل بالاشعار ان يتفضل بتعريفنا عنه للاحتياط فيه عند اعادة الطبع ان شاء الله تعالى

